السيد نعمة الله الجزائري

النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

شبكة الفكر
alfeker.net

النور المبين

في

قصص الأنبياء

والمرسلين

النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

قدم له وعلّق عليه

علاء الدين الأعلمي

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطّبعَة الثانيَة

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور- ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦- فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel – Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة من حياة المؤلف

نسبه ومولده:

هو السيد نعمة الله بن عبدالله بن محمد بن حسين بن أحمد بن محمود بن غياث الدين بن مجد الدين بن نور الدين بن سعد الدين بن عيسى بن موسى بن عبد الله ابن الإمام الهمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم أفضل الصلاة والسلام(١).

ولد في الصباغية قرية من قرى الجزائر(٢) في أطراف شط العرب سنة ١٠٥٠ هـ(٣).

حياته ونشأته:

إن السيد رضوان الله عليه تحمل المشقات الكادحة في سبيل تحصيل العلوم ودراسة الفنون ولا سيما في أوائل أيامه وهو مكب على الاشتغال بالعلم وجاد في تحصيله حتى أنه لم يكن له قدرة مادية في الليالي على تهيئة زيت السراج للمطالعة ومهما بلغت به الحال من الشدة القاسية لم يوجد فتور في همته العالية وأخذ يستسقي من نمير العلوم الصافية ومنهلها العذب وأقبل على الارتشاف من بحار الأخبار المروية عن العترة الطاهرة عليهم السلام(٤).

وقال حفيده السيد عبد الله: كان من مبدأ نشوئه إلى آخر عمره مولعاً بطلب العلم ونشره وترويجه كدوداً لا يفتر عنه ولا يمل وكان في أسفاره يستصحب ما يقدر عليه من الكتب فإذا نزلت القافلة وضعها واشتغل بها إلى وقت الرحيل وربما كان يطالع في الكتاب وهو راكب قرأ أولًا في الجزائر على جماعة من علمائها وانتقل بعدها إلى شيراز ومنها إلى أصفهان وخلال إقامته في أصفهان جمع كتباً كثيرة تبلغ أربعة آلاف كتاب وكتب بيده القاموس والكتب الأربعة

---

(١) دائرة المعارف للأعلمي ج ٢٩، ص ١٣٥.

(٢) الجزائر: عبارة عن الناحية الكبيرة والقرى المتصلة الواقعة على شفير نهر تستر بينها وبين البصرة حسنة الرباع والأقطاع (روضات الجنات).

(٣) أعيان الشيعة ج ١٠، ص ٢٢٦.

(٤) ترجمة المؤلف للقاضي الطباطبائي في مقدمة كتاب الأنوار النعمانية.

وتفسير البيضاوي وغير ذلك وقلّ كتاب من كتبه ليس عليه تعليقه أو تصحيحه وكتب له هؤلاء إجازات عامة وعاد إلى الجزائر وأخذ في الإرشاد والإفادة.

وفي عام ١٠٧٩هـ عصى حسين باشا والي البصرة على الوزير والي بغداد العثماني فوقعت بينهما الحرب فانكسر حسين باشا وفر إلى الهند وانتشرت العساكر العثمانية في البصرة ونواحيها وأخذوا بالنهب والقتل وتتبع الناس حتى فر أكثرهم ومنهم السيد نعمة الله رحل من الجزائر إلى الحويزة وكانت للصفوية والولاة فيها السادات الأماجد من قديم الزمان ويومئذٍ كان الوالي السيد الأجل السيد علي ابن السيد خلف فأكرم السيد نعمة الله غاية الإكرام ورحب به والتمسه على السكنى بالحويزة وكاتبه أهل تستر وطلبوا قدومه فاستخار الله فخار له فورد تستر وأقام بها ولما سمع الشاه سلطان سليمان الصفوي بذلك سر بقدومه وكتب إليه وفوض إليه القضاء ومنصب شيخ الإسلام والتدريس ونيابة الصدر وإمامة الجمعة والجماعة وتولية المسجد الجامع وسائر المناصب الشرعية فأخذ السيد في ترويج الدين وتربية الناس ولم يكن في تستر من يعرف شيئاً من الأحكام حتى تذكية الحيوان ولم تمض مدة إلا وصار منهم أهل المعرفة والدين(١).

وصار من أكابر علماء الشيعة ومحدثي الإمامية ولكنه سلك في استنباط الأحكام الشرعية طريقة الأخباريين ومشى سبيل المحدثين وترك طريقة الفقهاء الأصوليين ومع ذلك كان حامياً لهم ودافعاً عنهم بكل قواه وهذا من رشحات الإيمان القوي في قلب ذلك الأواه.

مشايخه وأساتذته:

تتلمذ السيد المؤلف (ره) منذ صغره في بلاده الجزائر على يد الشيخ محمد بن سليمان الجزائري الفقيه النحوي، والسيد ميرزا محمد الجزائري صاحب (جوامع الكلم) الذي يعبّر عنه بأستاذنا المحدث.

وفي شيراز قرأ على جماعة كثيرين منهم: الشاه أبو الولي الحكيم الإلهي، والسيد هاشم الإحسائي المعبّر عنه في كلماته بشيخنا الثقة، والشيخ جعفر البحراني الذي يعبّر عنه بأستاذي المجتهد، والشيخ عبد علي بن جمعة المفسر الذي يعبّر عنه بشيخنا الحويزي، والشيخ يوسف بن محمد البنّاء، والشيخ فرج الله بن سلمان.

وفي أصفهان قرأ على يد أعاظم العلماء وأفاخم الفضلاء مثل العلّامة الخراساني، والأمير أرفع الدين النائيني والآقا حسين الخونساري الذي يعبّر عنه بالمحقق، والعالم الرباني الفيض الكاشاني الذي يعبّر عنه بشيخنا الكاشي والمحقق السبزواري ثم ختم أمره بخدمة العلّامة المجلسي فأحله منه محل الولد البار من الوالد الرؤوف والتزمه بضع سنين لا يفارقه ليلًا ولا

---

(١) أعيان الشيعة ج ١٠، ص ٢٢٦.

نهاراً وكان ممن يستعين بهم في تأليف موسوعته بحار الأنوار وشرحه على الكافي الموسوم بمرآة العقول ويخصه من سائر الأصحاب بمزيد اللطف والإكرام ويثني عليه في المحافل ويوقره ويرفع منزلته وبعد وفاة مولانا المجلسي عاد إلى الجزائر وقد عب من كل بحر ونهر وقلّب كل فن بطناً بظهر(١).

أقوال العلماء فيه:

قال الشيخ والمحدث الحر العاملي في أمل الآمل: السيد نعمة الله بن عبدالله الحسيني الجزائري، فاضل، عالم، محقق، علامة، جليل القدر، مدرس، من المعاصرين(٢).

وقال السيد السند الأجل السيد محمد باقر الخونساري في كتابه روضات الجنات ج ٨، ص ١٥٠: كان من أعاظم علمائنا المتأخرين، وأفاخم فضلائنا المتبحرين، واحد عصره في العربية والأدب والفقه والحديث وأخذ حظه من المعارف الربانية بحثه الأكيد وكده الحثيث لم يعهد مثله في كثرة القراءة على أسانيد الفنون، ولا في كسبه الفضائل من أطراف الخزون بأصناف الشجون. صاحب قلب سليم ووجه وسيم وطبع مستقيم، ومؤلفات مليحة ومستطرفات في السير والأدب والنصيحة.

وقال المحدث القمي (ره) في الكنى والألقاب ج ٣: السيد الجليل والمحدث النبيل واحد عصره في العربية والأدب والفقه والحديث والتفسير كان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً جليل القدر صاحب التصانيف الكثيرة الشائعة.

وكذا في سفينة البحار ج ٢، ص ٦٠١: السيد الجليل والمحدّث النبيل صاحب التصانيف الرائقة الشائقة أولاده وأحفاده علماء فضلاء.

وقال العلّامة المدرس التبريزي في ريحانة الأدب ج ٢: إنه جزائري الأصل تستري المنشأ من أكابر متأخري علماء الإمامية محدث جليل القدر ومحقق عظيم الشأن متبحر في الفقه والحديث والتفسير كثير الإطلاع وحيد عصره.

وقال المحدث القمي في الفوائد الرضوية ج ٢: سلالة الأطهار والد الأماجد الأعاظم الأكارم الأخيار المنتشرين نسلاً بعد نسل في الأقطار.

وقال العلّامة الأصفهاني في رياض العلماء: فقيه محدث أديب متكلم، معاصر، ظريف، مدرس وكان شيخ الإسلام من قبل السلطان بتستر.

وقال العلّامة المحقق الشيخ أسد الله الكاظمي في المقابس السيد السند والركن المعتمد

---

(١) روضات الجنات ج ٨، ص ١٥١.

(٢) ونقل المرجع الكبير السيد الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث نحواً من ذلك.

الفقيه الوجيه المحدّث النبيه المحقق النحرير المدقق العزيز النظير، واسع العلم والفضل جْليل القدر والمحل.

وقال الفقيه المحدّث العلّامة الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق الناضرة في كتابه لؤلؤة البحرين: كان هذا السيد فاضلاً محدثاً مدققاً واسع الدائرة في الإطلاع على الأخبار الإمامية وتتبع الآثار المعصومية.

وقد وصفه البحاثة المحقق الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة ج ٢٤، ص ٣٧٥: بالسيد المحدّث[١].

مؤلفاته القيمة:

للمؤلف (ره) مؤلفات قيّمة في شتى أنواع العلوم الإسلامية في الأخبار واللطائف والنوادر والحكايات والطرائف وله على أكثر كتب الحديث والفقه والعربية حواش وتعليقات وإليك بيان لجملة من تلك المؤلفات النفيسة:

١ - البحور الزاخرة في شرح كلام العترة الطاهرة وهو شرح تهذيب الأحكام للطوسي (ره) ويقع في اثني عشر مجلداً.

٢ - أنس الوحيد في شرح التوحيد للصدوق.

٣ - كشف الأسرار في شرح الاستبصار يقع في ثلاثة مجلدات.

٤ - الجواهر الغوالي في شرح عوالي اللئالي.

٥ - الأنوار النعمانية يقع في أربعة مجلدات.

٦ - غرائب الأخبار ونوادر الآثار.

٧ - رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٨ - زهر الربيع في الطرائف والملح.

٩ - قاطع اللجاج في شرح الاحتجاج.

١٠ - شرح عيون أخبار الرضا عليه السلام.

١١ - شرح روضة الكافي كبير.

١٢ - شرح تهذيب النحو للشيخ البهائي (ره).

١٣ - حاشية مغني اللبيب.

(١) وتوجد ترجمته أيضاً في كتب كثيرة في تراجم العلماء كالأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لعمر كحالة وغيرهم.

١٤ - حاشية على شرح الجامي.
١٥ - رسالة منتهى الطلب في النحو.
١٦ - هداية المؤمنين في الفقه.
١٧ - منبع الحياة في حجية قول المجتهدين من الأموات.
١٨ - مسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون.
١٩ - مقامات النجاة في الوعظ والتذكير.
٢٠ - تفسير للقرآن كتبه على هوامش القرآن.
٢١ - حاشية نهج البلاغة.
٢٢ - شرح الصحيفة السجادية.
٢٣ - شرح كافية ابن الحاجب.
٢٤ - حاشية نقد الرجال.
٢٥ - جواز العمل بكتب الفقهاء.
٢٦ - فوائد النعمانية.
٢٧ - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين وهو هذا الكتاب[١].

وفاته:

توفي السيد رحمه الله في قرية جايدر من لرستان فيلي ليلة الجمعة الثالثة والعشرين من شهر شوال سنة ١١١٢هـ بعد وفاة شيخه المجلسي بسنتين تقريباً وكان قد توجّه إلى مشهد الرضا عليه السلام وعند رجوعه وصل إلى جايدر فتوفي بها ودفن هناك وبنيت عليه قبة فوقفوا له أوقاف وقبره إلى الآن مزور معمور.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾

والحمد لله أولًا وآخراً وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

بيروت في الأول من ربيع الأول سنة ١٤١١هـ

الموافق ٢١/٩/ ١٩٩٠م.

علاء الدين الأعلمي

(١) وقد طبع هذا السفر القيم عدة مرات في كل من العراق وإيران وقد تصدت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت لطبعه وإخراجه بأسلوب جديد وحلة رائعة.

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل أنبياءه حجة على العالمين، وعقبهم بالأوصياء تكميلًا للدين المبين، واصطفى منهم خمسة، وهم أُولو العزم، وفضَّلهم على أنبيائه المرسلين، واختار من بينهم محمداً ﷺ وجعله نبيّاً، وآدم بين الماء والطين، ثم فضَّل أوصياءه صلوات الله عليهم، وصيّرهم حجة على أهل السموات والأرضين، وفضَّل من بينهم ابن عمه وأخاه وباب مدينة علمه، على الخلق أجمعين، وخصّه باسم حرم على غيره بأن يسمى به وهو أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى أولاده المعصومين، من يومنا هذا إلى يوم الدين.

وبعد: فيقول المذنب الجاني قليل البضاعة وكثير الإضاعة، نعمة الله الموسوي الجزائري، وفقه الله تعالى لمراضيه، وجعل مستقبل أحواله خيراً من ماضيه، إنه لما وفقنا الله سبحانه لتأليف كتابنا الموسوم (برياض الأبرار)، في مناقب الأئمة الأطهار، سلام الله عليهم آناء الليل وأطراف النهار، واستقصينا فيه ما بلغنا من أحوال النبي ﷺ وأحوال الأئمة عليهم السلام، من مواليدهم ومعجزاتهم وغزواتهم ومناقبهم على التمام، فجاءت عدّته ثلاثة مجلدات حسان فيهن من أسرارهم عليهم السلام ما لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان، ثم إن جماعة من علماء الإخوان، التمسوا منا أن نكتب كتاباً في تفصيل أحوال الأنبياء، وما جرى عليهم في سالف الزمان، ليكون متمماً لكتابنا المذكور، وتُتلى أحاديثه في البكور والعصور، وسميناه (النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين)، ورتبناه على مقدمة وأبواب وفصول وخاتمة.

مقدمة المؤلف

في بيان ما يشترك فيه الأنبياء عليهم السلام وفي عددهم وبيان أولي العزم منهم والفرق بين النبي والإمام وجملة من أحوالهم

اعلم: أن وهب بن منبه[(١)]، صنّف كتاباً مبسوطاً في (قصص الأنبياء) ولا نعتمد ما أورده فيه، لأنه من طريق الجمهور وتواريخهم فيصلح شاهداً لا حجة على المطلوب، وأما الفاضل الراوندي قدّس الله ضريحه: فهو من علمائنا وكتب أيضاً كتاباً أوضح فيه عن قصص الأنبياء عليهم السلام، وروى ما أودع فيه من أخبارنا عن الأئمة عليهم السلام، إلا أنه قد شذّ عنه أكثر ما ضمنه كتابه فجاءت قصصه ناقصة تحتاج إلى التتميم، وأما شيخنا المعاصر قدّس الله سره فقد ألّف كتاب (بحار الأنوار) وجعل الكتاب الخامس في أحوال الأنبياء عليهم السلام وسماه: كتاب النبوة فهو وإن أحاط بجميع قصصهم عليهم السلام وتفصيل أحوالهم من أخبارنا ورواياتنا، إلا أنه بلغ الغاية في التطويل والتفصيل لأنه ذكر الآيات أولاً وتفسيرها ثانياً، وكلما ورد من طريق العامة والخاصة في بيان أحوالهم عليهم السلام. فأحببت أن أنسج كتابي هذا على منوال عجيب، وطرز غريب، بأن أذكر كلما ورد من طرق الخاصة وبعض ما احتاج إليه من روايات الجمهور إن وقع الاحتجاج إليه على طريق الاختصار، فيكون كتاباً صغير الحجم غزير العلم تهش إليه الألباب وتستلذه الطلاب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[(٢)].

روى الثقة علي بن إبراهيم في الصحيح، عن أبي عبدالله عليه السلام: ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلم جرّاً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله تعالى: و﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ يعني برسول الله صلى الله عليه وآله ولتنصرن أمير المؤمنين ثم قال لهم في الذر أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري. أي عهدي - قالوا: قد أقررنا، قال الله: ﴿فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[(٣)].

---

(١) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري أبو عبدالله مؤرخ ولد ومات بصنعاء (الأعلام للزركلي ج ٨ ص ١٢٥ وكشف الظنون ١٣٢٨).

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ٨١.

(٣) تفسير القمي ج ١، ص ١٠٦-١٠٧.

أقول: جاءت الأخبار مستفيضة في أن القائم عليه السلام إذا خرج وقام له الملك يخرج في زمانه النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وهو صاحب العصا والميسم، يسم المؤمن في جبهته فينتقش بها هذا مؤمن، ويسم الكافر فينتقش في جبهته هذا كافر، ويخرج الأئمة صلوات الله عليهم والأنبياء صلوات الله عليهم لينصروا أمير المؤمنين عليه السلام والمهدي صلوات الله عليه سيّما الأنبياء الذين أوذوا في الله، كزكريا ويحيى وحزقيل، ومن قتل منهم ومن جرح، فإن الأخبار جاءت مستفيضة برجوعهم إلى الدنيا ليقتصوا ممّن أذاهم وقتلهم من الأمم وليأخذوا بثار الحسين عليه السلام (وعن جميل) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت، قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(١) قال: ذاك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله كثيرون لم ينصروا في الدنيا والأئمة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا في الدنيا، وذلك قوله في الرجعة. والأشهاد الأئمة عليهم السلام.

(يقول مؤلف الكتاب) أيّده الله تعالى: المراد من الرسل في الآية الأنبياء ففي هذا الحديث وما قبله، وما روي بمعناه دلالة على أن الأنبياء عليهم السلام كلهم يرجعون إلى الدنيا في القيامة الصغرى وينصرهم الله تعالى بالقوة والملائكة على أعدائهم وأعداء آل محمد عليهم السلام ويحيي الله سبحانه أممهم الذين آذوهم كما يخرج بني أُمية ومن رضي بفعالهم من ذراريهم وغيرها، وكذلك يحيي من أخلص الإيمان من الأمم ليفوزوا بثواب النصر والجهاد ويتنعموا في دولة آل محمد صلوات الله عليهم كما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾(٢). وقال الصدوق طيّب الله ثراه: اعتقادنا في عدد الأنبياء عليهم السلام أنهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ومائة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي، وأن سادة الأنبياء خمسة الذين عليهم دارت الرحى وهم أصحاب الشرائع ومن أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وهم أولو العزم صلوات الله عليهم.

أقول: ما قال في عددهم عليهم السلام هو الذي دلّت عليه واضحات الأخبار وقاله علماؤنا رضوان الله عليهم، وما دلّ على خلافة يكون محمولاً على طريق التأويل مثل ما روي في قوله صلى الله عليه وآله بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل بأن يراد أعاظم الأنبياء عليهم السلام وأما المرسلون ففي قوله صلى الله عليه وآله أنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وقيل له يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشرين صحيفة وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان(٣).

---

(١) سورة غافر؛ الآية: ٥١.

(٢) سورة النحل؛ الآية: ٨٤

(٣) الخصال للصدوق ص ٥٢٤ أبواب العشرين برقم ١٣.

وعن المفيد طاب ثراه بإسناده إلى صفوان الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبي؟ قال: قلت ما أدري قال: بعث الله مائة ألف نبي وأربعين ألف نبي ومثلهم أوصياء(١).

وعنه عليه السلام قال أبو ذر: يا رسول الله كم بعث الله من نبي؟ فقال: ثلاثمائة ألف نبي وعشرين ألف نبي والمرسلون منهم ثلاثمئة وبضعة عشر والكتب المنزلة مائة كتاب وأربعة وعشرون كتاباً، منها أنزل على إدريس خمسين صحيفة(٢).

أقول: وجه الجمع بين هذين الخبرين وما تقدم يكون إما بحمل الزائد من عدد الأنبياء على ما كان قبل آدم عليه السلام فإن الأرض لا تخلو من حجة ما دام التكليف (باق) أو بأن يقال إن مفهوم العدد ليس بحجة. وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال السقم في الأبدان وخوف السلطان والفقر(٣).

أقول: يجوز أن يراد من الأنبياء المعصومون منهم المتنزهون عن الذنوب ويجوز أن يراد بهم الأعم فيكون ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله من العلويين كلهم داخلين في الأمور الثلاثة، وأما الأتباع فهم العلماء والصلحاء والفقراء والمتقون.

وفي كتاب (الإقبال) لابن طاوس قدّس الله ضريحه بإسناده إلى الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان فإن أرواح النبيين يستأذنون الله في زيارته فيأذن لهم، فطوبى لمن صافحهم وصافحوه، منهم خمسة أولو العزم من المرسلين: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين. (قلت) ولم سموا أولي العزم؟ قال: لأنهم بعثوا إلى شرقها وغربها وجنها وإنسها(٤).

أقول: هذه المصافحة يجوز أن تكون في الدنيا لزائريه وإن لم يشعروا بها أو ببعضها فإن الملائكة تتصور بصور الرجال يأتون إلى زيارته ويصافحون زواره. ويجوز أن يكون يوم القيامة في الجنة أو قبل دخولها، وقوله فليزر الحسين عليه السلام الظاهر أن المراد زيارته من قرب وإرادة البعد محتملة أيضاً، وما دلّ عليه من أولي العزم هذه الخمسة صلوات الله عليهم روي في الأخبار المستفيضة، ورواه الجمهور عن ابن عباس وقتادة، وذهب بعضهم إلى أنهم ستة: نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وقيل هم الذين أمروا بالقتال والجهاد وأظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين، وقيل هم أربعة: إبراهيم ونوح وهود ومحمد صلى الله عليه وآله ولا عبرة

---

(١) الاختصاص للمفيد ص ٢٦٣.

(٢) نفس المصدر ص ٢٦٤.

(٣) الخصال، ص ٨٨ أبواب الثلاثة برقم ٢٤.

(٤) إقبال الأعمال ص٢٢٥.

بهذه الأقوال كلها لأنها خلاف إجماعنا وأصحابنا وما تضمه من وجه التسمية وإن رسالتهم عامة هو أحد الروايات.

وفي تفسير الثقة علي بن إبراهيم: أنهم سموا أُولي العزم لأنهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار وأقروا بكل نبي كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى(١).

عن الرضا عليه السلام قال: إنهم سموا أُولي العزم لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام ثم ساق الكلام في الخمسة على مثال واحد(٢) وفيه دلالة على أن الخمسة عليهم السلام رسالتهم عامة ولا كلام في الثلاثة إنما الكلام في عموم رسالة موسى وعيسى عليهما السلام لأن في بعض الأخبار نوع معارضة لها وأن رسالتهما كانت خاصة لا عامة ويمكن تأويل تلك الأخبار وإبقاء ما دلّ على عموم رسالتهما على حالة الاستفاضة والأخبار الدالة عليه.

وفي (مشارق الأنوار) عن علي بن عاصم الكوفي قال: دخلت على أبي محمد العسكري عليه السلام فقال لي: يا علي انظر إلى ما تحت قدميك فإنك على بساط قد جلس عليه كثير من النبيين والمرسلين والأئمة الراشدين، ثم قال: ادن مني فدنوت منه فمسح يده على وجهي فصرت بصيراً قال فرأيت في البساط أقداماً وصوراً وقال: هذا أثر قدم آدم عليه السلام وموضع جلوسه، وهذا أثر هابيل وهذا أثر نوح وهذا أثر قيدار وهذا أثر مهلائيل وهذا أثر يارد وهذا أثر أخنوخ وهذا أثر إدريس وهذا أثر متوشلخ وهذا أثر سام وهذا أثر أرفخشد وهذا أثر صالح وهذا أثر لقمان وهذا أثر إبراهيم وهذا أثر لوط وهذا أثر إسماعيل وهذا أثر الياس وهذا أثر إسحاق وهذا أثر يعقوب وهذا أثر يوسف وهذا أثر شعيب وهذا أثر موسى وهذا أثر يوشع بن نون وهذا أثر طالوت وهذا أثر سليمان وهذا أثر الخضر وهذا أثر دانيال وهذا أثر اليسع وهذا أثر ذي القرنين (الإسكندر) وهذا أثر سابور بن أردشير وهذا أثر لوي وهذا أثر كلاب وهذا أثر منسي وهذا أثر عدنان وهذا أثر عبد مناف وهذا أثر عبد المطلب وهذا أثر عبدالله وهذا أثر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا أثر أمير المؤمنين عليه السلام وهذا أثر الأوصياء من بعدهم والمهدي عليهم السلام، لأنه قد وطئه وجلس عليه، ثم انظر إلى الآثار واعلم أنها آثار دين الله وإن الشاك فيهم كالشاك في الله، ثم قال اخفض طرفك يا علي فرجعت محجوباً كما كنت(٣).

أقول: ما اشتمل عليه من ذكر سابور وما بعده يدل على أنهم كانوا مسلمين وقتاً ما، وذلك لأن سابور من أجداد علي بن الحسين عليه السلام كما أن لوي وما بعده من أجداد النبي صلى الله عليه وآله (وروى) الشيخ طاب ثراه في الأمالي بإسناده إلى رجل جعفي قال: كنا عند أبي

---

(١) تفسير القمي ج ٢، ص ٣٠٠ في تفسيره لسورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٢) علل الشرائع للصدوق ج ١، ص ١٤٩. وعيون أخبار الرضا ج ٢، ص ٨٦.
(٣) مشارق الأنوار للبرسي ص ١٠٠.

عبدالله عليه السلام فقال: اللهم أسألك رزقاً طيباً قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام هيهات هيهات هذا قوت الأنبياء ولكن سل ربك رزقاً لا يعذبك عليه يوم القيامة هيهات إن الله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾(١) والطيبات الرزق الحلال.

وفي (الكافي) بإسناده إلى معمر بن خلاد قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى رجل وهو يقول: اللهم إني أسألك عن رزقك الحلال، فقال أبو جعفر عليه السلام: سألت قوت النبيين، قل: اللهم إني أسألك رزقاً واسعاً طيباً من رزقك.

أقول: المراد من الرزق الحلال في الحديثين ما يكون حلالاً في الواقع ونفس الأمر وهو رزق الأنبياء وأوصيائهم، وأما رزق المؤمنين فهو الحلال في ظاهر الشريعة وربما كان فيه شبهات. وفي (الكافي) عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى **﴿وكان رسولاً نبياً﴾** ما الرسول، وما النبي؟ قال النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ويعاين الملك. قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية **﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث﴾**(٢).

وعن الرضا عليه السلام: الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلماته وينزل عليه الوحي، وربما يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص(٣).

(وفي الصحيح) عن الأحول قال: سمعت زرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الرسول والنبي والمحدث فقال: الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلًا فيراه ويكلمه، وأما النبي فهو يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرائيل من عند الله بالرسالة وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرائيل عليه السلام ويكلمه بها قبلًا، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلمه ويحدثه من غير أن يكون رآه في اليقظة، وأما المحدث فهو الذي يحدّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه(٤).

أقول: اختلف علماء الإسلام في الفرق بين النبي والرسول، فقيل: بالترادف، وقيل: بالفرق بأن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزّل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما يدعو إلى كتاب من قبله.

---

(١) سورة المؤمنون؛ الآية: ٥١.
(٢) أصول الكافي ج ١، ص ١٧٦.
(٣) أصول الكافي ج ١، ص ١٧٦ باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.
(٤) بصائر الدرجات ص ٣٨٨.

ومنهم من قال: إن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصلة فهو النبي غير الرسول، ومنهم من قال: إن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك بل يرى في النوم فهو النبي، ذكر هذه الوجوه الفخر الرازي وغيره والظاهر من أحاديثنا صحة القول الأخير لما مرَّ من عدد المرسلين وكون من نسخ شرع من قبله ليس إلا خمسة.

(وفي كتاب البصائر) عن الباقرين عليه السلام والمرسلون على أربع طبقات فنبي تنبأ في نفسه لا يعد وغيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كما قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(١)، وقال يزيدون ثلاثين ألفاً، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢)، أي من عبد صنماً أو وثناً(٣).

أقول: يعني بالإمامة الرياسة العامة لجميع المخلوقات فهي أفضل من النبوة وأشرف منها.

عن عمر بن أبان عن بعضهم قال: كان خمسة من الأنبياء سريانيون آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، وكان لسان آدم العربية وهو لسان أهل الجنة فلما عصى ربه أبدله بالجنة ونعيمها الأرض والحرث وبلسان العربية السريانية، قال وكان خمسة عبرانيون إسحاق، ويعقوب، وموسى، وداود، وعيسى، وخمسة من العرب هود وصالح وشعيب، وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وملك الدنيا مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان عليه السلام وأما الكافران فنمرود بن كوش بن كنعان وبخت نصر(٤).

أقول: نصر بوزن بقم اسم صنم وبخت يعني أولد لأنه وجد مطروحاً عنده فكأنه ابنه، وروى الصدوق طاب ثراه في إكمال الدين حديثاً طويلاً يسنده إلى الباقر عليه السلام وفيه أن آدم عليه السلام لما استكملت أيام نبوته أوحى الله سبحانه إليه أن يجعل العلم وميراث النبوة في ابنه هبة الله وبشر آدم بنوح وكان بينهما عشرة آباء كلهم أنبياء فلما مضت أيام نبوة نوح عليه السلام دفع ميراث العلم والنبوة إلى ابنه سام وليس بعد سام إلا هود فكان بين نوح وهود من الأنبياء مستخفين وغير مستخفين ومن بعد هود انتهت النبوة إلى إبراهيم وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياء عشرة وذكر كلاماً طويلاً ثم قال فأرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وهامان وقارون وكان يقتل في اليوم نبيين وثلاثة وأربعة حتى أنه كان يقتل في اليوم الواحد سبعون نبياً ويقوم سوق بقلهم آخر النهار. ثم ذكر أن موسى عليه السلام أرسل إلى أهل مصر خاصة، وأن عيسى أرسل

(١) سورة الصافات؛ الآية: ١٤٧.
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ١٢٤.
(٣) بصائر الدرجات ص ٣٩٣-٣٩٤.
(٤) الاختصاص للمفيد ص ٢٦٤.

إلى بني إسرائيل خاصة، وأرسل الله محمداً ﷺ إلى الإنس والجن عامة. وهذا الحديث يعارض ما تقدم من عموم رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ويجري فيه من التأويل أنه من قبيل ما يقال إن رسول الله ﷺ أرسل إلى العرب أو يقال إنه أرسل إلى مكة. لضرب من المجاز والعلاقة ظاهرة(١).

(وفي الكافي) يسنده إلى البرقي يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال إن الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً وأعطى إبراهيم منها ثمانية أحرف وأعطى منها موسى أربعة أحرف وأعطى منها عيسى حرفين وكان يحيي بها الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص وأعطى محمداً ﷺ اثنين وسبعين حرفاً واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد.

(وعنه) عليه السلام: كان مع عيسى ابن مريم حرفان يعمل بهما وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف وكان مع إبراهيم عليه السلام ستة أحرف وكان مع آدم عليه السلام خمسة وعشرون حرفاً وكان مع نوح عليه السلام ثمانية، وجمع ذلك كله لرسول الله ﷺ إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحد(٢).

أقول: إن الله سبحانه حجب الاسم الأعظم عن عباده غير الأنبياء وأوصيائهم. (قال المحققون): لعل الوجه فيه أنه لو عرفهم إياه لأقبلوا على الدعاء به وأعرضوا عما سواه من الأسماء الحسنى على أن أكثرهم لا تحتمله عقولهم ولو عرفوه لأفسدوا على أنفسهم ضياع دينهم وعلى غيرهم ضياع دنياهم كما وقع لبلعم بن باعورا حتى سلخه الله تعالى علمه، وكذلك حجبت ليلة القدر في ثلاث ليال ليحافظ على العبادة فيها كلها، وكذلك حجب ولي الله في جملة الناس لأنه لو عرف بعينه لربما أقبل الناس على توقيره واحترامه وحده وولعوا بالإضرار بغيره وربما أوقع الضرر به فيعظم الذنب ومع أنه سبحانه حجبه عن الخلق وورد في الأخبار تارة أنه أقرب إلى بسم الله الرحمن الرحيم من سواد العين إلى بياضها. (وقيل): إنه في سورة التوحيد (وقيل) إنه لفظة لا غير. وفي الأخبار غير هذا أيضاً. وأما آدم عليه السلام فقد أُعطيَ من الاسم الأعظم أزيد من إبراهيم عليه السلام وكذلك أعطي نوح عليه السلام فلا يلزم منه فضلهما وشرفهما على إبراهيم عليه السلام لأن الأفضلية لا يلزم أن تكون بكل فرد فرد وشخص شخص من أنواع التكامل في التفاضل بين أُولي العزم الأربعة والذي يظهر من إشارات الأخبار أنه الخليل عليه السلام لأمور سيأتي التنبيه عليها إن شاء الله تعالى في مواضعها.

(وفي بعض) أنه كان مع إبراهيم عليه السلام من الاسم الأعظم ستة أحرف ومع نوح عليه السلام ثمانية ومفهوم العدل ليس بحجة كما تقرر في الأصول. وروى الثقة عن علي بن إبراهيم عن ياسر عن أبي الحسن عليه السلام قال ما بعث الله نبياً إلا صاحب مرة سوداء صافية.

(١) والحديث بأكمله موجود في البحار ج ١١، ص ٤٣-٥٢ نقلاً عن كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق.
(٢) بحار الأنوار ج ١١، ص ٦٨-٦٩.

أقول: صاحب هذه المرة تقرر في علم الطب أنه في غاية الحذق والفطانة والحفظ لكن لما كان يجامعها الخيالات الفاسدة والجبن والغضب وصفها بأنها هنا صافية أي خالية من هذه الأخلاق الردية.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: إن الله عز وجل أحب لأنبيائه من الأعمال الحرث والرعي لأن لا يكرهوا شيئاً من قطر السماء، وقال عليه السلام ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعيه الغنم يعلمه بذلك رعية الناس[١].

(إكمال الدين) بإسناده إلى الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: عاش آدم أبو البشر تسعمائة وثلاثين سنة، وعاش نوح ألفي وأربعمائة، وعاش إبراهيم عليه السلام مائة سنة وخمساً وسبعين، وعاش إسماعيل بن إبراهيم مائة وعشرين سنة، وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة، وعاش يعقوب عليه السلام مائة وعشرين سنة، وعاش يوسف عليه السلام مائة وعشرين سنة، وعاش موسى عليه السلام مائة وستاً وعشرين سنة، وعاش هارون عليه السلام مائة وثلاثاً وثلاثين سنة، وعاش داود عليه السلام مائة سنة منها أربعون سنة ملكه، وعاش سليمان بن داود عليه السلام سبعمائة سنة واثنتي عشرة سنة. (وعنه) عليه السلام: قال إن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالجوع حتى يموت جوعاً وإن كان من الأنبياء ليبتلى بالعطش حتى يموت عطشاً وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالسقم والأمراض حتى يتلفه وإن كان النبي ليأتي قومه فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله وما معه مبيت ليلة فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتى يقتلوه وإنما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده[٢].

وعن أبي الحسن عليه السلام: من أخلاق الأنبياء التنظيف والتطيب وحلق الشعر وكثرة الطروقة. (وعن أمير المؤمنين) عليه السلام: العشاء بعد العتمة عشاء النبيين[٣].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: ما من نبي إلا وقد دعا لأكل الشعير وبارك عليه. وما دخل جوفاً إلا أخرج كل داء فيه وهو قوت الأنبياء وطعام الأبرار أبى الله تعالى أن يجعل قوت أنبيائه إلا شعيراً[٤]. (وعن الصادق) عليه السلام: السويق طعام المرسلين واللحم باللبن مرق الأنبياء[٥] وكان أحب الأصباغ[٦] إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الخل والزيت وهو طعام الأنبياء وما افتقر أهل بيت يأتدمون بالخل والزيت.

---

(١) علل الشرائع ج ١، ص ٤٦ باب ٢٩.

(٢) إكمال الدين ص ٢٨٩.

(٣) فروع الكافي ج ٦، ص ٢٨٨ كتاب الأطعمة باب فضل العشاء.

(٤) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٠٤ باب خبز الشعير.

(٥) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٠٦ و ٣٢٨ كتاب الأطعمة.

(٦) الصبغ بالكسر ما يصطبغ به من الإدام كالخلّ والزيت لأن الخبز يغمس فيه ويقال له: المرق.

(وروى الصدوق) طاب ثراه بإسناده إلى ابن الكميت قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا وآلة السحر، وبعث عيسى بالطب، وبعث محمداً بالكلام والخطب فقال عليه السلام إن الله تبارك وتعالى لما بعث موسى كان الأغلب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن في وسع القوم مثله وبما أبطل به سحرهم فأثبت به الحجة عليهم، وإن الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن عندهم مثله وبما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام فأتاهم من كتاب الله عز وجل ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت الحجة عليهم فقال ابن السكيت تالله ما رأيت مثل اليوم قط فما الحجة على الخلق اليوم فقال عليه السلام : العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه، فقال ابن السكيت هذا هو والله الجواب[١].

(١) علل الشرائع ج ١، ص ١٤٧. باب ٩٩ برقم ٦.

خاتمة

في بيان عصمة الأنبياء وتأويل ما يوهم خلافه

قال الصدوق قدّس الله ضريحه: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم. واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل(١).

(وروى) قدّس الله رمسه في كتاب الأمالي(٢)، بإسناده إلى أبي الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات واليهود والنصارى والمجوس والصابئة وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً فقام إليه علي بن الجهم فقال: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء قال بلى قال فما تقول في قول الله عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾(٣)، وقوله عز وجل ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾(٤)، وقوله في يوسف ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾(٥)، وقوله في داود ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾(٦)، وقوله في نبيه محمد ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾(٧). فقال مولانا الرضا عليه السلام ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تؤوّل كتاب الله برأيك فإن الله عز وجل يقول ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾(٨)، وأما قوله عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عز وجل فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٩) وأما قوله عز وجل

---

(١) اعتقادات الصدوق، ص ٩٩.
(٢) أمالي الصدوق ص ٨٢.
(٣) سورة طه؛ الآية: ١٢١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٥) سورة يوسف؛ الآية: ٢٤.
(٦) سورة ص، الآية ٢٤.
(٧) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٧.
(٨) سورة آل عمران؛ الآية: ٧.
(٩) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٣.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ إنما ظن أن الله عز وجل لا يضيق عليه، ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾(١) أي ضيق عليه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر، وأما قوله عز وجل في يوسف ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ يعني الزنا، وأما داود فما يقولون من قبلكم فيه؟ فقال علي بن الجهم: يقولون إن داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أُوريا بن حنان فاطلع دواد في أثر الطير فإذا بامرأة أُوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وكان أُوريا قد أخرجه في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن أقدم أُوريا أمام الحرب فقدم فظفر أُوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب الثانية أن قدمه أمام التابوت فقتل أُوريا رحمه الله وتزوج داود بامرأته، قال فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ولقد نسبتم نبياً من الأنبياء إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل. فقال: يابن رسول الله فما كانت خطيئته فقال: ويحك إن داود إنما ظن أن الله لم يخلق خلقاً هو أعلم منه فبعث الله إليه الملكين فتسوروا المحراب فقالا: خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال: أكفلنيها وعزني في الخطاب، فعجل داود على المدعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول ما تقول، فكان هذا خطيئة حكمه لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية(٢). فقلت يابن رسول الله فما قصته مع أُوريا؟ فقال الرضا عليه السلام إن المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً وأول من أباح الله عز وجل له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود فذلك الذي شق على الناس من قبل أُوريا وأما محمد وقول الله عز وجل ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾(٣) فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين وأحد من سمى له زينب بنت جحش وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبدِهِ لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها أحد أزواجه من أُمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين فقال الله عز وجل ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ في نفسك وأن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حوا من آدم عليه السلام وزينب من

---

(١) سورة الفجر؛ الآية: ١٦.

(٢) سورة ص؛ الآية: ٢٦.

(٣) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٧.

رسول الله ﷺ وفاطمة من علي عليه السلام. قال فبكى علي بن الجهم وقال: يابن رسول الله أنا تائب إلى الله عز وجل أن أنطق في أنبيائه بعد يومي هذا إلا بما ذكرته[1].

أقول: قوله عليه السلام وكانت المعصية من آدم في الجنة ظاهره تجويز الخطيئة على آدم عليه السلام على بعض الجهات إما لأن المعصية منه كانت في الجنة والعصمة تكون في الدنيا أو لأنها كانت قبل البعثة وإنما تجب عصمتهم بعد النبوة وكلاهما خلاف ما أجمع عليه علماؤنا ودلّت عليه أخبارنا، ومن ثم قال شيخنا المحدث أبقاه الله تعالى يمكن أن يحمل كلامه عليه السلام على أن المراد من المعصية ارتكاب المكروه ويكونون بعد البعثة معصومين عن مثلها أيضاً ويكون ذكر الجنة لبيان كون النهي للتنزيه والإرشاد لأن الجنة لم تكن دار تكليف حتى يقع فيها النهي التحريمي ويحتمل أن يكون إيراد الكلام على هذا النحو لنوع من التقية مماشاة مع العامة لموافقة بعض أقوالهم أو على سبيل التنزل والاستظهار رداً على من جوّز الذنب على الأنبياء عليهم السلام، وأما ظن داود عليه السلام فيحتمل أن يكون ظن أنه أعلم أهل زمانه وإن كان صادقاً إلا أنه لما كان مصادفاً لنوع من العجب نبه الله تعالى بإرسال الملكين وأما تعجيله عليه السلام في حال المرافعة فليس المراد أنه حكم بظلم المدعى عليه قبل البينة إذ المراد بقوله لقد ظلمك أنه لو كان كما تقول فقد ظلمك وكان الأولى أن لا يقول أيضاً إلا بعد وضوح الحكم.

(معاني الأخبار) مسنداً إلى رجل من أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال سألته عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[2] قال ما فعله كبيرهم ولا كذب إبراهيم عليه السلام لأنه قال فاسألوهم إن كانوا ينطقون إن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم فما نطقوا وما كذب إبراهيم، فقلت قوله عز وجل في يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[3] قال إنهم سرقوا يوسف من أبيه ألا ترى أنه قال لهم حين قال ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع[4] الملك ولم يقل سرقتم صواع الملك إنما عنى سرقتم يوسف من أبيه، فقلت قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب إنما كان سقيماً مرتاداً. وقد روي أنه عنى بقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي سأسقم وكل ميت سقيم قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿إنك ميت﴾ أي ستموت. وقد روي أنه عنى ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ بما يفعل بالحسين بن علي عليه السلام[5].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول إبراهيم هذا ربي لغير الله

---

(١) أيضاً في عيون أخبار الرضا ج ١، ص ١٧٠، باب ١٤.

(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٦٣.

(٣) سورة يوسف؛ الآية: ٧٠.

(٤) الصواع: الإناء الذي كان الملك يشرب فيه.

(٥) بحار الأنوار ج ١١، ص ٧٦ نقلاً عن معاني الأخبار للصدوق.

هل أشرك في قوله: ﴿هذا ربي﴾، قال: من قال هذا اليوم فهو مشرك ولم يكن من إبراهيم شرك وإنما كان في طلب ربه. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾[1] قال إبراهيم لأبيه إن لم تعبد الأصنام استغفرت لك فلما لم يدع الأصنام تبرء منه[2].

(عيون الأخبار) مسنداً إلى علي بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[3] فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[4] وأشار لهما إلى شجرة الحنطة فتكونا من الظالمين ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وأقسم لهما إني لكما من الناصحين ولم يكن آدم وحوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً فدلهما بغرور فأكلا منها ثقة بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به النار وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله عز وجل وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5] فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[6] فقال الرضا عليه السلام: إن حوا ولدت لآدم خمسمائة بطن في كل بطن ذكراً وأنثى وإن آدم وحوا عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا لئن آتيتنا صالحاً من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة. وكان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً إناثاً فجعل الصنفان لله تعالى شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل فتعالى الله عما يشركون. فقال المأمون أشهد أنك ابن رسول الله حقاً. فأخبرني عن قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾[7] فقال الرضا: : إن إبراهيم وقع على ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذلك حين خرج من السرب[8] الذي أخفي فيه فلما جن عليه الليل رأى الزهرة فقال هذا ربي على الإنكار والاستخبار ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ الكوكب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ لأن الأفول من صفات المحدث لا من صفات القديم ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ على الإنكار والاستخبار ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ

---

(١) سورة التوبة؛ الآية: ١١٤.
(٢) تفسير القمي ج ١، ص ٣٠٦.
(٣) سورة طه؛ الآية: ١٢١.
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٣٥.
(٥) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٣.
(٦) سورة الأعراف؛ الآية ١٩٠.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٧٦. جن بمعنى: ستر أي ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشتري كذا في المجمع ج ٣ ص ٥٠٠.
(٨) السرب: الحفير تحت الأرض.

﴿الْآفِلِينَ﴾ فلما أصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر من الزهرة والقمر على الاستخبار لا على الإخبار والإقرار فلما أفلت قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض وكان ما احتج به على قومه مما أفهمه الله عز وجل وآتاه وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه. فقال المأمون لله درك يابن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(١) قال الرضا عليه السلام: إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام إني متخذ من عبادي خليلًا إن سألني إحياء الموتى أجبته فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنه ذلك الخليل فقال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلة قال ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ(٢) إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأخذ إبراهيم نسراً وبطاً وطاووساً وديكاً فقطعهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله وكانت عشرة منهن جزءاً وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه فخلى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب وقلن يا نبي الله أحييتنا أحياك الله فقال إبراهيم عليه السلام بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾(٣). قال الرضا عليه السلام: إن موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجلان يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فقضى موسى عليه السلام على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات فقال ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله أنه يعني الشيطان عدو مضل مبين.

قال المأمون: فما معنى قول موسى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؟ قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة فاغفر لي أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال موسى: رب بما أتممت عليّ من القوة حتى قتلت رجلًا بوكزة فلن أكون ظهيراً للمجرمين بل أجاهد في

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٦٠.

(٢) فصرهن: أي أملهن إليك فقطعهن كذا في المجمع.

(٣) سورة القصص؛ الآية: ١٥.

سبيلك بهذه القوة حتى ترضى عني فأصبح عليه السلام في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر قال له موسى إنك لغوي مبين قاتلت رجلًا بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأؤدبنك وأراد أن يبطش به ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ وهو من شيعته ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾. قال المأمون: جزاك الله خيراً يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾(١). قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بي، قال موسى ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾(٢) يقول ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس، ووجدك ضالًا يعني عند قومك فهدى أي هداهم إلى معرفتك، ووجدك عائلًا فأغنى يقول أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً. قال المأمون: بارك الله فيك يابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾(٣) الآية... كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأل هذا السؤال. فقال الرضا عليه السلام: إن كليم الله موسى بن عمران علم أن الله تعالى عز أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله تعالى وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه فقالوا لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجل اختار منهم سبعمائة ثم اختار من السبعمائة سبعين رجلًا لميقات ربه فخرج إلى طور سينا فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى عليه السلام إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن لك بأن الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله إياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا إنك لو سألت الله أن يراك تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته فقال موسى: يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى: يا رب إنك قد علمت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله إليه يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى: يا ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ

(١) سورة الشعراء؛ الآية: ٢٠.
(٢) سورة الضحى؛ الآية: ٦.
(٣) سورة الأعراف؛ الآية: ١٤٣.

﴿ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنك لا ترى. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[(١)]. فقال الرضا عليه السلام لقد همت[(٢)] به ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها كما همّت به لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه وقد حدثني أبي عن أبيه عن الصادق عليه السلام قال همّت به أن تفعل وهمّ بأن لا يفعل. فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[(٣)]. قال الرضا عليه السلام ذاك يونس بن متى ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استيقن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه رزقه، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[(٤)] أي ضيق وقتر ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت فاستجاب الله له وقال عز وجل ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٥)] فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[(٦)]. قال الرضا عليه السلام: يقول الله حتى إذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا. فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(٧)]. قال الرضا عليه السلام لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[(٨)] فلما فتح الله على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه فصار ذنبه في ذلك عندهم مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[(٩)] قال الرضا عليه السلام هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله وأراد به أمته وكذلك قول الله عز وجل ﴿لَئِنْ

---

(١) سورة يوسف؛ الآية: ٢٤.
(٢) همت: نوت وعزمت.
(٣) سورة الأنبياء؛ الآية: ٨٧.
(٤) سورة الفجر؛ الآية: ١٦.
(٥) سورة الصافات؛ الآية: ١٤٣، ١٤٤.
(٦) سورة يوسف؛ الآية: ١١٠.
(٧) سورة الفتح؛ الآية: ٢.
(٨) سورة ص؛ الآيات: ٥، ٦، ٧.
(٩) سورة التوبة؛ الآية: ٤٣.

أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾[١]. وقوله عز وجل: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾[٢]. قال صدقت يابن رسول الله فأخبرني عن قول الله ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[٣]. قال الرضا عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها سبحان الذي خلقك وإنما أراد بذلك تنزيه الله تعالى عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله فقال الله عز وجل: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾[٤]. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لما رآها تغتسل: سبحان الذي خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته بمجيء رسول الله وقوله لها سبحان الذي خلقك فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إن امرأتي في خلقها سوء وإني أريد طلاقها فقال له النبي صلى الله عليه وآله أمسك عليك زوجك واتق الله وقد كان الله عز وجل عرفه عدد أزواجه وأن تلك المرأة منهن فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد وخشي أن يقولوا إن محمداً يقول لمولاه إن امرأتك ستكون لي زوجة فيعيبونه بذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ يعني بالإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ بالعتق ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾. ثم إن زيداً طلقها واعتدت منه فزوجها الله من نبيه صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾[٥] ثم علم عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ فقال المأمون: لقد شفيت صدري يابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

قال علي بن محمد بن الجهم فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر وكان حاضر المجلس فتبعتهما فقال له المأمون كيف رأيت ابن أخيك فقال عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم، فقال المأمون إن ابن أخيك من أهل بيت النبي الذي قال فيهم: إن أبرار عترتي وأطايب أرومتي[٦] أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلال. وانصرف الرضا عليه السلام إلى منزله فلما كان من الغد غدوت إليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له فضحك عليه السلام ثم قال يا علي بن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه فإنه سيغتالني والله ينتقم لي منه.

---

(١) سورة الزمر؛ الآية: ٦٥.
(٢) سورة الإسراء؛ الآية: ٧٤.
(٣) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٧.
(٤) سورة الإسراء؛ الآية: ٤٠.
(٥) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٧.
(٦) الأروم بفتح الهمزة: أصل الشجرة.

(قال الصدوق) هذا الحديث عجيب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام [(١)].

أقول: هذا ليس بعجيب لأن الله سبحانه يجري الحق لأوليائه على ألسنة أعدائه في كثير من الأحوال وفي أغلب الأزمان.

(وفي كتاب الخصال) مسنداً إلى الأشعري رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال ثلاث لم يعر منها نبي فمن دونه الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق. (قال الصدوق) معنى الطيرة في هذا الموضع هو أن يتطير منهم قومهم فأما هم عليهم السلام فلا يتطيرون وذلك كما قال الله عز وجل في قوم صالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[(٢)] وكما قال آخرون في أنبيائهم ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾[(٣)] الآية. وأما الحسد في هذا الموضع هو أن يحسدوا لا أنهم يحسدون غيرهم وذلك كما قال الله عز وجل ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[(٤)] وأما التفكر في الخلق فهو بلواهم عليهم السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك كما حكى الله عنهم من الوليد بن المغيرة المخزومي أنه فكر وقدر فقتل كيف قدر يعني قال للقرآن إن هذا إلا قول البشر[(٥)].

أقول: ما ذكره من التأويل حسن إلا أن في الكافي وغيره تتمة للحديث لا يحتمله وهي لكن المؤمن لا يظهر الحسد، ومن ثم حمل جماعة من أهل الحديث على ما هو أعم من الغبطة أو أن القليل منه إذا لم يظهر ليس بذنب، والطيرة هي التشاؤم بالشيء وانفعال النفس بما يراه أو يسمعه مما يتشاءم به ولا دليل على أنه لا يجوز ذلك على الأنبياء إذ ورد أنهم يتفاءلون بالشيء الحسن، والمراد بالتفكر في الوسوسة في الخلق التفكر فيما يحصل في نفس الإنسان من الوسواس في خالق الأشياء وكيفية خلقها وخلق أعمال العباد والتفكر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم من غير استقرار في النفس وحصول شك بسببها، ويحتمل أن يكون المراد بالخلق المخلوقات وبالتفكر في وساوس الخلق التفكر وحديث النفس بعيوبهم وتفتيش أحوالهم، وفي الأخبار ما يؤيد الوجهين كما سيأتي وبعض أفراد هذا الأخير على الوجهين لا يستبعد عروضها لهم عليهم السلام.

هذا واعلم أن الخلاف بين علماء الإسلام في عصمة الأنبياء عليهم السلام إلى أربعة أقسام ما يقع في باب العقائد وما يقع في التبليغ وما يقع في الأحكام والفتيا وما يقع في أفعالهم وسيرهم عليهم السلام.

(أما الاعتقادات) فهم منزهون عن الكفر والضلال فيها قبل النبوة وبعدها باتفاق الأمة غير

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ج ١، ص ١٧٤.
(٢) سورة النمل؛ الآية: ٤٧.
(٣) سورة يس، الآية: ١٨.
(٤) سورة النساء؛ الآية: ٥٤.
(٥) الخصال ص ٨٩-٩٠.

الأزارقة[١] من الخوارج حيث جوزوا عليهم الذنب وعندهم كل ذنب كفر فيلزمه تجويز الكفر عليهم بل يحكي عنهم أنهم قالوا يجوز أن يبعث الله نبياً علم أنه يكفر بعد نبوته.

وأما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اتفقت الأمة وأرباب الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ عمداً وسهواً إلا القاضي أبو بكر[٢] فإنه جوّز ما كان من ذلك على سبيل النسيان وفلتات اللسان.

وأما النوع الثالث وهو ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطأهم فيه عمداً وسهواً إلا شرذمة قليلة من العامة.

وأما النوع الرابع وهو الذي يتعلق بأفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال:

(أولها) قول أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم وهو نفي الذنب عنهم مطلقاً الصغار والكبار والعمد والنسيان والسهو والإسهاء ولم يخالف فيه إلا الصدوق[٣] وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد فإنهما جوّزا عليهم الإسهاء من الله لا السهو من الشيطان وكذا القول في الأئمة الطاهرين عليهم السلام (الثاني): مذهب أكثر المعتزلة وهو أنه لا يجوز عليهم الكبائر ويجوّز عليهم الصغائر إلا الصغائر الخسيسة المنفردة كسرقة حبة أو لقمة وكل ما ينسب فاعله إلى الدناءة والضعة (الثالث): وهو مذهب أبي علي الجبائي[٤] أنه لا يجوّز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد لكن يجوز على جهة التأويل والسهو كما تقدم في حكاية آدم عليه السلام من أنه كان غلطاً في التأويل لأنه ظن أنه نهي عن شخص الشجرة لا عن نوعها فتناول من غير التي نهي عن شخصها. (الرابع): أنه لا يقع منهم الذنب إلا عن طريق السهو والخطأ لكنهم مؤاخذون به وإن رفع حكمه عن الأُمة لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم وقدرتهم على التحفظ وهو قول النظام ومن تبعه. (الخامس): أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر عمداً وسهواً وخطأً وهو قول الحشوية وكثير من أصحاب الحديث من العامة ثم إنهم اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة أقوال:

---

(١) فرقة من الخوارج سميت باسم زعيمهم نافع بن الأزرق (انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٣٢).

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ.

(٣) قال شيخ المحدثين الصدوق قدس الله روحه في كتابه من لا يحضره الفقيه ج ١، ص ٢٥٠: وليس سهو النبي صلى الله عليه وآله كسهونا لأن سهوه من الله عز وجل وإنما أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يُتخذ رباً معبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو متى سهوا، وسهونا من الشيطان وليس للشيطان على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم سلطانٌ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين.

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي من أئمة المعتزلة وإليه نسبة الطائفة الجبائية (الأعلام للزركلي ج ٦، ص ٢٥٦).

الأول: أنه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله وهو مذهب الإمامية رضوان الله عليهم.

الثاني: أنه من حين بلوغهم ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثالث: أنه وقت النبوة وأما قبله فيجوز صدور المعصية عنهم وهو قول أكثر الأشاعرة ومنهم الفخر الرازي، وأما دلائلنا على ما صرنا إليه فهي وإن كانت متكثرة إلا أن العمدة فيها أخبارنا المتواترة وإجماعنا المقطوع به حتى أنه صار من ضروريات ديننا. وقد ذكر سيدنا الأجل علم الهدى في الشافي وكتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام جملة من الدلائل والبراهين القاطعة من أراد الإطلاع عليها فليطلبها من هناك.

الباب الأول
في قصص آدم وحواء وأولادهما وفيه فصول

الفصل الأول
في فضلهما والعلة في تسميتهما وبدء خلقهما وسؤال الملائكة في ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[١].

أقول: الخليفة من ينوب عن غيره والهاء للمبالغة وهذه الآية وما بمعناها دالة على أن الغرض والمقصود من خلق آدم عليه السلام أن يكون خليفة في الأرض لمن تقدمه من الجان وليس المقصود من خلقه أن يكون في الجنة، نعم كان الأولى به ألا يفعل ما فعل وينزل من الجنة عزيزاً كريماً عليه خلع الجنة وعلى زوجته ثياب حور العين والملائكة يزفونه ويسجدون له كما يسجدون له في الجنة.

وأما قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ فهو تعجب إما من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي غلبت تلك المفاسد واستخبار عما يزيح شبههم وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة كما توهمه من جوز الذنوب على الملائكة فإنهم أجل وأعلى من أن يظن بهم ذلك. وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله أو تلق من اللوح المحفوظ أو قياس لأحد الثقلين على الآخر. وقوله ونحن نسبح بحمدك حال مقررة لجهة الإشكال عليهم قيل وكأنهم علموا أن المجعول خليفة ذو ثلاث

---
(١) سورة البقرة؛ الآيات: ٣٠-٣٣.

قوى عليها مدار أمره شهوية وغضبية تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه إلى المعرفة والطاعة ونظروا إليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة إيجاده فضلًا عن استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيّم بما يتوقع منها سليماً عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مطواعة للعقل ستمرنه على الخير كالعفة والشجاعة ولم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات واستخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف (وأما) تعليم الأسماء فبخلق علم ضروري فيه أو أنه ألقاه في روعه. (وقوله) ثم عرضهم أي المسميات المدلول عليها ضمناً. وأما ما يقال من أنه كان للملائكة أن يقولوا لو علمتنا كما علمت آدم لعلمنا مثله فجوابه أنهم أجابوا أنفسهم بقولهم ﴿أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾. وذلك أن مقتضى الحكمة وضع الأشياء مواضعها على وفق الحكمة فحكمته تعالى إنما اقتضت إلقاء التعليم إلى آدم لا إلى الملائكة.

وروى الصدوق بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال إنما سمي آدم عليه السلام لأنه خلق من أديم الأرض.

(قال الصدوق) اسم الأرض الرابعة أديم وخلق منها آدم فلذلك قيل من أديم الأرض[١].
وقال عليه السلام: سميت حوا لأنها من حي[٢]. يعني آدم عليه السلام.

وقد اختلف في اشتقاق اسم آدم عليه السلام فقيل اسم أعجمي لا اشتقاق له كآزر (وقيل) إنه مشتق من الأدمة بمعنى السمرة لأنه كان أسمر اللون وقيل من الأدم بمعنى الأُلفة والاتفاق. وأما اشتقاق حوا من حي أو الحيوان فهو من الاشتقاقات الشاذة أو الجعلية كلابن وتامر.

وروى الصدوق عليه السلام أيضاً عن ابن سلام: أنه قيل للنبي صلى الله عليه وآله: خلق آدم من الطين كله أو من طين واحد قال: بل من الطين كله ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً وكانوا على صورة واحدة قال فلهم في الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض وفيه أخضر وفيه أشقر، يعني شديد الحمرة، وفيه أزرق وفيه عذب وفيه ملح فلذلك صار الناس فيهم أبيض وفيهم أصفر وفيهم أسود وعلى ألوان التراب الخ[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إن الله تبارك وتعالى بعث جبرائيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات طينة بيضاء وطينة حمراء وطينة غبراء وطينة سوداء وذلك من سهلها وحزنها ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه ماء عذب وماء ملح وماء مر وماء منتن ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين فجعل الماء العذب في حلقه وجعل الماء المالح في عينيه وجعل الماء المر في أذنيه

---

(١) علل الشرائع ج ١، ص ٢٦ باب ١٠.
(٢) نفس المصدر ج ١، ص ٢٨ باب ١٤.
(٣) علل الشرائع ج ٢، ص ١٨٢ باب ٢٢٢ برقم ٣٣ والحديث طويل في خبر ابن سلام.

وجعل الماء المنتن في أنفه[١]. وجاء تعليله في توحيد المفضل عن الصادق عليه السلام: إنما جعل الماء العذب في الحلق ليسوغ له أكل الطعام. وجعل الماء المالح في العينين إبقاء على شحمة العين لأن الشحم يبقى إذا وضع عليه الملح. وأما الماء المر في الأذنين فلئلا تهجم الهوام على الدماغ ومن ذلك أنها إذا وصلت إلى الماء المر في الأذنين ماتت وربما تعدى الماء المر ووصل إلى الدماغ. ومن العجب أنه جاءت إليّ امرأة تستفتيني في أن بعض الجراحين أراد أن يكسر قطعة من عظم رأسها حتى يظهر الدماغ وذلك أن هامة تسمى هزاربا دخلت أذنها وهي نائمة فوصلت إلى الدماغ وإلى مخ الرأس فصارت تأكل منه وربما سكنت وبقيت على هذا أعواماً وما أفتيت في حكاية كسر شيء من قحفة[٢] رأسها (وجاء) في كتب الطب أنه وقع مثل هذا في زمن أفلاطون فأخذ رجل إلى الحمام ورفع قطعة من قحفة رأسه واستخرج الهامة ثم وضع القحفة على حالها وهذا منه ليس بعجيب نعم حكي أنه لما قلع القحفة وظهر هزاربا في الدماغ أراد أن يتناوله بالمنقاش فقال له واحد من تلاميذه لا تفعل فإنه محكم أيديه وأرجله في حجاب الدماغ فحمى له المنقاش ووضعه على ظهره حتى رفع رجليه من حجاب الدماغ فتناوله ورماه.

وعنه عليه السلام أول من قاس إبليس قال: خلقتني من نار وخلقته من طين ولو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه ثم قال: إن الله عز وجل خلق الملائكة من نور وخلق الجان من النار وخلق الجن ـ صنفاً من الجان ـ من الريح وخلق صنفاً من الماء وخلق آدم من صفحة الطين ثم أجرى في آدم النور والنار والريح والماء فبالنور أبصر وعقل وفهم. وبالنار أكل وشرب ولولا أن النار في المعدة لم تطحن المعدة الطعام. ولولا أن الريح في جوف ابن آدم تلهب نار المعدة لم تلتهب. ولولا أن الماء في جوف ابن آدم يطفئ حر نار المعدة لأحرقت النار جوف ابن آدم فجمع الله ذلك في آدم الخمس الخصال وكانت في إبليس خصلة فافتخر بها على آدم عليه السلام[٣].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن القبضة التي قبضها الله عز وجل من الطين الذي خلق منها آدم أرسل إليها جبرائيل عليه السلام أن يقبضها فقالت الأرض: أعوذ بالله أن تأخذ مني شيئاً فرجع إلى ربه وقال: يا رب تعوذت بك مني فأرسل إليها إسرافيل فقالت مثل ذلك فأرسل إليها ميكائيل فقالت، مثل ذلك فأرسل إليها ملك الموت فتعوذت بالله أن يأخذ منها شيئاً فقال ملك الموت: وإني أعوذ بالله أن أرجع إليه حتى أقبض منك[٤].

أقول: جاء في الرواية أن الله سبحانه أمر ملك الموت على الحتم ويدل على أن أمره تعالى لمن تقدمه ليس على سبيل الحتم.

---

(١) علل الشرائع للصدوق ج ١، ص ١٢ باب ١.

(٢) القِحف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة.

(٣) الاختصاص ص ١٠٩ باب القياس.

(٤) علل الشرائع ج ٢، ص ٣٠٣ باب ٣٨٥ برقم ٩.

(وروى) علي بن إبراهيم بإسناده إلى الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: إن الله تعالى لما أراد أن يخلق خلقاً بيده وذلك بعدما مضى من الجن والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة فكشف عن أطباق السماوات وقال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والنسناس فلما رأوا ما يعملون فيها بالمعاصي عظم ذلك عليهم فقالوا: ربنا أنت العزيز القادر وهذا خلقك الضعيف يعيشون برزقك ويعصونك ولا تنتقم لنفسك فلما سمع ذلك من الملائكة، قال: إني جاعل في الأرض خليفة يكون حجة في أرضي فقالت الملائكة: سبحانك تجعل فيها من يفسد فيها كما أفسدت بنو الجان فاجعل ذلك الخليفة منا فإنا لا نعصيك ونسبح بحمدك ونقدس لك فقال عز وجل: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أريد أن أخلق خلقاً بيدي وأجعل من ذريته أنبياءَ وعباداً صالحين وأئمة مهديين أجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي وأطهر أرضي من النسناس وأنقل مردة الجن العصاة على خلقي وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض، واجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً. فقالت الملائكة: يا ربنا افعل ما شئت فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام فلاذوا بالعرش وأشاروا بالأصابع فنظر الرب إليهم ونزلت الرحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به ودعوا العرش فطافوا به وهو البيت الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السماء ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض. إلى أن قال: ثم قبض الله سبحانه طينة آدم وأجرى فيها الطبائع الأربع الريح والدم والمرة والبلغم فلزمه من ناحية الريح حب النساء وطول الأمل والحرص. ولزمه من ناحية البلغم حب الطعام والشراب والبر والحلم والرفق. ولزمه من ناحية المرة الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة، ولزمه من ناحية الدم حب النساء واللذات وركوب المحارم والشهوات[١].

أقول: قيل المراد بالريح السوداء وبالمرة الصفراء أو بالعكس أو المراد بالريح الروح والمرة الصفراء والسوداء معاً إذ يطلق عليهما وتكرار حب النساء لمدخليتهما معاً. وعن الرضا عليه السلام قال: كان نقش خاتم آدم لا إله إلا الله محمد رسول الله هبط به من الجنة[٢].

(وعنه صلى الله عليه وآله) أهل الجنة ليست لهم كنى إلا آدم عليه السلام فإنه يكنى بأبي محمد توقيراً وتعظيماً.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: ان الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من غير أب وأم، وعيسى عليه السلام من غير أب ليعلم أنه قادر على أن يخلق من غير أب وأم، ومن غير أب كما هو قادر على أن يخلق منهما[٣]، وفي قوله ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ﴾ قال لما أجرى الله الروح في آدم من قدميه

---

(١) تفسير القمي ج ١، ص ٣٦ و ٣٧ و ٤١.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ج ٢، ص ٦٠ باب ٣١ برقم ٢٠٦.

(٣) علل الشرائع ج ١، ص ٢٦. باب ١٢.

فبلغت إلى ركبتيه أراد أن يقوم فلم يقدر فقال الله عز وجل ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾. وقال سميت المرأة مرأة لأنها خلقت من المرء يعني خلقت حوا من آدم. وسمى النساء نساءً لأنه لم يكن لآدم أنس غيرها(١).

وعن عبد العظيم الحسني قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن علة الغائط ونتنه قال الله عز وجل: خلق آدم عليه السلام وكان جسده طيباً وبقي أربعين سنة ملقىً تمر به الملائكة فتقول: لأمر ما خلقت وكان إبليس يدخل في فيه ويخرج من دبره فلذلك صار ما في جوف آدم منتناً خبيثاً غير طيب(٢).

(وعن أحدهما) عليه السلام أنه سئل عن ابتداء الطواف فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقال ملكان من الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عز وجل وكان تبارك وتعالى نوره ظاهر للملائكة فلما وقعت الحجب بينه وبينهما علما أنه سخط من قولهما فقالا للملائكة: ما حيلتنا وما وجه توبتنا؟ فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلا أن تلوذا بالعرش فلاذا بالعرش حتى أنزل توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما وأحب الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض وجعل على العباد الطواف حوله. وخلق البيت المعمور في السماء(٣).

أقول: المراد من نوره تعالى الأنوار المخلوقة في عرشه أو أنوار الأئمة صلوات الله عليهم أو أنوار معرفته وفيضه فتكون حجباً معنوية.

وفي علل محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام: أن الملائكة لما استغفروا من قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وعلموا أنهم أذنبوا فندموا ولاذوا بالعرش واستغفروا فأحب الله أن يتعبد بمثل تلك العبادة فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع في سماء الدنيا بيتاً يسمى المعمور بحذاء الضراح ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة(٤).

وروي أنه قيل لأبي عبدالله عليه السلام لم صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ قال الله إني أعلم ما لا تعلمون. وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت

---

(١) نفس المصدر ج ١، ص ٢٨. باب ١٥ و ١٦.

(٢) علل الشرائع ج ١، ص ٣١٩ باب ١٨٣.

(٣) علل الشرائع ج ٢، ص ١٠٦ باب ١٤٢ برقم ٣.

(٤) علل الشرائع ج ٢، ص ١٠٩ باب ١٤٢ برقم ٧.

المعمور الذي في السماء الرابعة وجعله مثابة ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً[١].

(وعن أبي عبدالله) عليه السلام قال: كان الصرد[٢] دليل آدم عليه السلام من بلاد سرانديب إلى جدة شهراً[٣] وهو أول طائر صام لله تعالى.

وسأل أمير المؤمنين عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله كيف صارت الأشجار بعضها تحمل وبعضها لا تحمل؟ فقال كلما سبح آدم تسبيحاً صارت له في الدنيا شجرة مع حمل. وكلما سبحت حوا تسبيحة صارت لها في الدنيا شجرة من غير حمل. (وسأل) مما خلق الله الشعير فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر آدم عليه السلام أن ازرع مما اخترت لنفسك وجاء جبرائيل بقبضة من الحنطة فقبض آدم عليه السلام على قبضة وقبضت حوا على قبضة فقال آدم لحوا: لا تزرعي أنت فلم تقبل قول آدم فكلما زرع آدم عليه السلام جاء حنطة. وكلما زرعت حوا جاء شعيراً[٤].

(وروى الثقة علي بن إبراهيم) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٥] قال عهد إليه في محمد والأئمة من بعده صلوات الله عليهم فترك ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا وإنما سموا أولو العزم لأنه عهد إليهم في محمد وأوصيائه من بعده والقائم عليه السلام وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به[٦].

(وعن أبي عبدالله) عليه السلام في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من الماء العذب وخلق زوجته من سنخه فبرأها من أسفل أضلاعه[٧] فجرى بذلك الضلع بينهما نسب ثم زوجها إياه فجرى بسبب ذلك بينهما صهر فذلك قوله ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ فالنسب ما كان من نسب الرجال والصهر ما كان من سبب النساء[٨].

(وقال) إن الله تعالى خلق آدم في الطين وخلق حوا من آدم فهمة الرجال في الأرض وهمة النساء في الرجال (وقال) عليه السلام لما بكى آدم صلوات الله عليه على الجنة وكان رأسه في باب من أبواب السماء وكان يتأذى بالشمس فحط من قامته[٩].

---

(١) علل الشرائع ج ٢، ص ١١٠ باب ١٤٣.
(٢) الصُرَدُ: طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر، نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار له بُرثن ويقال له: الأخضب.
(٣) الخصال ص ٣٢٦ في باب الستة.
(٤) علل الشرائع ج ٢، ص ٢٩٨ باب ٣٧٦ برقم ٢.
(٥) سورة طه؛ الآية: ١١٥.
(٦) تفسير القمي ج ٢، ص ٦٦.
(٧) وسيأتي بيان المصنف في هذا الموضوع في صفحة ٣٧، أقول... فراجعه.
(٨) تفسير القمي ج ٢، ص ١١٤ في تفسيره لسورة الفرقان الآية: ٥٤.
(٩) قصص الراوندي ص ٤٢ برقم ٤ و ص ٥٠ برقم ٢٢.

(وقال) إن آدم لما أهبط من الجنة وأكل من الطعام وجد في بطنه ثقلًا فشكى ذلك إلى جبرائيل فقال يا آدم فتنح فنحاه فأحدث وخرج منه الثقل[١].

(وقال) عليه السلام: أتى هذا البيت ألف أتية على قدميه منها سبعمائة حجة وثلاثمائة عمرة[٢].

(وعنه) عليه السلام لما أن خلق الله آدم أوقفه بين يديه فعطس فألهمه الله أن حمده فقال الله: يا آدم حمدتني فوعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك قال: يا رب بقدرهم عندك ما اسمهم؟ فقال تعالى يا آدم انظر نحو العرش فإذا بسطرين من نور أول السطر لا إله إلا الله محمد نبي الرحمة، علي مفتاح الجنة، والسطر الثاني إني آليت على نفسي أن أرحم من والاهما وأعذب من عاداهما[٣].

(وفي قصص الأنبياء) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اجتمع ولد آدم في بيت فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم. وقال بعضهم الملائكة المقربون. وقال بعضهم حملة العرش. إذ دخل عليهم هبة الله فحكوا له فرجع إلى آدم عليه السلام وقال له: يا أبت إني دخلت على اخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما أخبرهم فقال آدم: يا بني إني وقفت بين يدي الله جل جلاله فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم محمد وآل محمد خير من برأ الله[٤].

(وروى العياشي) عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام من أي شيء خلق الله حوا؟ فقال: أي شيء يقولون هذا الخلق؟ قلت: يقولون إن الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم، فقال: كذبوا أكان يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه فقلت: جعلت فداك يابن رسول الله من أي شيء خلقها؟ فقال أخبرني عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه (وكلتا يديه يمين) فخلق منها آدم وفضلت من الطين فضلة فخلق منها حوا[٥].

أقول: هذا الخبر معمول عليه بين أصحابنا رضوان الله عليهم وما ورد من أنه خلق من ضلع من أضلاعه وهو الضلع الأيسر القصير محمول على التقية أو على التأويل أو بأن يراد أن الطينة التي قررها الله سبحانه لذلك الضلع خلق منها حوا لا أنها خلقت منه بعد خلقه فإنه يلزم كما قال عليه السلام أن يكون آدم ينكح بعضه بعضاً فيقوى بذلك مذهب المجوس في نكاح المحرمات.

---

(١) قصص الراوندي ص ٥٠ برقم ٢٢.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص ٤٩ برقم ٢٠.
(٣) قصص الراوندي ص ٥٢ برقم ٢٧.
(٤) قصص الراوندي ص ٥٢ برقم ٢٨.
(٥) **تفسير العياشي ج ١، ص ٢١٦ في تفسيره لسورة النساء، برقم ٧.**

(وعن جميل بن دراج) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن إبليس أكان من الملائكة وهل كان يلي من أمر السماء شيئاً قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي من أمر السماء شيئاً كان من الجن وكان من الملائكة وكانت الملائكة تراه أنه منها وكان الله يعلم أنه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان[(١)] (وقال) عليه السلام لما خلق الله آدم قبل أن ينفخ فيه الروح كان إبليس يمر به فيضربه برجله ويقول إبليس لأمر ما خلقت.

وقال السيد ابن طاوس في كتاب سعد السعود من صحائف إدريس النبي عليه السلام خلق الله آدم على صورته التي صورها في اللوح المحفوظ، يقول علي بن طاوس: فأسقط بعض المسلمين بعض هذا الكلام وقال: إن الله خلق آدم على صورته فاعتقد الجسم فاحتاج المسلمون إلى تأويل الحديث (وقال) في الصحف ثم جعل طينة آدم جسداً ملقى على طريق الملائكة تصعد فيه إلى السماء أربعين سنة ثم ذكر تناسل الجن وفسادهم وهرب إبليس منهم إلى الله وسأله أن يكون مع الملائكة وإجابة سؤاله وما وقع من الجن حتى أمر إبليس أن ينزل مع الملائكة لطرد الجن فنزل وطردهم من الأرض التي أفسدوا فيها[(٢)]. إلى آخر كلامه.

واعلم أنهم ذكروا في أخبار الملائكة عن الفساد وجوهاً:

(ومنها) أنهم قالوا ذلك ظناً لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الأرض وهو المروي عن ابن عباس وفي أخبارنا إرشاد إليه (ومنها) أنهم علموا أنه مركب من الأركان المتخالفة والأخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد والغضب الذي منه سفك الدماء (ومنها) أنهم قالوا ذلك على اليقين لما يروي ابن مسعود وغيره أنه تعالى لما قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال تكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً فعند ذلك قالوا: ربنا أتجعل فيها الخ[(٣)].

ومنها أنه تعالى كان قد أعلم الملائكة أنه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء (ومنها) أنه لما كتب القلم في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك (ومنها) أن الخليفة إذا كان معناه النائب عن الله في الحكم والقضاء والاحتياج إنما يكون عند التنازع واختلال النظام كان الإخبار عن وجود الخليفة إخباراً عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام (ومنها) أن الله سبحانه لما خلق النار خافت الملائكة خوفاً شديداً، فقالوا: لمن خلقت هذه النار؟ قال: لِمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذٍ خلق غير الملائكة فلما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ عرفوا أن المعصية منهم. وقد جوز الحشوية صدور الذنب من الملائكة وجعلوا اعتراضهم هذا على الله من أعظم الذنوب ونسبة بني آدم إلى القتل

---

(١) تفسير العياشي ج ١، ص ٣٤ في تفسيره لسورة البقرة برقم ١٧.

(٢) سعد السعود ص ٣٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ١، ص ٣٠.

والفساد من الكبائر لأنه غيبة لهم ولأنهم مدحوا أنفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجيب.

(وأيضاً) قولهم لا علم لنا إلا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب.

(وأيضاً) قوله ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ دل على أنهم كانوا كاذبين فيما قالوه.

(والجواب) عن هذا كله ظاهر وهو أن ليس غرضهم الاعتراض بل السؤال عما خفي عليهم من وجه الحكمة وليس لمن لم يوجد غيبة.

(وفي كتاب قصص الراوندي) عن مقاتل بن سليمان[١] قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام كم كان طول آدم عليه السلام حين هبط به إلى الأرض وكم كان طول حوا؟ قال وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن الله عز وجل لما أهبط آدم وزوجته حوا إلى الأرض كانت رجلاه على ثنيّة[٢] الصفا ورأسه دون أفق السماء وأنه شكى إلى الله ما يصيبه من حر الشمس فصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه وجعل طول حوا خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها[٣] (وفي الكافي) بعد قوله من حر الشمس فأوحى الله إلى جبرائيل عليه السلام أن آدم قد شكى ما يصيبه من حر الشمس فاغمزه غمزة[٤] وصيّر طوله سبعين ذراعاً بذراعه واغمز حوا فصيّر طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها[٥].

أقول: هذا الحديث عده المتأخرون من مشكلات الأخبار لوجهين: **(الأول)** أن طول القامة كيف يصير سبباً للتضرر بحر الشمس مع أن حرارة الشمس إنما تكون بالانعكاس من الأجرام الأرضية وحده أربعة فراسخ في الهواء **(الثاني)**: كونه عليه السلام سبعين ذراعاً بذراعه يستلزم عدم استواء خلقته وأنه يتعسر عليه كثير من الأعمال الضرورية. وأجيب عن الأول بوجهين: **(أحدهما)**: أن يكون للشمس حرارة من غير جهة الانعكاس أيضاً ويكون قامته عليه السلام طويلة جداً بحيث تتجاوز الطبقة الزمهريرية ويتأذى من تلك الحرارة ويؤيده حكاية ابن عناق كان يشوي السمك بعين الشمس. **(الثاني)**: أنه كان لطول قامته لا يمكنه الاستظلال ببناء ولا شجر ولا جبل فلا يمكنه الاستظلال ولا الجلوس تحت شيء فكان يتأذى من حرارة الشمس لذلك (وأما الجواب) عن الثاني فمن وجوه أكثرها فيه من التكلف ما أوجب الإعراض عن ذكره لبعده عن لفظ الحديث ومعناه. وأما الوجوه القريبة فمنها ما ذكره بعض الأفاضل من أن استواء الخلقة

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي أبو الحسن المفسر نزيل مرو توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ والحديث ضعيف.

(٢) ثنيّة: أي منعطف أو منحنى.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي ص ٥٠ برقم ٢٤.

(٤) غمزه: أي كبسه أو عصره بيده.

(٥) روضة الكافي ص ٢٣٣ برقم ٣٠٨.

ليس منحصراً فيما هو معهود الآن، فإن الله تعالى قادر على خلق الإنسان على هيئات أُخر كل منها فيه استواء الخلقة وذراع آدم عليه السلام يمكن أن يكون قصيراً مع طول العضد وجعله ذا مفاصل أو ليناً بحيث يحصل الارتفاق به والحركة كيف شاء. ومنها ما روي عن شيخنا بهاء الدين طاب ثراه من أن في الكلام استخداماً بأن يكون المراد بآدم حين إرجاع الضمير إليه آدم ذلك الزمان من أولاده ولا يخفى بعده وعدم جريانه في حوا إلا بتكلف.

ومنها ما قاله شيخنا المحدث[1] سلمه الله تعالى وهو أن إضافة الذراع إليهما على التوسعة والمجاز بأن ذراع صنف آدم إليه وصنف حوا إليها أو يكون الضميران راجعين إلى الرجل والمرأة بقرينة المقام. ومنها أن الباء في قوله بذراعه للملابسة أي كما قصر من طوله قصر ذراعه لتناسب الأعضاء وإنما خص الذراع لأن جميع الأعضاء داخلة في الطول بخلاف الذراع. والمراد بالذراع في قوله سبعين ذراعاً إما ذراع من كان في زمن آدم أو كان في زمن من صدر عنه الخبر.

(والأوجه) عندي هو الوجه الأول وذلك لأن استواء الخلقة إنما يكون بالنسبة إلى أغلب أنواع ذلك العصر والشائع في ذلك العصر روي أن موسى عليه السلام لما أرسل النقباء الاثني عشر ليأتوا له بخبر العمالقة حتى يغزوهم فلما قربوا من بلادهم رآهم رجل من العمالقة فوضع الاثني عشر رجلًا في طرف كمه وحملهم إلى سلطانهم وصبهم بين يديه وقال هؤلاء من قوم موسى أتأمرني أن أضع رجلي عليهم أقتلهم؟ فقال: أتركهم يرجعون إلى صاحبهم ويخبرونه بما يرون فطلبوا منه زاداً للطريق فأعطاهم رمانة على ثور نصفها خال من الحب يضعونه فوق النصف الآخر الذي يأكلون منه. وفي الليل ينامون في النصف الخالي فهو في الليل منام وفي النهار غطاء، وكان قوم موسى بالنسبة إليهم غير مستوي الخلقة وكذا العكس على أن الأخبار الواردة بصفات الحور العين وولدان الجنة وأكثر ما ورد فيها لو وجد في الدنيا لكان بعيداً عن استواء الخلقة.

---

(١) يقصد به العلامة المجلسي رضوان الله عليه في البحار ج ١١، ص ١٢٩.

الفصل الثاني
في سجود الملائكة وله معان وأنها أي جنة كانت؟ ومعنى تعليمه الأسماء

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١]. وقال عز شأنه ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٢] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[٣] وقال عز جلاله ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[٤]. وقوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[٥].

(في مجمع البيان) روي عن ابن عباس أن الملائكة كانت تقاتل فسبي إبليس وكان صغيراً وكان مع الملائكة فتعبد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا وأبى فلذلك قال الله تعالى: **﴿إلا إبليس كان من الجن﴾**[٦].

(وروي) عن طاوس ومجاهد أن إبليس كان قبل أن يرتكب المعصية ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة أشد اجتهاداً ولا أكثر علماً منه فلما عصى الله لعنه وجعله شيطاناً وسماه إبليس وكان من الكافرين في علم الله[٧].

(قال ابن عباس) أول من قاس إبليس[٨] فأخطأ القياس فمن قاس الدين من رأيه قرنه الله بإبليس. وقوله ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يعني يخرجون من قبورهم للجزاء. أراد الخبيث أن لا

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٣٤.
(٢) سورة الأعراف؛ الآية ١٢.
(٣) سورة الأعراف؛ الآيات: ١٦و ١٧.
(٤) سورة الحجر؛ الآيات: ٣٦، ٣٧، ٣٨.
(٥) سورة الكهف؛ الآية: ٥٠.
(٦) مجمع البيان ج ١، ص ١٩١ في تفسيره لسورة البقرة.
(٧) مجمع البيان ج ١، ص ١٩١ في تفسيره لسورة البقرة.
(٨) إبليس: أي أبلس من رحمة الله يئس وندم ومنه اشتق اسم إبليس.

يذوق الموت في النفخة الأولى وأُجيب بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة[١].

(وقوله) ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي خيبتني من رحمتك وجنّتك وامتحنتني بالسجود لآدم فغويت عنده أو حكمت بغوايتي وهذا كله تأويل والظاهر أنه كان يعتقد أن الإضلال عن الله تعالى وهو من جملة اعتقاداته الخبيثة[٢].

ويعجبني مقالة حكيتها في كتاب زهر الربيع وهي أني تباحثت مع علماء الجمهور فانتهى الحال إلى قوله إن الشيطان كان من أهل العلم فما مذهبه فقلت إنه كان في الأصول من الأشاعرة وفي الفروع من. . . فتعجب من قولي فقال وما الدليل؟ قلت أما الأول فقوله ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فنسب الإضلال والإغواء إلى الله تعالى وهذا هو مذهب الجبرية من الأشاعرة. وأما الثاني فعمله بالقياس في قوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ فعمل بقياس الأولوية زعماً منه أن السجود إنما يكون للأشرف الأفضل وهو بزعمه أفضل من آدم لأنه مخلوق من النار وهي أشرف من الطين. والحاصل أن مذهب الشيطان أفضل من (. . . .) لأنه يعمل بقياس الأولوية وأبو (. . .) كان يعمل بقياس المساواة الذي هو أضعف القياسات وأردؤها وقوله ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾.

(روي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ معناه أهوّن عليهم أمر الآخرة ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة. ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم[٣].

(وفي كتاب الخرائج) في حديث طويل عن أبي محمد العسكري عليه السلام وفيه أنه لا أحد من محبي علي عليه السلام نظف قلبه من قذر الغش والدغل والغل ونجاسات الذنوب إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة[٤].

(وفي جواب) مسائل الزنديق عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل أيصلح السجود لغير الله؟ قال لا قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فقال: إن من سجد بأمر الله فكان سجوده إذ كان عن أمر الله[٥]. (وفي) حديث آخر عنه عليه السلام: سجدت الملائكة لآدم ووضعوا جباههم على الأرض تكرمة من الله[٦].

---

(١) و(٢) مجمع البيان المجلد الثاني ص ٦٢٠ و ٦٢٢ في تفسيره لسورة الأعراف.

(٣) مجمع البيان للطبرسي المجلد الثاني ص ٦٢٣ في تفسيره لسورة الأعراف.

(٤) الاحتجاج ص ٥٢ باب احتجاجات النبي صلى الله عليه وآله في خبر يذكر فيه أمر العقبة.

(٥) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٣٩.

(٦) قصص الراوندي ص ٤٢ برقم ٥.

(وعن) أبي الحسن الثالث عليه السلام أن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وإنما كان لله ومحبة منهم لآدم[(١)].

(وفي الخرائج) عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام أن يهودياً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزة النبي صلى الله عليه وآله في مقابلة معجزات الأنبياء فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئاً مثل هذا؟ فقال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، أسجد الله لآدم ملائكته فإن سجودهم له لم يكن سجود طاعة وأنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له. ومحمد صلى الله عليه وآله أعطي ما هو أفضل من هذا إن الله جل جلاله صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنين بالصلاة عليه فهذا زيادة له يا يهودي[(٢)].

أقول: اتفق علماء الإسلام على أن ذلك السجود لآدم عليه السلام لم يكن سجود عبادة وإلا لحصل الشرك لكنهم ذكروا فيه أقوالاً:

(الأول): إن ذلك السجود كان لله تعالى وآدم عليه السلام كان قبلةً وهو قول أبي علي الجبائي وجماعة.

(الثاني): إن السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع فهذا هو السجود لآدم.

ويبعده مع أنه خلاف التبادر قوله تعالى ﴿فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ وكذلك الحديث السابق.

(الثالث): إن السجود كان تعظيماً لآدم عليه السلام وتكرمة وهو في الحقيقة عبادة لله تعالى لكونه بأمره وهذا هو الأظهر من الأخبار.

(وقال علي بن إبراهيم طاب ثراه) إن الاستكبار أول معصية عصي الله بها قال إبليس: يا رب اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل فقال الله تعالى: لا حاجة لي إلى عبادتك إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد فأبى أن يسجد، فقال الله تعالى: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ فإنك رجيم قال إبليس: كيف يا رب وأنت العدل الذي لا تجور فثواب عملي بطل، قال: لا ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك أعطك فأول ما سأل البقاء إلى يوم الدين فقال الله تعالى قد أعطيتك قال: سلطني على ولد آدم قال: سلطتك، قال: أجرني فيهم مجرى الدم في العروق قال: قد أجريتك قال: لا يولد لهم واحد إلا ولد لي اثنان وأراهم ولا يروني وأتصور لهم في كل صورة شئت فقال: قد أعطيتك قال: يا رب زدني قال قد جعلت لك ولذريتك صدورهم أوطاناً قال: رب حسبي قال إبليس عند ذلك ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الآية[(٣)].

---

(١) تحف العقول ص ٣٥٤.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ص ٢١١ باب احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود.

(٣) تفسير القمي ج ١، ص ٤٢-٤٣ والآيات من سورة ص ٨٢، ٨٣ وسورة الأعراف ١٧.

(قال أبو عبدالله) عليه السلام لما أعطى الله تبارك وتعالى إبليس ما أعطاه من القوة قال آدم عليه السلام: يا رب سلطت إبليس على ولدي وأجريته فيهم مجرى الدم في العروق وأعطيته ما أعطيته فما لي وولدي فقال: لك ولولدك السيئة بواحدة والحسنة بعشر أمثالها قال: يا رب زدني. قال: التوبة مبسوطة إلى أن تبلغ النفس الحلقوم. قال: يا رب زدني. قال أغفر ولا أبالي قال: حسبي. قال: جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه فقال بشيء كان منه شكره الله تعالى عليه. قلت: وما كان منه جعلت فداك قال: ركعتين ركعهما في السماء في أربعة آلاف سنة(١).

أقول: وفي نهج البلاغة من قوله عليه السلام إنه صلى ركعتين في السماء في ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة وعلى هذا فلو كان من سني الآخرة لبلغ من السنين شيئاً كثيراً (واعلم) أن جماعة من الصوفية قد شكروا لإبليس إباه عن السجود لآدم قالوا إنه أراد اختصاص السجود بالله تعالى فسموه من أجل هذا سيد الموحدين عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(وفي كتاب) فضائل الشيعة: للصدوق طاب ثراه بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلا من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عز وجل آدم بألفي عام فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فقال الله تبارك وتعالى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ من هؤلاء الخمسة المكتوبات أسماؤهم في سرادق العرش.

وعنه صلى الله عليه وآله قال إنما كان لبث آدم وحوا في الجنة حتى أخرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى أهبطهما الله من يومهما ذلك(٢). وفي كتاب علل الشرائع: عن وهب قال: لما أسجد الله الملائكة لآدم عليه السلام وأبى إبليس أن يسجد قال له ربه عز وجل: اخرج منها ثم قال عز وجل: يا آدم انطلق إلى هؤلاء الملأ من الملائكة فقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فلما رجع إلى ربه قال له ربه تبارك وتعالى: هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك فيما بينهم إلى يوم القيامة(٣).

(علل الشرائع) مسنداً إلى الصادق عليه السلام قال: سألته عن جنة آدم فقال: جنة من جنان الدنيا تطلع عليه فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً(٤).

---

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) الخصال ص ٣٩٦ باب السبعة برقم ١٠٣.
(٣) علل الشرائع ج ١، ص ١٢٦ باب ٩٠.
(٤) علل الشرائع ج ٢، ص ٣٢٥ باب ٣٨٥ برقم ٥٥.

وروى علي بن إبراهيم مثله أيضاً(١). وقد وقع الاختلاف بين علماء المسلمين في أن جنة آدم عليه السلام هل كانت في الأرض أم في السماء وعلى القول الثاني هل هي جنة الخلد والجزاء أم غيرها، ذهب أكثر المفسرين وجمهور المعتزلة إلى أنها جنة الخلد وهو ظاهر أكثر علمائنا رضوان الله عليهم. (وقال) أبو هاشم جنة من جنان الدنيا غير جنة الخلد. وذهب طائفة من علماء المسلمين إلى أنها بستان من بساتين الدنيا في الأرض كما دل عليه الخبر. احتج الأولون بالتبادر وعهدية الألف واللام ولا يخفى ما فيه. واحتجت الفرقة الثانية بأن الهبوط يدل على الإهباط من السماء إلى الأرض وليست بجنة الخلد لأن من دخلها خلد فيها فلزم المطلوب.

(والجواب) أن الانتقال من أرض إلى أرض أخرى يسمى هبوطاً كقوله تعالى ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾. واحتج القائلون بأنها من بساتين الدنيا بأن جنة الخلد لا يخرج داخلها ولا يفنى نعيمها (وأجيب) عنه بأنه إنما يمكن بعد الدخول والاستقرار وذكروا في الكتب الكلامية دلائل متكثرة على ما صاروا إليه وهذان الخبران يعارضهما ظواهر الآيات والأخبار مع إمكان حملهما على التقية.

وعن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام أكان إبليس من الملائكة أم من الجن؟ قال: كانت الملائكة ترى أنه منها وكان الله يعلم أنه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان(٢).

أقول: اختلف علماء الإسلام في أن إبليس هل كان من الملائكة أم لا؟ فأكثر المتكلمين وكثير من علمائنا كالشيخ المفيد طاب ثراه على أنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن قال: وقد جاءت الأخبار متواترة عن أئمة الهدى سلام الله عليهم وهو مذهب الإمامية. وذهبت طائفة إلى أنه من الملائكة واختاره شيخ الطائفة في التبيان قال: وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلفت الطائفة الأخيرة. فقيل: إنه كان خازناً للجنان. وقيل: كان له سلطان السماء وسلطان الأرض. وقيل: كان يسوم ما بين السماء والأرض. وما صار إليه المفيد طاب ثراه هو مدلول الأحاديث المستفيضة.

(العياشي) مسنداً إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أول بقعةٍ عبدالله عليها ظهر الكوفة لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة(٣).

(وفي تفسير) الإمام العسكري عليه السلام قال: إن الله لما امتحن الحسين عليه السلام ومن معه بالعسكر الذين قتلوه وحملوا رأسه قال لعساكره: أنتم في حل من بيعتي فالحقوا بعشائركم وقال

---

(١) تفسير القمي ج ١، ص ٤٣ في تفسيره لسورة البقرة الآية: ٣٥.

(٢) قصص للراوندي ص ٤٢ برقم ٦.

(٣) تفسير العياشي ج ١ في تفسيره لسورة البقرة برقم ١٨.

لأهل بيته: قد جعلتكم في حل من مفارقتي فإنكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وما المقصود غيري فدعوني والقوم فإن الله يعينني كعادته في أسلافنا فأما عسكره ففارقوه.

وأما أهله الأدنون فأبوا وقالوا: لا نفارقك فقال لهم: فإن كنتم قد وطنتم أنفسكم على ما وطنت نفسي عليه فاعلموا أن الله إنما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره وإن الله خصني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا من الكرامات بما يسهل معها احتمال المكروهات وإن لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى. واعلموا أن الدنيا حلوها ومرها حلم(١) والانتباه في الآخرة، أولا أحدثكم بأول أمرنا؟ فقالوا: بلى يا بن رسول الله قال: إن الله تعالى لما خلق آدم وسوّاه وعلمه أسماء كل شيء وعرضهم على الملائكة جعل محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين أشباحاً خمسة في ظهر آدم وكانت أنوارهم تضيء في آفاق السموات والحجب والجنان والكرسي والعرش فأمر الله الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له أنه قد فضله بأنه جعله وعاء لتلك الأشباح التي عم أنوارها في الآفاق فسجدوا إلا إبليس أبى أن يتواضع لأنوارنا أهل البيت وقد تواضعت الملائكة.

(وفي حديث) علي بن الحسين: أن آدم نظر إلى ذروة العرش فرأى نور أشباحنا فقال الله يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وعرفه أسماءهم وقال بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب فتوسل بهم يا آدم وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاءك فإني آليت على نفسي لا أرد بهم سائلًا فلذلك حين نزلت منه الخطيئة دعا الله عز وجل بهم فتاب عليه.

(وعن إسحاق) بن جرير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام أي شيء يقول أصحابك في قول إبليس ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ قلت جعلت فداك قد قال ذلك وذكره الله في كتابه قال: كذب يا إسحاق ما خلقه الله إلا من طين، ثم قال: قال الله ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾(٢) خلقه الله من تلك النار والنار من تلك الشجرة والشجرة أصلها من طين(٣).

(علي بن إبراهيم) بإسناده إلى الصادق عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصخرة التي في بيت المقدس(٤).

أقول: يشير إلى أن إنظاره إلى يوم خروج القائم عليه السلام وهو القيامة الصغرى والأخبار المستفيضة دالة عليه.

---

(١) الحلم: ما يراه النائم في نومه.

(٢) سورة يس؛ الآية: ٨٠.

(٣) تفسير القمي ج ٢، ص ٢٤٤ في تفسيره لسورة ص؛ الآية: ٧٦.

(٤) تفسير القمي ج ٢، ص ٢٤٥ في تفسيره لسورة ص، الآية: ٨١.

الفصل الثالث

في أن ذنبه كان ترك الأولى وكيفية قبول توبته والكلمات التي تلقاها من ربه وكيفية نزوله من الجنة وحزنه عليها

(في كتاب النبوة) إن الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حوا من آدم، فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال. وفي العلل والأمالي مسنداً إلى الحسن بن علي عليه السلام قال جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل فقالوا أخبرنا عن الله لأي شيء وقت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أُمتك في ساعات الليل والنهار فأجاب: إلى أن قال: وأما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله من الجنة فأمر الله ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة واختارها لأمتي فهي من أحب الصلوات إلى الله عز وجل وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا، وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة، من وقت صلاة العصر إلى العشاء فصلى آدم ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حوا وركعة لتوبته فافترض الله عز وجل هذه الثلاث ركعات على أُمتي، ثم قال: فأخبرني لأي شيء توضأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: لما أن وسوس الشيطان إلى آدم ودنا آدم من الشجرة ونظر إليها ذهب ماء وجهه ثم قام وهو أول قدم مشت إلى الخطيئة ثم تناوله بيده ثم مسها فأكل منها فطار الحلي والحلل عن جسده ثم وضع يده على رأسه وبكى فلما تاب الله عليه فرض الله عليه وعلى ذريته الوضوء على هذه الجوارح الأربع وأمره أن يغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة وأمره أن يغسل الساعدين إلى المرفقين لما تناوله منها وأمره أن يمسح القدمين لما مشى إلى الخطيئة، ثم قال: أخبرني لأي شيء فرض الله الصوم على أُمتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض الله على آدم أكثر من ذلك. قال النبي صلى الله عليه وآله لما أكل آدم من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً وفرض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله عز وجل عليهم. وكذلك كان على آدم ففرض الله على أُمتي ذلك ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾(١).

---

(١) أمالي الصدوق ص ١٥٩-١٦٢ المجلس ٣٥ وعلل الشرائع ج ٢، ص ٣٢ باب ٣٦ والآية من سورة البقرة ١٨٣-١٨٤.

(تفسير علي بن إبراهيم) عن ابن أبي عمير عن ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع فقال له موسى: يا أبت ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة قال: بثلاثين ألف سنة قبل أن خلق آدم قال: فهو ذاك. قال الصادق عليه السلام فحج آدم موسى عليه السلام(١).

أقول: وجدان الخطيئة قبل الخلق إما في عالم الأرواح كما قيل بأن يكون روح موسى عليه السلام اطلعت على ذلك في اللوح أو المراد أنه وجد في التوراة أن تقدير خطيئة آدم عليه السلام كان قبل خلقه بثلاثين سنة وفي الأخبار دلالة عليه وقوله فحج أي غلبه في الحجة وهذا من فروع مسألة القضاء والقدر وراجع إلى العلم القديم وهي المعركة العظمى بين علماء الإسلام وضل به خلق كثير وطوائف لا تحصى فوردوا النار بهاتين المسألتين.

(وعنه) عليه السلام: لما خرج آدم من الجنة نزل عليه جبرائيل عليه السلام فقال يا آدم أليس الله خلقك بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك الملائكة وزوجك حوا أمته وأسكنك الله الجنة وأباحها لك ونهاك مشافهة أن لا تأكل من الشجرة فأكلت منها وعصيت الله فقال آدم عليه السلام إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح فما ظننت أن أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً(٢).

(معاني الأخبار) وعيون الأخبار: بإسناده إلى الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوا ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها. فمنهم من يروي أنها الحنطة. ومنهم من يروي أنها العنب. ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد. فقال: كل ذلك حق، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها، فقال: يا أبا الصلت إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا وإن آدم عليه السلام لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته وبإدخاله الجنة قال في نفسه هل خلق الله بشراً أفضل مني فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة فقال آدم عليه السلام يا رب من هؤلاء؟ فقال عز وجل من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم فتسلط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها وتسلط على حوا

---

(١) تفسير القمي ج ١، ص ٤٤ في تفسيره لسورة البقرة؛ الآية: ٣٦.
(٢) تفسير القمي ج ١، ص ٢٢٥ في تفسيره لسورة الأعراف؛ الآية: ٢١.

لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل منها فأخرجهما الله عز وجل عن جنته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض(١).

أقول: اختلفوا في الشجرة التي ورد النهي عنها فقيل كانت السنبلة ورووه عن ابن عباس ويدل عليه بعض الأخبار وقيل: هي الكرمة وقيل: شجرة الكافور(٢). وقيل التينة. وقيل شجرة العلم علم الخير والشر. وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة والكل مروي في الأخبار وهذه الرواية تجمع بين الروايات وأكثر الأقوال وسيأتي ما هو أجمع للأقوال والأخبار والمراد بالحسد هنا الغبطة التي تركها هو الأولى. وقوله وتمنى منزلتهم دال عليه وحينئذٍ فمعنى شجرة الحسد الشجرة التي كان سبب الأكل منها الحسد.

(علل الشرائع) بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال: لولا أن آدم أذنب، ما أذنب مؤمن أبداً ولولا أن الله عز وجل تاب على آدم ما تاب على مذنب أبداً(٣) (وفيه) عن أبي عبدالله عليه السلام لما أهبط الله آدم من الجنة ظهرت فيه شامة(٤) سوداء في وجهه من قرنه إلى قدمه فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم؟ قال لهذه الشامة التي ظهرت بي قال: قم فصل فهذا وقت الأولى(٥) فقام فصلى فانحطت الشامة إلى صدره فجاءه في الصلاة الثانية فقال يا آدم قم فصل فهذه وقت الصلاة الثانية فقام فصلى فانحطت الشامة إلى سرته فجاءه في الصلاة الثالثة فقال يا آدم قم فصل فهذه وقت الصلاة الثالثة فقام فصلى فانحطت الشامة إلى ركبتيه فجاءه في الصلاة الرابعة فقال يا آدم قم فصل فهذه وقت الصلاة الرابعة فقام فصلى فانحطت الشامة إلى رجليه فجاءه في الصلاة الخامسة فقال يا آدم قم فصل فهذه وقت الصلاة الخامسة فقام فصلى فخرج منها فحمد الله وأثنى عليه فقال جبرائيل عليه السلام: يا آدم مثل ولدك في هذه الصلاة كمثلك في هذه الشامة من صلى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة(٦).

(وفيه) أنه سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال من قبل السنبلة كان عليها ثلاث حبات فبادرت إليها حوا فأكلت منها حبة وأطعمت آدم حبتين فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الأنثيين(٧).

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢٧٤ باب ٢٨ ومعاني الأخبار ص ١٢٤.
(٢) تفسير التبيان للطوسي ج ١، ص ٥٨.
(٣) علل الشرائع ج ١، ص ١٠٥ باب ٧٨.
(٤) الشامة: الخال أي بثرة سوداء في البدن عليها شعر.
(٥) في المصدر: فهذا وقت الصلاة الأولى.
(٦) علل الشرائع ج ٢، ص ١٣٤.
(٧) علل الشرائع ج ٢ ص ٢٩٤ باب ٣٧١ برقم ٥.

(وفيه) عن أبي عبدالله عليه السلام كيف صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين قال: لأن الحبات التي أكل منها آدم وحوا في الجنة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثنتي عشرة حبة وأكلت حوا ستاً فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين(١).

أقول: يجمع بين الخبرين بحمل ما تقدم على أول سنبلة أخذاها كذلك حتى صار ثمانية عشر أو المراد أنها كانت على شعبة فيها ثلاث حبات وكانت الشعبة ستة.

(وعنه) عليه السلام في حديث طويل قال فيه: إن آدم جاء من الهند وكان موضع قدميه حيث يطأ عليه العمران وما بين القدم إلى القدم صحارى ليس فيها شيء ثم جاء إلى البيت فطاف.. الحديث(٢). وفي ذلك الكتاب عن ابن مسعود: وسئل عن أيام البيض ما سببها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن آدم لما عصى ربه عز وجل ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جواري فإنه لا يجاورني أحد عصاني فبكى وبكت الملائكة فبعث الله عز وجل إليه جبرائيل فأهبطه إلى الأرض مسوداً فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت، وقالت: يا رب خلقاً خلقته ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك فبذنب واحد حولت بياضه سواداً فنادى منادٍ من السماء صم لربك اليوم فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد ثم نودي يوم الرابع عشر أن صم لربك فصام فذهب ثلثا السواد ثم نودي في يوم الخامس عشر بالصيام فصام وقد ذهب السواد كله فسميت أيام البيض الذي رد الله فيه على آدم بياضه ثم نادى مناد من السماء يا آدم هذه الثلاثة أيام جعلتها لك ولولدك من صامها في كل شهر فإنما صام الدهر ثم قال: فأصبح آدم وله لحية سوداء كالحمم فصرف يده إليها فقال: يا رب ما هذه فقال هذه اللحية زينتك بها أنت وذكور ولدك إلى يوم القيامة(٣).

(معاني الأخبار) بإسناده إلى المفضل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم فعرضها على السموات والأرض والجبال فغشيها نورهم فقال الله تبارك وتعالى للسموات والأرض والجبال: هؤلاء حججي على خلقي لهم ولمن تولاهم خلقت جنتي ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري فمن ادعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ومن أقر بولايتهم ولم يدع منزلتهم مني جعلته معهم في روضات جناتي فولايتهم أمانة عند خلقي فأيكم يحملها بأثقالها ويدعيها لنفسه دون خيرتي فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادعاء منزلتها وتمني محلها من عظمة ربها فلما أسكن الله عز وجل آدم وزوجته الجنة قال لهما: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا نَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فنظرا إلى منزلة محمد وعلي

---

(١) علل الشرائع ج ٢ ص ٢٩٤ باب ٣٧١ برقم ٤.
(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ١١١ باب ١٤٣ برقم ٢.
(٣) المصدر السابق ص ٨٠ باب ١١١.

وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنة فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جل جلاله ارفعا رؤوسكما إلى ساق العرش فرفعا رأسيهما فوجدا اسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش. من نور الجبار جل جلاله - فقالا: يا ربنا ما أكرم هذه المنزلة عليك! فقال: لولاهم لما خلقتكما، إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد وتتمنيا منزلتهم عندي فتدخلا بذلك في نهيي وعصياني فتكونا من الظالمين قالا: ربنا ومن الظالمون؟ قال: المدّعون لمنزلتهم بغير حق قالا: ربنا فأرنا منازل ظالميهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم في جنتك فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان العذاب فأوحى الله إليهما يا آدم ويا حوا لا تنظرا إلى أنوار حججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواري فوسوس لهما الشيطان وقاسمهما إني لكما من الناصحين فحملهما على تمني منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلا شعيراً. فأصل الحنطة كلها مما لم يأكلاه وأصل الشعير كله مما عاد مكان ما أكلاه فلما أكلا من الشجرة طار الحلي والحلل عن أجسادهما وبقيا عريانين فناداهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين فقالا ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ قال: اهبطا من جواري فلا يجاورني في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى أنفسهما في طلب المعاش فلما أراد الله عز وجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرائيل عليه السلام فقال لهما: إنكما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عز وجل إلى أرضه فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما فقالا: اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلّا تبت علينا ورحمتنا فتاب الله عليهما. فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أممهم فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها وحملها الإنسان الذي قد عرفت فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة. وذلك قول الله عز وجل ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(١).

أقول: لا يتوهم أن آدم عليه السلام صار يتمنى منزلتهم من الظالمين المدعين لمنزلتهم حتى يستحق بذلك أليم النكال فإن في عده من الظالمين هنا نوعاً من التجوز لأنه تشبه بهم في التمني ومخالفة الأمر الندبيّ لا في ادعاء المنزلة وغصبها والقتل عليها وحمل الأمانة غير حفظها كما يدل عليه قوله فلم تزل أنبياء الله يحفظون هذه الأمانة إلى قوله فيأبون حملها فالمراد بحملها ادعاؤها بغير حق وغصبها وقال الزجاج(٢): كل من خان الأمانة فقد حملها ومن لم يحمل

---

(١) معاني الأخبار ص ١٠٨ والآية من سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) هو إبراهيم بن السريّ بن سهل، أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة وكان المبرد أستاذه ولد ومات ببغداد.

الأمانة فقد أداها فآدم عليه السلام لم يكن من الحاملين للأمانة على ما ذهب إليه بعض المفسرين وفسروا الإنسان بآدم وقوله الذي قد عرفت هو الأول وهذا مشهور لا أصل له لأن الثاني كما قال الصادق عليه السلام سيئة من سيئات الأول ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

(وعن ابن عباس) قال: لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله: الحمد لله رب العالمين فقال له ربه: يرحمك ربك فلما أسجد له ملائكته تداخله العجب فقال: يا رب خلقت خلقاً أحب إليك مني فلم يجب ثم قال الثانية فلم يجب، ثم قال الثالثة فلم يجب ثم قال الله عز وجل له: نعم لولاهم ما خلقتك فقال فأرنيهم فأوحى الله عز وجل إلى ملائكة الحجب أن ارفعوا الحجب فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش فقال يا رب من هؤلاء؟ قال يا آدم هذا محمد نبيّي وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبيّي ووصيه وهذه فاطمة ابنة نبيّي وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولد ابنة نبيّي، ثم قال: يا آدم هم ولدك ففرح بذلك فلما اقترف الخطيئة، قال: يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي فغفر الله له بهذا فهذا الذي قال الله عز وجل ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾(١) فلمّا هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه محمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين، ويكنى آدم بأبي محمد عليه السلام(٢).

(معاني الأخبار) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ما ينظر إلى وجه حوا ولقد بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل النهرين العظيمين من الدموع ولقد قام على باب الكعبة، ثيابه جلود الإبل والبقر، فقال: اللهم أقلني عثرتي واغفر لي ذنبي وأعدني إلى الدار التي أخرجتني منها فقال الله عز وجل: قد أقلتك عثرتك وغفرت لك ذنبك وسأعيدك إلى الدار التي أخرجتك منها(٣).

أقول: فيه دلالة على أن الجنة التي أخرج منها هي جنة الخلد لأنها التي سيعود إليها وكذلك الأخبار السابقة وما بمعناها الدالة على أنه نظر إلى منزلة محمد وعلي وإلى أنه رآهم مكتوبين على أركان العرش فإن العرش سقف جنة الخلد كما جاء في الحديث أن الجنة فوق السماء وسقفها العرش والتأويل بالحمل على أنها جنة البرزخ التي تأوي أرواح المؤمنين بعيد لما عرفت وحينئذٍ فطريق الجمع ما مر من حمل الأخبار الدالة على أنها من بساتين الدنيا على التقية.

وفي ذلك الكتاب الحديث عن الصادق عليه السلام. وفيه أن الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام فتاب عليه هي النبي وأهل بيته عليهم السلام ثم قال المفضل: فما يعني أتمّهنّ؟ قال: يعني أتمّهنّ إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام.

أقول: ورد أن الكلمات هي قوله تعالى ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ الآية.

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٣٧.
(٢) بحار الأنوار ج ١١، ص ١٧٥.
(٣) معاني الأخبار ص ١٢٥.

وورد أيضاً أنها قوله سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، الدعاء. وورد غيره أيضاً. والجمع بين الروايات الجمع بينها إلا أن الأصل هو ما روي عن السادة الأطهار صلوات الله عليهم من أنها أسماؤهم.

وفي الحديث: أن آدم عليه السلام لما كثر ولده وولد ولده كانوا يتحدثون عنده وهو ساكت فقالوا يا أبة ما لك لا تتكلم؟ فقال يا بني إن الله جل جلاله لما أخرجني من جواره عهد إليّ وقال: أقلل كلامك ترجع إلى جواري.

(قصص الراوندي) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال إن آدم عليه السلام نزل بالهند فبنى الله تعالى له البيت فلما خطا من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران وما بين القدم والقدم صحارى[(١)].

أقول: المشهور في الأخبار عن السادة الأطهار صلوات الله عليهم أن نزول آدم عليه السلام كان على الصفا ونزول حوا على المروة وهذا الخبر وما روي بمعناه يدل على أن نزولهما كان بالهند، وحمله بعض أهل الحديث على التقية لأنه المشهور بين العامة أن آدم عليه السلام هبط على جبل في سرنديب يقال له (نوذ)[(٢)] وحوا هبطت في جدة مع أنه يمكن أن يقال إن هبوطهما على الصفا والمروة بعد دخولهما مكة من باب اهبطوا مصراً.

(العياشي) عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله: أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام حيث عرج إلى السماء في أمر الصلاة ففعل فقال له موسى عليه السلام: يا أبت أنت الذي خلقك الله بيده وأباح لك جنته ثم نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها حتى أهبطت إلى الأرض بسببها فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتى أغراك إبليس فأطعته فأنت الذي أخرجتنا من الجنة بمعصيتك، فقال آدم عليه السلام: ارفق بأبيك يا بني فيما لقي من أمر هذه الشجرة يا بني إن عدوي أتاني من وجه المكر والخديعة فحلف لي بالله أنه في مشورته عليّ لمن الناصحين وذلك أنه قال لي منتصحاً إني لشأنك يا آدم لمغموم قلت وكيف؟ قال قد كنت أنست بك ويقربك مني وأنت تخرج مما أنت فيه إلى ما ستكرهه فقلت له وما الحيلة؟ فقال إن الحيلة هوذا معك أفلا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فكلا منها أنت وزوجك فتصيرا معي في الجنة أبداً من الخالدين وحلف لي بالله كاذباً أنه لمن الناصحين ولم أظن يا موسى أن أحداً يحلف بالله كاذباً فوثقت بيمينه فهذا عذري فأخبرني يا بني هل تجد فيما أنزل الله إليك أنَّ خطيئتي كائنة من قبل أن أُخلق، قال له موسى: بدهر طويل قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فحج آدم موسى، قال ذلك ثلاثاً[(٣)].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص ٥٠ برقم ٢٣.

(٢) نوذ: بالفتح ثم السكون، وذال معجمة: جبل بسرنديب عنده مهبط آدم عليه السلام، وهو أخصب جبل في الأرض. وسرنديب: جزيرة عظيمة في بحر هركند في أقصى بلاد الهند.

(٣) تفسير العياشي ج ٢، ص ١٠ في تفسيره لسورة الأعراف برقم ١٠.

أقول: أما أن تلك الشجرة شجرة الخلد فهو غير كاذب فيما قاله إلا أن من أكله أفادته الخلد في الجنة إذا كان الأكل مباحاً منها يكون مأموراً به وإذا كان الأكل منهياً عنه يكون أثره المترتب عليه ما وقع على آدم من إخراجه من الجنة في ذلك اليوم وقوله بدهر طويل يرجع حاصله إلى أن الله سبحانه علم بذنب آدم وقدره موافقاً للعلم القديم كما هو حال جميع مقدورات الله سبحانه ومقدراته.

(العياشي) عن عبد الله بن سنان قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام وأنا حاضر كم لبث آدم عليه السلام وزوجته في الجنة حتى أخرجهما منها؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه ثم أسجد له ملائكته وأسكنه جنته من يومه ذلك فوالله ما استقر فيها إلا ست ساعات في يومه ذلك حتى عصى الله فأخرجهما الله منها بعد غروب الشمس وما باتا فيها وصيرا بفناء الجنة حتى أصبحا فبدت لهما سوآتهما ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ فاستحى آدم من ربه وخضع وقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا قال الله لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض فإنه لا يجاورني في جنتي عاص ولا في سماواتي. (وقال أبو عبدالله) عليه السلام: إن آدم لما أكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرته إليها وقالت له أفلا كان فرارك قبل أن تأكل مني(١). وفي هذا الحديث دلالة على أن تلك الجنة كانت في السماء والظاهر أنها شجرة الخلد.

(وفي تفسير) الإمام العسكري عليه السلام ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ شجرة العلم شجرة علم محمد وآل محمد آثرهم الله تعالى به على سائر خلقه فقال الله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ شجرة العلم فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم ومنها ما كان يتناوله النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب وهي شجرة تميّزت من بين أشجار الجنة أن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعاً من الثمار والمأكول وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البرُّ والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة. فقال بعضهم هي برة وقال آخرون هي عنبة وقال آخرون هي عنابة. وقال الله ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ تلتمسان بذلك درجة محمد وآل محمد في فضلهم فإن الله عز وجل خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم وهي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله أُلهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربه ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بها غيركما إذا رمتما(٢) بغير حكم الله قال الله

---

(١) نفس المصدر السابق برقم ١١.

(٢) رام الشيء: أراده.

تعالى ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ عن الجنة بوسوسته وغروره بأن بدأ بآدم فقال ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ إن تناولتما منها تعلمان الغيب وتقدران على ما يقدر عليه من خصه الله تعالى بالقدرة أو ﴿تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ لا تموتان أبداً وكان إبليس بين لحيي[1] الحية أدخلته الجنة وكان آدم يظن أن الحية هي التي تخاطبه ولم يعلم أن إبليس قد اختبأ بين لحييها فرد آدم على الحية أيتها الحية هذا من غرور إبليس كيف أروم التوصل إلى ما منعني ربي وأتعاطاه بغير حكمه فلما أيس إبليس من قبول آدم عاد ثانية بين لحيي الحية فخاطب حوا من حيث يوهمها أن الحية هي التي تخاطبها وقال: يا حوا أرأيت هذه الشجرة التي كان الله حرمها عليكما قد أحلها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له وذلك أن الملائكة الموكلين بالشجرة التي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنة لا يدفعونكما عنها إن رمتما فاعلما بذلك أنه قد أحل لكما وأبشري بأنك إن تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلطة عليه الآمرة الناهية فوقه فقالت حوا: سوف أجرّب هذا فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها فأوحى الله إليها إنما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره وأما من جعلته متمكناً مميزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه فإن أطاع استحق ثوابي وإن عصى وخالف أمري استحق عقابي فتركوها ولم يتعرضوا لها بعدما هموا بمنعها بحرابهم فظنت أن الله نهاهم عن منعها لأنه قد أحلها بعدما حرمها، فقالت: صدقت الحية وظنت أن المخاطب لها هي الحية فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئاً فقالت لآدم عليه السلام: ألم تعلم أن الشجرة المحرمة علينا قد أبيحت لنا وتناولت منها ولم تمنعني ملائكتها ولم أنكر شيئاً من حالي فلذلك اغتر آدم عليه السلام وغلط فتناول فأصابهما ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ بغرور ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم وقلنا يا آدم ويا حوا ويا أيتها الحية ويا إبليس ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وحوا وأولادهما (عدوّ) للحية، وإبليس والحيّة وأولادهما أعداؤكم ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ للمعاش ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الموت وكانت الحية من أحسن دواب الجنة وهبوطها كان من الجنة وهبوط إبليس من حواليها فإنه كان محرماً عليه دخول الجنة... الحديث[2].

أقول: اختلف في كيفية وصول إبليس إلى آدم وحوا حتى وسوس إليهما وإبليس كان قد أخرج من الجنة حين أبى السجود وهما في الجنة. فقيل: إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه فكان يكلمه وكان هذا قبل أن يهبط إلى الأرض وبعد أن أخرج من الجنة.

وقيل: إنه كلمهما في الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه (وقيل) إنه دخل في شدق الحية وخاطبهما من شدقها، قال صاحب الكامل: إن إبليس أراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فأتى كل

---

(١) اللحي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٩٠-٩١.

دابة من دواب الأرض وعرض نفسه عليها أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته، فكل الدواب أبت عليه ذلك حتى أتى الحية وقال لما أمنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي إن أدخلتني فجعلته ما بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت راسية على أربع قوائم من أحسن دابة خلقها الله كأنها بختية فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها انتهى[١] (وقيل) راسلهما بالخطاب وظاهر الآيات تدل على المشافهة وورد أن السم الذي في أنياب الحية من مقعد الشيطان فيه إما لأنه أثر فيه السم أو لأن السم خلق هناك بسببه.

أقول: أعظم شبهة المخطئة للأنبياء عليهم السلام قصة آدم عليه السلام حيث سماه عاص بقوله ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾.

وأجاب عنه علم الهدى طاب ثراه بأن العصيان مخالفة الأمر أعم من كونه واجباً أو ندباً وأطال في تحقيق المقام[٢] وكل هذا يرجع إلى قوله عليه السلام حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد حققنا جملة القول في هذه المقالة الواردة في الأنبياء والأئمة عليهم السلام في شرحنا على الصحيفة السجادية عند شرح دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام إذ استقال من ذنوبه.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: رن إبليس أربع رنات أولهن يوم لعن، وحين أهبط إلى الأرض، وحين بعث محمد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل، وحين أنزلت أم الكتاب، ونخر نخرتين حين أكل. يعني آدم – من الشجرة وحين أهبط من الجنة[٣].

أقول: الرنة الصوت والصياح. والنخير الصوت من الأنف. والأول للحزن والثاني للفرح.

وعنه عليه السلام: البكاؤون خمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين عليه السلام فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه مثل الأودية[٤] (وفي حديث آخر) أنه بكى حتى خرج من إحدى عينيه من الدموع مثل ماء دجلة ومن الأخرى مثل ماء الفرات.

(وعنه) عليه السلام لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام من الجنة أهبط معه مائة وعشرين قضيباً منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها. وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى بخارجها. وأربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها وغرارة فيها بذر كل شيء[٥]. والغرارة الجوالق معرب جوال.

(علل الشرائع) عن بكير بن أعين قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام هل تدري ما كان

---

(١) الكامل في التاريخ ج ١، ص ٣٣.
(٢) تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى ص ٩.
(٣) الخصال، ص ٢٦٣ باب الأربعة برقم ١٤١.
(٤) الخصال، ص ٢٧٢ باب الخمسة برقم ١٥.
(٥) الخصال ص ٦٠١ باب المائة فما فوق برقم ٤.

الحجر؟ قال: قلت لا قال كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة عندالله عز وجل فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق وأودعه عنده واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالعهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكر الميثاق ويجدد عنده الإقرار كل سنة فلما عصى آدم عليه السلام وأُخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه وعلى ولده لمحمد ووصيه وجعله باهتاً حيراناً فلما تاب على آدم حول ذلك الملك في صورة درة بيضاء فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند فلما رآه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة فأنطقه الله عز وجل فقال يا آدم أتعرفني؟ قال لا قال أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك وتحول إلى الصورة التي كان بها في الجنة مع آدم عليه السلام فقال لآدم أين العهد والميثاق فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبله وجدد الإقرار بالعهد والميثاق ثم حول الله عز وجل جوهرة الحجر درة بيضاء صافية تضيء فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً فكان إذا أعيى حمله عنه جبرائيل عليه السلام حتى وافى به مكة فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كل يوم وليلة ثم إن الله عز وجل لما أهبط جبرائيل عليه السلام إلى أرضه وبنى الكعبة هبطا إلى ذلك المكان بين الركن والباب وفي ذلك الموضع تراءيا لآدم حين أخذ الميثاق وفي ذلك الموضع ألقم الملك الميثاق فلتلك العلة وضع في ذلك الركن ونحى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحوا إلى المروة وجعل الحجر في الركن فكبر الله وهلله ومجده فلذلك جرت السنة بالتكبير في استقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا[1].

(وفيه) عنه عليه السلام: قال أُهبط آدم عليه السلام من الجنة إلى الصفا وحوا إلى المروة وقد كانت امتشطت في الجنة فلما صارت في الأرض قالت ما أرجو من المشط وأنا مسخوط عليّ فحمت مشطها فأُنشر من مشطها العطر الذي كان امتشطت به في الجنة فطارت به الريح فألقت أثره في الهند فلذلك صار العطر بالهند. وفي حديث آخر: أنها حلت عقيصتها[2] فأرسل الله عز وجل على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً فهبت به في المشرق والمغرب[3].

وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله سئل مما خلق الله عز وجل الكلب؟ قال خلقه من بزاق إبليس قال: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لما أهبط الله عز وجل آدم وحوا إلى الأرض أهبطهما كالفرخين المرتعشين فغدا إبليس الملعون إلى السباع وكانوا قبل آدم في الأرض فقال لهم: إن طيرين قد وقعا من السماء لم ير الراؤون أعظم منهما تعالوا فكلوهما فتعاوت السباع معه وجعل إبليس يحثهم ويصيح بهم ويعدهم بقرب المسافة فوقع من فيه من عجلة كلامه

---

(١) علل الشرائع ج ٢، ص ١٣٦ باب ١٦٤ وللحديث صدر.
(٢) العقص: أن تلوي الخصلة من الشعر ثم تعقدها.
(٣) علل الشرائع ج ٢، ص ٢٠٤ باب ٢٤١.

بزاق فخلق الله عز وجل من ذلك البزاق كلبين أحدهما ذكر والآخر أنثى فقاما حول آدم وحوا، الكلبة بجدة والكلب بالهند فلم يتركوا السباع أن يقربوهم ومن ذلك اليوم صار الكلب عدو السبع والسبع عدو الكلب(١).

(وفيه) عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال إن الله عز وجل أوحى إلى جبرائيل عليه السلام إني قد رحمت آدم وحوا فاهبط عليهما بخيمة من خيم الجنة فاضرب الخيمة مكان البيت وقواعدها التي رفعها الملائكة قبل آدم فهبط بالخيمة على مقدار أركان البيت فنصبها وأنزل آدم من الصفا وحوا من المروة وجمع بينهما في الخيمة وكان عمود الخيمة قضيباً من ياقوت أحمر فأضاء نوره جبال مكة فامتد ضوء العمود وهو موضع الحرم اليوم فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنهما من الجنة ومدت أطناب الخيمة حولها فمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام وأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل أن اهبط إلى الخيمة بسبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الشياطين ويؤنسون آدم ويطوفون حول الخيمة فكانوا يطوفون حولها ويحرسونها ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبرائيل عليه السلام بعد ذلك أن اهبط إلى آدم وحوا فنحهما عن موضع القواعد وارفع قواعد بيتي لملائكتي وخلقي من ولد آدم فهبط عليهما وأخرجهما من الخيمة ونحاهما عن البيت ونحى الخيمة عن موضع البيت وقال يا آدم إن السبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله إلى الأرض سألوا الله عز وجل أن يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع الترعة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أن أنحيك وأرفع الخيمة فرفع قواعد البيت بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو ظهر الكعبة فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل عليه السلام أن ابنه وأتمه فاقتلع جبرائيل عليه السلام الأحجار الأربعة من مواضعها بجناحه فوضعها حيث أمره الله تعالى في أركان البيت على قواعده ونصب أعلامها. ثم أوحى إلى جبرائيل أن ابنه وأتمه من حجارة أبي قبيس(٢) واجعل له بابين باباً شرقاً وباباً غرباً فأتمه جبرائيل عليه السلام فلما فرغ طافت الملائكة حوله فلما نظر آدم وحوا إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان(٣).

(وفيه) عن أبي عبدالله عليه السلام: قال إن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة اشتهى من ثمارها فأنزل الله تبارك وتعالى عليه قضيبين من عنب فغرسهما فلما أورقا وأثمرا وبلغا جاء إبليس فحاط عليهما حائطاً فقال آدم: ما لك يا ملعون؟ فقال إبليس: إنهما لي، فقال: كذبت فرضيا بينهما بروح القدس فلما انتهيا إليه قص آدم عليه السلام قصته فأخذ روح القدس شيئاً من نار فرمى بها

---

(١) علل الشرائع ج ٢، ص ٢١٠ باب ٢٥٠.
(٢) أبو قبيس: بلفظ التصغير كأنه تصغير قبس النار: وهو اسم الجبل المشرف على مكة.
(٣) علل الشرائع ج ٢، ص ١٢٦ باب ١٥٩.

عليهما فالتهبت في أغصانها حتى ظن آدم أنه لم يبق منهما شيء إلا احترق وظن إبليس مثل ذلك، قال فدخلت النار حيث دخلت وقد ذهب منهما ثلثاهما وبقي الثلث فقال الروح: أما ما ذهب منهما فحظ إبليس وما بقي فلك يا آدم(١).

(العياشي) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم ويوسف وداود، فقلت: ما بلغ بكاؤهم فقال: أما آدم عليه السلام فبكى حين أُخرج من الجنة وكان رأسه في باب من أبواب السماء فبكى حتى تأذى به أهل السماء فشكوا ذلك إلى الله فحط من قامته، فأما داود فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه وكان ليزفر فيحرق ما ينبت من دموعه. وأما يوسف فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذى أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً(٢).

(علل الشرائع) وعيون الأخبار: عن صفوان بن يحيى قال: سئل أبو الحسن عليه السلام عن الحرم وأعلامه فقال: إن آدم عليه السلام لما أُهبط منَ الجنة هبط على أبي قبيس والناس يقولون بالهند فشكى إلى ربه عز وجل الوحشة وأنه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة فأهبط الله عز وجل عليه ياقوتة حمراء فوضعت في موضع البيت فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان يبلغ ضوؤها الأعلام فعلمت الأعلام على ضوئها فجعله الله عز وجل حرماً(٣).

أقول: فيه دلالة على ما قدمنا سابقاً من الأخبار الواردة بنزوله عليه السلام بالهند محمول على التقية. وأما الجمع بين هذين الخبرين من نزول الياقوتة وما تقدم من نزول الخيمة فقد ورد في بعض الروايات أن تلك الخيمة كانت ياقوتة. وقيل في الجمع بنزولهما متعاقبين أو متقاربين.

(الكافي) بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم طفق يخصف عليه من ورق الجنة وطار عنه لباسه الذي كان عليه من حلل الجنة فالتقط ورقة فستر بها عورته فلما هبط عبقت أي لصقت رائحة تلك الورقة بالهند بالنبت فصار في الأرض من سبب تلك الورقة التي عبقت بها رائحة الجنة فمن هناك الطيب بالهند لأن الورقة هبت عليه ريح الجنوب فأدت رائحتها إلى المغرب لأنها احتملت رائحة الورقة في الجو فلما ركدت الريح بالهند عبق بأشجارهم ونبتهم فكان أول بهيمة ارتعت من تلك الورقة ظبي المسك فمن هناك صار المسك في صرة الظبي لأنه جرى رائحة النبت في جسده وفي دمه حتى اجتمعت في سرة الظبي(٤).

---

(١) علل الشرائع ج ٢، ص ١٨٨ باب ٢٢٦ برقم ١.
(٢) تفسير العياشي ج ٢، ص ١٧٧ في تفسيره لسورة يوسف برقم ٢٨.
(٣) علل الشرائع ج ٢، ص ١٢٧ باب ١٥٩ برقم ٤.
(٤) بحار الأنوار ج ١١، ص ٢١٤.

وفيه عنه عليه السلام: قال إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع وطرح إليه غرساً من غروس الجنة فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمان وغرسها لتكون لعقبه وذريته فأكل هو من ثمارها فقال إبليس لعنه الله: يا آدم ما هذا الغرس الذي لم أكن أعرفه في الأرض وقد كنت بها قبلك ائذن لي آكل منها شيئاً فأبى أن يطعمه فجاء إلى حوا فقال لحوا إنه قد أجهدني الجوع والعطش فقالت له حوا: إن آدم عهد إليّ أن لا أطعمك من هذا الغرس لأنه من الجنة ولا ينبغي لك أن تأكل منه فقال لها: فاعصري في كفي منه شيئاً فأبت عليه فقال ذريني أمصه[1] ولا آكله فأخذت عنقوداً من العنب فأعطته فمصه ولم يأكل منه شيئاً لما كانت حوا قد أكدت عليه فلما ذهب بعضه جذبته حوا من فيه فأوحى الله عز وجل إلى آدم عليه السلام إن العنب قد مصه عدوي وعدوك إبليس وقد حرمت عليك من عصيره الخمر ما خالطه نفس إبليس فحرمت الخمر لأن عدو الله إبليس مكر بحوا حتى مص من العنبة ولو أكلها لحرمت الكرمة من أولها إلى آخرها وجميع ثمارها وما يخرج منها ثم إنه قال لحوا: فلو أمصصتيني من هذا التمر كما أمصصتيني من العنب فأعطته تمرة فمصها وكانت العنبة والتمر أشد رائحة وأذكى من المسك الأذفر وأحلى من العسل فلما مصها عدو الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما ثم إن إبليس الملعون ذهب بعد وفاة آدم فبال في أصل الكرمة والنخلة فجرى الماء في عروقهما ببول عدو الله فمن ثم يختمر التمر والعنب أي يتغير ريحهما ويصير منتناً فحرم الله عز وجل على ذرية آدم كل مسكر لأن الماء جرى ببول عدو الله في النخل والعنب وصار كل مختمر خمراً لأن الماء اختمر في النخلة والكرمة من رائحة بول عدو الله إبليس لعنه الله[2].

وعنه عليه السلام قال: العجوة أم التمر وهي التي أنزلها الله تعالى لآدم من الجنة[3].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كانت نخلة مريم العجوة[4] نزلت في كانون ونزل من آدم عليه السلام العتيق والعجوة ومنها تفرق أنواع النخيل[5].

---

(١) مص: ارتشف.

(٢) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٩٣ باب أصل تحريم الخمر برقم ٢.

(٣) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٤٧ كتاب الأطعمة باب التمر برقم ١٠.

(٤) العجوة: التمر المحشي في وعائه.

(٥) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٤٧ كتاب الأطعمة باب التمر برقم ١٢.

الفصل الرابع
في تزويج آدم وحوا وكيفية ابتداء النسل وقصة قابيل وهابيل وبقية أحوال آدم عليه السلام

(علل الشرائع) بإسناده إلى زرارة قال سئل أبو عبدالله عليه السلام إن عندنا أناساً يقولون إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه وأن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات؟ قال أبو عبدالله عليه السلام : سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً يقول من يقول هذا إن الله عز وجل جعل صفوة خلقه وأنبيائه من حرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال والله لقد نبأت أن بعض البهائم تنكرت له أخته فلما نزا[1] عليها ونزل كشف له عنها وعلم أنها أخته أخرج غرموله (أي ذكره) ثم قبض عليه بأسنانه ثم قلعه ثم خر ميتاً. قال زرارة ثم سئل عليه السلام عن خلق حوا. وقيل أناس عندنا يقولون: إن الله عز وجل خلق حوا من ضلع آدم الأيسر الأقصى قال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً أيقول من يقول هذا إن الله تعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجته من غير ضلعه وجعل المتكلم من أهل التشنيع سبيلًا إلى الكلام يقول: إن آدم ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم ثم قال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له وألقي عليه النوم ثم ابتدع له خلقاً ثم جعلها في موضع النقرة الذي[2] بين وركيه وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل فأقبلت تتحرك فانتبه لتحركها فنوديت أن تنحي عنه فلما نظر إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى فكلمها فكلمته بلغته فقال لها: من أنت؟ قالت: خلق خلقني الله كما ترى فقال آدم: يا رب من هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه فقال الله: هذه أمتي حوا أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحدثك وتأتمر لأمرك؟ قال: نعم يا رب ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت فقال الله: فاخطبها إليّ فإنها أمتي وقد تصلح أيضاً للشهوة وألقى الله عليه الشهوة وقد علّمه قبل ذلك المعرفة فقال: يا رب فإني أخطبها إليك فبما رضاك لذلك؟ قال: رضائي أن تعلمها معالم ديني فقال: لك ذلك عليّ يا رب إن شئت ذلك، قال عز وجل: قد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها إليك، فقال: أقبلي، فقالت: بل أنت فأقبل فأمر الله عز وجل آدم أن يقوم إليها فقام ولولا ذلك لكان النساء هن يذهبن إلى الرجال حتى يخطبن على أنفسهن فهذه قصة حوا صلوات الله عليها[3].

---

(١) أي وقع عليها ووطئها.

(٢) في الأصل (التي).

(٣) علل الشرائع ج ١، ص ٢٩ باب ١٧.

أقول: المشهور بين العامة أن حوا خلقت من ضلع آدم الأيسر. وفي بعض الأخبار ما يدل عليه وهذا الحديث وما بمعناه ينفي ذلك القول، وحينئذٍ فتلك الأخبار إما محمولة على التقية أو على أنها خلقت من فضلة الطينة كما قاله الصدوق.

(قال الرازي) في تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(١) المراد من هذا الزوج هو حوا. وفي كون حوا مخلوقة من آدم قولان:

(**الأول**) وهو الذي عليه الأكثر أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم ثم خلق حوا من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما استيقظ رآها ومال إليها لأنها مخلوقة من جزء من أجزائه واحتجوا عليه بقول النبي ﷺ إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها.

(**القول الثاني**) وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني في أن المراد من قوله ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جنسها وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾(٢) وكقوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٣). قال القاضي: والقول الأول أقوى لكي يصح قوله ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، إذ لو كانت حوا مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة ويمكن أن يجاب عنه بأن كلمة (من) لابتداء الغاية فلما كان ابتداء التخليق والإيجاد وقع بآدم عليه السلام صح أن يقال خلقكم من نفس واحدة، وأيضاً فلما ثبت أنه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادراً على خلق حوا من التراب فإذا كان الأمر كذلك فأي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام انتهى(٤) (وقال) بعض أهل الحديث: يمكن أن يقال إن المراد بالخلق من نفس واحدة الخلق من أب واحد كما يقال بنو تميم نشأوا من تميم ولا تنافيه شركة الأم على أنه يجوز أن يكون من قوله (منها) للتعليل أي لأجلها(٥).

(وفيه أيضاً) عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه ما يقول العامة من تزويج الإخوة بالأخوات إلى أن قال: ويح هؤلاء أين هم عما لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق إن الله عز وجل أمر القلم فجرى القلم على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام وإن كتب الله كلها مما جرى فيه القلم في كلها تحريم الأخوات على الإخوة مع ما حرم ونحن نقرأ الكتب المنزلة الأربعة المشهورة في هذا العالم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان أنزلها الله عز وجل من اللوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم ليس فيها تحليل شيء من ذلك، ما أراد من يقول هذا وشبهه إلا تقوية حجج المجوس ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل من آدم وذريته فقال: إن لآدم صلوات الله عليه ولد

---

(١) سورة النساء؛ الآية الأولى.
(٢) سورة النحل؛ الآية: ٧٢.
(٣) سورة آل عمران؛ الآية: ١٦٤.
(٤) تفسير الرازي ج ٩ ص ١٦١.
(٥) المجلسي رحمه الله في البحار ج ١١، ص ٢٢٣.

له سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية إلى أن قتل هابيل فجزع آدم عليه جزعاً قطعه عن إتيان النساء خمسمائة عام ثم تخلى ما به من الجزع عليه فغشي حوا فوهب الله له شيثاً وليس معه ثان فلما أدرك وأراد الله أن يبلغ بالنسل ما ترون وأن يكون ما جرى به القلم من تحريم ما حرم الله عز وجل من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها (نزلة) فأمر الله عز وجل أن يزوجها من شيث فزوجها منه ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها (منزلة) فأمر الله عز وجل آدم أن يزوجها من يافث فزوجها منه فولد لشيث غلام وولد ليافث جارية. فأمر الله عز وجل آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث ففعل ذلك فولد الصفوة من النبيين والمرسلين ومعاذ الله أن ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات[١].

(وعنه) عليه السلام قال: أوصى آدم إلى شيث وهو هبة الله ابن آدم وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثاً[٢].

في كتاب (الخرائج) عن الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلًا من قريش، قال: لما تاب الله على آدم واقع حوا ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلا في الأرض وذلك بعدما تاب الله عليه، وكان آدم يعظم الحرم وإذا أراد أن يغشى حوا خرج من الحرم وأخرجها معه وغشيها في الحل ثم يغتسلان ثم يرجع إلى فناء البيت، فولد لآدم من حوا عشرون ولداً ذكراً وعشرون أنثى فولد له في كل بطن ذكر وأنثى فأول بطن ولدت حوا هابيل ومعه جارية يقال لها إقليما، وولدت في البطن الثاني قابيل ومعه جارية يقال لها (لوذا)[٣] وكانت لوذا أجمل بنات آدم فلما أدركوا خاف عليها آدم الفتنة فقال: أريد أن أُنكحك يا هابيل لوذا. وأنكحك يا قابيل إقليما قال قابيل: ما أرضى بهذا أتنكحني أخت هابيل القبيحة وتنكح قابيل أختي الجميلة قال آدم عليه السلام: فأنا أقرع بينكما فإن خرج سهمك يا قابيل على إقليما زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليها فرضيا بذلك فاقترعا فخرج سهم هابيل على لوذا أخت قابيل وخرج سهم قابيل على إقليما أخت هابيل فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك، فقال له القرشي فأولداهما؟ قال: نعم، قال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم. فقال علي بن الحسين عليه السلام: لا تنكر هذا، أليس الله خلق زوجة آدم منه ثم أحلها فكان ذلك شريعة من شرائعهم. ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك[٤].

أقول: هذا الحديث وما روي بمعناه محمول على التقية لأنه المذهب المشهور بينهم.

---

(١) علل الشرائع ج ١، ص ٣٠-٣١ باب ١٧ برقم ٢.

(٢) أمالي الصدوق ص ٣٢٨ المجلس ٦٣ برقم ٣.

(٣) قال الطبرسي في الاحتجاج أن اسمها: لوزا.

(٤) الاحتجاج للطبرسي ص ٣١٤. في احتجاجات الإمام السجاد عليه السلام.

(وعن أبي عبدالله) عليه السلام قال: لما أهبط الله آدم وحوا إلى الأرض وجمع بينهما ولدت له بنتاً فسماها عتاقاً[١] فكانت أول من بغى على وجه الأرض، فسلط الله عليها ذئباً كالفيل ونسراً كالحمار فقتلاها، ثم ولد له إثر عتاق قابيل فلما أدرك أظهر الله عز وجل جنية من ولد الجان يقال لها جهانة في صورة إنسية فلما رآها قابيل أحبها فأوحى الله إلى آدم أن يزوج جهانة من قابيل، ثم ولد لآدم هابيل فلما أدرك أهبط الله إلى آدم حوراء واسمها نزلة الحوراء فلما رآها هابيل أحبها فأوحى الله إلى آدم أن يزوجها من هابيل ففعل ذلك، فكانت نزلة الحوراء زوجة لهابيل بن آدم، ثم أوحى الله إلى آدم أن يضع ميراث النبوة والعلم ويدفعه إلى هابيل ففعل ذلك، فلما علم قابيل غضب وقال لأبيه: ألست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به؟ فقال: يا بني إن الأمر بيد الله وإن الله خصه بما فعلت فإن لم تصدقني فقربا قرباناً فأيكما قبل قربانه فهو أولى بالفضل وكان القربان في ذلك الوقت تنزل النار فتأكله وكان قابيل صاحب زرع فقرب قمحاً ردياً وكان هابيل صاحب غنم فقرب كبشاً سميناً فأكلت النار قربان هابيل فأتاه إبليس فقال: يا قابيل لو ولد لكما ولد وكثر نسلكما افتخر نسله على نسلك بما خصه به أبوك ولقبول النار قربانه وتركها قربانك وإنك إن قتلته لم يجد أبوك بداً من أن يخصك بما دفعه إليه فوثب قابيل إلى هابيل فقتله.

ثم قال إبليس: إن النار التي قبلت القربان هي المعظمة فعظمها واتخذ لها بيتاً واجعل لها أهلاً وأحسن عبادتها والقيام عليها يقبل قربانك إذا أردت ذلك ففعل قابيل ذلك فكان أول من عبد النار واتخذ بيوت النيران، وإن آدم أتى الموضع الذي قتل فيه قابيل أخاه فبكى هناك أربعين صباحاً يلعن تلك الأرض حيث قبلت دم ابنه وهو الذي فيه قبلة المسجد الجامع بالبصرة وإن هابيل يوم قتل كانت امرأته نزلة الحوراء حبلى فولدت غلاماً فسماه آدم باسم ابنه هابيل وإن الله عز وجل وهب لآدم بعد هابيل ابناً فسماه شيث، ثم قال: إن هذا هبة الله فلما أدرك أهبط الله على آدم حوراء يقال لها ناعمة في صورة إنسية فلما رآها شيث أحبها فأوحى الله إلى آدم أن زوج ناعمة من شيث ففعل ذلك آدم فولدت له جارية فسماها آدم حورية فلما أدركت أوحى الله إلى آدم أن زوج حورية من هابيل ففعل ذلك آدم فهذا الخلق الذي ترى من هذا النسل، فلما انقضت نبوة آدم أمره الله تعالى أن يدفع العلم وآثار النبوة إلى شيث وأمره بالكتمان والتقية من أخيه لئلا يقتله كما قتل هابيل... الحديث[٢].

(وروى) علي بن إبراهيم عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه لما سولت له نفسه قتل أخيه لم يدر كيف يقتله حتى جاء إبليس فعلمه فقال ضع رأسه بين حجرين ثم اشدخه فلما قتله لم يدر ما يصنع به فجاء غرابان فأقبلا يتقاتلان حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر الذي بقي على الأرض بمخالبه ودفن صاحبه، قال قابيل: يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فحفر له حفيرة ودفنه فيها فرجع قابيل إلى أبيه ولم يكن معه هابيل قال آدم: أين تركت

---

(١) بحار الأنوار ج ١١، ص ٢٢٦. (٢) في المصدر: عناق.

ابني؟ فقال قابيل: أرسلتني عليه راعياً؟ فقال: انطلق معي إلى مكان القربان وأحس قلب آدم بالذي فعل قابيل فلما بلغ مكان القربان استبان قتله، فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هابيل، ولذلك لا تشرب الأرض الدم فانصرف وبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة[(١)].

وعنه عليه السلام: إن قابيل يعذب بعين الشمس، يستقبلون بوجهه الشمس حتى تطلع ويديرونه معها حتى تغيب ثم يصبون عليه في البرد الماء البارد، وفي الحر الماء الحار (عيون أخبار الرضا) عليه السلام: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ فقال عليه السلام: قابيل يفر من أخيه هابيل: وسئل عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطير منه فقال عليه السلام: هو آخر أربعاء وهو المحاق[(٢)] وفيه قتل قابيل أخاه هابيل[(٣)].

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام: أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة أنفر أولهم ابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، واثنان في بني إسرائيل هودا قومهم ونصراهم، وفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، واثنان من هذه الأمة[(٤)] يعني الأول والثاني.

(سأل الشامي) أمير المؤمنين عليه السلام عن أول من قال الشعر فقال آدم لما أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها، وقتل قابيل هابيل فقال آدم عليه السلام:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

فأجابه إبليس (لعنه الله):

تنح عن البلاد وساكنيها ... فبيء بالخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في قرار ... وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري ... إلى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحت ... بكفك من جنان الخلد ريح

أقول: وربما زاد فيه بعضهم إلا أن الاعتماد على هذا الورود في كتاب (علل الشرائع) و (عيون الأخبار)[(٥)] وغيرهما. (وعن أبي عبدالله) عليه السلام قال: كانت الوحوش والطير والسباع وكل شيء خلق الله عز وجل مختلطاً ببعض فلما قتل ابن آدم أخاه نفرت وفزعت فذهب كل

---

(١) تفسير القمي ج ١، ص ١٦٥ في تفسيره لسورة المائدة الآية: ٣٠.
(٢) المِحاق والمُحاق: آخر الشهر إذا امحق الهلال فلم يُر.
(٣) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢٢٢ و ٢٢٣ باب ٢٤.
(٤) الخصال، ص ٣٤٦ باب السبعة برقم ١٥.
(٥) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢١٩ باب ٢٤ وعلل الشرائع ج ٢، ص ٣١٩ باب ٣٨٥ برقم ٤٤.

شيء إلى شكله[١] (وعنه) عليه السلام: إن الله عز وجل أنزل حوراء من الجنة إلى آدم فزوجها أحد ابنيه وتزوج الآخر إلى الجن فولدتا جميعاً فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان، وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته[٢].

أقول: قيل في وجه الجمع بينه وبين ما سبق إما بالتجوز في الخبر السابق بأن يكون المراد بالحوراء الشبيهة بها في الجمال أو في هذا الخبر بأن يكون المراد بكونها من الجن كونها شبيهة بهم في الخلق، ويمكن القول بالجمع بينهما في أحد ابنيه، وفي الأخبار ما يؤيده، وعنه عليه السلام: إن الله عز وجل حين أهبط آدم وزوجته وهبط إبليس ولا زوجة له وهبطت الحية ولا زوج لها فكان أول من يلوط بنفسه إبليس فكانت ذريته من نفسه وكذلك الحية وكانت ذرية آدم من زوجته فأخبرهما أنهما عدوان لهما[٣].

أقول: قد مر سابقاً عن ذرية إبليس أنه يبيض ويفرخ فيحمل هذا إما على أن يكون هذا اللواط ليتولد منه البيض والفرخ وإما على أن ذريته تحصل من النوعين.

(وعن أمير المؤمنين) عليه السلام: إن أول من بغى على الله عز وجل على وجه الأرض عناق بنت آدم عليه السلام خلق الله لها عشرين إصبعاً وفي (كل) إصبع منها ظفران طويلان كالنخلين العظيمين وكان مجلسها في الأرض موضع جريب، فلما بغت بعث الله لها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار وكان ذلك في الخلق الأول فسلطهم الله عليها فقتلوها[٤].

(معاني الأخبار) عنه عليه السلام قال: أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فأما الأمانة فهي التي أخذ الله عز وجل على آدم حين زوجه حوا. وأما الكلمات فهي الكلمات التي أشرط بها على آدم أن يعبده ولا يشرك به شيئاً، ولا يزني ولا يتخذ من دونه أولياء[٥].

(القصص للراوندي) إن عوج بن عناق كان جباراً عدواً لله وللإسلام وله بسط في الجسم والخلق وكان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ثم يرفعه إلى السماء فيشويه في حر الشمس فيأكله وكان عمره ثلاثة آلاف وستمائة سنة، وروي أنه لما أراد نوح عليه السلام أن يركب السفينة جاء إليه عوج، فقال له: احملني معك، فقال: إني لم أؤمر بذلك فبلغ الماء إليه وما جاوز ركبتيه وبقي إلى أيام موسى عليه السلام، فقتله موسى صلوات الله عليه[٦].

(العياشي) عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن آدم لما ولد له أربعة ذكور فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين فزوج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا، ثم إن الله

---

(١) علل الشرائع ج ١، ص ١٤ باب ٥.
(٢) علل الشرائع ج ١، ص ١٢٧ باب ٩٢.
(٣) علل الشرائع ج ٢، ص ٢٦٧ باب ٣٤٠ برقم ٢.
(٤) بحار الأنوار ج ١١، ص ٢٣٧-٢٣٨.
(٥) نفس المصدر.
(٦) قصص الأنبياء ص ٧٢ برقم ٥٦و ٥٧.

رفعهن وزوج هؤلاء الأربعة أربعة من الجن فصار النسل فيهم فما كان من حلم فمن آدم وما كان من جمال فمن قبل الحور العين وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجن[(١)].

(وعن) أبي جعفر عليه السلام أن قابيل ابن آدم معلق بقرونه في عين الشمس تدور به حيث دارت في زمهريرها وحميمها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة صيره الله إلى النار[(٢)].

(الكافي) مسنداً إلى أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن أول كتاب كتب في الأرض فقال: إن الله عز وجل عرض على آدم وذريته عرض العين في صورة الذر نبياً فنبياً، وملكاً فملكاً، ومؤمناً فمؤمناً، وكافراً فكافراً، فلما انتهى إلى داود عليه السلام قال: من هذا الذي نبأته وكرمته وقصرت عمره، فأوحى الله عز وجل إليه هذا ابنك داود عمره أربعون سنة وإني قد كتبت الآجال وقسمت الأرزاق وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندي أم الكتاب فإن جعلت له شيئاً من عمرك ألحقته له قال: يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة فقال الله عز وجل لجبرائيل وميكائيل وملك الموت اكتبوا عليه كتاباً فإنه سينسى فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة عليين فلما حضرت آدم الوفاة أتاه ملك الموت فقال آدم يا ملك الموت ما جاء بك؟ فقال جئت لأقبض روحك قال قد بقي من عمري ستون سنة، فقال إنك جعلتها لابنك داود ونزل عليه جبرائيل وأخرج له الكتاب فقال أبو عبدالله عليه السلام: «فمن أجل ذلك إذا خرج الصك[(٣)] على المديون ذل المديون» فقبض روحه[(٤)].

(وفيه) عن الباقر عليه السلام قال: إن ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وإن آدم لفي حرم الله عز وجل[(٥)].

(وفيه) عن أبي عبدالله عليه السلام: لما مات آدم عليه السلام وشمت به إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم فما كان في الأرض من هذا الضرب الذي يتلذذ به الناس فإنما هو ابن ذاك[(٦)]. (كتاب التهذيب) سمعت مرسلًا من الشيوخ ومذاكرة ولم يحضرني الآن إسناده، إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله من جنة المأوى إلى الأرض استوحش فسأل الله تعالى أن يؤنسه بشيء من أشجار الجنة فأنزل الله تعالى إليه النخلة فكان يأنس بها في حياته فلما حضرته الوفاة قال لولده: إني كنت آنس بها في حياتي وأرجو الأنس بها بعد وفاتي

---

(١) تفسير العياشي ج ١، ص ٢١٥ في تفسيره لسورة النساء برقم ٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١١ في تفسيره لسورة المائدة برقم ٨٠.

(٣) الصك: كتاب الإقرار أو الذي يُكتب للعُهدة.

(٤) فروع الكافي ج ٧، ص ٣٧٨ كتاب الشهادات الباب الأول.

(٥) بحار الأنوار ج ١١، ص ٢٦٠.

(٦) فروع الكافي ج ٦، ص ٤٣١ باب الغناء برقم ٣.

فإذا مت فخذوا منها جريداً وشقوه بنصفين وضعوهما معي في أكفاني، ففعل ولده ذلك وفعلته الأنبياء بعده ثم اندرس ذلك في الجاهلية فأحياه النبي ﷺ وفعله فصارت سنة متبعة(١).

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف أسبوعاً ثم نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها وتفرق الجمع الذي كان مع نوح عليه السلام في السفينة فأخذ التابوت فدفنه في الغري(٢). (وعنه) عليه السلام قال: قال النبي ﷺ عاش آدم أبو البشر تسعمائة وثلاثين سنة(٣).

وفي قول أن عمره ألف سنة. (وذكر) السيد ابن طاوس في (سعد السعود) من صحف إدريس عليه السلام مرض عليه السلام عشرة أيام بالحمى ووفاته يوم الجمعة لأحد عشر يوماً خلت من المحرم ودفنه في غار جبل أبي قبيس ووجهه إلى الكعبة وأن عمره عليه السلام من وقت نفخ الروح إلى وفاته ألف سنة وثلاثين وأن حوا ما بقيت بعده إلا سنة ثم مرضت خمسة عشر يوماً ثم توفيت ودفنت إلى جنب آدم عليه السلام (٤) وهذا حاصل قصص آدم وحوا عليهما أفضل الصلوات.

---

(١) كتاب التهذيب ج ١، الباب الثالث عشر رقم ١٢٠ ص ٣٢٦.

(٢) بحار الأنوار ج ١١، ص ٢٦٨.

(٣) قال المسعودي في مروج الذهب ج ١، ص ٣٨: توفي يوم الجمعة لست خلون من نيسان في الساعة التي كان خلقه، وكان عمره عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة.

(٤) سعد السعود ص ٣٧. وأضاف السيد رضوان الله عليه: وجدت في السفر الثالث من التوراة أن حياة آدم كانت تسعمائة وثلاثين سنة.

الباب الثاني

في قصص إدريس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[١] قال أمين الإسلام الطبرسي طاب ثراه: الكتاب القرآن وإدريس هو جد أب نوح عليه السلام واسمه في التوراة اخنوخ وسمي إدريس لكثرة درسه الكتب (يعني كتب الله وحكمه) وهو أول من خط بالقلم، وكان خياطاً وأول من خاط الثياب وقيل إن الله سبحانه علمه علم النجوم والحساب وعلم الهيئة وكان ذلك معجزة له. وقوله مكاناً علياً، أي عالياً رفيع الشأن برسالات الله تعالى، وقيل إنه رفع إلى السماء السادسة. (غن) ابن عباس ومجاهد: رفع إدريس عليه السلام كما رفع عيسى وهو حي لم يمت. (وقال آخرون) إنه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة. (وروي) ذلك عن أبي جعفر عليه السلام وقيل المعنى ورفعنا محله ومرتبته بالرسالة ولم يرد رفعة المكان[٢]. (علل الشرائع) بالإسناد إلى وهب: أن إدريس عليه السلام كان رجلًا ضخم البطن عريض الصدر قريب الخطى إذا مشى، وقد فكر في عظمة الله وجلاله فقال: إن لهذه السموات ولهذه الأرضين ولهذا الخلق العظيم لرباً يدبرها ويصلحها فكيف لي بهذا الرب فأعبده حق عبادته فخلا بطائفة من قومه فجعل يعظهم ويذكرهم ويدعوهم إلى عبادة خالق الأشياء فأجابه ألف من قومه فاختار منهم سبعة ثم قالوا: تعالوا فليدع هؤلاء السبعة وليؤمّن بقيتنا فلعل هذا الرب جل جلاله يدلنا على عبادته فوضعوا أيديهم على الأرض ودعوا طويلًا فلم يتبين لهم شيء ثم رفعوا أيديهم إلى السماء فأوحى الله عز وجل إلى إدريس عليه السلام ونبأه ودله على عبادته ومن آمن معه فلا يزالون يعبدون الله عز وجل لا يشركون به شيئاً حتى رفع الله عز وجل إدريس إلى السماء وانقرض من تابعه على دينه إلا قليلًا، ثم إنهم اختلفوا بعد ذلك وأحدثوا الأحداث وأبدعوا البدع حتى كان زمان نوح عليه السلام[٣].

(وفي كتاب الكافي) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: كان بدء نبوة إدريس عليه السلام أنه كان في زمانه ملك جبار وأنه ركب ذات يوم في بعض نزهه فمر بأرض خضرة نضرة لعبد مؤمن

(١) سورة مريم؛ الآيتان: ٥٦-٥٧.

(٢) مجمع البيان للطبرسي المجلد الثالث ص ٨٠٢.

(٣) علل الشرائع ج ١، ص ٤٠-٤١ باب ١٩.

من الرافضة[١] فأعجبه فسأل وزراءه: لمن هذه الأرض؟ قالوا لعبد من عبيد الملك فلان الرافضي فقال له: أمتعني بأرضك هذه، فقال له عيالي أحوج إليها منك فقال: بعني؟ فأبى فغضب الملك وانصرف إلى أهله وهو مغموم مفكر في أمره وكانت له امرأة من الأزارقة فرأت في وجهه الغضب فأخبرها بخبر الأرض وصاحبها فقالت: إن كنت تكره أن تقتله بغير حجة فأنا أكفيك أمره وأصير أرضه إليك بحجة وكان لها أصحاب من الأزارقة على دينها يرون قتل الرافضة من المؤمنين فبعثت إلى قوم منهم فأتوها فأمرتهم أن يشهدوا على فلان الرافضي عند الملك أنه قد برىء من دين الملك فشهدوا عليه فقتله وأخذ أرضه، فغضب الله للمؤمن عند ذلك فأوحى الله إلى إدريس إذا رأيت عبدي هذا الجبار فقل له أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن حتى أخذت أرضه وأحوجت عياله من بعده أما وعزتي لأنتقمن له منك في الآجل ولأسلبنك ملكك في العاجل ولأُخربن مدينتك ولأطعمن الكلاب لحم امرأتك فقد غرك حلمي عنك فأتاه إدريس برسالة ربه وأداها إليه، فقال له الجبار: اخرج يا إدريس لئلا أقتلك، وقالت له امرأته: لا يهولنك رسالة إله إدريس أنا أرسل إليه من يقتله فتبطل رسالة إلهه، قال: فافعلي، وكان لإدريس عليه السلام أصحاب من الرافضة مؤمنون يأنس بهم فأخبرهم بتبليغ رسالته إلى الجبار فأشفقوا على إدريس وأصحابه وخافوا عليه القتل، وبعثت امرأة الجبار إلى إدريس أربعين رجلًا من الأزارقة ليقتلوه فأتوه فلم يجدوه وقد رآهم أصحاب إدريس فحسبوا أنهم أتوا إدريس ليقتلوه فتفرقوا في طلبه فلقوه فقالوا له: خذ حذرك يا إدريس فإن الجبار قاتلك فاخرج من هذه القرية فتنحى إدريس عن القرية ومعه نفر من أصحابه، فلما كان في السحر ناجى إدريس ربه فقال: يا رب توعدني الجبار بالقتل فأوحى الله إليه أنِ اخرج من قريته وخلني وإياه فوعزتي لأنفذن فيه أمري فقال: يا رب إن لي حاجة قال الله سلها تعطها قال أسألك أن لا تمطر السماء على أهل هذه القرية وما حولها حتى أسألك ذلك قال الله عز وجل: إذن تخرب القرية ويجوع أهلها فقال إدريس عليه السلام وإن خربت وجاعوا قال الله إني أعطيتك ما سألت فأخبر إدريس أصحابه بحبس المطر عنهم فخرجوا من القرية وعدتهم عشرون رجلًا فتفرقوا في القرى وشاع خبر إدريس في القرى بما سأل الله تعالى وتنحى إدريس إلى كهف في الجبل ووكل الله به ملكاً يأتيه بطعامه عند كل مساء وسلب الله عند ذلك ملك الجبار وقتله وخرب مدينته وأطعم الكلاب لحم امرأته غضباً للمؤمن وظهر في المدينة جبار آخر عاص فمكثوا بعد خروج إدريس من القرية عشرين سنة لم تمطر السماء فاشتد حالهم وصاروا يمتارون الأطعمة[٢] من القرى فقالوا: إن الذي نزل بنا ممّا ترون بسؤال إدريس ربه أن لا يمطر السماء علينا حتى يسأله هو وقد خفي إدريس عنا والله أرحم بنا منه فاجتمع أمرهم على أن يتوبوا إلى الله ويسألوه أن تمطر السماء عليهم فقاموا على الرماد

(١) أي من الذين رفضوا الشرك والمعاصي وتركوا مذهب السلطان.

(٢) أي يجمعون الأطعمة.

ولبسوا المسوح وحثوا(١) على رؤوسهم التراب ورجعوا إلى الله عز وجل فأوحى إلى الله إدريس إن أهل قريتك قد تابوا إليَّ وأنا الله الرحمن الرحيم أقبل التوبة وقد رحمتهم ولم يمنعني إجابتهم إلى ما سألوني من المطر إلا مناظرتك فيما سألتني أن لا أمطر السماء عليهم حتى تسألني فسلني يا إدريس، قال إدريس: اللهم إني لا أسألك ذلك قال الله عز وجل: سلني يا إدريس قال: اللهم إني لا أسألك فأوحى الله عز وجل إلى الملك الذي يأتي إدريس بطعامه أن احبس عنه طعامه فلما أمسى إدريس لم يؤت بطعامه فحزن وجاع فلما كان في اليوم الثاني لم يؤت بطعامه فاشتد جوعه فلما كان في الليلة الثانية لم يؤت بطعامه فنادى ربه يا رب حبست عني رزقي من قبل أن تقبض روحي فأوحى الله عز وجل إليه يا إدريس جزعت أن حبست عنك طعامك ثلاثة أيام ولياليها ولم تجزع ولم تنكر جوع أهل قريتك وجهدهم منذ عشرين سنة ثم سألتك عن جهدهم ورحمتي إياهم أن تسألني أن أمطر السماء عليهم فلم تسألني وبخلت عليهم بمسألتك إياي فأذقتك الجوع فقلّ عند ذلك صبرك وظهر جزعك فاهبط من موضعك واطلب المعاش لنفسك فقد وكلتك في طلبه إلى حيلك، فهبط إدريس من موضعه إلى غيره يطلب أكلة من جوع فلما دخل القرية نظر إلى دخان في بعض منازلها فأقبل نحوه فهجم على عجوز وهي ترقق قرصتين لها على مقلاة فقال لها: أيتها المرأة أطعميني فإني مجهود من الجوع، فقالت له: يا عبدالله ما تركت لنا دعوة إدريس فضلًا نطعمه أحداً وحلفت أنها ما تملك شيئاً غيره فاطلب المعاش من غير أهل هذه القرية قال لها: أطعميني ما أمسك به روحي وتحملني به رجلي إلى أن أطلب، قالت: إنهما قرصتان واحدة لي والأُخرى لابني فإن أطعمتك قوتي مت وإن أطعمتك قوت ابني مات، فقال لها: إن ابنك يجزيه نصف قرصة فيحيى بها ويجزيني النصف الآخر فأحيا به فأكلت المرأة قرصها وكسرت الآخر بين إدريس وبين ابنها فلما رأى ابنها إدريس يأكل من قرصته اضطرب حتى مات، قالت أمه يا عبدالله قتلت عليّ ابني جزعاً على قوته، قال إدريس: فأنا أُحييه بإذن الله تبارك وتعالى فلا تجزعي ثم أخذ إدريس بعضدي الصبي ثم قال: أيتها الروح الخارجة من بدن هذا الغلام بإذن الله ارجعي إلى بدنه بإذن الله وأنا إدريس النبي فرجعت روح الغلام إليه بإذن الله، فلما سمعت المرأة كلام إدريس ونظرت إلى ابنها قد عاش بعد الموت، قالت: أشهد أنك إدريس النبي وخرجت تنادي بأعلى صوتها في القرية أبشروا بالفرج فقد دخل إدريس قريتكم. ومضى إدريس حتى جلس على موضع مدينة الجبار الأول وهي على تل فاجتمع إليه أُناس من أهل قريته فقالوا له: يا إدريس أما رحمتنا في هذه العشرين سنة التي أجهدنا فيها ومسنا الجوع والجهد فادع الله لنا أن يمطر السماء علينا، قال لا حتى يأتيني جباركم هذا وجميع أهل قريتكم مشاة حفاة فيسألوني ذلك فبلغ الجبار قوله فبعث إليه أربعين رجلًا ليأتوه بإدريس فأتوه فقالوا له: إن الجبار بعث إليك لتذهب إليه فدعا عليهم فماتوا فبلغ الجبار ذلك فبعث إليه خمسمائة رجل

---

(١) أي صبوا.

ليأتوه به فقالوا له: يا إدريس إن الجبار بعثنا إليك لنذهب بك إليه، فقال لهم إدريس انظروا إلى مصارع أصحابكم، فقالوا: يا إدريس قتلتنا بالجوع منذ عشرين سنة ثم تريد أن تدعو علينا بالموت أما لك رحمة. فقال: ما أنا بذاهب إليه ولا أنا بسائل الله أن يمطر عليكم حتى يأتيني جباركم ماشياً حافياً وأهل قريتكم، فانطلقوا إلى الجبار فأخبروه بقول إدريس وسألوه أن يمضي معهم وجميع أهل قريتهم حفاة مشاة فأتوه حتى وقعوا بين يديه خاضعين له طالبين إليه أن يسأل الله لهم المطر فقال إدريس: أما الآن فنعم فسأل الله تعالى إدريس عند ذلك أن تمطر السماء عليهم وعلى نواحيهم فأظلتهم سحابة من السماء وأرعدت وأبرقت وهطلت عليهم من ساعتهم حتى ظنوا أنه الغرق فما رجعوا إلى منازلهم حتى أهمتهم أنفسهم من الماء[١].

أقول: ينبغي أن يحمل أن أمره تعالى لإدريس بالدعاء لهم بالمطر لم يكن على سبيل الحتم والوجوب بل على الندب وجواز التأخير وغرض إدريس عليه السلام من ذلك التأخير ذلتهم وزجرهم عن الطغيان والفساد ولئلا يخالفوه إذا دخل بيتهم كما خالفوه أولاً، وفيه إشارة إلى أن أولياء الله سبحانه يغضبون لربهم أكثر من غضبه تعالى لسعة حلمه وعظمة رحمته.

(تفسير علي بن إبراهيم) عن ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه فألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر فلما بعث الله إدريس عليه السلام جاء ذلك الملك إليه، فقال يا نبي الله ادع الله أن يرضى عني ويرد عليّ جناحي قال نعم، فدعى إدريس ربه فرد عليه جناحه ورضي عنه. قال الملك لإدريس: ألك حاجة؟ قال: نعم أحب أن ترفعني إلى السماء الرابعة فرفعه إلى السماء الرابعة فإذا ملك الموت جالس يحرك رأسه تعجباً فسلم إدريس على ملك الموت وقال له: ما لك تحرك رأسك؟ قال: إن رب العزة أمرني أن أقبض روحك بين الرابعة والخامسة، فقلت: يا رب كيف يكون هذا وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وكل سماء وما بينهما كذلك فكيف يكون هذا، ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. قال وسمي إدريس لكثرة دراسته الكتب[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أن إدريس عليه السلام رفعه الله مكاناً علياً وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته[٣].

وفي (قصص الأنبياء) للشيخ الراوندي طاب ثراه بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ملكاً من الملائكة كانت له منزلة فأهبطه الله من السماء إلى الأرض فأتى إدريس فقال له: اشفع لي عند ربك، قال: فصلى ثلاث ليال لا يفتر وصام أيامها لا يفطر ثم

(١) كمال الدين للصدوق ص ٧٦-٧٨.
(٢) تفسير القمي ج ٢، ص ٥١ في تفسيره لسورة مريم، الآية: ٥٦.
(٣) الاحتجاج للطبرسي ص ٢١١.

طلب إلى الله في السحر للملك فأذن له في الصعود إلى السماء، فقال له الملك: أحب أن أكافيك فاطلب حاجة فقال: تريني ملك الموت لعلي آنس به فإنه ليس يهنئوني مع ذكره شيء، فبسط جناحه ثم قال اركب فصعد به فطلب ملك الموت في سماء الدنيا فقيل إنه قد صعد فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة فقال لملك الموت: ما لي أراك قاطباً، قال: أتعجب إني كنت تحت ظل العرش حتى أمرت أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة والخامسة فسمع ذلك إدريس فانتفض من جناح الملك وقبض ملك الموت روحه مكانه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾(١). وفي الكتاب أيضاً، بإسناده إلى ابن عباس قال: كان إدريس النبي عليه السلام يسبح النهار ويصومه ويبيت حيث ما جنه الليل ويأتيه رزقه حيث ما أفطر، وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الأرض كلهم فسأل ملك الموت ربه في زيارة إدريس وأن يسلم عليه فأذن له فنزل وأتاه فقال: إني أريد أن أصحبك فأكون معك، فصحبه وكانا يسبحان النهار ويصومانه فإذا جنهما الليل أتى إدريس فطوره فيأكل ويدعو ملك الموت إليه فيقول لا حاجة لي فيه، ثم يقومان يصليان، وإدريس يصلي ويفتر وينام وملك الموت يصلي ولا ينام ولا يفتر فمكثا بذلك أياماً ثم إنهما مرا بقطيع غنم وكرم قد أينع فقال ملك الموت: هل لك أن تأخذ من ذلك حملاً أو من هذا عناقيداً فتفطر عليه؟ فقال سبحان الله أدعوك إلى مالي فتأبى فكيف تدعوني إلى مال الغير، ثم قال إدريس صلوات الله عليه: قد صحبتني وأحسنت فيما بيني وبينك من أنت؟ قال أنا ملك الموت قال إدريس لي إليك حاجة فقال وما هي؟ قال تصعد بي إلى السماء فاستأذن ملك الموت ربه في ذلك فأذن له فحمله على جناحه فصعد به إلى السماء ثم قال له إدريس إن لي إليك حاجة أُخرى قال: وما هي؟ قال: بلغني من الموت شدة فأحب أن تذيقني منه طرفاً فانظر هو كما بلغني، فاستأذن ربه فأذن له فأخذ بنفسه ساعة ثم خلى عنه فقال له كيف رأيت؟ قال: بلغني عنه شدة وأنه لأشد مما بلغني ولي إليك حاجة أُخرى تريني النار فاستأذن ملك الموت صاحب النار ففتح له فلما رآها إدريس عليه السلام سقط مغشياً عليه ثم قال: لي إليك حاجة أُخرى تريني الجنة فاستأذن ملك الموت خازن الجنة فدخلها فلما نظر إليها قال: يا ملك الموت ما كنت لأُخرج منها إن الله تعالى يقول ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾. وقد ذقته، ويقول ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾. وقد وردتها ويقول في الجنة ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾(٢).

أقول: اعتمد مشايخنا من الحديث على الخبرين السابقين لوضوح سندهما وقالوا إن هذه الرواية أشبه بروايات العامة وإن كان الجمع بين هذه الأخبار قريب.

(وفيه) أيضاً عن وهب بن منبه قال: إن إدريس أول من خاط الثياب ولبسها وكان من كان

---

(١) سورة مريم الآيتان: ٥٦و ٥٧.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص ٧٦-٧٨ برقم ٥٩و ٦٠.

قبله يلبسون الجلود وكانت الملائكة في زمان إدريس يصافحون الناس ويسلمون عليهم ويكلمونهم ويجالسونهم وذلك لصلاح الزمان وأهله فلم يزل الناس على ذلك حتى كان زمان نوح وقومه، ثم انقطع ذلك وكان من أمره مع ملك الموت ما كان حتى دخل الجنة فقال له ربه: إن إدريس إنما حاجك فحجك بوحيي وأنا الذي هيأت له دخول الجنة فإنه كان ينصب نفسه وجسده لي فكان حقاً عليّ أن أعوضه من ذلك الراحة والطمأنينة وأن أُبوئه بتواضعه لي وبصالح عمله من الجنة مقعداً ومكاناً علياً[١].

(وفيه) عن الصادق عليه السلام قال: إذا دخلت الكوفة فأت مسجد السهلة فصلّ فيه واسأل الله حاجة لدينك ودنياك فإن مسجد السهلة بيت إدريس عليه السلام الذي كان يخيط فيه ويصلي فيه ومن دعى الله فيه بما أحب قضى له حوائجه ورفعه يوم القيامة مكاناً علياً إلى درجة إدريس وأجير من مكروه الدنيا ومكائد أعدائه[٢].

(وقال المسعودي) إن عمر إدريس عليه السلام في الأرض ثلاثمائة سنة وقيل أكثر من ذلك[٣] وقال ابن الأثير في الكامل قام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك مقام أبيه وكان عمر أنوش سبعمائة سنة وخمس سنين ثم ولد لأنوش ابنه قينان وولد معه نفراً كثيراً وإليه الوصية، وولد قينان مهلائيل وإليه الوصية، وولد لمهلائيل يارد وإليه الوصية، فولد ليارد أخنوخ وهو إدريس النبي، والحكماء اليونانيون يسمونه هرمس الحكيم[٤].

(وقال السيد ابن طاوس) في صحف إدريس عليه السلام: كأنك بالموت قد نزل، فاشتد أنينك وعرق جبينك، وتقلصت شفتاك، وانكسر لسانك، ويبس ريقك، وعلا سواد عينيك بياضاً، وأزبد فوك، واهتز جميع بدنك، وعالجت غصة الموت وسكرته، ومرارته وزعقته، ونوديت فلم تسمع ثم خرجت نفسك، وصرت جيفة بين أهلك، إن فيك لعبرة لغيرك فاعتبر في معاني الموت، إن الذي نزل نازل بك لا محالة، وكل عمر وإن طال فعن قليل يفنى لأن كل ما هو آت قريب لوقت معلوم، فاعتبر بالموت يا من يموت واعلم أيها الإنسان إن الموت أشد مما قبله، والموت أهون مما بعده من شدة أهوال يوم القيامة. ثم ذكر من أحوال الصيحة والفناء ويوم القيامة ومواقف الحساب والجزاء ما يعجز عن سماعه قوة الأقوياء[٥].

---

(١) المصدر السابق ص ٧٩ برقم ٦١.
(٢) قصص الراوندي ص ٨٠ برقم ٦٤.
(٣) مروج الذهب ج ١، ص ٤٠.
(٤) الكامل في التاريخ ج ١، ص ٥٩.
(٥) سعد السعود ص ٣٨.

الباب الثالث

في قصص نوح النبي (ع) وفيه فصلان

الفصل الأول

في مدة عمره ووفاته وعلل تسميته ونقش خاتمه ومكارم أخلاقه

(عيون أخبار الرضا) قال: إن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة أوحى الله عز وجل إليه يا نوح إن خفت الغرق فهللني ألفاً ثم سلني النجاة أنجيك من الغرق ومن آمن معك، فلما استوى نوح ومن معه في السفينة ورفع القلس(١) عصفت الريح عليهم، فلم يأمن نوح الغرق فأعجلته الريح فلم يدرك أن يهلل ألف مرة فقال بالسريانية (هلوليا ألفاً ألفاً يا ماريا اتقن) فاستوى القلس وجرت السفينة، فقال نوح: إن كلاماً نجاني الله به من الغرق لحقيق أن لا يفارقني فنقش خاتمه لا إله إلا الله ألف مرة يا رب أصلحني(٢).

(الأمالي) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: عاش نوح عليه السلام ألفي وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، ومائتا سنة في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء(٣) فمصر الأمصار وأسكن ولده البلدان، ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس قال: السلام عليك فرد عليه نوح السلام، فقال: ما حاجتك يا ملك الموت؟ قال: جئت لأقبض روحك قال له: تدعني أدخل من الشمس إلى الظل فقال له نعم فتحول نوح ثم قال عليه السلام: يا ملك الموت فكأن ما مرّ بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به، قال فقبض روحه عليه السلام(٤).

---

(١) القلس: حبل غليظ من حبال السفن.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢، ص ٦٠ أمالي الصدوق ص ٣٧٠ المجلس ٧٠ برقم ٥.

(٣) نضب الماء: ذهب وغار في الأرض.

(٤) أمالي الصدوق ص ٤١٣ المجلس ٧٧ برقم ٧.

(علل الشرائع) سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم نوح ما كان؟ فقال: اسمه السكن وإنما سمي نوحاً لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً[١].

(وفيه) عن الصادق عليه السلام: كان اسم نوح عبد الغفار وإنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه. وفيه عنه عليه السلام: كان اسم نوح عليه السلام عبد الملك وإنما سمي نوحاً لأنه بكى خمسمائة سنة[٢].

(وعنه) عليه السلام: اسم نوح عبد الأعلى، قال الصدوق رحمه الله تعالى: الأخبار في اسم نوح عليه السلام كلها متفقة غير مختلفة تثبت له التسمية بالعبودية وهو: عبد الغفار والملك والأعلى[٣].

(قصص الأنبياء) عن الصدوق بإسناده إلى وهب قال إن نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى فلا يزدادون إلا طغياناً ومضى ثلاثة قرون من قومه وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيوقفه على رأس نوح عليه السلام فيقول: يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون[٤]. (وفيه) عن علي بن محمد العسكري عليه السلام أنه جاء إبليس إلى نوح فقال: إن لك عندي يداً عظيمة فانتصحني فإني لا أخونك فتألم نوح بكلامه ومسألته، فأوحى الله إليه أن كلمه وسله فإني سأنطقه بحجة عليك فقال نوح صلوات الله عليه: تكلم فقال إبليس: إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جباراً أو عجولاً تلقفناه تلقف الكرة فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سميناه شيطاناً فقال نوح: ما اليد العظيمة التي صنعت قال إنك دعوت الله على أهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنار فصرت فارغاً. ولولا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً[٥].

(إكمال الدين) بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: عاش نوح عليه السلام بعد النزول من السفينة خمسين سنة، ثم أتاه جبرائيل عليه السلام فقال: يا نوح إنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك فانظر الاسم الأكبر وميراث العلم فادفعها إلى ابنك سام فإني لا أترك الأرض إلا وفيها عالم يعرف به طاعتي ويكون نجاة فيما بين قبض النبي وبعث النبي الآخر فدفع عليه السلام آثار علم النبوة إلى ابنه سام، فأما حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به، وبشرهم نوح بهود عليه السلام وظهرت الجبرية في ولد حام ويافث واستخفى ولد سام بما عندهم من العلم وجرت على سام بعد نوح الدولة لحام ويافث[٦]، وعنه عليه السلام: كانت أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة وعاش نوح ألفي سنة وأربعمائة وخمسين سنة[٧].

أقول: اختلفوا في مدة عمره عليه السلام فقيل كان ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة وقيل كان ألفاً وأربعمائة وسبعين سنة، وقيل ألفاً وثلاثمائة سنة، وأكثر أخبارنا المعتبرة تدل على أنه عاش

---

(١) علل الشرائع ٢، ص ٣٢٠ باب ٣٨٥ برقم ٤٤.
(٢) و(٣) علل الشرائع ج ١، ص ٤١ باب ٢٠.
(٤) قصص الراوندي ص ٨٤-٨٥ برقم ٧٦.
(٥) قصص الراوندي ص ٨٥ برقم ٧٧.
(٦) كمال الدين ص ٨٠.
(٧) كمال الدين ص ٢٨٩.

ألفين وخمسمائة سنة وبعضها قابل للتأويل بإسقاط زمن البعثة أو زمان عمل السفينة أو بعدها الطوفان أو زيادتها أو نحو ذلك.

(وقال) شيخنا الطبرسي طاب ثراه: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ معناه أن نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء شكر الله تعالى وقال الحمد لله، وقيل إنه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب: بسم الله وفي انتهائه الحمد لله (وروي) عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام: أن نوحاً كان إذا أصبح وأمسى قال: اللهم إني أشهدك أن ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتى ترضى وبعد الرضا، فهذا كان شكره[١].

أقول: ظاهره أنه كان يقولها مرة واحدة، وفي كثير من الأخبار مثله، ورواه في الفقيه وأنه كان يقولها عشراً.

(علل الشرائع) وعن الدقاق عن الأسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني قال سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول: عاش نوح ألفين وخمسمائة سنة وكان يوماً في السفينة نائماً فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فزجرهما سام ونهاهما عن الضحك وكان كلما غطى سام شيئاً تكشفه الريح كشفه حام ويافث، فانتبه نوح عليه السلام فرآهم وهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرفع نوح يده إلى السماء يدعو ويقول: اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ماء صلب يافث، فغير الله ماء صلبهما فجميع السودان حيث كانوا من حام وجميع الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا وجميع البيض سواهم من سام، وقال نوح عليه السلام لحام ويافث جعل ذريتكما خولاً أي خدماً لذرية سام إلى يوم القيامة لأنه برّ بي وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذريتكما ظاهرة وسمة البر في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا[٢].

أقول: روى الشيخ الطبرسي هذا الخبر من كتاب النبوة بهذا الإسناد ثم قال: قال الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم أروه إلا من هذا الطريق وجميع الأخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وأنه ضحك لما انكشفت عورة أبيه وأن ساماً ويافثاً كانا في ناحية فبلغهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان وألقيا عليه الثوب وهو نائم فلما استيقظ أوحى الله عز وجل إليه ما صنع حام فلعن حام ودعا عليه[٣].

(قصص الأنبياء) للراوندي طاب ثراه بإسناده إلى ابن عباس قال: قال إبليس لعنه الله يا نوح لك عندي يد سأعلمك خصالاً قال نوح وما يدي عندك؟ قال دعوتك على قومك حتى

---

(١) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٦١٢.
(٢) علل الشرائع ج ١، ص ٤٥-٤٦ باب ٢٨.
(٣) مجمع البيان المجلد الثاني ص ٦٧١ في تفسيره لسورة الأعراف (قصة نوح).

أهلكهم الله جميعاً فإياك والكبر وإياك والحرص وإياك والحسد فإن الكبر هو الذي حملني على أن تركت السجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً وإياك والحرص فإن آدم أبيح له الجنة ونهي عن شجرة واحدة فحمله الحرص على أن أكل منها، وإياك والحسد فإن ابن آدم حسد أخاه فقتله فقال نوح صلوات الله عليه: متى تكون أقدر على ابن آدم؟ قال: عند الغضب(١).

(الكافي) في الصحيح عن أبي عبدالله صلوات الله عليه(٢) قال: لما هبط نوح عليه السلام من السفينة غرس غرساً فكان فيما غرس النخلة ثم رجع إلى أهله فجاء إبليس لعنه الله فقلعها ثم إن نوحاً عليه السلام عاد إلى غرسه فوجده على حاله ووجد النخلة قد قلعت ووجد إبليس عندها فأتاه جبرائيل عليه السلام فأخبره أن إبليس لعنه الله قلعها فقال نوح لإبليس ما دعاك إلى قلعها؟ فوالله ما غرست غرساً أحب إليّ منها ووالله لا أدعها حتى أغرسها فقال إبليس وأنا والله لا أدعها حتى أقلعها فقال: اجعل لي منها نصيباً قال: فجعل له منها الثلث فأبى أن يرضى فجعل له النصف فأبى أن يرضى وأبى نوح أن يزيده. فقال جبرائيل لنوح عليه السلام: يا رسول الله أحسن فإن منك الإحسان فعلم نوح أنه قد جعل الله له عليها سلطاناً فجعل نوح له الثلثين قال أبو عبدالله عليه السلام: فإذا أخذت عصيراً فاطبخه حتى يذهب الثلثان من نصيب الشيطان فإذا ذهبا فكل واشرب حينئذٍ(٣).

(وفيه) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن إبليس نازع نوحاً عليه السلام في الكرم فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال إن له حقاً فأعطه فأعطاه الثلث فلم يرض إبليس ثم أعطاه النصف فلم يرض فطرح جبرائيل ناراً فأحرقت الثلثين وبقي الثلث فقال: ما أحرقت النار فهو نصيبه وما بقي فهو لك يا نوح حلال(٤).

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص ٨٦ برقم ٧٨.

(٢) في المصدر: عن أبي جعفر عليه السلام وكذا فيما يأتي.

(٣) و(٤) فروع الكافي ج ٦، ص ٣٩٤ باب أصل تحريم الخمر برقم ٣و ٤.

الفصل الثاني
في بعثته إلى قومه وقصة الطوفان

اعلم أن الله سبحانه كرر قصة نوح عليه السلام في كثير من سور القرآن قال الطبرسي طاب ثراه: وهو نوح بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام وهو أول نبي بعد إدريس. وقيل: إنه كان نجاراً وولد في العام الذي مات فيه آدم عليه السلام وبعث وهو ابن أربعمائة سنة وكان يدعو قومه ليلًا ونهاراً فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وكانوا يثورون إلى نوح عليه السلام فيضربونه حتى تسيل مسامعه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما صنع به فيحمل فيرمى في بيت أو على باب داره مغشياً عليه فأوحى الله تعالى إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فعندها أقبل على الدعاء عليهم فقال ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾(١) فأعقم الله أصلاب الرجال وأرحام النساء فلبثوا أربعين سنة لا يولد لهم وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت أموالهم وأصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾(٢) الآيات، فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرن آلهتكم الآيات حتى أغرقهم الله تعالى وآلهتهم التي كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح عليه السلام من السفينة وعبد الناس الأصنام سموا أصنامهم بأسماء أصنام قوم نوح فاتخذ أهل اليمن يغوث ويعوق وأهل دومة الجندل صنماً سموه وداً واتخذت حمير صنماً سمته نسراً وهذيل صنماً: سموه سواعاً فلم يزل يعبدونها حتى جاء الإسلام(٣).

(وروي) أن الله تعالى لم يرحم قوم نوح عليه السلام في عذابهم.

(وروي) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لما فار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم صبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء عرجت به حتى بلغت ثلثيه فما بلغها الماء حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي(٤). وأما امرأة نوح فقال الله فيها وفي امرأة لوط: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾(٥).

---

(١) سورة نوح؛ الآية: ٢٦.
(٢) سورة نوح؛ الآية: ١٠.
(٣) مجمع البيان المجلد الثاني ص ٦٦٨ و ٦٧٠ في تفسيره لسورة الأعراف.
(٤) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٢٤٢ في تفسيره لسورة هود القصة.
(٥) سورة التحريم؛ الآية: ١٠.

(قال ابن عباس): كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن أحد بنوح أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه وكان ذلك خيانتهما لهما وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها في الدين (قال السدي) كانت خيانتهما أنهما كانتا كافرتين. وقيل: كانتا منافقتين، وقال الضحاك: خيانتهما النميمة إذا أوحى الله إليهما أفشتاه إلى المشركين واسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة وقال مقاتل والغة وواهلة(١).

(وفي) تفسير علي بن إبراهيم: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾: والله ما عنى بقوله فخانتاهما إلا الفاحشة(٢) أقول: ينبغي حمل الفاحشة هنا على معناها اللغوي وهو ما تفاحش قبحه ولا قبح أكبر من الكفر والنفاق.

(وفيه) أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بقي نوح عليه السلام في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه فهم أن يدعو عليهم عند طلوع الشمس فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا وهم العظماء من الملائكة قالوا له: نسألك أن لا تدعو على قومك، قال نوح قد أجلتهم ثلاثمائة سنة فلما أتى عليهم ستمائة سنة ولم يؤمنوا، همّ أن يدعو عليهم فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية فقالوا نسألك أن لا تدعو على قومك فقال نوح قد أجلتهم ثلاثمائة سنة فلما أتى عليهم تسعمائة سنة ولم يؤمنوا، هم أن يدعو عليهم فأنزل الله عزو وجل ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾(٣) فقال نوح عليه السلام ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾(٤) فأمره الله عز وجل أن يغرس النخل فكان قومه يسخرون به ويقولون شيخ يغرس النخل فلما أتى لذلك خمسون سنة وبلغ النخل أمره الله أن ينحت السفينة وأمر جبرائيل عليه السلام أن يعلمه، فقدر طولها في الأرض ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ثمانمائة ذراع وطولها في السماء ثمانون ذراعاً فقال يا رب من يعينني على اتخاذها؟ فأوحى الله إليه: ناد في قومك من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضة فنادى نوح فيهم بذلك فأعانوه عليه وكانوا يسخرون منه ويقولون يتخذ سفينة في البر(٥).

(وعنه) عليه السلام لما أراد عز وجل إهلاك قوم نوح عليه السلام عقم أرحام النساء أربعين عاماً لم يولد فيهم مولود فلما فرغ من اتخاذ السفينة أمره الله تعالى أن ينادي فيهم بالسريانية لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلا حضر فأدخل كل جنس من أجناس الحيوان زوجين في السفينة وكان الذين آمنوا

---

(١) مجمع البيان المجلد الخامس ص ٤٧٩ في تفسيره لسورة التحريم الآية: ١٠.
(٢) تفسير القمي ج ٢، ص ٣٧٧ في تفسيره لسورة التحريم.
(٣) سورة هود؛ الآية: ٣٦.
(٤) سورة نوح؛ الآية: ٢٦.
(٥) تفسير القمي ج ١، ص ٣٢٥-٣٢٦ في تفسيره لسورة هود الآيات.

به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً فقال الله تعالى ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾(١) وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة فلما كان اليوم الذي أراد الله إهلاكهم كانت امرأة نوح تخبز في الموضع الذي يعرف بفار التنور في مسجد الكوفة وقد كان نوح عليه السلام اتخذ لكل ضرب من أجناس الحيوان موضعاً في السفينة وجمع لهم ما يحتاجون إليه من الغذاء وصاحت امرأته لما فار التنور فجاء نوح إلى التنور فوضع طيناً وختمه حتى أدخل جميع الحيوانات في السفينة ثم جاء إلى التنور وفض الخاتم ورفع الطين وانكسفت الشمس ونزل من السماء ماء منهمر ضباب بلا قطر وتفجرت الأرض عيوناً فقال الله عز وجل ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ فدارت السفينة ونظر نوح عليه السلام إلى ابنه يقع ويقوم فقال له ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقال ابنه ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ فقال نوح ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ الله ثم قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ فقال ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾(٢) فدارت السفينة وضربتها الأمواج حتى وافت مكة وطافت في البيت وغرق جميع الدنيا إلا موضع البيت وإنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فبقي الماء ينصب من السماء أربعين صباحاً ومن الأرض العيون حتى ارتفعت السفينة فمست السماء فرفع نوح يده وقال (يا رهمان اتقن) وتفسيرها يا رب أحسن فأمر الله الأرض أن تبلع ماءها فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبوله وقالت: إنما أمرني أن أبلع مائي فبقي ماء السماء على وجه الأرض واستوت السفينة على جبل الجودي وهو بالموصل جبل عظيم فبعث الله جبرائيل عليه السلام فساق الماء إلى البحار حول الدنيا وأنزل الله على نوح: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣) فنزل نوح عليه السلام بالموصل من السفينة مع الثمانين وبنوا مدينة الثمانين، وكانت لنوح بنت ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها وذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: نوح أحد الأبوين، انتهى ملخصاً(٤).

أقول: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. قيل فيه أقوال:

أحدها: أنه كان ابنه لصلبه والمعنى أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لأن الله تعالى قد استثنى من أهله الذين وعده أن ينجيهم ممن أراد إهلاكهم بالغرق فقال (إلا من سبق عليه القول) عن ابن عباس.

وثانيها: أن المراد بقوله ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ليس على دينك فكأن كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت وإنما أراد على ديننا. ويؤيد هذا التأويل أن الله سبحانه قال على طريق التعليل ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فبين أنه إنما أخرج عن أحكام أهله لكفره وشر عمله.

---

(١) سورة هود؛ الآية: ٤٠.
(٢) الآيات من سورة هود ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦.
(٣) سورة هود؛ الآية: ٤٨.
(٤) تفسير القمي ج ١، ص ٣٢٧-٣٢٨.

وثالثها: أنه لم يكن ابنه حقيقة وإنما ولد على فراشه فقال عليه السلام أنه ابنه على ظاهر الأمر فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته، عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث أن فيه منافاة للقرآن لأنه تعالى قال ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ ولأن الأنبياء يجب أن ينزهوا عن مثل هذا الحال لأنها تعيير وتشيين وقد نزه الله أنبياءه عما دون ذلك.

ورابعها: أنه كان ابن امرأته وكان ربيبه. ويعضده قراءة من قرأ بفتح الهاء وحذف الألف وإثباته لفظاً والمعتمد المعول عليه في تأويل الآية القولان الأولان(١).

(وعن) أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس فجاء إبليس فاتخذ لهم صورهم ليأنسوا بها فأنسوا بها فلما جاء الشتاء أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجاءهم إبليس فقال لهم: إن هؤلاء آلهة كان آباؤكم يعبدونها فعبدوهم وضل منهم كثير فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله(٢).

وفي (مناقب ابن شهرآشوب) عن الأزدي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُ﴾ أي ابنها وهي لغة طي.

أقول: هذه القراءة بفتح الهاء وحذف الألف وهي لغة طي ونسبها القراء والمفسرون إلى أهل البيت عليهم السلام يعني ابن امرأته.

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام قال: إن نوحاً لما كان أيام الطوفان دعا مياه الأرض فأجابته إلا المر والكبريت(٣) (وعنه) عليه السلام لما هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس فقال له ما في الأرض رجل أعظم منة عليّ منك دعوت الله على هؤلاء الفساق فأرحتني منهم ألا أعلمك خصلتين: إياك والحسد فهو الذي عمل بي ما عمل وإياك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل(٤). وفي حديث آخر قال له: جزاء هذه المنة اذكرني في ثلاثة مواطن فإني أقرب ما يكون إلى العبد إذا كان في إحداهن اذكرني إذا غضبت واذكرني إذا حكمت بين اثنين واذكرني إذا كنت مع امرأة خلياً ليس معكما أحد(٥).

(عيون أخبار الرضا) عليه السلام: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾(٦) من هم؟ فقال عليه السلام قابيل يفر من هابيل والذي

---

(١) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٢٥٣ في تفسيره لسورة هود.
(٢) تفسير القمي ج ٢، ص ٣٨٧ في تفسيره لسورة نوح.
(٣) الخصال ص ٥٢ باب الاثنين برقم ٦٧.
(٤) الخصال للصدوق ص ٥٠ باب الاثنين برقم ٦١.
(٥) الخصال ص ١٣٢ باب الثلاثة برقم ١٤٠.
(٦) سورة عبس؛ الآيات: ٣٤-٣٦.

يفر من أمه موسى والذي يفر من أبيه إبراهيم والذي يفر من صاحبته لوط والذي يفر من ابنه نوح يفر من ابنه كنعان(١).

(علل الشرائع) عن وهب مسنداً قال أهل الكتاب يقولون إن إبليس عمر زمان الغرق كله في الجو الأعلى يطير بين السماء والأرض بالذي أعطاه الله من القوة والحيلة وعمرت جنوده في ذلك الزمان تطفو فوق الماء وتحولت الجن أرواحاً تهب فوق الماء وبذلك توصف خلقتها أنها تهوي هويّ الريح، وإنما سمي طوفان لأن الماء طفى فوق كل شيء فلما هبط نوح عليه السلام من السفينة أوحى الله عز وجل إليه يا نوح إني خلقت خلقي لعبادتي وأمرتهم بطاعتي وقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم وإني قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً مني بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق ومن أوفى بعهده مني، ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر وكانت القوس فيها سهم ووتر فنزع الله عز وجل السهم والوتر من القوس وجعلها أماناً لعباده من الغرق(٢).

أقول: جاء في الحديث عن الصادق عليه السلام أن هذا القوس ظهر في السماء بعد الغرق أماناً منه لمن بقي إلى يوم القيامة. وقال عليه السلام: لا تقولوا قوس قزح فإن قزح اسم الشيطان ولكن قولوا قوس الله وإن هذه المجرة التي في السماء ويسمونها مجر الكبش موضع انفطار السماء للماء لأنه لم ينزل قطرات وإنما نزل دفعاً فلما التأمت السماوات بقي أثره كالجرح المندمل يبقى أثره في البدن.

(عيون أخبار الرضا عليه السلام) قال الوشا: قال لي كيف تقرأون ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾(٣) فقلت من الناس من يقرأ ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ نفاه عن أبيه، فقال عليه السلام كلا لقد كان ابنه ولكن لما عصى الله عز وجل نفاه عن أبيه(٤).

أقول: ها هنا قراءتان في المتواتر فالأكثر على الفعل الماضي وما بعده منصوب على المفعولية يعني أن تأويلهم باطل لأن نفيه عنه باعتبار الدين والعمل ويجوز أن يكون نفياً للقراءة يعني أن أعماله غير صالحة، وقراءة الكسائي ويعقوب وسهل على المصدرية وما بعده صفة له وأولوه على أنه تولد من الخيانة، وحينئذٍ فقوله عليه السلام: كلّا يجوز أن يكون رداً للتأويل لا للقراءة يعني أنها قراءة باطلة لم ينزل بها جبرائيل عليه السلام. وفيه تأييد لما حررناه في مواضع من كتبنا من القدح في تواتر القراءات السبع وأنها إن ثبت تواترها فإنما هو عن القراء السبعة لا عن صاحب الوحي صلى الله عليه وآله وذلك أن القراء في كثير من الموارد إذا ذكروا قراءة يقولون قرأ فلان كذا فيجعلون قراءة القرآن تسمية لقراءتهم صلوات الله عليهم وقد فصلنا الكلام في هذا المقام في شرحنا على تهذيب الحديث بما لا مزيد عليه.

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢٢٢ باب ٢٤.
(٢) علل الشرائع ج ١، ص ٤٢-٤٣ باب ٢٢.
(٣) سورة هود؛ الآية: ٤٦.
(٤) عيون أخبار الرضا ج٢، ص ٨٢ باب ٣٢ برقم ٣.

(وفيه) عنه عليه السلام قال: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما بال الماعز مرفوعة الذنب بادية الحياء والعورة؟ فقال: لأن الماعز عصت نوحاً عليه السلام لما أدخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها. والنعجة مستورة الحياء والعورة لأن النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة فمسح نوح عليه السلام يده على حياها وذنبها فاستوت الإلية[١].

(علل الشرائع) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن النجف كان جبلًا وهو الذي قال ابن نوح ﴿سَئَاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾[٢] ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه، فأوحى الله عز وجل إليه: يا جبل أيعتصم بك مني! فتقطع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام وصار رماداً دقيقاً وصار بعد ذلك بحراً عظيماً وكان يسمى ذلك البحر ببحر (ني) ثم جف بعد ذلك وقيل: ني جف فسمي نجف ثم صار بعد ذلك يسمونه نجف لأنه كان أخف على ألسنتهم[٣].

(وفيه) أنه لما ركب نوح عليه السلام في السفينة ألقى الله عز وجل السكينة على ما فيها من الدواب والطير والوحش فلم يكن شيء فيها يضر شيئاً كانت الشاة تحتك بالذئب والبقرة تحتك بالأسد وأذهب الله حمة كل ذي حمة فلم يزالوا كذلك في السفينة حتى خرجوا منها وكان الفار قد كثر في السفينة والعذرة، فأوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن يمسح الأسد فمسحه فعطس فخرج من منخريه هران ذكر وأنثى فخفّ الفار، ومسح وجه الفيل فعطس فخرج من منخريه خنزيران ذكر وأنثى فخفف العذرة[٤].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء نوح عليه السلام إلى الحمار ليدخله السفينة فامتنع عليه وكان إبليس بين أرجل الحمار، فقال يا شيطان أدخل فدخل الحمار ودخل الشيطان.

(وعنه) عليه السلام قال: ارتفع الماء زمن نوح عليه السلام على كل جبل وعلى كل سهل خمسة عشر ذراعاً[٥].

(الفقيه) قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: إن الحيض للنساء نجاسة رماهن الله عز وجل بها وقد كن النساء في زمن نوح عليه السلام إنما تحيض المرأة في كل سنة حتى خرجن نسوة من مجانهن[٦] وكن سبعمائة امرأة فانطلقن فلبسن المعصفرات من الثياب وتحلين وتعطرن ثم خرجن فتفرقن في البلاد فجلسن مع الرجال وشهدن الأعياد معهم وجلسن في صفوفهم فرماهن الله عز وجل بالحيض عند ذلك في كل شهر يعني أولئك النسوة بأعيانهن فسالت دماؤهن

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢٢٣ وعلل الشرائع ج ٢، ص ٢٠٧ باب ٢٤٦.

(٢) سورة هود؛ الآية: ٤٣.

(٣) علل الشرائع ج ١، ص ٤٤ باب ٢٦.

(٤) علل الشرائع ج ٢ص، ٢٠٨، ٢٠٩ باب ٢٤٨.

(٥) قصص الراوندي ص ٨٣ برقم ٧٢.

(٦) المجن: الموضع الذي يستتر فيه.

فخرجن من بين الرجال فكن يحضن في كل شهر حيضة فشغلهن الله تعالى بالحيض وكسر شهوتهن. قال: وكان غيرهن من النساء اللواتي لم يفعلن مثل ما فعلن يحضن في كل سنة حيضة، قال: فتزوج بنو اللائي يحضن في كل شهر بنات اللاتي يحضن في كل سنة حيضة فامتزج القوم فحضن بنات هؤلاء وهؤلاء في كل شهر حيضة وكثر أولاد اللاتي يحضن في شهر حيضة لاستقامة الحيض وقلّ أولاد اللاتي يحضن في السنة حيضة لفساد الدم، قال: فكثر نسل أولئك[1].

(الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أظهر الله نبوة نوح وأيقن الشيعة بالفرج اشتدت البلوى ووثبوا إلى نوح بالضرب المبرح[2] حتى مكث في بعض الأوقات مغشياً عليه ثلاثة أيام يجري الدم من أذنه ثم أفاق وذلك بعد سنة ثلاثمائة من مبعثه وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلًا ونهاراً فيهربون ويدعوهم سراً فلا يجيبون ويدعوهم علانية فيولون. فهمّ بعد ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم وجلس بعد صلاة الفجر للدعاء فهبط إليه وفد من السماء السابعة وهم ثلاثة أملاك فسلموا عليه ثم قالوا له: يا نبي الله حاجتنا أن تؤخر الدعاء على قومك، فإنها أول سطوة لله عز وجل في الأرض، قال: قد أخرت الدعاء عليهم ثلاثمائة سنة أخرى، وعاد إليهم فصنع ما كان يصنع ويفعلون ما كانوا يفعلون حتى إذا انقضت ثلاثمائة سنة أُخرى ويئس من إيمانهم جلس في وقت ضحى النهار للدعاء، فهبط إليه وفد من السماء السادسة فسلموا عليه وسألوه مثل ما سأله الوفد الأول فأجابهم مثل ما أجاب أولئك، ثم عاد وقومه بالدعاء حتى انقضت ثلاثمائة سنة تتمة تسعمائة سنة فصارت إليه الشيعة وشكوا ما ينالهم من العامة والطواغيت وسألوه الدعاء بالفرج فأجابهم إلى ذلك وصلى ودعا، فهبط جبرائيل عليه السلام فقال: إن الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعة يأكلوا التمر ويغرسوا النوى ويراعوه حتى يثمر، فإذا أثمر فرجت عنهم، فعرفهم ذلك واستبشروا ففعلوا ذلك وراعوه حتى أثمر ثم سألوه أن ينجز لهم الوعد. فسأل الله ذلك، فأوحى الله إليه: قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فإذا أثمرت فرجت عنكم. فلما ظنوا أن الخلف قد وقع عليهم ارتد عنهم الثلث وبقي الثلثان فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتى إذا أثمر أتوا به نوحاً فسألوه أن ينجز لهم الوعد، فسأل الله عز وجل عن ذلك، فأوحى الله إليه: قل لهم: كلوا التمر واغرسوا النوى، فارتد الثلث الآخر، وبقي الثلث. فأكلوا التمر وغرسوا النوى، فلما أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام فأخبروه وقالوا: لم يبق منا إلا القليل ونحن نتخوف على أنفسنا بتأخر الفرج أن نهلك، فصلى نوح عليه السلام فقال: يا رب لم يبق من أصحابي إلا هذه العصابة وإني أخاف عليهم الهلاك إن تأخر الفرج، فأوحى الله عز وجل إليه: قد أجبت دعوتك فاصنع الفلك فكان بين إجابة الدعاء والطوفان خمسون سنة[3].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١، ص ٦٢ باب غسل الحيض برقم ١٩٣.

(٢) أي الضرب الشديد.

(٣) بحار الأنوار ج ١١، ص ٣٢٦-٣٢٨.

أقول: ورد في سبب التأخير تصفية المؤمنين من الكفار والمنافقين الذين يظهرون الإيمان ويسرون الكفر.

(الخرائج) عن النبي ﷺ أنه قال: لما أراد الله أن يهلك قوم نوح أوحى الله إليه أن شق ألواح الساج فلما شقها لم يدر ما يصنع بها فهبط جبرائيل فأراه هيأة السفينة ومعه تابوت بها مائة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار فسمر بالمسامير كلها السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير فضرب بيده إلى مسمار فأشرق بيده وأضاء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء فتحير نوح فأنطق الله المسمار بلسان طلق ذلق[1] فقال: أنا على اسم خير الأنبياء محمد بن عبدالله فهبط جبرائيل عليه السلام فقال له: يا جبرائيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟ فقال: هذا باسم سيد الأنبياء محمد بن عبدالله، أسمره على أولها على جانب السفينة الأيمن ثم ضرب بيده إلى مسمار ثان، فأشرق وأنار، فقال هذا مسمار أخيه وابن عمه سيد الأوصياء علي بن أبي طالب فأسمره على جانب السفينة الأيسر في أولها، ثم ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار، فقال جبرائيل عليه السلام: هذا مسمار فاطمة، فأسمره إلى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار، فقال جبرائيل عليه السلام هذا مسمار الحسن فأسمره إلى جانب أبيه، ثم ضرب بيده إلى مسمار خامس فزهر وأنار وأظهر النداوة، فقال جبرائيل عليه السلام: هذا مسمار الحسين عليه السلام فأسمره إلى جانب مسمار أبيه، فقال نوح يا جبرائيل ما هذه النداوة؟ فقال: هذا الدم فذكر قصة الحسين عليه السلام وما تعمل الأمة به، فلعن الله قاتله وظالمه وخاذله[2].

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لبعض غلمانه في شيء جرى: لئن انتهيت وإلا ضربتك ضرب الحمار، قيل وما ضرب الحمار؟ قال إن نوحاً عليه السلام لما أدخل السفينة من كل زوجين اثنين جاء إلى الحمار، فأبى أن يدخل، فأخذ جريدة من نخل فضربه ضربة واحدة وقال له: عبسا شاطانا، أي ادخل يا شيطان[3].

(المحاسن) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما حسر الماء عن عظام الموتى فرأى ذلك نوح عليه السلام فجزع جزعاً شديداً، فاغتم بذلك، فأوحى الله إليه: أن كل العنب الأسود ليذهب غمك[4].

(العياشي) عن عبدالله العلوي قال: كانت السفينة مطبقة بطبق وكان معه خرزتان[5] تضيء

---

(١) أي بلسان فصيح ذي حدة.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) بحار الأنوار ج ١١، ص ٣٢٩.

(٤) بحار الأنوار ج ١١، ص ٣٣١.

(٥) الخرز: فصوص من حجارة (لسان العرب ج ٥، ص ٣٤٤).

أحدهما بالنهار ضوء الشمس وتضيء إحداهما بالليل ضوء القمر وكانوا يعرفون وقت الصلاة وكان آدم معه في السفينة فلما خرج من السفينة صير قبره تحت المنارة بمسجد منى[١].

أقول: أكثر الأخبار دالة على أن قبره بالنجف الأشرف ضجيع قبر أمير المؤمنين عليه السلام وقبر نوح عليه السلام. وعن أبي عبدالله عليه السلام: أن مدة لبثهم في السفينة سبعة أيام ولياليها، وفي حديث آخر: مائة وخمسين يوماً بلياليها. وقيل ستة أشهر.

(العياشي) عن الأعمش يرفعه إلى علي عليه السلام في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ فقال: أما والله ما هو تنور الخبز، ثم أومأ بيده إلى الشمس فقال طلوعها[٢].

(وفي تفسير العياشي) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صنعها في مائة سنة ثم أمره أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، الأزواج الثمانية التي خرج بها آدم من الجنة ليكون معيشة لعقب نوح عليه السلام في الأرض كما عاش آدم عليه السلام فإن الأرض تغرق وما فيها إلا ما كان معه في السفينة قال فحمل نوح عليه السلام في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله وأنزل لكم من الأنعام ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾[٣] فكان زوجين من الضأن زوج يربيها الناس ويقومون بأمرها وزوج من الضأن التي تكون في الجبال وهي الوحشية أحل لهم صيدها، ومن المعز اثنين زوج يربيها الناس، وزوج من الظباء، ومن البقر اثنين زوج يربيه الناس، وزوج هو البقر الوحشي، ومن الإبل زوجين وهو البخاتي والعراب وكل طير وحشي وأنسي ثم غرقت الأرض[٤].

أقول: المفسرون قالوا: المراد بالزوجين الصنفان، يعني الذكر والأنثى، وما قاله عليه السلام هو الأصوب والأنسب. وعنه عليه السلام قال: ينبغي لولد الزنا أن لا تجوز شهادته ولا يؤم بالناس لم يحمله نوح في السفينة وقد حمل فيها الكلب والخنزير. وعنه عليه السلام في قوله ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال آمن معه ثمانية نفر من قومه.

وعنه عليه السلام بأسانيد متعددة في قول الله ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ فقال: ليس بابنه إنما هو ابن زوجته على لغة طي يقولون لابن المرأة ابنه[٥].

وعن أبي الحسن عليه السلام: أن الله أوحى إلى الجبال إني واضع سفينة نوح على جبل منكن في الطوفان، فتطاولت وشمخت وتواضع جبل بالموصل يقال له الجودي، فمرت السفينة تدور في الطوفان على الجبال كلها حتى انتهت إلى الجودي، فوقفت عليه، فقال نوح بارات قني بارات قني، يعني اللهم أصلح اللهم أصلح، وفي حديث آخر أنه ضرب جؤجؤ[٦] السفينة الجبل

---

(١) تفسير العياشي في تفسيره لسورة هود برقم ٢٠.
(٢) المصدر السابق برقم ٢٥.
(٣) سورة الأنعام؛ الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.
(٤) تفسير العياشي في تفسيره لسورة هود برقم ٢٦.
(٥) المصدر السابق برقم ٣١.
(٦) جؤجؤ السفينة: أي مقدم السفينة.

فخاف عليها، فقال يا ماريا اتقن، يعني رب أصلح، وفي حديث آخر أنه قال: يا رهمان اتقن وتأويلها رب أحسن[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأل نوح ربه أن ينزل على قومه العذاب، فأوحى الله إليه أن يغرس نواة من النخل فإذا بلغت وأثمرت هلك قومه، فغرس نوح النواة وأخبر أصحابه بذلك، فلما أثمرت وأطعم أصحابه، قالوا له: يا نبي الله الوعد الذي وعدتنا، فأوحى الله إليه أن يعيد الغرس ثانية، حتى إذا بلغ النخل وأثمر فأكل منه نزل عليهم العذاب، فأخبر نوح أصحابه بذلك، فصاروا ثلاثة فرق، فرقة ارتدت وفرقة نافقت وفرقة ثبتت مع نوح عليه السلام، ففعل نوح عليه السلام ذلك حتى إذا بلغت النخلة وأثمرت وأكل منها وأطعم أصحابه قالوا يا نبي الله الوعد الذي وعدتنا، فدعى نوح ربه، فأوحى الله إليه أن يغرس الغرسة الثالثة فإذا بلغ وأثمر أهلك قومه. فأخبر أصحابه، فافترقوا ثلاث فرق فرقة ارتدت وفرقة نافقت وفرقة ثبتت معه حتى فعل نوح ذلك عشر مرات وفعل الله بأصحابه الذين يبقون معه فيفترقون كل فرقة ثلاث فرق على ذلك فلما كان في العاشرة جاء إليه رجل من أصحابه فقال: يا نبي الله فعلت بنا ما وعدت أو لم تفعل، فأنت صادق نبي مرسل لا نشك فيك ولو فعلت ذلك بنا، قال: فعند ذلك من قولهم أهلكهم الله لقول نوح، وأدخل الخاص معه السفينة فنجاهم الله تعالى ونجى نوحاً معهم بعد ما صفوا وذهب الكدر منهم[٢].

(كتاب القصص) لمحمد بن جرير الطبري: إن الله تعالى أكرم نوحاً بطاعته وكان طوله ثلاثمائة وستين ذراعاً، بذراع زمانه. وكان لباسه الصوف ولباس إدريس قبله الشعر، وكان يسكن الجبال ويأكل من نبات الأرض.

وفي حديث آخر: أنه كان نجاراً فجاءه جبرائيل عليه السلام بالرسالة وقد بلغ عمره أربعمائة وستين سنة، فقال له: ما بالك معتزلًا؟ قال لأن قومي لا يعرفون الله فاعتزلت عنهم، فقال جبرائيل عليه السلام فجاهدهم، فقال نوح عليه السلام: لا طاقة لي بهم، ولو عرفوني لقتلوني، فقال له: فإن أُعطيت القوة كنت تجاهدهم؟ قال واشوقاه إلى ذلك، فقال له نوح من أنت؟ فصاح جبرائيل عليه السلام صيحة واحدة، فأجابته الملائكة بالتلبية ورجت الأرض وقالت لبيك لبيك يا رسول رب العالمين فبقي نوح مرعوباً، فقال له جبرائيل عليه السلام: أنا صاحب أبويك آدم وإدريس والرحمن يقرئك السلام، وقد أتيتك بالبشارة وهذا ثوب الصبر وثوب اليقين وثوب النصرة وثوب الرسالة والنبوة وآمرك أن تتزوج بعمورة بنت ضمران بن اخنوخ فإنها أول من تؤمن بك، فمضى نوح عليه السلام يوم عاشوراء إلى قومه وفي يده عصاً بيضاء وكانت العصا تخبره بما يكن[٣]

(١) بحار الأنوار ج ١١، ص ٣٣٨.
(٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ١٩٢.
(٣) كنّ: ستر وأخفى.

به قومه، وكان رؤساؤهم سبعين ألف جبار عند أصنامهم في يوم عيدهم، فنادى: لا إله إلا الله، فارتجت الأصنام وخمدت النيران وأخذهم الخوف، وقال الجبارون من هذا؟ فقال نوح: أنا عبدالله وابن عبده، بعثني إليكم رسولًا، فسمعت عمورة كلام نوح فآمنت به فعاتبها أبوها أيؤثر فيك قول نوح في يوم واحد وأخاف أن يعرف الملك بك فيقتلك، فقالت عمورة: يا أبت أين عقلك وحلمك نوح رجل وحيد ضعيف يصيح فيكم تلك الصيحة فيجري عليكم ما يجري فتوعدها، فلم ينفع، فأشاروا عليه بحبسها ومنعها الطعام، فحبسها فبقيت في الحبس سنة وهم يسمعون كلامها، فأخرجها بعد سنة، وقد صار عليها نور عظيم وهي في أحسن حال فتعجبوا من حياتها بغير طعام، فسألوها فقالت: إنها استغاثت برب نوح وأن نوحاً عليه السلام كان يحضر عندها بما تحتاج إليه، ثم ذكر تزويجه بها وأنها ولدت له سام بن نوح، وذكروا أنه كان لنوح امرأتان، إحداهما رابعة، وهي الكافرة فهلكت، وحمل نوح معه في السفينة امرأته المسلمة[١].

وعن الصادق عليه السلام قال: يوم النيروز هو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي.

(دعوات الراوندي) قال: لما ركب نوح في السفينة أبى أن يحمل العقرب معه فقالت عاهدتك أن لا ألسع أحداً يقول: سلام على محمد وآل محمد وعلى نوح في العالمين[٢].

وقال علي عليه السلام: صلى نبي الله نوح عليه السلام ومن معه ستة أشهر قعوداً، لأن السفينة كانت تتكفىء بهم[٣].

---

(١) سعد السعود ص٤٠-٤١.

(٢) و(٣) الدعوات للراوندي ص ١٢٩.

الباب الرابع
في قصص هود النبي (ع) وقومه وعاد

قال الله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١) وقد ذكر الله سبحانه قصته في كثير من السور والآيات.

(وعاد) هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، أخاهم في النسب، لأن هود بن شالخ بن ارفخشد بن نوح. وقيل هو ابن عبدالله بن رياح بن حلوت بن عاد بن علوص بن آدم بن سام بن نوح. كذا في كتاب النبوة. وقد جعلهم الله سكان الأرض من بعد قوم نوح وزادهم بسطة في الخلق، كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم سبعين ذراعاً.

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: كانوا كأنهم النخل الطوال فكان الرجل منهم يضرب الجبل بيده فيهدم منه قطعة وكانوا يعبدون أصناماً سموها آلهة، ولذا قال لهم هود عليه السلام: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾(٢). وقيل معناه تسميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر ولآخر أنه يأتيهم بالرزق ولآخر أنه يشفي المرضى ولآخر أنه يصحبهم في السفر، وهؤلاء الذين أهلكهم الله بالريح، خرج على قدر الخاتم وكانوا يقولون لنبيهم هود ولا نقول فيك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا بسوء فخبل عقلك لسبك إياه، وكانوا يبنون البنيان بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم. وقيل إن معنى قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾(٣) هو اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً ولما دعاهم ولم ينفع بهم حبس الله سبحانه عنهم المطر فساق إليهم سحابة سوداء فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا، فقال هود: بل هو العذاب الذي طلبتموه فأرسل الله عليهم ريحاً أهلكت كل شيء واعتزل هود ومن معه في حظيرة لم يصبهم من تلك الريح إلا ما تلين على الجلود وتلتذ به الأنفس وإنها لتمر على عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتى ترى الظعينة كأنها جرادة وقد سخر تلك الريح عليهم سبع ليال وثمانية أيام، قال وهب: هي التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برود ورياح شديدة، وإنما نسبت إلى العجوز، لأن عجوزاً دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن(٤).

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ٦٥.
(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ٧١.
(٣) سورة الشعراء؛ الآية: ١٢٨.
(٤) للتفصيل راجع مجمع البيان للطبرسي المجلد الثاني ص ٦٧٣-٦٧٤.

(وفي تفسير علي بن إبراهيم) أن عاداً كانت بلادهم في البادية وكان لهم زرع ونخل كثير ولهم أعمار طويلة وأجسام طويلة فعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه فكفت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا وكان هود زارعاً وكان يسقي الزرع، فجاء قوم إلى بابه يريدونه، فخرجت عليهم امرأته شمطاء[١] عوراء، فقالت ومن أنتم؟ فقالوا نحن من بلاد كذا وكذا أجدبت بلادنا، فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله حتى تمطر وتخصب بلادنا، فقالت لو استجيب لهود لدعا لنفسه فقد احترق زرعه لقلة الماء، قالوا: فأين هو؟ قالت هو في موضع كذا وكذا فجاؤوا إليه، فقالوا: يا نبي الله قد أجدبت بلادنا فاسأل الله أن يمطر بلادنا، فصلى ودعا لهم فقال: ارجعوا فقد أمطرتم، فقالوا يا نبي الله لقد رأينا في بيتك عجباً، امرأة شمطاء عوراء، وحكى له كلامها، فقال هود تلك امرأتي، وأنا أدعو الله لها بطول البقاء! فقالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنه ما خلق الله مؤمناً إلا وله عدو يؤذيه وهي عدوتي فلأن يكون عدوي ممن أملكه، خير من أن يكون عدوي ممن يملكني، فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتى تخصب بلادهم وهو قوله عز وجل: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[٢] فلما لم يؤمنوا أرسل الله عليهم الريح الصرصر، يعني الباردة، وهو قوله في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾[٣]. وحكى في سورة الحاقة فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾[٤]. قال كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيام.

وعن أبي جعفر عليه السلام: الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع، وما خرج منها شيء قط إلا على قوم عاد، حين غضب الله عليهم، فأمر الخزان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم، فعصت على الخزنة فخرج منها مثل مقدار منخر الثور تغيظاً منها على قوم عاد، فضج الخزنة إلى الله من ذلك. وقالوا: يا ربنا إنها قد عتت علينا ونحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك وعمار بلادك، فبعث الله جبرائيل عليه السلام فردها بجناحه، وقال لها اخرجي على ما أمرت به، فرجعت وخرجت على ما أمرت به فأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم[٥].

(علي بن إبراهيم) قال: حدثني أبي قال: أمر المعتصم أن يحفر بالبطائية بئر فحفروا ثلاثمائة قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره، فلما ولّي المتوكل أمر أن يحفر ذلك البئر أبداً حتى يبلغ الماء، فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا إلى صخرة فضربوها

(١) بياض الرأس خالطه سواد.
(٢) سورة هود؛ الآيتان: ٥٢ و ٥٣.
(٣) سورة القمر؛ الآيتان: ١٨ و ١٩.
(٤) سورة الحاقة؛ الآيتان: ٦ و ٧.
(٥) تفسير القمي ج ١، ص ٣٣٠ في تفسيره لسورة هود.

بالمعول فانكسرت فخرجت عليهم منها ريح باردة فمات من كان بقربها، فأخبروه بذلك فلم يعلم ما ذاك فقالوا سل ابن الرضا عن ذلك وهو أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام، فكتب إليه يسأله عن ذلك، فقال عليه السلام: تلك بلاد الأحقاف. أي الرمل - وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر وكان نبيهم هود وكانت بلادهم كثيرة الخير، فحبس الله عنهم المطر سبع سنين، حتى أجدبوا وذهب خيرهم وكان هود يدعوهم فلم يؤمنوا. فأوحى الله إلى هود عليه السلام أن يأتيهم العذاب في وقت كذا وكذا ريح فيها عذاب أليم، فلما كان ذلك الوقت نظروا إلى سحاب قد أقبلت ففرحوا بالمطر، فقال هود عليه السلام بل هو عذاب استعجلتم بطلبه، ريح فيها عذاب أليم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، وكل هذه الأخبار من هلاك الأمم تخويف وتحذير لأمة محمد صلوات الله عليه وآله[(١)].

(وقال عليه السلام): الرياح خمسة منها العقيم فنعوذ بالله من شرها.

(وقال رسول الله صلى الله عليه وآله): ما خرجت ريح قط إلا بمكيال إلا زمن عاد فإنها عتت على خزانها، فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد.

(الكافي) عن أبي جعفر قال: إن لله جنوداً من رياح يعذب بها من يشاء ممن عصاه، ولكل ريح منها ملك موكل بها، فإذا أراد الله أن يعذب قوماً بنوع من العذاب، أوحى الله إلى الملك الموكل بذلك النوع من الريح التي يريد أن يعذبهم بها، قال: فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب، قال ولكل ريح منهن اسم، أما تسمع قوله تعالى في عاد: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ وقال تعالى الريح العقيم وقال ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقال: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾[(٢)]. وما ذكر من الرياح التي يعذب الله بها من عصاه...[(٣)].

(علل الشرائع) بالإسناد عن وهب قال: إن الريح العقيم تحت هذه الأرض التي نحن عليها قد زمت بسبعين ألف زمام من حديد، قد وكل بكل زمام سبعون ألف ملك، فلما سلطها الله عز وجل على عاد، استأذنت خزنة الريح ربها عز وجل أن يخرج منها في مثل منخري الثور، ولو أذن الله عز وجل لها ما تركت شيئاً على وجه الأرض إلا أحرقته، فأوحى الله عز وجل إلى خزنة الريح أن أخرجوا منها مثل ثقب الخاتم، فأهلكوا بها، وبها ينسف الله عز وجل الجبال نسفاً والتلال والآكام والمدائن والقصور يوم القيامة.

وذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[(٤)] والقاع الذي لا نبات فيه، والصفصف الذي لا عوج فيه، والأمت

---

(١) تفسير القمي ج ٢، ص ٢٩٨ في تفسيره لسورة الأحقاف.

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٦٦.

(٣) روضة الكافي ص ٩١ حديث الرياح برقم ٦٣. والحديث طويل فراجع.

(٤) سورة طه؛ الآيات: ١٠٥-١٠٧.

المرتفع، وإنما سميت العقيم لأنها تلقحت بالعذاب وتعقمت عن الرحمة كتعقم الرجل، إذا كان عقيماً لا يولد له، وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن حتى صاروا رملاً، وإنما كثر الرمل في تلك البلاد لأن الريح طحنت تلك البلاد وعصفت عليهم ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(١) وكانت ترفع الرجال والنساء فتهب بهم صعداً، ثم ترمي بهم من الجو فيقعون على رؤوسهم منكسين، تقلع الرجال والنساء من تحت أرجلهم ثم ترفعهم وكانت الريح تعصف الجبال كما تعصف المساكن فتطحنها، ثم تعود رملاً دقيقاً، وإنما سميت عاد ارم ذات العماد، من أجل أنهم كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الذي يسلخونه من أسفله إلى أعلاه، ثم ينقلون تلك العمد فينصبونها، ثم يبنون القصور عليها، فسميت ذات العماد لذلك(٢).

(كتاب الاحتجاج) عن علي بن يقطين قال: أمر أبو جعفر الدوانيقي يقطين أن يحفر له بئراً بقصر العبادي، فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات أبو جعفر، ولم يستنبط منها الماء فأخبر المهدي بذلك، فقال له: احفر أبداً حتى يستنبط الماء ولو أنفقت جميع ما في بيت المال، فوجه يقطين أخاه أبا موسى في حفرها، فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض فخرجت منه الريح فهالهم ذلك فأخبروا به أبا موسى، فقال: أنزلوني وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً، فأجلس في شق محمل ودلي في البئر فلما صار في قعرها نظر إلى هولها وسمع دوي الريح في أسفل ذلك، فأمرهم أن يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم، ثم دلي فيه رجلان في شق محمل، فقال: إيتوني بخبر هذا فنزلا ومكثا ملياً ثم حركا الحبل، فأصعدا، فقال لهما ما رأيتما؟ قالا أمراً عظيماً نساءً ورجالاً وبيوتاً وآنية ومتاعاً كلهم مسوخ من حجارة، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم. فمن بين قاعد ومضطجع ومتكىء، فلما مسسناهم إذا ثيابهم تتفشأ مثل الهباء، ومنازلهم قائمة، فكتب بذلك أبو موسى إلى المهدي، فكتب إلى المدينة إلى موسى بن جعفر عليه السلام يسأله أن يقدم عليه، فقدم عليه، فأخبره فبكى بكاءً شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء بقية أصحاب عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم، هؤلاء أصحاب الأحقاف ـ أي الرمل ـ(٣).

أقول: قال المبرد المراد من الأحقاف الرمل الكثير، وهي رمال بين عمان إلى حضرموت. وقيل هي باليمن مشرفة على البحر.

(إكمال الدين) مسنداً إلى أبي وائل قال: إن رجلاً يقال له عبدالله بن قلابة(٤) خرج في

---

(١) سورة الحاقة؛ الآية: ٧.

(٢) علل الشرائع ج ١، ص ٤٧-٤٨ باب ٣٠.

(٣) الإحتجاج للطبرسي ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) لم أجد ترجمته في كتب التراجم لأصحابنا رضوان الله عليهم وقد ذكر ابن حجر في لسان الميزان ج ٣، ص ٣٢٧ عبدالله بن قلابة: صاحب حديث إرم ذات العماد، ذكره الحسيني ومن خطه نقلت وله ترجمة في تاريخ ابن عساكر وقصة عن معاوية وكعب الأحبار.

طلب إبل له قد شردت، فبينما هو في صحارى عدن في الفلوات إذ هو قد وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن إبله فلم يرد داخلًا ولا خارجاً، فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول، وإذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان، فلما رأى ذلك المكان أعجبه ففتح أحد البابين ودخل فإذا هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قط، وإذا هو بقصور وكل قصر منها معلق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت فوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعلى كل باب من أبواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود طيب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلما رأى ذلك ولم ير أحداً أفزعه ذلك، ونظر إلى الأزقة وإذا في كل زقاق منها أشجار قد أثمرت تحتها أنهار تجري، فقال هذه الجنة التي وعد الله عز وجل لعباده في الدنيا فالحمد لله الذي أدخلني الجنة، فحمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها لأنه كان مثبتاً في أبوابها وجدرانها، وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف كلها، فأخذ منها ما أراد وخرج، حتى أتى ناقته ركبها ثم سار يقفو أثره حتى رجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وأعلم الناس أمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ، وكان قد اصفر وتغيّر من طول ما مر عليه من الليالي والأيام، فشاع خبره وبلغ معاوية بن أبي سفيان، فأرسل رسولًا إلى صاحب صنعاء وكتب بإشخاصه، فشخص حتى قدم على معاوية. فخلا به وسأله عما عاين، فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها وعرض عليه ما حمله منها من اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فقال والله ما أُعطي سليمان بن داود مثل هذه المدينة. فبعث معاوية إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا إسحاق هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها زبرجد وياقوت وحصا قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهار في الأزقة تجري من تحت الأشجار.

قال كعب: أما هذه المدينة فصاحبها شداد بن عاد الذي بناها، وأما المدينة فهي إرم ذات العماد وهي التي وصفها الله عز وجل في كتابه المنزّل على نبيه محمد ﷺ وذكر أنه لم يخلق مثلها في البلاد.

قال معاوية حدثنا بحديثها فقال: إن عاداً الأولى وليس بعاد قوم هود كان له ابنان سمي أحدهما شديداً والآخر شداداً، فهلك عاد وبقيا وملكا وتجبرا وأطاعهما الناس في الشرق والغرب فمات شديد وبقي شداد، فملك وحده لم ينازعه أحد، وكان مولعاً بقراءة الكتب، وكان كلما سمع بذكر الجنة وما فيها من البنيان والياقوت والزبرجد رغب أن يفعل مثل ذلك في الدنيا، عتواً على الله عز وجل فجعل على صنعتها مائة رجل، تحت كل واحد ألف من الأعوان، فقال انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها واعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت

وزبرجد ولؤلؤ واصنعوا تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وعلى المدينة قصوراً وعلى القصور غرفاً وفوق الغرف غرف، واغرسوا تحت القصور وفي أزقتها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الأنهار، حتى تكون تحت أشجارها، فإني أرى في الكتب صفة الجنة وأنا أحب أن أجعل مثلها في الدنيا، قالوا له: كيف نقدر على ما وصفت لنا من الجواهر والذهب والفضة حتى يمكننا أن نبني مدينة كما وصفت؟ قال شداد: ألا تعلمون أن ملك الدنيا بيدي؟ قالوا بلى، قال انطلقوا إلى كل معدن من معادن الجواهر والذهب والفضة فوكلوا بها حتى تجمعوا ما تحتاجون إليه وخذوا جميع ما تجدونه في أيدي الناس من الذهب والفضة، فكتبوا إلى ملك الشرق والغرب فجعلوا يجمعون أنواع الجواهر عشر سنين فبنوا له هذه المدينة في مدة ثلاثمائة سنة، وعمّر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وأخبروه بفراغهم منها، قال فانطلقوا فاجعلوا عليها حصناً واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم يكون في كل قصر من القصور وزير من وزرائي، فرجعوا وعملوا ذلك كله. ثم أتوه فأخبروه بالفراغ منها كما أمرهم به، فأمر الناس بالتجهيز إلى إرم ذات العماد فأقاموا في تجهيزهم إليها عشر سنين، ثم سار الملك يريد إرم، فلما كان من المدينة على مسيرة يوم وليلة، بعث الله عز وجل عليه وعلى جميع من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم، ولا دخل إرم ولا أحد ممن كان معه فهذه صفة إرم ذات العماد، وإني لأجد في الكتب أن رجلًا يدخلها ويرى ما فيها ثم يخرج فيحدث الناس بما رأى، فلا يصدق، وسيدخلها أهل الدين في آخر الزمان[١].

وفي (مجمع البيان) في آخره: وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال، يخرج من تلك الصحارى في طلب إبل له (والرجل عند معاوية) فالتفت إليه كعب وقال: هذا والله ذلك الرجل[٢].

(١) إكمال الدين ص ٣٠٥-٣٠٧.

(٢) مجمع البيان المجلد الخامس ص ٧٣٧-٧٣٨ في تفسيره لسورة الفجر.

الباب الخامس

في قصص نبي الله صالح صلوات الله عليه

وفيه بيان حال قومه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(١). وقد ذكر الله سبحانه قصتهم في كتابه المجيد تعظيماً لمواقعتهم الشنيعة وتخويفاً لهذه الأمة من أن يرتكبوا مثلها، وقد ارتكبوا ما هو أشنع وأفظع منها.

ولهذا صح عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: أشقى الأولين والآخرين من عقر ناقة صالح ومن ضربك يا علي على قرنك حتى تخضب من دم رأسك لحيتك(٢).

وتواتر عنه صلى الله عليه وآله تشبيه قاتله عليه السلام بعاقر الناقة. وقد صنف بعض المتأخرين رسالة في وجه هذا التشبيه وأطال في بيان وجوه المناسبة ومن أمعن النظر فيه يظهر له شدة انطباقه عليه وذلك أن علياً عليه السلام كان آية لله تعالى أظهرها على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، كما قال عليه السلام: وأي آية أعظم مني.

وذكر الفاضل المعتزلي ابن أبي الحديد في الشرح: أن تأريخ الدنيا وأحوالها مضبوط من بعد الطوفان إلى يومنا هذا، وما بلغنا في هذه المدة الطويلة أن رجلاً من العرب والعجم والترك والهند والروم يدانيه في الشجاعة مع تكثرهم في طوائف الناس بل ولم يقاربه أحد في خصلة من خصال الكمال.

---

(١) سورة الأعراف؛ الآيات: ٧٣ إلى ٧٩.

(٢) عرائس المجالس للثعلبي ص ٦٣.

(وروى) صاحب كتاب القدسيات من علماء الجمهور أنه قال جبرائيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله: أن الله بعث علياً مع الأنبياء باطناً وبعثه معك ظاهراً.

وأما ولادته فكانت في الكعبة التي هي صخرة بيت الله، كما خرجت الناقة من الصخرة، ولم يتفق ذلك لنبي أو وصي نبي. وكان عليه السلام يمير الناس العلوم والحكم، كما كانت الناقة تميرهم السقيا.

وأما سبب شهادته عليه السلام فكانت قطامة عليها لعنة الله، كما كان السبب في عقر الناقة الملعونة الزرقاء، وبعد أن استشهد عليه السلام عمدوا إلى ولده الحسين عليه السلام وقتلوه، كما قتل أولئك فصيل الناقة، إلى غير ذلك من وجوه المناسبة بين قران قاتله عليه السلام مع عاقر الناقة والمشابهة بينهما.

وقوله سبحانه: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا﴾ السهل خلاف الجبل، وهو ما ليس فيه مشقة للناس أي تبنون في سهولها الدور والقصور، وإنما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ قال ابن عباس: كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتاً ليكون مساكنهم في الشتاء أحسن وأدفأ. وكانت ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكانت عاد باليمن وكانت أعمار ثمود من ألف سنة إلى ثلاثمائة[(١)].

وأما صالح عليه السلام: فهو صالح بن ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام[(٢)].

(العياشي) عن أبيه عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرائيل عليه السلام كيف كان مهلك قوم صالح؟ فقال: يا محمد إن صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين ومائة سنة، لا يجيبونه إلى خير وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم، قال: يا قوم إني قد بعثت إليكم وأنا ابن ست عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة، وأنا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألوني، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتني بالذي أسألها خرجت عنكم فقد شنأتكم[(٣)] وشنأتموني؟ فقالوا قد أنصفت، فاتعدوا ليوم يخرجون فيه، فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم ثم قربوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا، فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل، فدعا صالح كبير أصنامهم، فقال ما اسم هذا؟ فأخبروه باسمه فناداه باسمه فلم يجب فقالوا ادع غيره فدعا كلها بأسمائهم، فلم يجبه واحد منهم، فقال: يا قوم قد ترون دعوت أصنامكم فلم يجبني واحد منهم، فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها ما بالكن لا تجبن صالحاً، فلم تجب، فقالوا: يا صالح

---

(١) مجمع البيان المجلد الثاني ص ٦٧٩ في تفسيره لسورة الأعراف.

(٢) وقال الثعلبي في العرائس ص ٥٨: صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن حاذر بن ثمود.

(٣) شنأ: أبغض.

تنح عنا ودعنا وأصنامنا. قال فرموا بتلك البسط التي بسطوها وبتلك الآنية وتمرغوا في التراب وقالوا لها لئن لم تجبن صالحاً اليوم لنفضحن، ثم دعوه فقالوا يا صالح تعال فسلها، فعاد فسألها فلم تجبه، فقال: يا قوم قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبني، فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فانتدب له سبعون رجلًا من كبرائهم فقالوا يا صالح نحن نسألك، فقال أكل هؤلاء يرضون بكم؟ قالوا نعم، فإن أجابك هؤلاء أجبناك قالوا يا صالح نحن نسألك فإن أجابك ربك اتبعناك وتابعك جميع قريتنا. فقال لهم صالح سلوني ما شئتم، فقالوا انطلق بنا إلى هذا الجبل فانطلق معهم، فقالوا: سل ربك أن يخرج لنا الساعة من هذا الجبل ناقة حمراء شديدة الحمرة وبراء عشراء - يعني حاملًا - بين جنبيها ميل، فقال: سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربي، فسأل الله ذلك. فانصدع[١] الجبل صدعاً كادت تطير منه العقول لما سمعوا صوته واضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض، ثم لم يفجأهم إلا ورأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع فما استتمت رقبتها حتى اجترّت ثم خرج سائر جسدها، فاستوت على الأرض قائمة فلما رأوا ذلك، قالوا يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك، فاسأله أن يخرج لنا فصيلها فسأل الله ذلك، فرمت به فدب حولها، فقال يا قوم أبقي شيء؟ قالوا لا فانطلق بنا إلى قومنا نخبرهم ما رأيناه ويؤمنوا بك، فرجعوا فلم يبلغ السبعون الرجل إليهم حتى ارتد منهم أربعة وستون رجلًا وقالوا سحر، وثبت الستة وقالوا الحق ما رأيناه، ثم ارتاب من الستة واحد فكان فيمن عقرها. وزاد محمد بن أبي نصر في حديثه: قال سعيد بن يزيد فأخبرني أنه رأى الجبل الذي خرجت منه بالشام، فرأى جنبها قد حك الجبل فأثر جنبها فيه وجبل آخر بينه وبين هذا ميل[٢].

وفي (التهذيب) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ادفنوني في هذا الظهر في قبر أخويَّ هود وصالح عليهما السلام.

(وعن ابن عباس) قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو آخذ بيد علي عليه السلام وهو يقول: يا معاشر الأنصار أنا محمد رسول الله ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر. فقال قائل هؤلاء معك ركبان يوم القيامة؟ فقال كذلك إنه لن يركب يومئذٍ إلا أربعة: أنا وعلي وفاطمة وصالح، فأما أنا فعلى البراق، وأما فاطمة ابنتي فعلى العضباء، وأما صالح فعلى ناقة الله التي عقرت، وأما علي فعلى ناقة من نوق الجنة، زمامها من ياقوت عليه حلتان خضراوان، فيقف بين الجنة والنار وقد ألجم الناس العرق يومئذٍ فتهب ريح من قبل العرش فتنشف عنهم عرقهم، فيقول الأنبياء والملائكة والصديقون ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، فينادي مناد: ما هذا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكنه علي بن أبي طالب أخو رسول الله (صلوات الله عليهما في الدنيا والآخرة)[٣].

---

(١) أي انشق.
(٢) تفسير العياشي ج ١ في تفسيره لسورة الأعراف برقم ٥٤.
(٣) الخصال للصدوق ص ٢٠٤ باب الأربعة برقم ٢٠.

(وفي تفسير علي بن إبراهيم) صالح قال لهم: لهذه الناقة شرب، أي تشرب ماءكم يوماً وتدر لبنها عليكم يوماً، فكانت تشرب ماءهم يوماً وإذا كان من الغد وقفت وسط قريتهم، فلا يبقى في القرية أحد إلا حلب منها حاجته، وكان فيهم تسعة من رؤسائهم يفسدون في الأرض، فعقروا الناقة وقتلوها وقتلوا فصيلها، فلما عقروا الناقة قالوا لصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. قال صالح: (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) وعلامة هلاككم أنه تصفر(١) وجوهكم غداً وتحمر بعد غد وتسود يوم الثالث، فلما كان من الغد نظروا إلى وجوههم قد اصفرت(٢) فلما كان اليوم الثاني احمرت مثل الدم فلما كان الثالث اسودت وجوههم، فبعث الله عليهم صيحة جبرائيل عليه السلام صاح بهم صيحة تقطعت بها قلوبهم وخرقت منها أسماعهم فماتوا أجمعين في طرفة عين، ثم أرسل الله عليهم ناراً من السماء فأحرقتهم(٣).

(قال) الحسن بن محبوب: حدثني رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن زيد في حديث طويل قال فيه: وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها، فهموا بقتلها، قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال وبقر وغنم، وكانت أشد الناس عداوة لصالح، فدعت رجلًا من ثمود يقال له مصدع، وجعلت له على نفسها على أن يعقر الناقة، وامرأة أخرى يقال لها عنيزة، دعت قدار بن سالف وكان أحمر أزرق قصيراً وكان ولد زنا ولم يكن لأبيه، ولكنه ولد على فراشه، قالت أعطيك أيّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة، فانطلق قدار ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر وأجمعوا على عقر الناقة. ولما ولد قدار وكبر وجلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماءً يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة، فوجدوا الماء قد شربته الناقة، فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم.

(وقال كعب) كان سبب عقرهم الناقة أن امرأة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثموداً فلما أقبلت الناس على صالح وصارت الرياسة إليه حسدته، فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أُخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكاء: إن أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما إن الملكة حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة، فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نكون من وراء عقرها، فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة في طريقها وكمن لها مصدع في أصل أُخرى، فمرّت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم زمرته فشد على

---

(١) في المصدر: تبيضُ.

(٢) في المصدر: ابيضت مثل القطن.

(٣) تفسير القمي ص ٣٣١-٣٣٢ في تفسيره لسورة هود.

الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرّت ورغت رغاةً واحدة ثم طعنها في لبتها فنحرها، وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه، فلما رأى الفصيل ما فُعِل بأمه ولى هارباً ثم صعد جبلًا، ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه، إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه(١).

وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء، فقال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، فإن العذاب نازلٍ بكم، فصاح بهم جبرائيل عليه السلام تلك الصيحة، وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم، فماتوا أجمعين في طرفة عين، وكان ذلك في يوم الأربعاء.

---

(١) مجمع البيان المجلد الثاني ص ٦٨١-٦٨٢ في تفسيره لسورة الأعراف في قصة صالح.

الباب السادس
في قصص إبراهيم (ع) وفيه فصول

الفصل الأول
في علة تسميته وفضائله وسننه ونقش خاتمه

قد ذكر الله سبحانه قصته وبيّن أحواله في كثير من الآيات والسور، لأنه أبو الأنبياء، وثاني أُولي العزم، وخليل الرحمن، وكانت الأنبياء ينتسبون إلى دينه. ولذا قال عليه السلام: ما على دين إبراهيم غيرنا وغير شيعتنا.

قال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

(علل الشرائع) مسنداً إلى الرضا عليه السلام قال: إنما اتخذ الله إبراهيم خليلًا لأنه لم يرد أحداً قط، ولم يسأل أحداً غير الله عز وجل[(٢)].

وعن علي عليه السلام قال: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول من شاب فقال: ما هذا؟ فقيل: وقار في الدنيا ونور في الآخرة.

(وقال) الصدوق رحمه الله: سمعت بعض المشايخ من أهل العلم يقول: إنه سمي إبراهيم: إبراهيم، لأنه همّ فبر. وقيل: إنه هم بالآخرة فبرئ من الدنيا[(٣)].

(وسئل) أبو عبدالله عليه السلام: لم اتخذ الله إبراهيم خليلًا؟ قال: لكثرة سجوده على الأرض.

(وعن) محمد بن العسكري عليه السلام قال: إنما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليلًا لكثرة صلواته على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران؛ الآيتان: ٦٧-٦٨.
(٢) علل الشرائع ج ١، ص ٤٩ باب ٣٢ برقم ٢.
(٣) علل الشرائع ج ١، ص ٤٨ باب ٣١.
(٤) علل الشرائع ج ١، ص ٤٩-٥٠ باب ٣٢ برقم ٧/١.

(وعنه) ﷺ: ما اتخذ الله إبراهيم خليلًا إلا لإطعامه الطعام، وصلواته بالليل والناس نيام[١].

(وعن) أبي جعفر عليه السلام قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلًا أتاه ملك الموت ببشارة الخلة في صورة شاب أبيض، فدخل إبراهيم الدار، فاستقبله خارجاً من الدار، وكان إبراهيم رجلًا غيوراً، وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه، فقال: يا عبدالله ما أدخلك داري؟ فقال: ربها أدخلنيها، فقال إبراهيم، فقال: جئتني لتسلبني روحي؟ فقال: لا، ولكن اتخذ الله عز وجل خليلًا فجئت ببشارته، فقال إبراهيم: فمن هذا لعلي أخدمه حتى أموت، قال: أنت هو، فدخل على سارة، فقال: إن الله اتخذني خليلًا[٢].

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام قال: لما جاء المرسلون إلى إبراهيم عليه السلام، جاءهم بالعجل، فقالوا: كلوا، فقال: لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه، فقال إذا أكلتم فقولوا بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا الحمد لله، فالتفت جبرائيل عليه السلام إلى أصحابه وكانوا أربعة، فقال حق لله أن يتخذ هذا خليلًا. ولما ألقي في النار تلقاه جبرائيل في الهواء وهو يهوي، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال أما إليك فلا[٣].

(تفسير علي بن إبراهيم) عن أبي عبدالله عليه السلام أن إبراهيم عليه السلام أول من حول له الرمل دقيقاً، وذلك أنه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام فلم يجده في منزله، فكره أن يرجع بالجمل خالياً، فملأ جرابه رملًا، فلما دخل منزله، خلى بين الجمل وبين سارة، استحياءً منها ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون، فخبزت وقدمت إليه طعاماً طيباً، فقال إبراهيم: من أين لك هذا؟ فقالت من الدقيق الذي حملته من خليلك المصري، فقال: أما إنه من خليلي، وليس بمصري، فلذلك أُعطي الخلة فشكره الله وحمده وأكل[٤].

أقول: هذه أسباب لكونه عليه السلام خليلًا، ولا تكون الخلة إلا مع اجتماع تلك الخصال كلها.

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يدعى محمد ﷺ فيكسى حلة وردية، ثم يقام عن يمين العرش ثم يدعى بإبراهيم عليه السلام فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار العرش، ثم يدعى بعلي عليه السلام فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين النبي ﷺ، ثم يدعى بإسماعيل فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم عليه السلام، ثم يدعى بالحسن عليه السلام فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين أمير المؤمنين عليه السلام، ثم يدعى بالحسين فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين الحسن عليه السلام ثم يدعى بالأئمة عليهم السلام فيكسون حللًا وردية فيقام كل واحد عن يمين صاحبه، ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها،

(١-٣) علل الشرائع ج ١، ص ٤٩-٥٠ باب ٣٢ برقم ٦/١.

(٤) تفسير القمي ج ١، ص ١٥٣ في تفسيره لسورة النساء الآية: ١٢٥.

فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم ينادي منادٍ من بطنان العرش من قبل رب العزة: فنعم الأب أبوك يا محمد وهو إبراهيم ونعم الأخ أخوك وهو علي بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك وهو محسن، ونعم الأئمة الراشدون ذريتك وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك. ثم يؤمر بهم إلى الجنة[١].

(وعن) علي عليه السلام قال: كان الرجل يموت وقد بلغ الهرم ولا يشيب فكان الرجل يأتي النادي[٢] فيه الرجل وبنوه فلا يعرف الأب من الابن، فيقول أيكم أبوكم؟ فلما كان زمن إبراهيم عليه السلام قال: اللهم اجعل لي شيئاً أعرف به، فشاب وابيض رأسه ولحيته[٣].

(قصص الأنبياء) للراوندي من علماء الإمامية قال: كان في عهد إبراهيم عليه السلام رجل يقال له ماريا بن أوس قد أتت عليه ستمائة وستون سنة وكان يكون في غيضة له بينه وبين الناس خليج من ماء غمر، وكان يخرج إلى الناس في كل ثلاث سنين، فيقيم في الصحراء في محراب يصلي فيه، فخرج ذات يوم فإذا هو بغنم كان عليها الدهن فأعجب بها وفيها شاب كأن وجهه شقة قمر طالع، فقال: يا فتى لمن هذه الغنم؟ قال: لإبراهيم خليل الرحمن، قال فمن أنت؟ قال أنا ابنه إسحاق، فقال ماريا في نفسه: اللهم أرني عبدك وخليلك حتى أراه قبل الموت، ثم رجع إلى مكانه ورفع إسحاق خبره إلى أبيه، فكان إبراهيم يتعاهد ذلك المكان ويصلي فيه، فسأله إبراهيم عن اسمه وما أتى عليه من السنين فخبره، فقال أين تسكن؟ قال في غيضة. قال إبراهيم: إني أحب أن آتي موضعك فأنظر إليه وكيف عيشك فيها، فقال: إني أيبس من الثمار الرطب ما يكفيني إلى قابل لا تقدر أن تصل إلى ذلك الموضع فإنه خليج وماء غمر. فقال له إبراهيم فما لك فيه معبر؟ قال: لا. قال: كيف تعبر؟ قال: أمشي على الماء. قال إبراهيم: لعل الذي سخر لك الماء يسخره لي للعبور. فانطلقا وبدأ ماريا فوضع رجله على الماء وقال: بسم الله. وقال إبراهيم: بسم الله. فالتفت ماريا وإذا إبراهيم يمشي كما يمشي هو، فتعجب من ذلك، فدخل الغيضة وأقام معه إبراهيم عليه السلام ثلاثة أيام لا يعلمه من هو، ثم قال له ماريا ما أحسن موضعك، هل لك أن تدعو الله أن يجمع بيننا في هذا الموضع؟ فقال ما كنت لأفعل. قال ولم؟ قال: لأني دعوت بدعوة منذ ثلاث سنين فلم يجبني فيها. قال وما الذي دعوته؟ فقص عليه خبر الغنم وإسحاق فقال إبراهيم قد استجاب لك، أنا إبراهيم. فقام وعانقه فكانت أول معانقة[٤].

(نوادر الراوندي) بإسناده عن الكاظم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول من

---

(١) تفسير القمي ج ١، ص ١٢٨ في تفسيره لسورة آل عمران الآية: ١٨٥.
(٢) مجلس القوم ومكان اجتماعهم.
(٣) علل الشرائع ج ١، ص ١٢٨ باب ٩٥ برقم ٣.
(٤) قصص الأنبياء ص ١١٥ برقم ١١٦.

قاتل في سبيل الله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أسرت الروم لوطاً عليه السلام فنفر إبراهيم عليه السلام واستنقذه من أيديهم. وأول من اختتن إبراهيم عليه السلام اختتن بالقدوم على رأس ثمانين سنة[١].

أقول: يحمل هذا الاختتان وما روي بمعناه من الأخبار على التقية، كما ورد في حديث آخر والوارد في أكثر الأخبار أن الأنبياء عليهم السلام يولدون مختونين. وفي بعضها: أن غلفهم وسررهم تسقط يوم السابع، ويمكن التوفيق بحمل الأول على أولي العزم منهم، والثاني على غيرهم. وقيل: بإمكان ما يبقى من الغلف شيء يسقط يوم السابع.

(تفسير العياشي) عن الصادق عليه السلام قال: إذا سافر أحدكم فليأت أهله بما تيسر ولو بحجر، فإن إبراهيم عليه السلام ضاف ضيفاً فأتى قومه فوافق منهم قحطاً شديداً، فرجع كما ذهب، فلما قرب من منزله نزل عن حماره، فملأ خرجه رملاً أراد أن يسكّن به روع زوجته سارة، فلما دخل منزله حط الخرج عن الحمار وافتتح العلوفة، فجاءت سارة ففتحت الخُرج فوجدته مملوءاً دقيقاً، فاختبزت منه وقالت لإبراهيم انفتل من صلاتك وكل، فقال لها من أين لك هذا؟ قالت من الدقيق الذي في الخرج، فرفع رأسه إلى السماء فقال: أشهد أنك الخليل[٢].

(وعنه) عليه السلام قال: لقد كانت الدنيا وما كان فيها إلا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره إذاً لأضافه إليه، حيث يقول ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، فصبر بذلك ما شاء الله، ثم إن الله تبارك وتعالى آنسه بإسماعيل وإسحاق، فصاروا ثلاثة[٤].

(وعنه) عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله تعالى اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله تعالى اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله تعالى اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. قال فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين، قال: لا يكون السفيه إمام التقي[٥].

(وعنه) عليه السلام: أول من اتخذ النعلين إبراهيم عليه السلام[٦].

(وعن) أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس يموتون فجأة، فلما كان زمن إبراهيم عليه السلام

(١) ترتيب نوادر الراوندي ص ٥٦ وذكر أن الحديث في الأصل ص ٢٣.
(٢) تفسير العياشي ج ١، ص ٢٧٧ في تفسيره لسورة النساء برقم ٢٧٩.
(٣) سورة النحل؛ الآية: ١٢٠.
(٤) تفسير العياشي ج ٢، ص ٢٧٤ في تفسيره لسورة النحل برقم ٨٤.
(٥) أصول الكافي ج ١، ص ١٧٥ باب طبقات الأنبياء برقم ٢.
(٦) فروع الكافي ج ٦، ص ٤٦٢ باب الاحتذاء برقم ٣.

قال: يا رب اجعل للموت علة يؤجر بها الميت ويسلّى بها عن المصائب، فأنزل الله عز وجل البرسام[١] ثم أنزل بعده الداء[٢].

(نوادر الراوندي) عن الكاظم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم يحضنهم إبراهيم عليه السلام وتربيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران[٣].

أقول: أولاد المؤمنين الذين يموتون أطفالاً ورد في بعض الأخبار أن الزهراء عليها السلام تربيهم في الجنة حتى يأتي أبواهم أو واحد من أقاربهم فتدفعه إليهم.

وفي بعضها: إن بعض شجر الجنة له أخلاف كأخلاف البقر يرتضع منه أطفال المؤمنين الذين يموتون رضعاناً حتى يكبروا، فيدفعوا إلى آبائهم، والتوفيق بين الأخبار تارة بأن بعضهم تربيهم الزهراء، والآخر يحضنهم إبراهيم وسارة وأُخرى بأن أطفال العلويين من أولادها عليها السلام هي التي تربيهم وأطفال باقي المؤمنين يوكل إلى غيرها. وأما نقش خاتمه عليه السلام فقد تقدم.

الفصل الثاني

في بيان ولادته عليه السلام وكسر الأصنام وحال أبيه وما جرى له مع فرعون

قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤]. أي لم ينته علمك إلى الذي حاج إبراهيم. أي خاصمه وهو نمرود بن كنعان وهو أول من تجبر وادعى الربوبية وهذه المحاجة:

(روي) عن الصادق عليه السلام أنها بعد إلقائه في النار، وقوله: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي محاجته ومخاصمته مع إبراهيم طغياناً وبغياً، باعتبار الملك الذي آتاه الله والملك هنا عبارة عن نعيم الدنيا وهو بهذا المعنى يجوز أن يعطيه الله الكافر والمؤمن. وأما الملك بمعنى تمليك الأمر والنهي وتدبير أمور الناس وإيجاب الطاعة على الخلق، فلا يجوز أن يؤتيه الله إلا من يعلم أنه

---

(١) البرسام: الحمّى الشديدة التي يهذى فيها.

(٢) فروع الكافي ج ٣، ص ١١١ كتاب الجنائز.

(٣) بحار الأنوار ج ١٢، ص ١٤.

(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٨.

يدعو إلى الصلاح والسداد والرشاد ولا يكون إلا للنبي وأهل بيته الطاهرين العالمين بما تحتاج إليه الأمة من أول أمرها إلى آخره[1].

وقد ذكرت في بعض مؤلفاتي مباحثة مع بعض علماء العامة قلت له: الشيطان يأمر بكل منكر وينهى عن كل معروف، قال نعم قلت الإمام يجب أن يكون نقيضاً للشيطان يأمر بما ينهى عنه الشيطان وينهى عما يأمر به الشيطان، فقال نوافق على هذا القول، فقلت وهذا لا يكون إلا إذا كان الإمام عالماً بجميع الأوامر والنواهي الإلّهية وإلا كان الشيطان أعلم منه، ولم يكن على طرف النقيض مع الشيطان ومن ادعيتم لهم الإمامة ليسوا على هذه الصفة بالإجماع على ما تواتر من قول الثاني: كل الناس أفقه مني، حتى المخدرات في الحجاب وقول الأول عند أغاليطه: إن لي شيطاناً يعتريني، إذا زغت فقوموني وإذا ملت فسددوني. وأما الثالث: فحاله في الجهل أوضح من أن يذكر، فعلى هذا الملك الذي وثبوا عليه وتقمصوه لم يكن ملكاً آتاهم الله، حتى أوجب على الناس طاعتهم، مع أنه لو كان الأمر كذلك يلزم الحرج على المكلفين، لأن الأول في زمن خلافه ذهب إلى مذاهب وفتاوى في الأحكام لم يذهب إليها الثاني وعمل بضدها: فكيف يجب متابعة الرجلين مع ما بينهما من التضاد والخلاف في الأقوال والأفعال.

(وروي) في تفسير قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ إنه قال رجل للصادق عليه السلام: ملك بني أمية أهو من الله تعالى؟ فقال عليه السلام: إنه ملك لنا من الله ولكن بنو أمية وثبوا عليه وغصبوه منا، كمن كان له ثوب فجاء رجل فغصبه منه ولبسه، فبلبسه له لم يصر ملكاً له ولا ثوبه، والمراد بالملك هنا هو معناه الثاني، وأما الملك بمعناه الأول فلا مانع من تمكين الله سبحانه لهم منه كما أعطى ملوك الكفار والسلاطين الظالمين وكانوا من الفريقين.

﴿ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ المراد بالإماتة هنا اخراج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقص بنية ولا إحداث فعل يتصل بالبدن من جهته، وهذا خارج عن قدرة البشر.

وقوله: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ﴾ بالتخلية من الحبس، ﴿وَأُمِيتُ﴾ بالقتل، وهذا جهل منه لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى عادلاً عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت أو الموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد سبحانه به ولا يقدر عليه سواه فبهت الذي كفر. أي تحير عن الانقطاع بما بان له من ظهور الحجة. فإن قيل: فهلّا قال له نمرود فليأت بها ربك من المغرب.

قيل: إنه لما رأى الآيات علم أنه لو اقترح ذلك لأتى به تصديقاً لإبراهيم، فكان يزداد بذلك فضيحة، على أن الله سبحانه خذله، ولطف لإبراهيم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد.

---

(١) مجمع البيان المجلد الأول ص ٦٣٥.

(عن ابن عباس) إن الله سبحانه سلط على نمرود بعوضة فعضت شفته، فأهوى إليها ليأخذها فطارت في منخره، فذهب ليستخرجها، فطارت في دماغه، فعذبه الله بها أربعين ليلة، ثم أهلكه[١].

(تفسير علي بن إبراهيم) بإسناده إلى الباقر عليه السلام أنه قال: ليهنتكم الاسم، قيل ما هو؟ قال ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾. وقوله: واستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فليهنتكم الاسم[٢].

أقول: الشيعة اسم تسمى الشيعة به ولقبوا به أنفسهم. وأما الرافضة فاسم سمانا به المخالفون، وجاء في الحديث أنه اسم للمؤمنين من قوم موسى سموا به لأنهم رفضوا فرعون وقومه فذخر الله سبحانه هذا الاسم لنا معاشر الشيعة.

(وفيه) عن أبي عبدالله عليه السلام: إن آزر[٣] أبا إبراهيم عليه السلام كان منجماً لنمرود بن كنعان، فقال له إني أرى في حساب النجوم أن هذا الزمان يحدث رجلًا فينسخ هذا الدين ويدعو إلى دين، فقال له نمرود في أي بلاد يكون؟ قال في هذه البلاد، ولم يخرج بعد إلى الدنيا، قال: ينبغي أن نفرق بين الرجال والنساء ففرق، وحملت أم إبراهيم بإبراهيم ولم يظهر حملها. فلما حانت ولادتها، قالت يا آزر إني قد اعتللت وأريد أن أعتزل عنك، وكانت في ذلك الزمان المرأة إذا اعتلت اعتزلت عن زوجها، فاعتزلت في غار، ووضعت إبراهيم وقمطته، ورجعت إلى منزلها وسدت باب الغار بالحجارة، فأجرى الله لإبراهيم لبناً من إبهامه، وكانت تأتيه أمه، ووكل نمرود بكل امرأة حامل، فكان يذبح كل ولد ذكر، فهربت أم إبراهيم بإبراهيم من الذبح، وكان يشب إبراهيم في الغار يوماً كما يشب غيره في الشهر، حتى أتى له في الغار ثلاث عشرة سنة، فلما كان بعد ذلك زارته أمه، فلما أرادت أن تفارقه تشبث بها، فقال يا أمي أخرجيني، فقالت: يا بني إن الملك إن علم أنك ولدت في هذا الزمان قتلك. فلما خرجت أمه من الغار وقد غابت الشمس، نظر إلى الزهرة في السماء فقال هذا ربي فلما غابت الزهرة فقال: لو كان ربي، ما زال ولا برح، ثم قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾، . والآفل الغائب - فلما نظر إلى المشرق وقد طلع القمر، قال: هذا ربي هذا أكبر وأحسن، فلما تحرك وزال قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[٤] فلما أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها في الدنيا، قال هذا أكبر وأحسن، فلما تحركت وزالت، كشف الله عن السموات حتى رأى العرش وأراه الله ملكوت السموات والأرض. فعند ذلك ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) مجمع البيان المجلد الأول ص ٦٣٥ في تفسيره لسورة البقرة الآية ٢٥٨.

(٢) تفسير القمي ج ٢، ص ٢٢٣ في تفسيره لسورة الصافات الآية ٨٣.

(٣) سيأتي أن آزر لم يكن أباه بل عمه في ص ١١٣.

(٤) سورة الأنعام؛ الآية: ٧٧.

وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[(١)] فجاء إلى أمه وأدخلته دارها وجعلته بين أولادها. فنظر إليه آزر فقال: من هذا الذي بقي في سلطان الملك والملك يقتل أولاد الناس؟ قالت: هذا ابنك ولدته وقت كذا وكذا حين اعتزلت. فقال: ويحك إن علم الملك هذا نزلت منزلتنا عنده. وكان آزر صاحب أمر نمرود ووزيره وكان يتخذ الأصنام له وللناس، ويدفعها إلى ولده فيبيعونها، فقالت أم إبراهيم: لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا، وإن شعر به كفيتك الاحتجاج عنه. وكان آزر كلما نظر إلى إبراهيم أحبه حباً شديداً، وكان يدفع إليه الأصنام ليبيعها كما يبيع إخوته، فكان يعلق في أعناقها الخيوط ويجرها على الأرض، ويقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه، ويغرقها في الماء والحمأة ويقول لها كلي واشربي وتكلمي، فذكر اخوته ذلك لأبيه فنهاه، فلم ينته، فحبسه ولم يدعه يخرج، فحاجه قومه فقال إبراهيم ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾[(٢)].

(وقال عليه السلام) في أول يوم من ذي الحجة ولد إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام[(٣)].

(وفيه) أنه خرج نمرود وجميع أهل مملكته إلى عيد لهم. وكره أن يخرج إبراهيم عليه السلام معه، فوكله ببيت الأصنام، فلما ذهبوا عمد إبراهيم إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم، فكان يدنو من صنم صنم فيقول له: كل وتكلم، فإذا لم يجبه اتخذ القدوم فكسر يده ورجله، حتى فعل ذلك بجميع الأصنام، ثم علق القدوم في عنق الكبير منهم الذي كان في الصدر، فلما رجع الملك ومن معه من العبيد نظروا إلى الأصنام متكسرة، فقالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فقالوا: هاهنا فتى يذكرهم، يقال له إبراهيم وهو ابن آزر، فجاؤوا به إلى نمرود، فقال نمرود لآزر خنتني وكتمت هذا الولد عني؟ فقال أيها الملك هذا عمل أمه، وذكرت أنها تقوم بحجته. فدعا نمرود أم إبراهيم، فقال لها ما حملك على أن كتمتيني أمر هذا الغلام حتى فعل بآلهتنا ما فعل؟ فقالت أيها الملك نظراً مني لرعيتك. فقال وكيف ذلك؟ قالت لأني رأيتك تقتل أولاد رعيتك، فكان يذهب النسل، فقلت إن كان هذا الذي يطلبه دفعته ليقتله، ويكف عن أولاد الناس، وإن لم يكن ذلك بقي لنا ولدنا، وقد ظفرت به، فشأنك. فكف عن أولاد الناس بصواب رأيها، ثم قال لإبراهيم من فعل هذا بآلهتنا؟ ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾[(٤)].

فقال الصادق عليه السلام: ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم: لأنه إنما قال فعله كبيرهم هذا، إن نطق وإن لم ينطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئاً، فاستشار نمرود قومه في إبراهيم، فقالوا له: أحرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ٧٩.

(٢) تفسير القمي ج ١، ص ٢٠٦ في تفسيره لسورة الأنعام الآية: ٨٠.

(٣) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٣١.

(٤) سورة الأنبياء؛ الآية: ٦٣.

فقال الصادق عليه السلام: كان فرعون إبراهيم وأصحابه لغير رشدة فإنهم قالوا لنمرود أحرقوه، وكان فرعون موسى وأصحابه لرشدة فإنه لما استشار أصحابه في موسى، ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾(١). فحبس إبراهيم وجمع له الحطب، حتى إذا كان يوم الذي ألقى فيه نمرود إبراهيم في النار برز نمرود وجنوده وكان بني لنمرود بناءً ينظر منه إلى إبراهيم كيف تأخذه النار، فجاء إبليس واتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يقدر أحد أن يتقارب منها، وكان الطائر من مسيرة فرسخ يحترق فوضع إبراهيم في المنجنيق، وجاء أبوه فلطمه لطمة وقال ارجع عما أنت عليه، ولم يبق شيء إلا طلب إلى ربه، وقالت الأرض يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق؟ وقالت الملائكة يا رب خليلك إبراهيم يحرق. فقال الله عز وجل أما إنه إن دعاني كفيته. وقال جبرائيل يا رب خليلك ليس في الأرض أحد يعبدك غيره سلطت عليه عدوه يحرقه بالنار؟ فقال اسكت، إنما يقول هذا عبد مثلك يخاف الفوت هو عبدي آخذه إذا شئت، فإن دعاني أجبته. فدعا إبراهيم عليه السلام ربه بسورة الإخلاص: يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجني من النار برحمتك. قال: فالتقى معه جبرائيل في الهواء، وقد وضع في المنجنيق، فقال: يا إبراهيم هل لك إليّ من حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى رب العالمين فنعم. فدفع إليه خاتماً عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ألجأت ظهري إلى الله وأسندت أمري إلى الله وفوضت أمري إلى الله، فأوحى الله إلى النار ﴿كُونِى بَرْدًا﴾(٢) فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فانحط جبرائيل وجلس معه يحدثه في النار وهو في روضة خضراء، ونظر إليه نمرود فقال من اتخذ إلهاً فليتخذ إلهاً مثل إله إبراهيم فقال عظيم من عظماء أصحاب نمرود إني عزمت على النار أن تحرقه فخرج عمود من النار نحو الرجل فأحرقه ونظر نمرود إلى إبراهيم في روضة خضراء في النار مع شيخه يحدثه، فقال لآزر ما أكرم ابنك على ربه، قال وكان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم وكان الضفدع يذهب بالماء ليطفيء به النار. قال ولما قال الله تبارك وتعالى للنار ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ لم يعمل النار في الدنيا ثلاثة أيام ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾(٣) إلى الشام وسواد الكوفة(٤).

أقول: قال الرازي اختلفوا في أن النار كيف بردت على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الله تعالى أزال منها ما فيها من الحر والإحراق وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١١١ و ١١٢.

(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٦٩.

(٣) سورة الأنبياء؛ الآية: ٧١.

(٤) تفسير القمي ج ٢، ص ٧١-٧٣ وفيه: يعني إلى الشام وسواد الكوفة وكوثى ربى انتهى أقول: كوثى ربى ناحيتان في أرض بابل وبها طرح إبراهيم في النار.

وثانيها: أن الله سبحانه خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة، كما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل[١] بحيث لا يضره المكث في النار.

وثالثها: أنه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار إليه[٢].

قال المحققون: والأول أولى لأن ظاهر قوله ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ إن نفس النار صارت باردة.

(وعنه) عليه السلام: أنه لما ألقي إبراهيم في النار نزل جبرائيل عليه السلام بقميص من الجنة وطنفسة[٣] من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه.

(وفي التفسير): أنه لما ألقى نمرود إبراهيم عليه السلام في النار وجعلها الله برداً وسلاماً قال نمرود: يا إبراهيم من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، قال له نمرود: أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: أعمد إلى رجلين ممن قد وجب عليهما القتل، فأطلق عن واحد وأقتل واحداً فكنت أمت وأحييت، فقال إبراهيم: إن كنت صادقاً فأحي الذي قتلته، ثم قال: دع هذا فإن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر[٤].

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام قال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام، والكافران نمرود وبخت نصر، واسم ذي القرنين عبدالله بن ضحاك بن معد. وأول منجنيق عمل في الدنيا منجنيق عمل لإبراهيم عليه السلام بسور الكوفة في نهر يقال له: كوثر وفي قرية يقال لها: قنطانا[٥].

(علل الشرائع) سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ من هم فقال عليه السلام: قابيل يفر من هابيل. والذي يفر من أمه موسى. والذي يفر من أبيه إبراهيم. والذي يفر من صاحبته لوط. والذي يفر من ابنه نوح، يفر من ابنه كنعان[٦].

أقول: قال الصدوق طاب ثراه: إن موسى عليه السلام يفر من أمه خوفاً أن لا يعرفها حتى تربيتها له وقيل: إنها كانت مرضعة ترضعه في بيت فرعون قبل وقوعهم على أمه وكانت كافرة. وأما أبو إبراهيم فالمراد عمه، وإلا فأبوه تارخ كان من المسلمين.

---

(١) السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه ويقال أيضاً إنه دابة إذا دخل النار لا تحرقه.

(٢) تفسير الرازي ج ٢٢، ص ١٨٩.

(٣) أي البساط الذي له خملٌ رقيق.

(٤) تفسير القمي ج ١، ص ٨٦ في تفسيره لسورة البقرة الآية: ٢٥٨.

(٥) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٣٦.

(٦) عيون أخبار الرضا ج ١، ٢٢٢ باب ٢٤ وعلل الشرائع ج ٢، ص ٣٢١ باب ٣٨٥ برقم ٤٤.

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام: أنه لما أضرمت النار على إبراهيم عليه السلام شكت هوام الأرض إلى الله عز وجل واستأذنته أن تصب عليها الماء. فلم يأذن الله عز وجل لشيء منها إلا الضفدع، فاحترق منه الثلثان وبقي منه ثلث[١].

(وعن) إسحاق بن عمار عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: يا أبا إسحاق إن في النار لوادياً يقال له سقر، لم يتنفس منذ خلقه الله، وأن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ونتنه وقذره، وما أعد الله فيه لأهله، وإن لذلك الوادي لجبلًا يتعوذ جميع أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله وإن في الجبل لشعباً يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الشعب لقليباً[٢] يتعوذ أهل ذلك الشعب من حر ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وأن في ذلك القليب لحية يتعوذ أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية ونتنها وقذرها وما أعد الله في أنيابها من السم لأهلها، وإن في جوف تلك الحية لسبع صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة، واثنان من هذه الأمة. قال: قلت: جعلت فداك من الخمسة ومن الاثنان؟ قال: فأما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، ويهودا الذي هوّد اليهود، وبولس الذي نصر النصارى ومن هذه الأمة أعرابيان[٣].

أقول: يعني به: الأول والثاني، وسماهما أعرابيان لما فيهما من الجفاء[٤].

وعن الرضا عليه السلام قال: لما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا، فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً. وقال عليه السلام: لما ألقاه الله في النار أنبت الله في حواليه من الأشجار الخضرة النضرة النزهة وأنبت حوله من أنواع الأشجار ما لا يوجد في الفصول الأربعة من السنة[٥].

(كتاب المحاسن) رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام: أن هاتفاً هتف به فقال يا علي بن الحسين أي شيء كانت العلامة بين يعقوب ويوسف؟ فقال: لما قذف إبراهيم في النار، هبط جبرائيل عليه السلام بقميص فضة فألبسه إياه. ففرت عنه النار ونبت حوله النرجس، فأخذ إبراهيم عليه السلام القميص فجعله في عنق إسحاق في قصبة من فضة وعلقها إسحاق في عنق يعقوب وعلقها يعقوب في عنق يوسف عليه السلام فقال له: إن نزع هذا القميص من بدنك علمت أنك ميت أو قد قتلت. فلما دخل عليه إخوته أعطاهم القصبة وأخرجوا القميص فاحتملت الريح رائحته فألقته على وجه يعقوب بالأردن، فقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[٦].

---

(١) الخصال ص ٣٢٧ باب الستة برقم ١٨ وللحديث صدر.

(٢) القليب: البئر.

(٣) الخصال للصدوق ص ٣٩٨ باب السبعة برقم ١٠٦.

(٤) قصص الراوندي ص ١٠٠ برقم ٩٩.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ١١٥ وبحار الأنوار ج ١٢، ص ٤٠.

(٦) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٤٣.

(العياشي) عن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إن نمرود أراد أن ينظر إلى ملك السماء، فأخذ نسوراً أربعة فرباهن، وجعل تابوتاً من خشب وأدخل فيه رجلًا ثم شد قوائم النسور بقوائم التابوت ثم جعل في وسط التابوت عموداً وجعل في رأس العمود لحماً، فلما رأى النسور اللحم طرن بالتابوت والرجل فارتفعن فمكث ما شاء الله، ثم إن الرجل أخرج من التابوت رأسه فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى الجبال إلا كالذر، ثم مكث ساعة فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى إلا الماء، ثم مكث ساعة فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى شيئاً، ثم وقع في ظلمة لم ير ما فوقه وما تحته، ففزع فألقى اللحم فاتبعه النسور منقضات، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلت منقضات وسمعت حفيفهن فزعت وكادت أن تزول مخافة أمر السماء وهو قول الله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾(١).

(الكافي) بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى. يعني قرية من قرى الكوفة - وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط أختين وهما ابنتان للاحج، وكان اللاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولًا وإن إبراهيم تزوج سارة وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة فملكته إبراهيم عليه السلام، فقام فيه وأصلحه. ولما كسر أصنام نمرود، وأمر بإحراقه ولم يحترق، أمرهم أن ينفوه من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بما يشتهيه وما له فحاجهم إبراهيم فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم، واختصموا إلى قاضي نمرود. فقضى أن الحق لإبراهيم فخلوا سبيله وسبيل ماشيته وما له فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام إلى بيت المقدس، فعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليه الأغلاق، غيرة منه عليها ومضى حتى خرج من سلطان نمرود. ودخل في سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمر بعاشر(٢) له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه. فقال العاشر لإبراهيم افتح هذا التابوت حتى نعشر ما فيه. فقال إبراهيم: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطيك عشره ولا تفتحه. فأبى العاشر إلا فتحه، وغضب إبراهيم عليه السلام. فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال، قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم: هي حرمتي وابنة خالتي. فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك، فبعث رسولًا إلى الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولًا من قبله ليأتوه بالتابوت. فقال إبراهيم عليه السلام: لا أفارق التابوت. فحملوه مع التابوت إلى الملك فقال له: افتح التابوت. فقال إبراهيم: إن فيها حرمتي وابنة خالتي وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي. فغضب الملك على إبراهيم لعدم فتحه فلما رأى سارة لم يملك حلمه أن مد يده

(١) تفسير العياشي ج ٢، ص ٣٢٥ في تفسيره لسورة إبراهيم برقم ٤٦.
(٢) العاشر: آخذ العُشر.

إليها. فأعرض إبراهيم وجهه عنه وعنها غيرة وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي. فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه. فقال له الملك: إن إلٓهك هو الذي فعل بي هذا؟ فقال: نعم إن إلٓهي غيور يكره الحرام فقال له الملك: فادع إلهك يرد عليَّ يدي فإن أجابك فلم أتعرض لها فقال إبراهيم: إلهي رد عليه يده ليكف عن حرمتي. فرد الله عز وجل عليه يده، فأقبل الملك عليها ببصره ثم عاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم غيرة وقال: اللهم احبس يده عنها فيبست يده ولم تصل إليها فقال الملك لإبراهيم إن إلهك لغيور وإنك لغيور، فادع إلهك يرد عليَّ يدي فإنه إن فعل لم أعد أفعل. فقال إبراهيم أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله. فقال له الملك نعم فقال إبراهيم اللهم إن كان صادقاً فرد عليه يده، فرجعت إليه. فلما رأى الملك ذلك عظم إبراهيم عنده وأكرمه واتقاه، وقال له: انطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة وهو أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً. فأذن له إبراهيم فوهبها لسارة وهي هاجر أم إسماعيل. فسار إبراهيم بجميع ما معه وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم إعظاماً له وهيبة، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدام الجبار ولكن اجعله أمامك وعظمه فإنه مسلط ولا بد من آمر في الأرض بر أو فاجر. فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك امض فإن إلهي أوحى إليّ الساعة أن أعظمك وأهابك وأن أقدمك أمامي وأمشي خلفك. فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرقيق حليم كريم وأنت ترغبني في دينك فودعه الملك. وسار إبراهيم حتى نزل بأعلى الشامات وخلف لوطاً عليه السلام في أدنى الشامات. ثم إن إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتيني هاجر لعل الله يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً؟ فابتاع إبراهيم هاجر من سارة فوقع عليها فولدت إسماعيل عليه السلام[(١)].

أقول: بقي في هذا المقام أمور لا بد من التنبيه عليها:

الأمر الأول: اختلف علماء الإسلام في أب إبراهيم عليه السلام قال الرازي في تفسير قوله تعالى **﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾** ظاهر هذه الآية يدل على أن اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر. ومنهم من قال: اسمه تارخ. قال الزجاج: لا خلاف بين النسابين أن اسمه تارخ ومن الملحدة من جعل هذا طعناً في القرآن وذكر له وجوهاً:

منها - أن والد إبراهيم عليه السلام كان تارخ وآزر كان عماً له. والعم قد يطلق عليه لفظ الأب كما حكى الله عن أولاد يعقوب أنهم قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[(٢)]. ومعلوم أن إسماعيل كان عماً ليعقوب وقد أطلقوا عليه لفظ الأب فكذا ها هنا.

ثم قال: قالت الشيعة: إن أحداً من آباء رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان كافراً. وذكروا أن آزر كان عمه. واحتجوا على قولهم بوجوه الحجة الأولى أن آباء نبينا ما كانوا كفاراً لوجوه:

---

(١) الروضة من الكافي ص ٣٧٠-٣٧٣ برقم ٥٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

منها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(١).

يعني أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات.

وقوله تعالى: ﴿إنما المشركون نجس﴾ فلا يكون أحد أجداده منهم.

وأيضاً أجمع الإمامية رضوان الله عليهم على إسلام والد إبراهيم عليه السلام. وحينئذٍ فالأخبار الدالة على أنه كان مشركاً أبوه حقيقة محمولة على التقية.

الأمر الثاني: في قول إبراهيم ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، واختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أنه نظر في النجوم، فاستدل بها على وجه حمى كانت تعتوره فقال ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ أي حضر وقت ذلك المرض - فكأنه قال: إني سأسقم.

وثانيها: أنه نظر في النجوم كنظرهم، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنه يقول بمثل قولهم، فقال عند ذلك ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه.

وثالثها: أن يكون الله أعلمه بالوحي أنه سيسقمه في وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك، إما طلوع نجم على وجه مخصوص أو اتصاله بآخر على وجه مخصوص.

فلما رأى إبراهيم عليه السلام تلك الإمارة. قال ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ تصديقاً لما أخبره الله تعالى سبحانه.

ورابعها: إن معنى قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، أي سقيم القلب أو الرأي حزناً من إصرار القوم على عبادة الأصنام، ويكون على ذلك معنى نظره في النجوم فكرته في أنها محدثة مخلوقة، فكيف ذهب على العقلاء حتى عبدوها. والذي ورد في الأخبار هو أنه عليه السلام أوهمهم بالنظر في النجوم لموافقتهم وقال ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، تورية. وجاء في الأخبار تجويز الكذب والتورية لأجل التقية.

(وفي) حديث صحيح أنه قال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، يعني بما يفعل بالحسين عليه السلام، لأنه عرفه من علم النجوم، يعني من نجم الحسين عليه السلام، لأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام كل واحد له نجم في السماء ينسب إليه، كما ورد في الحديث: إن زحل نجم أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يقال إنه نحس، كما يقوله الناس.

الأمر الثالث: قوله عليه السلام: (هذا ربي). وقيل في تأويله وجوه:

الأول: أنه عليه السلام إنما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر فإنه تعالى لما أكمل عقله وحرك دواعيه على الفكر والتأمل ورأى الكوكب فأعظمه لنوره وقد كان قومه يعبدون

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٨-٢١٩.

الكواكب، فقال هذا ربي على سبيل الفكر، فلما غاب علم أن الأفول لا يجوز على الإله. فاستدل بذلك على أنه محدث مخلوق، وكذلك كان حاله في رؤية القمر والشمس قال في آخر كلامه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه وفي بعض الأخبار إيماء إليه.

الثاني: إنه كان عارفاً بعدم صلاحيتها للربوبية ولكن قال ذلك في مقام الاحتجاج على عبدة الكواكب على سبيل الفرض الشائع عند المناظرة فكأنه أعاد كلام الخصم ليلزم عليه المحال. ويؤيده بعد ذلك ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

الثالث: أن يكون المراد: هذا ربي في زعمكم واعتقادكم ونظيره أن يقول الموحد للمجسم إن إلهه جسم محدود. أي في زعمه واعتقاده .. وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[2].

الرابع: أن يكون المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار.

الخامس: أن يكون القول مضمراً أي يقولون هذا ربي.

السادس: أن يكون قوله ذلك على سبيل الاستهزاء كما يقال لذليل ساد قوماً هذا سيدكم على وجه الهزء.

السابع: إنه صلوات الله عليه أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا أنه كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه فمال إلى طريق يستدرجهم به إلى استماع الحجة. وذلك بأنه ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم مع أن قلبه كان مطمئناً بالإيمان فكأنه بمنزلة المكره على إجراء كلمة الكفر على اللسان على وجه المصلحة لإحياء الخلق بالإيمان.

الأمر الرابع: وجه الاستدلال بالأفول على عدم صلاحيتها للربوبية.

(قال الرازي): الأفول عبارة عن غيبوبة الشيء بعد ظهوره.

وإذا عرفت هذا فلسائل أن يقول الأفول إنما يدل على الحدوث من حيث إنه حركة وعلى هذا يكون الطلوع أيضاً دليلًا على الحدوث فلمَ ترك إبراهيم عليه السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعوّل في إثبات هذا المطلوب على الأفول.

والجواب: أنه لا شك أن الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث، إلا أن الدليل الذي يحتج به الأنبياء في معروض دعوة الخلق كلهم إلى الإله لا بد وأن يكون ظاهراً جلياً بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل ودلالة الحركة على الحدوث وإن كانت يقينية إلا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٣. (٢) سورة طه؛ الآية: ٩٧.

أنها دقيقة لا يعرفها إلا الأفاضل من الخلق. وأما دلالة الأفول فكانت على هذا المقصود، وأيضاً قال بعض المحققين: الهوى في حظيرة الإمكان.

أقول: وأحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص وحصة الأوساط وحصة العوام، فإن الخواص يفهمون من الأفول الإمكان وكل ممكن محتاج، والمحتاج لا يكون مقطعاً للحاجة. فلا بد من الانتهاء إلى ما يكون منزهاً عن الإمكان حتى تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[(١)]. وأما الأوساط فإنهم يفهمون من الأفول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث محتاج إلى القديم القادر فلا يكون الآفل إلهاً بل الإلّه هو الذي احتاج إليه هذا الآفل. وأما العوام فإنما يفهمون من الأفول الغروب وهم يشاهدون أن كل كوكب يقرب من الأفول فإنه يزول فوراً ضوؤه ويذهب سلطانه ويصير كالمعدوم ومن كان كذلك فإنه لا يصلح للإلّهية، فهذه الكلمة الواحدة أعني قوله ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ مشتملة على نصيب المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فكانت أكمل الدلائل وأفضل البراهين، وفيه دقيقة أُخرى وهي أنه عليه السلام كان يناظرهم وهم كانوا منجمين ومذهب أهل النجوم إذا كان في الربع الشرقي ويكون شاهداً إلى وسط السماء كان قوياً عظيم التأثر. وأما إذا كان غربياً وقريباً من الأفول، فإنه يكون ضعيف الأثر قليل القوة. فنبه بهذه الدقيقة على أن الإله هو الذي لا تتغير قدرته إلى العجز وكماله إلى النقص، ومذهبكم أن الكوكب حال كونه في الربع الغربي يكون ضعيف القوة ناقص التأثير، عاجزاً عن التدبير، وذلك يدل على القدح في إلهيته. فظهر أن على قول المنجمين للأفول مزيد اختصاص في كونه موجباً للقدح في الإلهية، انتهى[(٢)].

الأمر الخامس: تأويل قوله عليه السلام (بل فعله كبيرهم) وقد ذكروا له وجوهاً:

الأول: ما ذكره علم الهدى نور الله ضريحه: وهو أن الخبر مشروط غير مطلق لأنه قال ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾. ومعلوم أن الأصنام لا تنطق، فما علق على المستحيل فهو مستحيل فأراد إبراهيم توبيخهم بعبادة من لا ينطق ولا يقدر أن يخبر عن نفسه بشيء، فإذا علم استحالة النطق علم استحالة الفعل، وعلم باستحالة الأمرين أنه لا يجوز أن تكون آلهة معبودة، وأن من عبدها ضال مضل. ولا فرق بين قوله إنهم فعلوا ذلك إن كانوا ينطقون وبين قوله إنهم ما فعلوا ذلك ولا غيره، لأنهم لا ينطقون ولا يقدرون. وأما قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ فإنما هو أمر بسؤالهم أيضاً على شرط والنطق منهم شرط في الأمرين، فكأنه قال إن كانوا ينطقون فاسألوهم فإنه لا يمتنع أن يكونوا فعلوه، وهذا يجري مجرى قول أحدنا لغيره من فعل هذا الفعل؟ فيقول: زيد فعل كذا وكذا ويشير إلى فعل يضيفه السائل إلى زيد، وليس في الحقيقة من فعله ويكون غرض المسؤول نفي الأمرين عن زيد وتنبيه السائل على خطئه في إضافته إلى زيد[(٣)].

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢.
(٢) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٤٨-٥٣.
(٣) تنزيه الأنبياء ص ٢٣.

الثاني: أنه لم يكن قصد إبراهيم عليه السلام إلى أن ينسب الأمر إلى الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على وجه تعريضي، وهذا كما لو قال صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت تحسن الخط أنت كتبت هذا وصاحبك لا يحسن الخط، فقلت له بل كنت أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك.

الثالث: أن إبراهيم عليه السلام غاظته تلك الأصنام حيث أبصرها مصففة مرتبة فكان غيظه من كبيرها أشد، لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو السبب في استهانته وحطمه لها، والفعل كما يسند إلى مباشرته يسند إلى الحامل عليه.

الرابع: أنه قال على وجه التورية لما فيه من الإصلاح.

(روي في الكافي) بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا كذب على مصلح، ثم تلا: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾[1]. ثم قال: والله ما سرقوا وما كذب، ثم تلا: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾[2] فقال: والله ما فعلوا وما كذب، وهذا إرادة الإصلاح ودلالة على أنهم لا يعقلون[3]، وبقيت وجوه أُخر، لا نطول الكتاب بذكرها.

الفصل الثالث

في إراءته ملكوت السموات والأرض وسؤاله إحياء الموتى وجملة من حكمه ومناقبه وفيه وفاته عليه السلام

قال الله سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[4].

(الاحتجاج) عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن إبراهيم عليه السلام لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[5] قوّى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين فرأى رجلًا وامرأةً على فاحشة فدعا الله عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك. فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي، فإني

---

(١) سورة يوسف؛ الآية: ٧٠.
(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٦٣.
(٣) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٥٤-٥٥.
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢٦٠.
(٥) سورة الأنعام؛ الآية: ٧٥.

أنا الغفور الرحيم الجبار الحليم لا تضرني ذنوب عبادي كما لا ينفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك فاكفف دعوتك عن عبادي، فإنما أنت عبد نذير، لا شريك في المملكة ولا مهيمن عليّ ولا على عبادي، وعبادي معي بين خلال[١] ثلاث إما تابوا إليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم، وإما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فأرفق بالآباء الكافرين وأتأنى بالأمهات الكافرات وأرفع عنهم عذابي ليخرج أولئك المؤمنون من أصلابهم، فإذا تزايلوا[٢] حق بهم عذابي، وإن لم يكن هذا ولا هذا، فإن الذي أعددته لهم من عذابي أعظم مما تريد لهم فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي يا إبراهيم وخلّ بيني وبين عبادي، فإني أنا الجبار الحليم العلام الحكيم أدبرهم بعلمي وأنفذ فيهم قضائي وقدري[٣].

ثم التفت إبراهيم عليه السلام فرأى جيفة على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البر، تجيء سباع الماء فتأكل ما في الماء، ثم ترجع فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البر فتأكل منها فيشتمل (فيشتد) بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً. فعند ذلك تعجب إبراهيم عليه السلام مما رأى. وقال: يا رب ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ هذه أمم تأكل بعضها بعضاً؟ ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ يعني حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ واخلطهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[٤].

أقول: الظاهر من الأحاديث أن رؤية الملكوت كانت بالعين، وجوز بعضهم الرؤية القلبية، بأن أنار قلبه حتى أحاط بها علماً.

وفي (علل الشرائع) سمعت محمد بن عبد الله بن طيفور يقول في قول إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ إن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يزور عبداً من عباده الصالحين. فزاره، فلما كلمه قال له إن لله تبارك وتعالى في الدنيا عبداً يقال له: إبراهيم، اتخذه خليلًا. قال وما علامة ذلك العبد؟ قال يحيي الموتى فوقع لإبراهيم أنه هو، فسأله أن يحيي الموتى، قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة. ويقال إنه أراد أن يكون له في ذلك معجزة، كما كانت للرسل، وأن إبراهيم سأل ربه أن يحيي له الميت، فأمره الله عز وجل أن يميت لأجله الحي سواء بسواء وهو لما أمره بذبح ابنه إسماعيل، وإن الله عز وجل أمر إبراهيم بذبح أربعة من الطير: طاووساً ونسراً وديكاً وبطاً.

---

(١) خلال: خصال.
(٢) تزايلوا: أي تفرقوا.
(٣) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٥ . ٣٦ في احتجاجات النبي صلى الله عليه وآله.
(٤) علل الشرائع ج٢، ص ٣١٠ باب ٣٨٥ برقم ٣١.

فالطاووس يريد به زينة الدنيا. والنسر يريد به الأمل الطويل. والبط يريد به الحرص. والديك يريد به الشهوة. يقول الله عز وجل: إن أحببت أن تحيي قلبك وتطمئن معي، فاخرج عن هذه الأشياء الأربعة، فإذا كانت هذه الأشياء في قلب فإنه لا يطمئن معي، وسألته كيف قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ مع علمه بسره وحاله، فقال: إنه لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ كان ظاهر هذه اللفظة توهم أنه لم يكن بيقين فقرره الله بسؤاله عنه إسقاطاً للتهمة عنه وتنزيهاً له من الشك(١).

وفي (الكافي) عن الحصين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح أخبره أني شاك، وقد قال إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ وإني أحب أن تريني شيئاً فكتب إليّ: إن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً، وأنت شاك والشاك لا خير فيه(٢).

(وعن) أبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قال: أخذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب، فذبحهن وعزل رؤوسهن ودق لحمهن في الهاون مع عظامهن وريشهن حتى اختلطن، ثم جزأهن عشرة أجزاء على عشرة جبال ثم وضع عنده حباً وماءً، ثم جعل مناقيرهن بين أصابعه، قال ائتين معي بإذن الله، فتطاير بعضها إلى بعض اللحوم والريش والعظام حتى استوت الأبدان كما كانت وجاء كل بدن حتى التزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار، فخلى إبراهيم عن مناقيرهن فوقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب، ثم قلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت. فهذا تفسيره الظاهر، وتفسيره في الباطن: خذ أربعة ممن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك، ثم ابعثهم في أطراف الأرضين حججاً لك على الناس، وإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتينك سعياً بإذن الله عز وجل، قال الصادق: الذي عندي في هذا أنه أمر بالأمرين جميعاً. وروي أن الطيور التي أمر بأخذها: الطاووس والنسر والديك والبط(٣).

أقول: يجوز أن يحمل تغاير الطيور على تعدد المرات.

(عيون أخبار الرضا) عن ابن الجهم قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ قال الرضا عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إني متخذ من عبادي خليلًا إن سألني إحياء الموتى أجبته فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنه ذلك الخليل، فقال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلة، قال: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ﴾ الحديث(٤).

---

(١) علل الشرائع ج١، ص ٥١ باب ٣٢ برقم ٨.

(٢) بحار الأنوار ج١٢، ص ٦٣.

(٣) الخصال للصدوق ص ٢٦٤ باب الأربعة برقم ١٤٦.

(٤) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٧٦ باب ١٥ وللحديث صدر.

أقول: ذكر المفسرون لتأويل هذه الآية وجوهاً:

الأول: ما تضمنه هذا الحديث.

الثاني: أنه أحب أن يعلم ذلك عياناً بعد ما كان عالماً به من جهة الدليل والبرهان لتزول الخواطر والوساوس. وفي الأخبار دلالة عليه.

الثالث: إن سبب السؤال منازعة نمرود إياه في الإحياء، فقال أحيي وأميت: أطلق محبوساً واقتل إنساناً.

فقال إبراهيم عليه السلام: ليس هذا بإحياء، وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ليعلم نمرود ذلك، وذلك أن نمرود توعده بالقتل إن لم يحي الله له الميت بحيث يشاهده ولذلك قال ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بأن لا يقتلني الجبار.

(وعن المفضل بن عمر) عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ. فتاب الله عليه. فقلت: فما يعني بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: فأتمهن إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً. قال المفضل: فقلت يابن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾؟ قال: يعني بذلك الإمامة، وجعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة[(١)].

(معاني الأخبار) مسنداً عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، قلت: ما كانت صحيفة إبراهيم، قال: كانت أمثالاً كلها وكان فيها: أيها الملك المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً - أي مريضاً وصاحب علة - أن يكون له ثلاث ساعات، ساعة يناجي فيها ربه عز وجل، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيما صنع الله عز وجل إليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات على العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمة لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم. قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها. وفيها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، ولمن أيقن بالنار كيف يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها لمَ يطمئن إليها، ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب - أي يتعب نفسه - في طلب الرزق، ولمن أيقن بالحساب لم لا يعمل»[(٢)].

(وعن) أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) الخصال ص ٣٠٤ باب الخمسة برقم ٨٤.

(٢) الخصال للصدوق ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ في أبواب العشرين رقم ١٣.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾[١] قال: أُعطي بصره من القوة ما يعدو السموات، فرأى ما فيها ورأى العرش وما فوقه ورأى الأرض وما تحتها[٢]، وفعل بمحمد ﷺ مثل ذلك، وأنا لا أرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك[٣].

(العياشي) عن عبد الصمد بن بشير قال: جمع لأبي جعفر الدوانيقي جميع القضاة، فقال لهم: رجل أوصى بجزء من ماله فكم الجزء؟ فلم يعلموا كم الجزء، فأبرد بريد إلى صاحب المدينة أن يسأل جعفر بن محمد عليه السلام رجل أوصى بجزء من ماله، فكم الجزء، فقد أشكل ذلك على القضاة، فلم يعلموا كم الجزء، فأتى صاحب المدينة إلى الصادق عليه السلام وسأله عن الجزء، فقال عليه السلام: هذا في كتاب الله بيّن إن الله يقول، لما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: على كل جبل جزء، وكانت الطيور والجبال عشرة، الحديث[٤].

(العياشي) عن أحدهما عليه السلام: إنه كان يقرأ هذه الآية ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: أنه قرأ ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ قال هذه كلمة صحفها الكتاب، إنما كان استغفار إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه، وإنما قال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق، والحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ[٥].

(غوالي اللئالي) في الحديث أن إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض بها روح المؤمن؟ قال: نعم، أعرض عني، فأعرض عنه، فإذا هو شاب حسن الصورة حسن الثياب حسن الشمائل طيب الرائحة، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلا حسن صورتك لكان حسبه، ثم قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض بها روح الفاجر؟ فقال: لا تطيق، فقال بلى، قال: أعرض عني، فأعرض عنه، ثم التفت إليه، فإذا هو رجل أسود قائم الشهر منتن الرائحة أسود الثياب يخرج من فيه ومن مناخيره النيران والدخان. فغشي على إبراهيم، ثم أفاق، وقد عاد ملك الموت إلى حالته الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورتك هذه لكفته[٦].

(علل الشرائع) عن علي عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام مرّ ببانقيا، وكان ينزل بها، فبات بها فأصبح القوم ولم يزلزل بهم.

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ٧٥.
(٢) تفسير العياشي ج١، ص ٣٦٤ برقم ٣٦.
(٣) بحار الأنوار ج١٢، ص ٧٢.
(٤) تفسير العياشي ج١، ص ١٤٣ في تفسيره لسورة البقرة برقم ٤٧٣.
(٥) تفسير العياشي ج٢. ص ٢٣٥ في تفسيره لسورة إبراهيم برقم ٤٥ و ٤٧.
(٦) بحار الأنوار ج١٢، ص ٧٤ و ٧٥.

فقالوا ما هذا وليس حدث؟ قالوا: ها هنا شيخ ومعه غلام له قال فأتوه فقالوا له: يا هذا إنه كان يزلزل بنا كل ليلة، ولم تزلزل بنا هذه الليلة، فبت عندنا، فبات، فلم يزلزل بهم، فقالوا: أقم عندنا ونحن نجري عليك ما أحببت؟ قال: لا، ولكن تبيعوني هذا الظهر، ولم يزلزل بكم. قالوا: فهو لك. قال لا آخذه، إلا بالشراء. قالوا: فخذه بما شئت، فاشتراه بسبع نعاج وأربع أحمرة، فلذلك سمي بانقيا لأن النعاج بالنبطية نقيا، فقال له غلامه: يا خليل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر وليس فيه زرع ولا ضرع؟ فقال له: اسكت، فإن الله عز وجل يحشر من هذا الظهر سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع منهم لكذا وكذا[(١)].

أقول: بانقيا على ما في القاموس قرية بالكوفة، والمراد هنا ظهر الكوفة هي النجف. وفيه أيضاً مسنداً إلى الصادق عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام: إن الأرض قد شكت إليّ الحياء من رؤية عورتك، فاجعل بينك وبينها حجاباً، فجعل شيئاً هو أكبر من الثياب ومن دون السراويل، فلبسه، فكان إلى ركبتيه.

أقول: المراد من قوله: ومن دون السراويل، أنه أنقص طولاً من هذه السراويل المتعارفة، وهو السروال لإبراهيم عليه السلام، إلا أنه كان قاصراً أن يدل على أن أول من اتخذ لبس السراويل هو إبراهيم عليه السلام.

(وعنه) صلى الله عليه وآله في حديث المعراج: أنه مرَّ على شيخ قاعد تحت الشجرة حوله أطفال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من هذا الشيخ يا جبرائيل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. فقال: فما هؤلاء الأطفال حوله؟ قال: هؤلاء الأطفال أطفال المؤمنين حوله يغذيهم[(٢)].

(الأمالي) عن الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح آدم عليه السلام أهبط الله ملك الموت، فقال السلام عليك يا إبراهيم. قال: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع؟ فقال: بل ناع يا إبراهيم فأجب، قال: يا ملك الموت فهل رأيت خليلًا يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله، فقال: إلهي قد سمعت بما قال خليلك إبراهيم؟ فقال الله جل جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟[(٣)].

أقول: المراد بالداعي هنا الطالب على سبيل التخيير والرضا، كمن يدعو أحداً إلى ضيافة، وبالناعي الطالب على سبيل القهر والجزم، فلما علم إبراهيم عليه السلام أن الأمر موسع عليه طلب الحياة ليكثر من الطاعة والعبادة.

---

(١) علل الشرائع ج٢، ص ٣٠٩ باب ٣٨٥ برقم ٣٠.

(٢) أمالي الصدوق ص ٣٦٥ المجلس التاسع والستون حديث رقم ٢.

(٣) علل الشرائع ج١، ص ٥١ ـ ٥٢ باب ٣٢ حديث رقم ٩ وأمالي الصدوق ص ١٦٤ المجلس ٣٦ برقم ١.

(العلل) عن الصادق عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام لما قضى مناسكه رجع إلى الشام فهلك. وكان سبب هلاكه أن ملك الموت أتاه ليقبضه، فكره إبراهيم الموت، فرجع ملك الموت إلى ربه عز وجل، فقال: إن إبراهيم كره الموت. فقال: دع إبراهيم فإنه يحب أن يعبدني حتى رأى إبراهيم شيخاً كبيراً، يأكل ويخرج منه ما يأكله، فكره الحياة وأحب الموت، فبلغنا أن إبراهيم أتى داره، فإذا فيها رجلًا حسن الصورة ما رآها قط، قال من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. قال: سبحان الله من الذي يكره قربك وزيارتك وأنت بهذه الصورة؟ فقال: يا خليل الرحمن إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً بعثني إليه في هذه الصورة، وإذا أراد بعبد شراً بعثني إليه في غير هذه الصورة فقبض عليه السلام بالشام. وتوفي إسماعيل بعده وهو ابن ثلاثين ومائة سنة، فدفن في الحجر مع أمه(١).

(وفيه) أيضاً عنه عليه السلام قال: إن سارة قالت لإبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم قد كبرت فلو دعوت الله أن يرزقك ولداً تقر أعيننا به، فإن الله اتخذك خليلًا، وهو مجيب لدعوتك فسأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يرزقه غلاماً عليماً. فأوحى الله إليه: إني واهب لك غلاماً عليماً، ثم أبلوك بالطاعة. فمكث إبراهيم عليه السلام بعد البشارة ثلاث سنين، وإن سارة قالت لإبراهيم عليه السلام: إنك قد كبرت وقرب أجلك فلو دعوت الله عز وجل أن يمد لك في العمر فتعيش معنا؟ فسأل إبراهيم عليه السلام ربه ذلك فأوحى الله إليه: سل من زيادة العمر ما أحببت. فقالت سارة: سل أن لا يميتك حتى تكون أنت الذي تسأله الموت. فأوحى الله تعالى إليه في ذلك. فقالت سارة: اشكر الله واعمل طعاماً، وادع عليه الفقراء وأهل الحاجة، ففعل ودعا الناس فكان فيمن أتى رجل كبير ضعيف مكفوف، معه قائد له، فأجلسه على مائدته فمد الأعمى يده، فتناول اللقمة وأقبل بها نحو فيه، فجعلت تذهب يميناً وشمالًا، ثم أهوى بيده إلى جبهته، فتناول قائده يده فجاء بها إلى فمه، ثم تناول المكفوف لقمة، ثم ضرب بها عينه، قال: وإبراهيم ينظر إلى المكفوف وإلى ما يصنع، فتعجب إبراهيم عليه السلام من ذلك.

وسأل قائده؟ فقال: هذا الذي ترى من الضعف، فقال إبراهيم عليه السلام في نفسه أليس إذا كبرت أصير مثل هذا. ثم إن إبراهيم عليه السلام سأل الله عز وجل حيث رأى من الشيخ ما رأى: اللهم توفني في الأجل الذي كتبت لي، فلا حاجة لي في الزيادة في العمر بعد الذي رأيت(٢).

(وعنه) عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام ناجى ربه فقال: يا رب كيف تميت ذا العيال من قبل أن تجعل له من ولده خلفاً يقوم بعده في عياله؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم أو تريد لها خلفاً منك يقوم مقامك من بعدك خيراً مني؟ قال إبراهيم: اللهم لا، الآن طابت نفسي(٣).

---

(١) علل الشرائع ج١، ص ٥٣ باب ٣٦. حديث رقم ١.
(٢) علل الشرائع ج١، ص ٥٤ باب ٣٦ حديث رقم ٢.
(٣) قصص الراوندي ص ١١٢ برقم ١١١.

الفصل الرابع
في أحوال أولاده وأزواجه صلوات الله عليه
وبناء البيت الحرام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(١).

(الطبرسي طاب ثراه) روي عن الباقر عليه السلام أنه قال نزلت ثلاثة أحجار من الجنة، حجر مقام إبراهيم عليه السلام، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود، واستودعه الله إبراهيم عليه السلام حجراً أبيض، وكان أشد بياضاً من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم(٢).

أقول: الحجر الأسود تقدم أن آدم عليه السلام حمله من الجنة. وحدثني بعض الشيوخ من العلماء أن الكعبة لما هدمها السيل، شاهدوا الحجر من الطرف الذي يلي البيت، وكان أبيض.

(قال ابن عباس) وروي في كثير من أخبارنا أنه لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة، وأتت على ذلك مدة، ونزلها الجرهميون، تزوج إسماعيل منهم وماتت هاجر، استأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له، وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته أين صاحبك؟ فقالت ذهب يتصيد وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع. فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ما عندي شيء فقال لها إبراهيم عليه السلام: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له فليغير عتبة بابه. وذهب إبراهيم عليه السلام فلما جاء إسماعيل عليه السلام ووجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه، قال فما قال لك قالت: قال لي أقرئي زوجك السلام، وقولي فليغير عتبة بابه. فطلقها وتزوج بأخرى. فلبث إبراهيم ما شاء الله، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل. فأذنت له، واشترطت عليه أن لا ينزل. فجاء حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته أين صاحبك؟ فقالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم، ودعى لها بالبركة، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر، لكان أكثر أرض الله براً أو تمراً أو شعيراً فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل، فجاءت بالمقام فوضعته على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) مجمع البيان المجلد الأول ص ٣٨٣.

شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر، فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شق رأسه الأيسر، فقال لها إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له لقد استقامت عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل، وجد رائحة أبيه، فقال لامرأته هل جاءك أحد؟ قالت نعم، شيخ من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً وقال لي كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام، قال لها إسماعيل: ذلك إبراهيم عليه السلام[(١)].

(وعن) النبي صلى الله عليه وآله: الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولولا أن نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق والمغرب[(٢)].

(العياشي) عن الصادق عليه السلام قال: أنزل الحجر الأسود من الجنة لآدم وكان في البيت درة بيضاء، فرفعه الله تعالى إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، فأمر الله إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا البيت على القواعد[(٣)].

(وعن ابن عباس) قال: قدم إبراهيم في المقام، فنادى: أيها الناس إن الله دعاكم إلى الحج. فأجابوا لبيك اللهم لبيك، أجابه من في أصلاب الرجال وأول من أجابه أهل اليمن[(٤)].

(تفسير علي بن إبراهيم) في قوله تعالى ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ عن الصادق عليه السلام يعني نحى عن المشركين. وقال: لما بنى إبراهيم عليه السلام البيت وحج الناس شكت الكعبة إلى الله تبارك وتعالى ما تلقى من أنفاس المشركين، فأوحى الله إليها قري يا كعبة، فإني أبعث في آخر الزمان قوماً يتنظفون بقضبان الشجر ويتخللون[(٥)].

أقول: قضبان الشجر شامل للأراك وغيره، وربما يوجد في موضع آخر تخصيصه بالأراك، وإرادة العموم جائزة، فإن السواك بمطلق قضبان الشجر مستحب وإن كان الأفضل هو الأراك، بل ورد استحباب السواك بالأصابع، وهو منزّل مراتب الفضل والاستحباب.

وفيه في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ يعني لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام حدثني بذلك أبي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام[(٦)].

(علل الشرائع) بإسناده إلى الصادق عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: لما بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت، قالت امرأة إسماعيل وكانت عاقلة فهلا تعلق على هذين البابين ستراً

---

(١) مجمع البيان المجلد الأول ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤.
(٢) نفس المصدر.
(٣) تفسير العياشي ج١، ص ٦٠ في تفسيرة لسورة البقرة برقم ٩٨.
(٤) تفسير القمي ج١، ص ٥٩ في تفسيره لسورة البقرة الآية: ١٢٥.
(٥) مجمع البيان المجلد الرابع ص ١٢٨ في تفسيره لسورة الحج الآية: ٢٧.
(٦) تفسير القمي ج٢، ص ٥١ في تفسيره لسورة مريم الآية: ٥٠.

من ها هنا؟ قال: نعم. فعملا له سترين طولهما اثني عشر ذراعاً فعلقهما على البابين، فأعجبها ذلك، فقالت: فهلا أحوك للكعبة ثياباً ونسترها كلها فإن هذه الأحجار سمجة. فقال إسماعيل: بلى، فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزل بهن.

(قال) أبو عبد الله عليه السلام: وإنما وقع استغزال بعضهن مع بعض، لذلك فأسرعت واستعانت في ذلك، فلما فرغت من شقة علقتها، فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة. فقال لإسماعيل: كيف نصنع بهذا الوجه الذي لم ندركه بكسوة فنكسوه خصفاً[١]، فجاء الموسم فجاءته العرب، فنظروا إلى أمر فأعجبهم فقالوا: ينبغي لعامر هذا البيت أن يهدى إليه. فمن ثم وقع الهدي فأتى كل فخذ[٢] من العرب بشيء يحمله من ورق ومن أشياء وغير ذلك، فنزعوا ذلك الخصف وأتموا كسوة البيت وعلقوا عليها بابين، وكانت غير مسقفة فسقفها إسماعيل بالجرائد، فجاءت العرب فرأوا عمارتها فزادوا في الهدي فأوحى الله إليه أن انحره وأطعم الحاج، وشكى إسماعيل إلى إبراهيم قلة الماء. فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام احتفر بئراً يكون منها شرب الماء فاحتفر زمزم وضرب إبراهيم عليه السلام في أربع زوايا البئر فانفجرت من كل زاوية عيناً، فقال جبرائيل عليه السلام: اشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة، ثم تزوج إسماعيل الحميرية وولد له منها ولد ثم تزوج بعدها أربع نسوة فولد له من كل واحدة أربعة غلمان، ثم قضى الله على إبراهيم بالموت فلم يره إسماعيل ولم يخبر بموته حتى كان أيام الموسم فنزل جبرائيل عليه السلام وأخبره بموت أبيه وكان لإسماعيل ابن صغير يحبه، وكان هوى إسماعيل فيه، فأبى الله عليه ذلك فقال يا إسماعيل هو فلان، فلما قضى الموت على إسماعيل دعا وصيه، فقال يا بني إذا حضرك الموت فافعل كما فعلت. فمن ذلك لا يموت إمام إلا أخبره الله إلى من يوصي[٣].

(تفسير علي بن إبراهيم) مسنداً إلى الصادق عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام، فلما ولد من هاجر إسماعيل اغتمت سارة من ذلك غماً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد وقد كانت تؤذي إبراهيم في هاجر فتغمه، فشكى ذلك إلى الله تعالى. فأوحى الله تعالى إليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركت استمتعت بها وإن أقمتها كسرتها، ثم أمره أن يخرج إسماعيل وأمه عنها، فقال يا رب إلى أي مكان؟ فقال: إلى حرمي. فأنزل عليه جبرائيل عليه السلام بالبراق، فحمل هاجر وإسماعيل عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع، إلا وقال يا جبرائيل إلى ها هنا؟ فقال: لا، امض. حتى وافى مكة، فوضعه موضع البيت، وقد كان عاهد سارة ألا ينزل حتى يرجع إليها، فلما نزلوا في ذلك

(١) الخصف: الجُلة التي يكتنز فيها التمر.
(٢) الفخذ: هو ما انقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أمية.
(٣) علل الشرائع ج٢، ص ٣١٢ باب ٣٨٥ برقم ٣٢.

المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها، فاستظلوا تحته فلما وضعهم وأراد الانصراف إلى سارة قالت له هاجر: يا إبراهيم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يكفيكم. ثم انصرف عنهم، فالتفت إليهم، فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1] فبقيت هاجر، فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء، فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى، فنادت هل في الوادي من أنيس؟ فغاب إسماعيل عنها، فصعدت على الصفا، ولمع لها السراب في الوادي وظنت أنه ماء، فنزلت في بطن الوادي وسعت، فلما بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل، ثم لمع لها السراب في موضع الصفا، فهبطت إلى الوادي تطلب الماء، فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات، فلما كان في الشوط السابع، وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه، فجمعت حوله رملاً، فإنه كان سائلًا فزمته بما جعلت حوله، فلذلك سمي زمزم، وكانت جُرهم نازلة بعرفات، فلما ظهر الماء بمكة، وعكفت الطير والوحوش عليه، اتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي نازلين في ذلك الموضع، قد استظلا بشجرة، قد ظهر الماء لهما، قالوا لهاجر: من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ قالت أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمان، وهذا ابنه. فقالوا لها: فتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم، ثم إنها استأذنت إبراهيم فأذن لهم، فنزلوا بالقرب منهم، فأنست هاجر وإسماعيل بهم فلما رآهم إبراهيم عليه السلام في المرة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم، فسر بذلك سروراً شديداً فلما ترعرع إسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين، وكانت هاجر وإسماعيل يعيشان بها، فلما بلغ مبلغ الرجال، أمر الله عز وجل إبراهيم أن يبني البيت، فقال: يا رب في أية بقعة أنا؟ قال: في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاء لها الحرم، فلم تزل القبة التي أنزلها على آدم قائمة حتى كانت أيام الطوفان أيام نوح عليه السلام، فلما غرقت الدنيا، رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا، فسميت البيت العتيق، لأنه أعتق من الغرق، فلما أمر الله عز وجل إبراهيم أن يتخذ البيت فلم يدر في أي مكان، فبعث الله عز وجل جبرائيل عليه السلام، فخط له موضع البيت، فأنزل الله عليه القواعد من الجنة، وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشد بياضاً من الثلج فلما مسته أيدي الكفار اسود. فبنى إبراهيم البيت ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع، ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه الآن، وجعل له بابين باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب، يسمى المستجار ثم ألقى عليه الشجر والإذخر، وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها، فلما بناه وفرغ منه حج إبراهيم وإسماعيل

---

(١) سورة إبراهيم؛ الآية: ٣٧.

ونزل عليهما جبرائيل عليه السلام يوم التروية، فقال جبرائيل عليه السلام: قم فارتوِ من الماء. لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء، فسميت التروية لذلك. ثم قال إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(١). قال: من ثمرات القلوب، أي حببه إلى الناس ليعودوا إليه(٢).

(علل الشرائع) بإسناده إلى محمد بن عرفة(٣) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن من قبلنا يقولون إن إبراهيم خليل الرحمان ختن نفسه بقدوم على دن؟ فقال: سبحان الله! ليس كما يقولون كذبوا على إبراهيم، قلت له: صف لي ذلك؟ فقال: إن الأنبياء عليهم السلام كان يسقط غلفهم مع سررهم يوم السابع، فلما ولد إسماعيل سقطت عنه غلفته مع سرته وعيرت بعد ذلك سارة هاجر، بما تعير به الإماء، فبكت هاجر واشتد عليها. وبكى لبكائها إسماعيل. فأخبر إبراهيم فقام إلى مصلاه وناجى ربه وسأله أن يلقي ذلك عن هاجر. فألقاه الله عز وجل عنها. فلما ولدت سارة إسحاق وكان يوم السابع لم تسقط غلفته. فجزعت من ذلك سارة وقالت لإبراهيم ما هذا الحادث الذي حدث في أولاد الأنبياء؟ هذا ابنك إسحاق سقطت سرته ولم تسقط غلفته. فقام إبراهيم إلى مصلاه وناجى ربه فقال: يا رب ما هذا الحادث الذي حدث في آل إبراهيم هذا إسحاق ابني سقطت سرته ولم تسقط غلفته؟ فأوحى الله عز وجل إليه هذا لما عيرت سارة هاجر، فآليت أن لا أُسقط ذلك عن أحد من أولاد الأنبياء بعد تعييرها لهاجر. فاختتن إسحاق بالحديد وأذاقه حر الحديد. قال فختن إبراهيم إسحاق بحديد فجرت السنة في الناس بعد ذلك(٤).

أقول: القدوم المراد منه قدوم النجار. وقول الجزي أنه قرية بالشام أو موضع على ستة أميال من المدينة غير مناسب هنا. والدن: الراقود العظيم أو أطول من الحب أو أصغر، وفيه دلالة على أن اختتان إبراهيم محمول على التقية.

(مناقب ابن شهراشوب) عن علي عليه السلام: إن الجمار إنما رميت بسبع حصيات، لأن جبرائيل عليه السلام حين أرى إبراهيم عليه السلام المشاعر، برز له إبليس فأمره جبرائيل عليه السلام أن يرميه فرماه بسبع حصيات. فدخل عند الجمرة الأولى تحت الأرض فأمسك ثم إنه برز له عند الثانية فرماه بسبع حصيات أخر. فدخل تحت الأرض في موضع الثانية ثم برز له في موضع الثالثة فرماه بسبع حصيات فدخل موضعها(٥).

(وفيه) عن أبي الحسن عليه السلام قال: السكينة ريح تخرج من الجنة لها صورة كصورة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.
(٢) تفسير القمي ج١، ص ٦٠ . ٦٢ في تفسيره لسورة البقرة الآية ١٢٦.
(٣) وفي نسخة محمد بن عزقة وفي البحار ج ١٢، ص ١٠٠ كذلك.
(٤) علل الشرائع ج٢، ص ٢١٩ . ٢٢٠ باب ٢٧٤.
(٥) قرب الإسناد: ص ١٤٨ ح ٥٣٢.

الإنسان ورائحة طيبة. وهي التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام، فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين[١].

(علل الشرائع) عن ابن عباس قال: كانت الخيل العراب وحوشاً بأرض العرب، فلما رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، قال الله: إني أعطيتك كنزاً لم أعطه أحداً كان قبلك، فخرج إبراهيم وإسماعيل حتى صعدا جياداً - يعني جبلًا بمكة - فقالا ألا هلّا ألا هلمّ، فلم يبق في أرض العرب فرس إلا أتاه وتذلل له، وأعطت بنواصيها، وإنما سميت جياداً لهذا، فما زالت الخيل بعد تدعو الله أن يحببها إلى أربابها، فلم تزل حتى اتخذها سليمان، فلما ألهته أمر بها أن يمسح رقابها وسوقها حتى بقي أربعون فرساً[٢].

أقول: هذا زجر للخيل - أي اقربي - قاله الجوهري.

(وفيه) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أمر الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببنيان البيت، وتم بناؤه، أمره أن يصعد ركناً، ثم ينادي في الناس: ألا هلمّ إلى الحج، فلو نادى: هلموا إلى الحج، لم يحج إلا من كان إنسياً مخلوقاً، ولكن نادى: هلم إلى الحج، فلبى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله فمن لبى عشراً حج عشراً ومن لبى خمساً حج خمساً ومن لبى أكثر فبعدد ذلك ومن لبى واحداً حج واحداً، ومن لم يلب لم يحج[٣]. ورواه في الكافي مثله.

أقول: ذكروا في وجه الفرق أن الأصل في الخطاب أن يكون متوجهاً إلى الموجودين، أما شمول الحكم للمعدودين فيستفاد من دليل آخر، لا من نفس الخطاب إلا أن يكون المراد بالخطاب، الخطاب العام المتوجه إلى كل من يصلح للخطاب، فإنه شامل للواحد والكثير والموجود والمعدوم والشائع في مثل هذا الخطاب أن يكون بلفظ المفرد، بل صرح بعض أهل العربية: بأنه لا يتأتى إلا بالمفرد، وفي الكافي: أسقط لفظ إلى في المفرد وأثبتها في الجمع، وجعله بعضهم هو وجه الفرق، بأن يكون في المفرد المخاطب هو الحج مجازاً لبيان كونه مطلوباً من غير خصوصية شخص أي هلم أيها الناس الحج.

(وفي الفقيه) كلمة إلى موجودة في المواضع، وفيه عند ذكر المفرد في الموضعين: نادى، وعند ذكر الجمع ناداهم. ومن ثم قال بعض المحققين ليس مناط الفرق بين إفراد الصيغة وجمعها بل ما في الحديث بيان للواقعة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢، ص ١٦٤ حديث رقم ٢٣١٨، باب الحج.

(٢) علل الشرائع ج١، ص ٥٣ باب ٣٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج٢، ص ١٣٢ باب الحج، حديث رقم ٢١٣٣ وعلل الشرائع ج٢، ص ١٢٤ باب ١٥٨.

والمراد أن إبراهيم عليه السلام نادى: هلم إلى الحج بلا قصد إلى منادى معين - أي الموجودين، فلذا يعم الموجودين والمعدومين فلو ناداهم - أي الموجودين وقال: هلموا إلى الحج، قاصداً إلى الموجودين، لكان الحج مخصوصاً بالموجودين، فضمير (هم) في: ناداهم، راجع إلى الناس الموجودين. فالمناط قصد المنادى المعين المشعر إليه بلفظ (هم) في إحدى العبارتين وعدم القصد في الأخرى المشعر إليه بذكر نادى مطلقاً، لا الإفراد والجمع[١].

أقول: وجه التحقيق فيه أن الموجودين وقت الخطاب كانوا جماعة من الأحياء فلو خاطبهم باللفظ الصالح لهم لكان متوجهاً إليهم، لأن الأصل في الخطاب أن يكون متوجهاً إلى من يقبل صيغة الخطاب، ولما عدل عنه إلى الإفراد مع عدم القرينة على تعيين المخاطب كان شاملاً لكل من يقبل أن يكون مخاطباً ولو بعد الوجود وإلا لكان الخطاب عبثاً خالياً عن الحكمة والفائدة.

(وفيه) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله جل جلاله لما أمر إبراهيم عليه السلام ينادي في الناس بالحج، قام على المقام، فارتفع به حتى صار بإزاء أبي قبيس فنادى في الناس بالحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة[٢].

(وفيه) عنه عليه السلام: إن الله عز وجل أوحى إلى إبراهيم ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾[٣] فنادى فأجيب من كل فج عميق[٤].

وقال: إنما سميت الخيل العراب: لأن أول من ركبها إسماعيل. وقال عليه السلام إن بنات الأنبياء لا يطمثن، إنما جعل الطمث عقوبة. وأول من طمثت سارة[٥].

(وعنه عليه السلام) صار السعي بين الصفا والمروة، لأن إبراهيم عليه السلام عرض له إبليس، فأمره جبرائيل عليه السلام فشد عليه فهرب منه، فجرت به السنة، يعني به الهرولة[٦].

(وفيه عن الرضا عليه السلام) إنما سميت منى بمنى، لأن جبرائيل عليه السلام قال: هنا يا إبراهيم تمن على ربك ما شئت؟ فتمنى إبراهيم في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره الله بذبحه فداءً له، فأُعطي مناه[٧].

(وفيه) عن أبي عبد الله عليه السلام: إن جبرائيل عليه السلام خرج بإبراهيم عليه السلام يوم عرفة، فلما

---

(١) بحار الأنوار ج١٢، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٢) علل الشرائع ج٢، ص ١٢٤، باب ١٥٨.
(٣) سورة الحج؛ الآية: ٢٧.
(٤) علل الشرائع ج٢، ص ١٢٠، باب ١٥٧.
(٥) علل الشرائع ج١، ص ٣٣٧، باب ٢١٥.
(٦) علل الشرائع ج٢، ص ١٣٨، باب ١٦٧.
(٧) علل الشرائع ج٢، ص ١٤٢ - ١٤٣، باب ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٥.

زالت الشمس قال له جبرائيل عليه السلام: يا إبراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك، فسميت عرفات لقول جبرائيل عليه السلام: اعرف واعترف وقال إن جبرائيل عليه السلام انتهى إلى الموقف، فأقام به حتى غربت الشمس، ثم أفاض به، فقال يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام(١).

(وفيه) عن أبي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول سارة: اللهم لا تؤاخذني بما صنعت بهاجر إنها كانت خفضتها فجرت السنّة بذلك.

أقول: فيه بيان ما تقدم من أن الذي عيّرت سارة بهاجر، هو هذا نعم الموجود هناك هو أن الله سبحانه ألقاها عنه وها هنا إن سارة خفضتها ولم تقصد سارة من ذلك الخفض التطهير والسنة، بل قصدت به الإيذاء والإضرار بها كما تقطع الفروج إضراراً بأهلها.

(وفيه) عن أبي الحسن عليه السلام: إن إبراهيم دعا ربه: أن يرزق أهله من كل الثمرات. فقطع له قطعة من الشام، فأقبلت بثمارها، حتى طافت بالبيت سبعاً، ثم أقرها الله عز وجل في موضعها. فإنما سميت الطائف للطواف بالبيت(٢).

(قصص الأنبياء) بإسناده إلى علي عليه السلام قال: شب إسماعيل وإسحاق فتسابقا فسبق إسماعيل، فأخذه إبراهيم فأجلسه في حجره، وأجلس إسحاق إلى جنبه، فغضبت سارة وقالت: أما إنك قد جعلت أن لا تساوي بينهما، فاعزلهما عني، فانطلق إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وأمه إلى مكة... الحديث(٣).

الفصل الخامس

في قصة الذبح وتعيين المذبوح

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(٤) ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾(٥).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) علل الشرائع ج٢، ص ١٤٩، باب ١٨٩.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي ص ١١٠ حديث رقم ١٠٦.

(٤) سورة الصافات؛ الآيات: ٩٩ إلى ١٠٥.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١١١ إلى ١١٣.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي شب حتى صار يتصرف مع إبراهيم ويعينه على أموره، وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: يعني بالسعي العمل لله والعبادة ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي استسلما لأمر الله ورضيا به.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ قيل وضع جبينه على الأرض، لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء.

(وروي) أنه قال: اذبحني وأنا ساجد، لا تنظر إلى وجهي، فعسى أن يرحمني. ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أي الامتنان الظاهر والاختبار الشديد أو النعمة الظاهرة ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قيل: كان كبشاً من الغنم.

(قال ابن عباس) هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه، وكونه عظيماً لأنه رعى في الجنة أربعين خريفاً. ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ من قال إن الذبيح إسحاق قال يعني بشرناه بنبوة إسحاق وبصبره.

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي وجعلنا فيما أعطيناهما من الخير والبركة، والمراد كثرة ولدهما وبقائهم قرناً بعد قرن إلى أن تقوم الساعة. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أي من أولاد إبراهيم وإسحاق ﴿مُحْسِنٌ﴾ بالإيمان والطاعة، ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفر والمعاصي[١].

(عيون أخبار الرضا) بإسناده إلى الرضا عليه السلام وقد سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين. قال يعني إسماعيل بن إبراهيم وعبد الله بن عبد المطلب، أما إسماعيل فهو الغلام الذي قال الله فيه: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ فلما عزم على ذبحه، فداه الله بكبش أملح يأكل في سواد وينظر في سواد ويبول في سواد ويبعر في سواد وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أنثى. فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة. ثم ذكر قصة عبد الله. ثم قال الصدوق (ره) وقد اختلفت الروايات في الذبيح. فمنها ما ورد بأنه إسماعيل. ومنها ما ورد بأنه إسحاق. ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيح إسماعيل. لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أنه هو الذي أمر أبوه بذبحه، فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله عز وجل من قلبه فسماه بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه ذلك[٢].

ثم روي في ذلك حديثاً عن الصادق عليه السلام وقال: قول النبي صلى الله عليه وآله أنا ابن الذبيحين. ويؤيد ذلك لأن العم قد سماه الله أباً في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[٣] وكان إسماعيل عم يعقوب، فسماه الله أباً.

---

(١) باختصار عن مجمع البيان المجلد الرابع ص ٧٠٦ - ٧٠٩.
(٢) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٨٩ . ١٩١ باب ١٨.
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ١٣٣.

(وقول) النبي ﷺ: العم والد. فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبي ﷺ أنا ابن الذبيحين، أحدهما ذبيح بالحقيقة، والآخر ذبيح بالمجاز واستحقاق الثواب على النية والتمني، فالنبي ﷺ هو ابن الذبيحين ومن وجهين على ما ذكرناه. وللذبح العظيم وجه آخر(١).

حدثنا ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل وأنه لم يؤمر بذبح ذلك الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده عليه، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم من أحب خلقي إليك؟ قال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ من حبيبك محمد ﷺ، فأوحى الله إليه: فهو أحب إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحب إليّ من نفسي، قال: فولده أحب إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه، أوجع لقلبك أم ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي؟ قال: يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من شيعة محمد، ستقتل الحسين من بعده ظلماً وعدواناً، كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام: قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك، بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

أقول: هذا الحديث يرفع الإشكال الذي ربما يورد على أن المراد بالفداء الحسين عليه السلام بأن يقال: إنه أفضل من إسماعيل، فكيف يكون فداءً له لأن الفداء أنفس درجة من المفدى. وحاصل رفع الإشكال، أن المراد من قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ عوضناه لأن الفداء يكون عوضاً عن المفدى، والمعنى حينئذ إنا جعلنا مصيبة إبراهيم عليه السلام وحزنه عليه بدلًا من مصيبته بذبح ابنه، فيكون الله سبحانه قد رقاه في درجات التكليف ومصائب الحزن.

وربما رفع جماعة من الأعلام هذا الإشكال بوجه آخر، وهو أن إسماعيل أب للنبي وأهل بيته والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم، فلو ذبح إسماعيل عليه السلام فقد يذبحه جميع أهل هذه الشجرة المباركة، ولا ريب أن مجموع هذه السلسلة العليا أفضل وأشرف من الحسين عليه السلام وحده، وما في الحديث هو الأولى.

(وفي تفسير علي بن إبراهيم) في حديث طويل عن الصادق عليه السلام وفيه: أنه لما أسلم

---

(١) الخصال ص ٥٨ باب الاثنين برقم ٧٨.

(٢) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٨٧ باب ١٧. والخصال ص ٥٨ باب الاثنين برقم ٧٩.

إسماعيل أمره إلى الله في حكاية الذبح وأراد إبراهيم عليه السلام ذبحه أقبل شيخ وقال: يا إبراهيم ما تريد من الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين؟ فقال إبراهيم: إن الله أمرني بذلك. فقال: ربك ينهاك عن ذلك، وإنما أمرك بهذا الشيطان فقال له إبراهيم، ويلك إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به. ثم قال: يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم. فلم يكلمه. وأقبل على الغلام فاستشاره في الذبح فلما أسلما جميعاً لأمر الله قال الغلام: يا أبتاه خمر[1] وجهي وشد وثاقي فقال إبراهيم عليه السلام: يا بني الوثاق مع الذبح، لا والله لا أجمعهما عليك. فأضجعه وأخذ المدية فوضعها على حلقه ورفع رأسه إلى السماء. ثم جر عليه المدية. وقلب جبرائيل المدية على قفاها. واجتر الكبش وأثار الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام. ونودي من ميسرة مسجد الخيف: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا[2].

(وفيه) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل ملك الروم الحسن بن علي عليه السلام عن سبعة أشياء خلقها الله لم تركض في رحم؟ فقال عليه السلام: أول هذا آدم ثم كبش إبراهيم ثم ناقة الله ثم إبليس الملعون ثم الحية ثم الغراب التي ذكرها الله في القرآن[3].

وفي (عيون الأخبار) قال: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن ستة لم يركضوا في رحم، فقال: آدم وحوا وكبش إبراهيم وعصى موسى وناقة صالح والخفاش الذي عمله عيسى عليه السلام فطار بإذن الله عز وجل[4].

(علل الشرائع) مسنداً إلى أبان بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف صار الطحال حراماً وهو من الذبيحة؟ فقال: إن إبراهيم عليه السلام هبط عليه الكبش من ثبير، وهو جبل بمكة ليذبحه، أتاه إبليس فقال له: أعطني نصيبي من هذا الكبش؟ قال وأي نصيب لك وهو قربان لربي وفداء لابني. فأوحى الله عز وجل إليه أن له فيه نصيباً وهو الطحال لأنه مجمع الدم وحرم الخصيتان لأنهما موضع للنكاح ومجرى للنطفة فأعطاه الله الطحال والأنثيين وهما الخصيتان. قال: فقلت فكيف حرم النخاع؟ قال: لأنه موضع الماء الدافق من كل ذكر وأنثى وهو المخ الطويل الذي يكون في فقار الظهر[5].

وفي (الكافي) عن الرضا عليه السلام: لو علم الله شيئاً أكرم من الضأن لفدى به إسماعيل عليه السلام[6].

---

(١) خمّر وجهي: أي أستر وجهي.

(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٢٢٥ في تفسيره لسورة الصافات الآية: ١٠٢.

(٣) تفسير القمي ج٢، ص ٢٧١ في تفسيره لسورة الشورى الآية: ٧.

(٤) عيون أخبار الرضا ج١، ص ٢٢١، باب ٢٤.

(٥) علل الشرائع ج٢، ص ٢٨٣ باب ٣٥٧.

(٦) فروع الكافي ج٦، ص ٣١٠ كتاب الأطعمة باب فضل لحم الضأن برقم ٢.

أقول: اختلف علماء الإِسلام في تعيين الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق عليه السلام فذهبت الطائفة المحقة من أصحابنا وجماعة من العامة إلى أنه إسماعيل عليه السلام والأخبار الصحيحة دالة عليه عليه السلام دلالة غيرها من الآيات ودلائل العقل. وذهب طائفة من الجمهور إلى أنه إسحاق عليه السلام . وبه أخبار واردة من الطرفين. وطريق تأويلها إما تحمل على التقية، وإما حملها على ما قاله الصدوق طاب ثراه من أن إسحاق عليه السلام صار ذبيحاً بالنية والتمني.

(وروى) شيخنا أمين الإسلام الطبرسي رحمه الله، أن إبراهيم عليه السلام لما خلا بابنه إسماعيل أخبره بما قد ذكر الله عنه في المنام فقال يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح(١) من دمي شيء فتراه أمي واشحذ(٢) شفرتك وأسرع مرَّ السكين على حلقي ليكون أهون عليّ، فإن الموت شديد فقال له إبراهيم نعم العون أنت على أمر الله(٣).

---

(١) النضحُ: الرش.

(٢) شحذ الشفرة: أي أحدّها.

(٣) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٧١٠.

الباب السابع

في قصص لوط عليه السلام وقومه

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾(١).

هو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام (٢). وقيل إنه كان ابن خالة إبراهيم عليه السلام، وكانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام أخت لوط.

والفاحشة إتيان الرجال في أدبارهم. قال الحسن: وكانوا يفعلون ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الولد باختياركم الرجال وتقطعون الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة، فإنهم كانوا يفعلونه بالمجتازين من ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالخذف(٣) فإن أصابه كان أولى به ويأخذون ماله فينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم، وكان لهم قاض يفتي بذلك. وقوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، قيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء. وروي ذلك عن الرضا عليه السلام. وقيل: إنهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضاً، فأنزل الله عليهم الرجز - أي العذاب - وهي الحجارة التي أمطرت عليهم. وقيل: هو الماء الأسود على وجه الأرض(٤).

أقول: خروج الماء الأسود على وجه الأرض من علامات الغضب، وفي هذه الأعصار خرج الماء الأسود من بلاد «قم» وبه خربت محال كثيرة وهو إلى وقت رقم هذه الكلمات على حاله واقفاً بين محالها يخرج من المنازل فيخربها وكل محلة خربت منازلها وقع بأهلها الموت حتى أنه لم يبق منهم إلا القليل، وقد حفروا لها أنهاراً من تحت الأرض وهو يجري منه الماء إلى

---

(١) سورة الأعراف؛ الآيات: ٨٠ ـ ٨٤.
(٢) مجمع البيان المجلد الثاني ص ٦٨٤ وذكره الثعلبي في العرائس ص ٩٠ كذلك.
(٣) بالخذف: أي الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع.
(٤) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٤٤٢ في تفسيره لسورة العنكبوت الآية ٣٤.

خارج البلد. ورأيت حديثاً عن الصادق عليه السلام: من علامات الفرج لأهل قم أن يجري الماء على وجه الأرض. يعني أن يكون الفرج ويخرج القائم عليه السلام وقد خرج من غيرها أيضاً مثل شيراز وجرفايقان وخرب المنازل ووقع الموت بأهلها، لكنه سكن وفرغ منه.

(علل الشرائع) بإسناده إلى أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ من البخل؟ قال نعم في كل صباح ومساء، ونحن نتعوذ بالله من البخل، إنه يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] وسأخبرك عن عاقبة البخل: إن قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام، فأعقبهم البخل داءً لا دواء له في فروجهم. فقلت وما أعقبهم؟ فقال: إن قرية قوم لوط كانت على طريق السيارة تنزل بهم فيضيفونهم، فلما كثر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعاً بخلًا ولؤماً، فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم، وإنما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى ينكل النازل عنهم، فشاع أمرهم في القرى، فأورثهم البخل بلاءً لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة إلى ذلك حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل. فقلت له: جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلهم يفعلون؟ فقال: نعم إلا أهل بيت منهم من المسلمين، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وإن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله عز وجل وكانوا لا يتنظفون من الغائط ولا يتطهرون من الجنابة.

وكان لوط رجلًا سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به ويحذرهم قومه، فلما رأى قومه ذلك قالوا: إننا ننهاك عن العالمين إن فعلت فضحناك في ضيفك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه لأنه لم يكن للوط عشيرة ولم يزل لوط وإبراهيم عليه السلام يتوقعان نزول العذاب على قومهم، وإن الله كان إذا أراد عذاب قوم لوط أدركته مودة إبراهيم وخلته ومحبة لوط، فيؤخر عذابهم، فلما اشتد عليهم غضب الله وأراد عذابهم وقضى أن يعوض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلي به مصابه بهلاك قوم لوط، فبعث الله رسلًا إلى إبراهيم يبشرونه بإسماعيل فدخلوا عليه ليلًا، ففزع وخاف أن يكونوا سرّاقاً. فلما رأته الرسل مذعوراً قالوا سلاماً قال سلام ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[3] وهو إسماعيل.

قال فما خطبكم بعد البشارة؟ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط لننذرهم عذاب رب العالمين، فقال إبراهيم للرسل إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينّه وأهله أجمعين إلا امرأته... الحديث[4].

---

(١) سورة الحشر، الآية ٩، وسورة التغابن؛ الآية: ١٦.

(٢) سورة الذاريات؛ الآيتان: ٣٥ و ٣٦.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٥٢ و ٥٣.

(٤) علل الشرائع ج٢، ص ٢٦٨ . ٢٧٠ باب ٣٤٠ برقم ٤.

(وروي) عن الأصبغ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ستة في هذه الأمة من أخلاق قوم لوط: الجلاهق - وهو البندق - والخذف ومضغ العلك وإرخاء الإزار في الخلاء وحل الأزرار من القباء والقميص[(١)].

عن الباقر عليه السلام في حديث طويل يقول: إنه لما انتصف الليل سار لوط ببناته وتولت امرأته مدبرة فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أن لوطاً قد سار ببناته، قال جبرائيل عليه السلام وإني نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر يا جبرائيل حق القول من الله بحتم عذاب قوم لوط، فاقلعها من تحت سبع أرضين ثم عرج بها إلى السماء فأوقفها حتى يأتيك أمر الجبار في قلبها ودع منها آية من منزل لوط عبرة للسيارة فهبطت على أهل القرية فضربت بجناحي الأيمن على ما حوى عليه شرقيها وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربيها فاقتلعتها من تحت سبع أرضين إلا منزل آل لوط، ثم عرجت بها في خوافي جناحي حتى أوقفتها حيث يسمع أهل السماء صياح ديوكها ونباح كلابها، فلما طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش يا جبرائيل إقلب القرية على القوم فقلبتها عليهم حتى صار أسفلها أعلاها وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل، وكان موضع قريتهم بنواحي الشام، وقلبت بلادهم، فوقعت فيها بين بحر الشام إلى مصر فصارت تلولاً في البحر[(٢)].

(علي بن إبراهيم) في كلام طويل: أن إبراهيم عليه السلام لما رمي بنار نمرود، وجعلت عليه برداً وسلاماً خرج من بلاد نمرود إلى البادية فنزل على ممر الطريق إلى اليمن والشام، فكان يمر به الناس فيدعوهم إلى الإسلام، وقد كان خبره في الدنيا أن الملك ألقاه في النار ولم يحترق، وكان إبراهيم كل من مرّ به يضيفه وكان على سبعة فراسخ منه بلاد عامرة كثيرة الشجر، وكان الطريق عليها وكان كل من مرَّ بتلك البلاد تناول من تمورهم وزروعهم فجزعوا من ذلك وجاءهم إبليس في صورة شيخ فقال لهم: هل أدلّكم على ما إن فعلتموه لم يمر بكم أحد؟ فقالوا: ما هو؟ قال: من مرَّ بكم فانكحوه في دبره واسلبوا ثيابه، ثم تصور لهم إبليس في صورة أمرد حسن الوجه فجاءهم فوثبوا عليه ففجروا به كما أمرهم فاستطابوه وكانوا يفعلونه بالرجال فاستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء. فشكى الناس في ذلك إلى إبراهيم عليه السلام فبعث إليهم لوطاً يحذرهم وقال لهم لوط: أنا ابن خالة إبراهيم الذي جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، وهو بالقرب منكم فاتقوا الله ولا تفعلوا، فإن الله يهلككم وكان لوط كلما مرّ به رجل يريدونه بسوء خلّصه من أيديهم وتزوج لوط فيهم وولد بنات، فلما طال ذلك على لوط ولم يقبلوا منه قالوا لئن لم تنته لنرجمنك بالحجارة فدعا عليهم لوط. فبينما إبراهيم عليه السلام قاعد في الموضع الذي كان فيه وقد كان أضاف قوماً وخرجوا، فنظر إلى أربعة نفر وقد وقفوا عليه لا يشبهون الناس،

---

(١) الخصال للصدوق ص ٣٣١ باب الستة برقم ٢٩.

(٢) علل الشرائع ج٢، ص ٢٧١ باب ٣٤٠، حديث رقم ٥.

فقالوا سلاماً. فقال إبراهيم: سلام، فجاء إبراهيم عليه السلام إلى سارة فقال لها: قد جاءتني أضياف لا يشبهون الناس؟ فقالت ما عندنا إلا هذا العجل. فذبحه وشواه وحمله إليهم وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾(١) فما لبث أن جاء بعجل حنيذ مشوي فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ولا يأكلون منه، خاف منهم، فقالت لهم سارة: ما لكم تمتنعون من طعام خليل الله؟ فقالوا: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، ففزعت سارة وضحكت - أي حاضت - وقد كان ارتفع حيضها، فبشروها بإسحاق ومن ورائه يعقوب. فوضعت يدها على وجهها فقالت ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾. فقال لها جبرائيل عليه السلام أتعجبين من أمر الله؟ فلما ذهب عن إبراهيم الروع أقبل يجادل الملائكة في قوم لوط فقال إبراهيم لجبرائيل عليه السلام: بماذا أرسلت؟ قال: بهلاك قوم لوط، قال إن فيها لوطاً قال جبرائيل عليه السلام ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾(٢) وقال إبراهيم: يا جبرائيل إن كان في المدينة مائة رجل من المؤمنين تهلكهم؟ قال: لا، قال: فإن كان فيهم خمسون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيهم عشرة؟ قال: لا، قال: وإن كان فيهم واحد؟ قال: لا، وهو قوله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣) فقال إبراهيم يا جبرائيل راجع ربك فيهم فأوحى الله إلى إبراهيم: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، فخرجوا من عند إبراهيم، فوقفوا على لوط وهو يسقي زرعه، فقال لهم لوط: من أنتم؟ قالوا: نحن أبناء السبيل أضفنا الليلة. فقال لهم: يا قوم إن أهل هذه القرية قوم سوء لعنهم الله وأهلكهم، ينكحون الرجال ويأخذون الأموال، فقالوا: قد أبطأنا فأضفنا، فجاء لوط إلى أهله وكانت منهم، فقال لها: إنه قد أتانا أضياف في هذه الليلة فاكتمي عليهم حتى أعفو عنك جميع ما كان إلى هذا الوقت؟ فقالت أفعل. وكانت العلامة بينها وبين قومها إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار، فلما دخل جبرائيل والملائكة معه بيت لوط عليه السلام أوقدت امرأته ناراً فوق السطح، فعلم أهل القرية وأقبلوا إليه من كل ناحية يهرعون، فلما صاروا إلى باب البيت قالوا يا لوط أو لم ننهك عن العالمين؟ فقال لهم: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم، قال يعني به - أزواجهم - وذلك أن النبي هو أبو أمته، فدعاهم إلى الحلال، ولم يكن يدعوهم إلى الحرام، فقال: أزواجكم هن أطهر لكم، قالوا: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد؟ فقال لوط لما أيس: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد، وما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه، وقوله عليه السلام: القوة القائم والركن الشديد ثلاثمائة وثلاثة عشر يعني الذين يخرجون مع القائم عليه السلام.

---

(١) سورة هود؛ الآية: ٦٩.

(٢) سورة العنكبوت؛ الآية: ٣٢.

(٣) سورة الذاريات؛ الآية: ٣٦.

(قال علي بن إبراهيم) فقال جبرائيل للملائكة: لو علم ما له من القوة فقال لوط: من أنتم فقال له جبرائيل عليه السلام أنا جبرائيل. فقال لوط: بماذا أمرت قال: بهلاكهم، قال: الساعة؟ فقال جبرائيل: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(١) قال: فكسروا الباب ودخلوا البيت، فضرب جبرائيل بجناحه على وجوههم فطمسها، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾(٢) فلما رأوا ذلك علموا أنه قد جاءهم العذاب، فقال جبرائيل للوط: فأسر بأهلك بقطع من الليل واخرج من بينهم أنت وولدك ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنه مصيبها ما أصابهم، وكان في قوم لوط رجل عالم فقال لهم: يا قوم لقدّ جاءكم العذاب الذي كان يعدكم لوط، فاحرسوه ولا تدعوه يخرج من بينكم فإنه ما دام فيكم لا يأتيكم العذاب، فاجتمعوا حول داره يحرسونه، فقال جبرئيل: يا لوط اخرج من بينهم، فقال: كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري؟ فوضع بين يديه عموداً من نور، فقال له: اتبع هذا العمود، فخرجوا من القرية من تحت الأرض، فالتفتت امرأته، فأرسل الله عليها صخرة فقتلتها. فلما طلع الفجر صارت الملائكة الأربعة كل واحد في طرف من قريتهم فقلعوها من سبع أرضين إلى تخوم الأرض، ثم رفعوها في السماء ، حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبوها عليهم، وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل. وعن أبي عبد الله عليه السلام: ما من عبد يخرج من الدنيا يستحل عمل قوم لوط إلا رماه الله بحجر من تلك الحجارة ليكون فيه منيته ولكن الخلق لا يرونه(٣).

(قال الطبرسي «رحمه الله») اختلف في ذلك - يعني عرض البنات - فقيل: أراد بناته لصلبه. عن قتادة وبه رواية. وقيل أراد النساء من أمته، لأنهن كالبنات له. واختلف أيضاً في كيفية عرضهم؟ فقيل بالتزويج، وكان يجوز في شرعه تزويج بنته المؤمنة من الكافر. وكذا كان يجوز أيضاً في مبتدأ الإسلام، وقد زوج النبي صلى الله عليه وآله من أبي العاص بن الربيع، قبل أن يسلم. ثم نسخ ذلك. وقيل: أراد التزويج بشرط الإيمان، وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم. وقيل: إنه كان لهم سيّدان مطاعان، فأراد أن يزوجهما بنتيه زعوراء وريثاء(٤).

(علل الشرائع) عن الصادق عليه السلام قال: في المنكوح من الرجال هم بقية سدوم، أما إني لست أعني بقيتهم أنه ولدهم، ولكن من طينتهم. قلت: سدوم الذي قلبت عليهم؟ قال: هي أربعة مدائن سدوم وصديم ولدنا وعميراء(٥).

---

(١) سورة هود؛ الآية: ٨١.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٣) تفسير القمي ج ١، ص ٣٣٢ . ٣٣٧ في تفسيره لسورة هود الآية ٦٩.

(٤) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٢٧٩ . ٢٨٠ في تفسيره لسورة هود الآية ٧٨.

(٥) علل الشرائع ج٢، ص ٢٧٣ باب ٣٤٠ . حديث رقم ٧.

(وقال المسعودي) أرسل الله لوطاً إلى المدائن الخمسة وهي سدوم وعمورا وأدموتا وصاعورا وصابورا[١].

(وعنه عليه السلام) وقد سئل وكيف كان يعلم قوم لوط أنه قد جاء لوطاً رجل؟ قال كانت امرأته تخرج فتصفر فإذا سمعوا الصفير جاؤوا، فلذلك كره التصفير[٢].

(وعنه عليه السلام) أنه لما جاء الملائكة إلى لوط وهو لم يعرفهم وأخذهم إلى منزله التفت إليهم فقال إنكم تأتون شرار خلق الله، وكان جبرائيل عليه السلام قال الله له: لا يعذبهم حتى يشهد عليهم ثلاث شهادات، فقال هذه واحدة، ثم مَشى ساعة فقال إنكم تأتون شرار خلق الله. فقال جبرائيل عليه السلام هذه ثنتان، فلما بلغ باب المدينة، التفت إليهم وقال إنكم تأتون شرار خلق الله، فقال جبرائيل هذه ثلاث، ثم دخلوا منزله، الحديث[٣].

(ثواب الأعمال) مسنداً إلى أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم لوط أفضل قوم خلقهم الله عز وجل فطلبهم إبليس لعنه الله الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرهم أنهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم، فحسدهم إبليس على عبادتهم، وكانوا إذا رجعوا خرب إبليس ما يعملون، فقال بعضهم لبعض تعالوا نرصد هذا الذي يخرب متاعنا، فرصدوه فإذا هو غلام كأحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا أنت الذي تخرب متاعنا؟ فقال نعم مرة بعد مرة، واجتمع رأيهم على أن يقتلوه فبيتوه عند رجل، فلما كان الليل صاح. فقال ما لك؟ فقال كان أبي ينومني على بطنه. فقال نعم فنم على بطني، فلم يزل بذلك الرجل حتى علّمه أن يعمل بنفسه، فأولًا علّمه إبليس والثانية علّمه هو، يعني لغيره. ثم انسلّ[٤] ففر منهم فأصبحوا فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه شيء لا يعرفونه، فوضعوا أيديهم فيه حتى اكتفى الرجال بعضهم ببعض. ثم جعلوا يرصدون مار الطريق فيفعلون به حتى ترك مدينتهم الناس، ثم تركوا نساءهم، فأقبلوا على الغلمان، فلما رأى إبليس لعنه الله أنه قد أحكم أمره في الرجال دار إلى النساء، فصيّر نفسه امرأة، ثم قال إن رجالكم يفعلون بعضهم ببعض قلن نعم قد رأينا ذلك، وعلى ذلك يعظهم لوط. وما زال يوصيهن حتى استكفت النساء بالنساء فلما كملت عليهم الحجة، بعث الله عز وجل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في زي غلمان عليهم أقبية، فمروا بلوط وهو يحرث فقال أين تريدون؟ فما رأيت أجمل منكم قط، قالوا أرسلنا سيدنا إلى رب هذه المدينة، قال: ولم يبلغ سيدكم ما يفعل أهل هذه القرية؟ يا بني إنهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتى يخرج الدم! فقالوا له أمرنا سيدنا أن نمر في وسطها، قال فلي إليكم حاجة؟ قالوا: وما هي؟ قال: تصبرون ها هنا إلى اختلاط الظلام؟ فجلسوا، فبعث ابنته فقال: هاتي لهم خبزاً وماءً وعباءة يتغطون بها من البرد. فلما أن ذهبت إلى البيت أقبل المطر وامتلأ الوادي،

---

(١) مروج الذهب ج١، ص ٤٥.
(٢) علل الشرائع ج٢، ص ٢٨٥ باب ٣٦٠.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٢٠.
(٤) إنسلّ - بتشديد اللام: انطلق في استخفاء.

فقال لوط: الساعة تذهب بالصبيان الوادي، قال قوموا حتى نمضي، فجعل لوط، يمشي في أصل الحائط وجعل الملائكة يمشون وسط الطريق، فقال يا بني ها هنا قالوا أمرنا سيدنا أن نمر وسطها. وكان لوط عليه السلام يستغل الظلام ومر إبليس لعنه الله فأخذ من حجر امرأته صبياً، فطرحه في البئر، فتصايح أهل المدينة على باب لوط عليه السلام، فلما نظروا إلى الغلمان في منزل لوط عليه السلام قالوا يا لوط قد دخلت في عملنا؟ قال هؤلاء ضيفي فلا تفضحون، قالوا هم ثلاثة خذ واحداً وأعطنا اثنين، قال وأدخلهم الحجرة وقال لوط عليه السلام لو أن لي أهل بيت يمنعونني منكم، وقد تدافعوا بالباب فكسروا باب لوط وطرحوا لوطاً فقال جبرائيل عليه السلام إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فأخذ كفاً من بطحاء الرمل فضرب بها وجوههم وقال شاهت الوجوه[١]. فعمي أهل المدينة كلهم، فقال لوط يا رسل ربي بماذا أمركم فيهم؟ قالوا أمرنا أن نأخذهم بالسحر، قال تأخذونهم الساعة؟ قالوا: يا لوط إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟ فخذ أنت بناتك وامض. وقال أبو جعفر: رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنه منصور حين يقول لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد، أي ركن أشد من جبرائيل معه في الحجرة. وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي من ظالمي أمتك إن عملوا عمل قوم لوط[٢].

(ثواب الأعمال) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عمل قوم لوط ما عملوا، بكت الأرض إلى ربها حتى بلغت دموعها السماء، وبكت السماء حتى بلغت دموعها العرش، فأوحى الله عز وجل إلى السماء: أحصبيهم - أي ارميهم بالحصباء - وهي الحجارة، وأوحى الله إلى الأرض: أن اخسفي بهم[٣].

(العياشي) عن زيد بن ثابت قال: سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام أتؤتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك، أما سمعت الله يقول: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤]. وعن عبد الرحمان بن الحجاج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام ذكر عنده إتيان النساء في أدبارهن، فقال ما أعلم آية في القرآن أحلت ذلك إلا واحدة ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾[٥].

---

(١) أي قبحت وهو دعاء عليهم.

(٢) و(٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للصدوق ص ٣١٢ - ٣١٤.

(٤) سورة الأعراف؛ الآية: ٨٠.

(٥) تفسير العياشي ج٢، ص ٢٢ في تفسيره لسورة الأعراف برقم ٥٥ و ٥٦.

الباب الثامن

في قصص ذي القرنين

وكان اسمه عيّاشاً وكان أول الملوك بعد نوح عليه السلام ملك ما بين المشرق والمغرب[١]، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[٢] الآيات.

قال أمين الإسلام الطبرسي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له في الأسباب وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ أي وأعطيناه من كل شيء علماً وقدرة وآلة يتسبب بها إلى إرادته.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي فأتبع طريقاً وأخذ في سلوكه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي آخر العمارة من جانب المغرب، وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس.

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ أي كأنها تغرب.

﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وإن كانت تغرب وراءها لأن الشمس لا تزايل الفلك فلا تدخل في عين الماء، ولكن لما بلغ ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما أن من كان في البحر يراها كأنها تغرب في الماء، ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء. والعين الحمئة ذات الحمأة وهي الطين الأسود المنتن والحامية الحارة. وعن كعب قال: أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين[٣].

---

(١) قصص الراوندي ص ١٢٢، في آخر الحديث المرقم ١٢٣.

(٢) سورة الكهف؛ الآيات: ٨٣ إلى ٨٨.

(٣) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٧٥٦ - ٧٥٧ في تفسيره لسورة الكهف.

(علل الشرائع والأمالي) مسنداً إلى وهب قال: وجدت في بعض كتب الله تعالى أن ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق على وجهه، فبينما هو يسير وجنوده إذ مر على شيخ يصلي فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك وأعز سلطاناً وأشد قوة، ولو صرفت وجهي إليك لم أبلغ حاجتي قبله فقال ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي وأستعين بك على بعض أمري؟ قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول وصحة لا سقم فيها وشباباً لا هرم فيه وحياة لا موت فيها، فقال له ذو القرنين وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال؟ فقال له الشيخ فإني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك. ثم مر برجل عالم فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عز وجل قائمين؟ وعن شيئين مختلفين؟ وعن شيئين جاريين؟ وعن شيئين متباغضين. فقال له ذو القرنين: أما الشيئان القائمان فالسماوات والأرض وأما الشيئان الجاريان فالشمس والقمر، وأما الشيئان المختلفان فالليل والنهار، وأما الشيئان المتباغضان فالموت والحياة. فقال انطلق فإنك عالم.

فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مر بشيخ يقلب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيها الشيخ لأي شيء تقلب هذه الجماجم؟ فقال لأعرف الشريف من الوضيع والغني من الفقير فما عرفت وإني لأقلبها منذ عشرين سنة فانطلق ذو القرنين وتركه، فقال ما عنيت بهذا أحداً غيري. فبينما هو يسير إذ وقع إلى الأمة العالمة من قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فلما رآهم قال لهم: أيها القوم أخبروني بخبركم، فإني قد درت الأرض شرقها وغربها وبرها وبحرها فلم ألق مثلكم فأخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا. قال فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا ليس فينا لص ولا ظنين - أي متهم - وليس فينا إلا أمين، قال فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم. قال: فما بالكم ليس بينكم حكام؟ - يعني القضاة - قالوا: لا نختصم. قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكاثر. قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟ قالوا: من قبل إنا متواسون متراحمون. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل إلفة قلوبنا، وصلاح ذات بيننا، قال: فما بالكم لا تتسابون ولا تتقاتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحكم. قال: فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل إنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً، قال: فأخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع. قال: فلم جعلكم الله أطول الناس أعماراً؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل. قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: من قبل أنا لا نغفل عن الاستغفار. قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من قبل أنا وطّنا[1] أنفسنا على البلاء فعزينا

(١) وطن نفسه على الشيء: هيأ نفسه له أو حمل نفسه عليه.

أنفسنا. قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل أنا لا نتوكل على غير الله عز وجل ولا نستمطر بالأنواء والنجوم. قال: فحدثوني أيها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم ويواسون فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويستغفرون لمسيئهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أمانتهم ويصدقون ولا يكذبون فأصلح الله لهم بذلك أمرهم. فأقام عندهم ذو القرنين حتى قبض وله خمسمائة عام[١].

(تفسير علي بن إبراهيم) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: إن ذا القرنين بعثه الله إلى قومه فضرب على قرنه الأيمن، فأماته الله خمسمائة عام. ثم بعثه الله إليهم بعد ذلك. فضرب على قرنه الأيسر، فأماته الله خمسمائة عام. ثم بعثه الله إليهم بعد ذلك فملكه مشارق الأرض ومغاربها.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: لا ملكاً ولا نبياً بل عبداً أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن، فغاب عنهم، ثم بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم، ثم بعثه الثالثة، فمكن الله له في الأرض، وفيكم مثله. يعني نفسه. وكان ذو القرنين إذا مرّ بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق تهلك من خالفه.

وقيل له: إن لله في أرضه عيناً يقال لها عين الحياة ولا يشرب منها ذو روح إلا لم يمت حتى الصيحة، فدعا ذو القرنين الخضر وكان أفضل أصحابه عنده ودعا ثلاثمائة وستين رجلاً ودفع إلى كل واحد منهم سمكة وقال لهم: اذهبوا إلى موضع كذا وكذا فإن هناك ثلاثمائة وستين عيناً، فيغسل كل واحد سمكته في عين غير عين صاحبه. فذهبوا يغسلون وقعد الخضر يغسل فانسابت منه السمكة في العين وبقي الخضر متعجباً مما رأى وقال في نفسه: ما أقول لذي القرنين؟ ثم نزع ثيابه يطلب السمكة، فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر على السمكة، فرجعوا إلى ذي القرنين، فأمر ذو القرنين بقبض السمك من أصحابه، فلما انتهوا إلى الخضر لم يجدوا معه شيئاً، فدعاه وقال له ما حال السمكة؟ فأخبره الخبر، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: اغتمست فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها، قال: فشربت من مائها؟ قال: نعم. قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر: كنت أنت صاحبها[٢].

(الأمالي) عن الصادق عليه السلام قال: إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد جاوزه فدخل في الظلمات، فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع، فقال له الملك: يا ذا القرنين أما كان خلفك مسلك؟ فقال له ذو القرنين من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمان موكل بهذا

---

(١) علل الشرائع ج٢، ص ١٨٣ - ١٨٤ باب ٢٢٢ برقم ٣٤.

(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٤١ - ٤٢ في تفسيره لسورة الكهف.

الجبل فليس من جبل خلقه الله عز وجل إلا وله عرق إلى هذا الجبل فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها[(١)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياءَ ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح عليه السلام: ذو القرنين واسمه عياش وداود وسليمان ويوسف، وأما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأما داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد الاصطخر، وكذلك كان ملك سليمان، وأما يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها.

قال الصدوق طاب ثراه: جاء في الخبر هكذا، والصحيح الذي أعتقده في ذي القرنين أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله. قال أمير المؤمنين عليه السلام: وفيكم مثله. وذو القرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبي، كما كان طالوت ملكاً. قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾ وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبي، كما يجوز أن يذكر من الملائكة من ليس بملك. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[(٢)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليه السلام، والكافران نمرود وبخت نصر، واسم ذي القرنين عبد الله بن ضحاك بن معبد[(٣)].

(علل الشرائع) بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال: أول اثنين تصافحا على وجه الأرض ذو القرنين وإبراهيم الخليل عليه السلام استقبله إبراهيم فصافحه، وأول شجرة نبتت على وجه الأرض النخلة[(٤)].

(بصائر الدرجات) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن ذا القرنين قد خير بين السحابين، واختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب. قال: قلت وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق، فصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقى في أسباب السموات السبع والأرضين السبع خمس عوامر واثنتان خرابان[(٥)].

أقول: المراد بصاحبكم هو القائم عليه السلام.

(إكمال الدين) بإسناده إلى عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: قرأت في بعض

---

(١) أمالي الصدوق المجلس الحادي والسبعون ص ٣٧٥.
(٢) الخصال ص ٢٤٨ باب الأربعة برقم ١١٠.
(٣) الخصال للصدوق ص ٢٥٥ باب الأربعة برقم ١٣٠.
(٤) لم أجده في علل الشرائع والرواية موجودة نقلاً عن أمالي الطوسي في بحار الأنوار ج ١٢، ص ١٨٢.
(٥) بحار الأنوار ج ١٢، ص ١٨٢ - ١٨٣.

كتب الله عز وجل أن ذا القرنين كان رجلًا من أهل الاسكندرية وأمه عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره يقال له اسكندر وكان له أدب وخلق وعفة من وقت ما كان فيه غلاماً إلى أن بلغ رجلًا وكان رأى في المنام كأنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها وشرقها وغربها، فلما قص رؤياه على قومه سموه ذا القرنين هذه الرؤيا بعدت همته وعلا صوته وعزّ في قومه وكان أول ما أجمع عليه أمره أن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فأسلموا هيبة له، ثم أمرهم أن يبنوا له مسجداً، فأجابوه إلى ذلك، فأمر أن يجعل طوله أربعمائة ذراع وعرض حائطه اثنين وعشرين ذراعاً وعلوه إلى السماء مائة ذراع، فقالوا له: يا ذا القرنين كيف لك بخشب يبلغ ما بين الحائطين قال فاكبسوه بالتراب حتى يستوي الكبس مع حيطان المسجد فإذا فرغتم من ذلك فرضتم على كل رجل من المؤمنين على قدره من الذهب والفضة ثم قطعتموه مثل قلامة الظفر وخلطتموه مع ذلك الكبس وعملتم له خشباً من نحاس وصفائح تذيبون ذلك وأنتم متمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية فإذا فرغتم من ذلك دعوتم المساكين لنقل ذلك التراب فيسارعون فيه من أجل ما فيه من الذهب والفضة. فبنوا المسجد وأخرج المساكين ذلك التراب وقد استقل [1] السقف بما فيه واستغنى المساكين فجندهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم نشرهم في البلاد وحدث نفسه بالسير فاجتمع إليه قومه فقالوا: ننشدك بالله لا تؤثر علينا بنفسك غيرنا فنحن أحق برؤيتك وفينا كان مسقط رأسك وهذه أموالنا وأنفسنا، فأنت الحاكم فيها وهذه أمك عجوز كبيرة وهي أعظم خلق الله عليك حقاً فلا تخالفها، فقال إن القول لقولكم وإن الرأي لرأيكم ولكنني بمنزلة المأخوذ بقلبه وسمعه وبصره ويقاد ويدفع من خلفه لا يدري أين يؤخذ به، ولكن هلموا معشر قومي فادخلوا هذا المسجد وأسلموا على آخركم ولا تخالفوا عليّ فتهلكوا، ثم دعا دهقان[2] الإسكندرية فقال له: اعمر مسجدي وعز عني أمي، فلما رأى الدهقان جزع أمه وطول بكائها احتال ليعزيها بما أصاب الناس قبلها وبعدها من المصائب والبلاء فيصنع عيداً عظيماً، ثم أذن مؤذنه أيها الناس إن الدهقان يدعوكم أن تحضروا يوم كذا وكذا، فلما كان ذلك اليوم أذن مؤذنه أسرعوا واحذروا أن يحضر هذا العيد إلا رجل قد عري من البلاء والمصائب فاحتبس الناس كلهم، فقالوا: ليس فينا أحد عري من البلاء ما منا أحد إلا أصيب ببلاء أو بموت حميم، فسمعت أم ذي القرنين فأعجبها، ولم تدر ما أراد الدهقان، ثم إن الدهقان أمر منادياً ينادي فقال: يا أيها الناس إن الدهقان قد أمركم أن تحضروا يوم كذا وكذا ولا يحضر إلا رجل قد ابتلي وأصيب وفجع ولا يحضره أحد عري من البلاء فإنه لا خير فيمن لا يصيبه البلاء، فلما فعل ذلك قال الناس: هذا رجل قد بخل، ثم ندم واستحيى فتدارك أمره ومحى عيبه.

فلما اجتمعوا خطبهم، ثم قال: إني لم أجمعكم لما دعوتكم له ولكني جمعتكم لأُكلمكم في ذي القرنين وفيما فجعنا به من فقده وفراقه فذكروا آدم أن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه

---

(١) أي رفع.

(٢) دهقان: رئيس إقليم.

وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته ثم ابتلاه بأن عظم بليته وهو الخروج من الجنة، ثم ابتلى إبراهيم بالحريق وابتلى ابنه بالذبح، ويعقوب بالحزن والبكاء ويوسف بالرق وأيوب بالسقم ويحيى بالذبح وزكريا بالقتل وعيسى بالأسر، وخلقاً من خلق الله كثيراً لا يحصيهم إلا الله عز وجل فلما فرغ من هذا الكلام قال لهم: انطلقوا فعزوا أم الإسكندر لننظر كيف صبرها فإنها أعظم مصيبة في ابنها، فلما دخلوا عليها قالوا لها: هل حضرت الجمع اليوم وسمعت الكلام؟ قالت لهم: ما غاب عليّ من أمركم شيء وما كان فيكم أحد أعظم مصيبة بالإسكندر مني ولقد صبرني الله وأرضاني وربط على قلبي، فلما رأوا حسن عزائها انصرفوا عنها. وانطلق ذو القرنين يسير على وجهه حتى أمعن في البلاد يؤم المغرب وجنوده يومئذ المساكين، فأوحى الله جل جلاله إليه: يا ذا القرنين إنك حجتي على جميع الخلائق ما بين الخافقين[1] من مطلع الشمس إلى مغربها، وهذا تأويل رؤياك. فقال ذو القرنين: إلهي إنكِ ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره غيرك فأخبرني عن هذه الأُمة بأية قوم أكاثرهم وبأي عدد أغلبهم وبأية حيلة أكيدهم وبأي لسان أكلمهم وكيف لي بأن أعرف لغاتهم؟ فأوحى الله تعالى إليه: أشرح لك صدرك فتسمع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وأحفظ عليك فلا يعزب منك شيء وأشد ظهرك فلا يهولك شيء وأسخر لك النور والظلمة أجعلهما جندين من جنودك النور يهديك والظلمة تحوطك[2] وتحوش عليك الأمم من ورائك فانطلق ذو القرنين برسالة ربه عز وجل، فمر بمغرب الشمس فلا يمر بأُمة من الأُمم إلا دعاهم إلى الله عز وجل فإن أجابوه قبل منهم وإن لم يجيبوه أغشاهم الظلمة، فأظلمت مدنهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم وأغشت أبصارهم ودخلت على أفواههم وآنافهم، فلا يزالون فيها متحيرين حتى يستجيبوا لله عز وجل. حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجد عندها الأُمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، ففعل بهم مع غيرهم حتى فرغ مما بينه وبين المغرب.

ثم مشى على الظلمة ثمانية أيام وثمان ليال وأصحابه ينظرونه حتى انتهى إلى الجبل الذي هو محيط بالأرض كلها، فإذا بملك من الملائكة قابض على الجبل وهو يسبح الله، فخر ذو القرنين ساجداً، فلما رفع رأسه، قال له الملك: كيف قويت يابن آدم على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك؟ قال ذو القرنين: قواني على ذلك الذي قواك على قبض هذا الجبل وهو محيط بالأرض كلها قال له الملك صدقت، لولا هذا الجبل لانكفأت الأرض بأهلها[3] وليس على وجه الأرض جبل أعظم منه وهو أول جبل أسسه الله عز وجل، فرأسه ملصق بالسماء الدنيا وأسفله بالأرض السابعة السفلى وهو محيط بها كالحلقة، وليس على وجه الأرض مدينة إلا ولها عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل مدينة فأوحى الله إليّ فحركت العرق الذي يليها فزلزلتها.

---

(١) الخافقين: المشرق والمغرب.
(٢) أي تحفظك.
(٣) أي مالت بأهلها وقلبتها.

ثم رجع ذو القرنين إلى أصحابه، ثم عطف بهم نحو المشرق يستقري ما بينه وبين المشرق من الأمم، فيفعل بهم ما فعل بأُمم المغرب، حتى إذا فرق ما بين المشرق والمغرب عطف نحو الروم الذي ذكره الله عز وجل في كتابه، فإذا هو بأمة لا يكادون يفقهون قولًا وإذا ما بينه وبين الروم مشحون من أُمة يقال لها: يأجوج ومأجوج أشباه البهائم يأكلون ويشربون ويتوالدون وهم ذكور وإناث وفيهم مشابه من الناس الوجوه والأجساد والخلقة ولكنهم قد نقصوا في الأبدان نقصاً شديداً وهم في طول الغلمان لا يتجاوزون خمسة أشبار وهم على مقدار واحد في الخلق والصور عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون، عليهم وبر كوبر الإبل يواريهم ويسترهم من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان أحدهما ذات شعر والأُخرى ذات وبر ظاهرهما وباطنهما ولهم مخالب في موضع الأظفار وأضراس وأنياب كالسباع، وإذا نام أحدهم افترش إحدى أُذنيه والتحف الأُخرى فتسعه لحافاً[1]، وهم يرزقون نون البحر كل عام يقذفه عليهم السحاب، فيعيشون به ويستمطرون في أيامه كما يستمطر الناس المطر في أيامه، فإذا قذفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وأكثروا فأكلوا منه إلى الحول المقبل ولا يأكلون منه شيئاً غيره وإذا أخطأهم النون جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئاً أتوا عليه إلا أفسدوه وأكلوه وهم أشد فساداً من الجراد والآفات وإذا أقبلوا من أرض إلى أرض جلا أهلها عنها وليس يغلبون ولا يدفعون حتى لا يجد أحد من خلق الله موضعاً لقدمه ولا يستطيع أحد أن يدنو منهم لنجاستهم وقذارتهم فبذلك غلبوا وإذا أقبلوا إلى الأرض يسمع حسهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم، كما يسمع حس الريح البعيدة ولهم همهمة إذا وقعوا في البلاد كهمهمة النحل، إلا أنه أشد وأعلى وإذا أقبلوا إلى الأرض حاشوا وحوشها وسباعها حتى لا يبقى فيها شيء، لأنهم يملأون ما بين أقطارها ولا يتخلف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلا اجتلبوه وليس فيهم أحد إلا وعرف متى يموت وذلك من قبل أنه لا يموت منهم ذكر حتى يولد له ألف ولد ولا تموت أنثى حتى تلد ألف ولد، فإذا ولدوا الألف، برزوا للموت وتركوا طلب المعيشة.

ثم إنهم أجفلوا في زمان ذي القرنين يدورون أرضاً أرضاً من الأرضين وأُمة أُمة من الأُمم وإذا توجهوا الوجه لم يعدلوا عنه أبداً ولا ينصرفوا يميناً ولا شمالًا ولا يلتفتوا. فلما أحست تلك الأُمم بهم وسمعوا همهمتهم استغاثوا بذي القرنين وهو نازل في ناحيتهم، قالوا له: إنه قد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان وما أيدك به من الجنود ومن النور والظلمة، وإنا جيران يأجوج ومأجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الجبلين لو مالوا علينا أجلونا من بلادنا ويأكلون ويفرسون الدواب والوحوش كما يفرسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح ولا نشك أنهم يملأون الأرض

---

(١) في حاشية البحار ج١٢، ص ١٨٨ أن عبد الله بن سليمان أخذ الحديث عن كتب الأقدمين والحديث وكل ما فيه من الغرابة عُهد عليه وعلى تلك الكتب وليس الحديث مروياً عن أئمتنا عليهم السلام.

ويجلون أهلها منها، ونحن نخشى كل حين أن يطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين، وقد آتاك الحيلة والقوة ﴿تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ قال ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾.

ثم إنه دلهم على معدن الحديد والنحاس فضرب لهم في جبلين حتى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس، قالوا: فبأي قوة نقطع هذا الحديد والنحاس؟ فاستخرج لهم من تحت الأرض معدناً آخر يقال له السامور[(١)] وهو أشد شيء بياضاً وليس شيء منه يوضع على شيء إلا ذاب تحته، فصنع لهم منه أداة يعملون بها.

وبه قطع سليمان بن داود أساطين بيت المقدس، وصخوره جاءت بها الشياطين من تلك المعادن، فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به. فأوقدوا على الحديد النار، حتى صنعوا منه زبراً مثل الصخور فجعل حجارته من حديد ثم أذاب النحاس فجعله كالطين لتلك الحجارة ثم بنى وقاس ما بين الجبلين فوجده ثلاثة أميال، فحفروا له أساساً حتى كاد يبلغ الماء وجعل عرضه ميلًا وجعل حشوه زبر الحديد وأذاب النحاس فجعله خلال الحديد فجعل طبقة من نحاس وأُخرى من حديد ثم ساوى الردم بطول الصدفين فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد.

فيأجوج ومأجوج يأتونه في كل سنة مرة وذلك أنهم يسيحون في بلادهم، حتى إذا وقعوا إلى الردم حبسهم، فرجعوا يسيحون في بلادهم، فلا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة، فإذا جاء أشراطها، وهو قيام القائم عجل الله فرجه فتحه الله عز وجل لهم. فلما فرغ ذو القرنين من عمل السد انطلق على وجهه، فبينا هو يسير إذا وقع على الأمة العالمة الذين منهم قوم موسى ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فأقام حتى قبض ولم يكن له فيهم عمر وكان قد بلغ السن فأدركه الكبر وكان عدة ما سار في البلاد من يوم بعثه الله عز وجل إلى يوم قبض خمسمائة عام[(٢)].

(قصص الأنبياء) للراوندي بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: حج ذو القرنين في ستمائة ألف فارس، فلما دخل الحرم شيعه بعض أصحابه إلى البيت، فلما انصرف قال: رأيت رجلًا ما رأيت أكثر نوراً منه، قالوا: ذاك خليل الرحمان صلوات الله عليه، قال: أسرجوا فأسرجوا ستمائة ألف دابة في مقدار ما يسرج دابة واحدة، ثم قال: لا، بل نمشي إلى خليل الرحمان. فمشى ومشى معه أصحابه حتى التقيا. قال إبراهيم عليه السلام: بم قطعت الدهر؟ قال: بإحدى عشرة كلمة: سبحان من هو باق لا يفنى، سبحان من هو عالم لا ينسى، سبحان من هو حافظ لا يسقط، سبحان من هو بصير لا يرتاب، سبحان من هو قيوم لا ينام، سبحان من هو ملك لا

---

(١) السامور: الألماس.

(٢) بحار الأنوار ج١٢، ص ١٨٣ - ١٩٣ حديث رقم ١٥.

يرام، سبحان من هو عزيز لا يضام[١]، سبحان من هو محتجب لا يرى، سبحان من هو واسع لا يتكلف، سبحان من هو قائم لا يلهو، سبحان من هو دائم لا يسهو[٢].

(العياشي) عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سئل عن ذي القرنين؟ قال: كان عبداً صالحاً واسمه عياش اختاره الله وابتعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المغرب وذلك بعد طوفان نوح عليه السلام فضربوه على قرنه الأيمن فمات منها. ثم أحياه الله تعالى بعد مائة عام ثم بعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المشرق فضربوه ضربة على قرنه الأيسر فمات منها. ثم أحياه الله تعالى بعد مائة عام وعوضه من الضربتين اللتين على رأسه قرنين في موضع الضربتين أجوفين، وجعل عز ملكه وآية نبوته في قرنه، ثم رفعه الله إلى السماء الدنيا فكشط[٣] له عن الأرض كلها حتى أبصره ما بين المشرق والمغرب وآتاه الله من كل شيء علماً وأيده في قرنيه بكسف من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ثم هبط إلى الأرض وأوحى إليه أن سر في ناحية غرب الأرض وشرقها فقد طويت لك البلاد وذللت لك العباد فأرهبتهم منك فسار ذو القرنين إلى ناحية المغرب، فكان إذا مرّ بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فبعث من قرنيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق تهلك من يخالفه، فدان له أهل المشرق والمغرب، فانتهى مع الشمس إلى العين الحامية فوجدها تغرب فيها ومعها سبعون ألف ملك يجرونها بسلاسل الحديد والكلاليب يجرونها من البحر في قطر الأرض الأيمن كما تجر السفينة على ظهر الماء.

فلما ملك ما بين الشرق والمغرب كان له خليل من الملائكة يقال له: رفائيل ينزل إليه فيحدثه ويناجيه، فقال له ذو القرنين أين عبادة أهل السماء من أهل الأرض؟ فقال ما في السموات موضع قدم إلا وعليه ملك قائم لا يقعد أبداً أو راكع لا يسجد أبداً أو ساجد لا يرفع رأسه أبداً. فبكى ذو القرنين وقال: أحب أن أعيش حتى أبلغ من عبادة ربي ما هو أهله؟ قال رفائيل: يا ذا القرنين إن لله في الأرض عيناً تدعى عين الحياة، من شرب منها لم يمت حتى يكون هو يسأل الموت، فإن ظفرت بها تعش ما شئت، قال: وأين تلك العين وهل تعرفها؟ قال: لا، غير أنا نتحدث في السماء أن لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان. فقال ذو القرنين: وأين تلك الظلمة؟ قال: ما أدري، ثم صعد رفائيل، فدخل ذو القرنين حزن طويل من قول رفائيل ومما أخبره عن العين والظلمة ولم يخبره بعلم ينتفع به منهما، فجمع ذو القرنين فقهاء أهل مملكته وعلماءهم.

فلما اجتمعوا عنده قال لهم: هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله أن لله عيناً تدعى عين الحياة من شرب منها لم يمت؟ قالوا: لا، قال فهل وجدتم أن لله في الأرض ظلمة لم يطأها

---

(١) لا يضام: لا يُقهر.

(٢) قصص الراوندي ص ١٢٢ - ١٢٣ حديث رقم ١٢٤.

(٣) كشط عن الشيء: كشف عنه.

إنس ولا جان، قالوا: لا. فحزن ذو القرنين وبكى إذ لم يخبر عن العين والظلمة بما يحب وكان فيمن حضره غلام من الغلمان من أولاد الأنبياء، فقال له: إن علم ما تريد عندي، ففرح ذو القرنين، فقال الغلام: إني وجدت في كتاب آدم الذي كتب يوم سمي ما في الأرض من عين أو شجر فوجدت فيه أن لله عيناً تدعى عين الحياة بظلمة لم يطأها إنس ولا جان، ففرح ذو القرنين وقال له الغلام: إنها على قرن الشمس - يعني مطلعها - ففرح ذو القرنين وبعث إلى أهل مملكته فجمع أشرافهم وعلماءهم فاجتمع إليه ألف حكيم وعالم.

فلما اجتمعوا تهيأوا للمسير، فسار يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع الجبال، فسار اثنتي عشرة سنة حتى انتهى إلى طرف الظلمة فإذا هي ليست بظلمة ليل ولا دخان، فنزل بطرفها وعسكر عليها وجمع أهل الفضل من عسكره فقال: إني أريد أن أسلك هذه الظلمة! فقالوا: إنك تطلب أمراً ما طلبه أحد قبلك من الأنبياء والمرسلين ولا من الملوك؟ قال: إنه لا بد لي من طلبها. قالوا: إنا نعلم أنك إن سلكتها ظفرت بحاجتك ولكنا نخاف هلاكك. قال: ولا بد من أن أسلكها، ثم قال: أخبروني بأبصر الدواب؟ قالوا الخيل الإناث البكارة. فأصاب ستة آلاف فرس في عسكره، فانتخب من أهل العالم ستة آلاف رجل، فدفع إلى كل رجل فرساً، وكان الخضر على مقدمته في ألفي فارس، فأمرهم أن يدخلوا الظلمة، وسار ذو القرنين في أربعة آلاف وأمر أهل عسكره أن يلزموا معسكره اثنتي عشرة سنة فإن رجع هو إليهم وإلا لحقوا ببلادهم، فقال الخضر: أيها الملك إنا نسلك في الظلمة لا يرى بعضنا بعضاً كيف نصنع بالضلال إذا أصابنا؟ فأعطاه ذو القرنين خرزة حمراء كأنها مشعلة لها ضوء، فقال: خذ هذه الخرزة فإذا أصابكم الضلال فارم بها إلى الأرض فإنها تصيح فإذا صاحت رجع أهل الضلال إلى صوتها. فأخذها الخضر ومضى في الليلة وكان الخضر يرتحل وينزل ذو القرنين، فبينا الخضر يسير ذات يوم إذ عرض له واد في الظلمة فقال لأصحابه: قفوا في هذا الموضع ونزل عن فرسه فتناول الخرزة ورمى بها، فأبطأت عنه بالإجابة حتى خاف أن لا تجيبه، ثم أجابته، فخرج إلى صوتها فإذا هي العين وإذا ماؤها أشد بياضاً من اللبن وأصفى من الياقوت وأحلى من العسل، فشرب منها، ثم خلع ثيابه فاغتسل فيها ولبس ثيابه - ثم رمى بالخرزة نحو أصحابه فأجابه، فخرج إلى أصحابه وركب وأمرهم بالمسير فساروا، ومرّ ذو القرنين بعده فأخطأ الوادي، فسلك تلك الظلمة أربعين يوماً، ثم خرجوا بضوء ليس بضوء نهار ولا شمس ولا قمر ولكنه نور، فخرجوا إلى أرض حمراء رملة، كانت حصاها اللؤلؤ، فإذا هو بقصر مبني على طول فرسخ، فجاء ذو القرنين إلى الباب فعسكر عليه، ثم توجه وحده إلى القصر، فإذا طائر وإذا حديدة طويلة، قد وضع طرفاها على جانب القصر والطير أسود معلق في تلك الحديدة بين السماء والأرض كأنه الخطاف، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين. فقال: يا ذا القرنين لا تخف وأخبرني. قال: سل. قال: هل كثر في الأرض بنيان الآجر والجص؟ قال: نعم. فانتفض الطير وامتلأ حتى ملأ الحديد ثلثها، فخاف منه ذو القرنين،

فقال: لا تخف وأخبرني. قال: سل. قال: هل كثرت المعازف؟ قال: نعم. قال: فانتفض الطير وامتلأ حتى ملأ الحديدة ثلثيها، فخاف منه ذو القرنين، فقال: لا تخف وأخبرني. قال: هل ارتكب الناس شهادة الزور في الأرض؟ قال: نعم. فانتفض انتفاضة وانتفخ، فسد ما بين جداري القصر، فامتلأ ذو القرنين منه خوفاً فقال: لا تخف واخبرني قال: سل. قال: هل ترك الناس شهادة: لا إله إلا الله؟ قال: لا. فانضم ثلثه، ثم قال يا ذا القرنين لا تخف وأخبرني. قال: سل. قال: هل ترك الناس الصلاة؟ قال: لا. فانضم ثلث آخر، ثم قال: يا ذا القرنين لا تخف وأخبرني هل ترك الناس الغسل من الجنابة؟ قال: لا. فانضم حتى عاد إلى الحالة الأولى فإذا هو بدرجة مدرجة إلى أعلى القصر، فقال الطير: اسلك هذه الدرجة، فسلكها وهو خائف حتى استوى على ظهرها فإذا هو بسطح ممدود مد البصر وإذا رجل شاب أبيض مضيء الوجه عليه ثياب بيض وإذا هو رافع رأسه إلى السماء ينظر إليها، واضع يده على فيه، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ما كفاك ما وراك حتى وصلت إلي؟ قال ذو القرنين ما لي أراك واضعاً يدك على فيك؟ قال أنا صاحب الصور وإن الساعة قد اقتربت وأنا أنتظر أن أؤمر بالنفخ فأنفخ، ثم ضرب بيده فتناول حجراً فرمى به إلى ذي القرنين فقال خذها، فإن جاع جعت وإن شبع شبعت فارجع.

فرجع ذو القرنين بذلك الحجر حتى خرج إلى أصحابه، فأخبرهم بالطير وما سأله عنه وما قاله له وأخبرهم بصاحب السطح، ثم قال لهم: أعطاني هذا الحجر، وقال لي: إن جاع جعت وإن شبع شبعت، فأخبروني بأمره، فوضع الحجر في إحدى الكفتين ووضع حجر مثله في الكفة الأُخرى، ثم رفعوا الميزان فإذا الحجر الذي جاء به أرجح بمثل الآخر، فوضعوا آخر فمال به حتى وضعوا ألف حجرة كلها مثله ثم رفع الميزان فمال بها ولم يشتمل به الألف حجر، فقالوا: أيها الملك لا علم لنا بهذا الحجر، فقال له الخضر: إني أوتيت علم هذا الحجر، فقال ذو القرنين: أخبرنا به؟ فتناول الخضر الميزان فوضع الحجر الذي جاء به ذو القرنين في كفة الميزان ثم وضع حجراً آخر في كفة أُخرى ثم وضع كف تراب على حجر ذي القرنين يزيده ثقلًا ثم رفع الميزان فاعتدل، فقالوا: أيها الملك هذا أمر لم يبلغه علمنا وإنا لنعلم أن الخضر ليس بساحر فكيف هذا وقد وضعنا ألف حجر كلها مثله فمال بها وهذا قد اعتدل به وزاده تراباً؟ قال ذو القرنين: بين يا خضر لنا؟ قال الخضر أيها الملك إن أمر الله نافذ في عباده وسلطانه وإن الله ابتلى العالم بالعالم وإنه ابتلاني بك وابتلاك بي. فقال ذو القرنين: يرحمك الله يا خضر إنما تقول ابتلاني بك حين جعلت أعلم مني وجعلت تحت يدي أخبرني عن أمر هذا الحجر؟ فقال الخضر: إن أمر هذا الحجر مثل ضربه لك صاحب الصور يقول: إن مثل بني آدم مثل هذا الحجر الذي وضع، فوضع معه ألف حجر فمال بها ثم إذا وضع عليه التراب شبع وعاد حجراً مثله. فيقول كذلك مثلك أعطاك من الملك ما أعطاك فلم ترضَ حتى طلبت أمراً لم يطلبه أبداً من كان قبلك ودخلت مدخلًا لم يدخله إنس ولا جان، يقول كذلك ابن آدم لا يشبع حتى

يحثى[١] عليه التراب. فبكى ذو القرنين وقال: صدقت يا خضر لا جرم إني لا أطلب أثراً في البلاد بعد مسلكي هذا.

ثم انصرف راجعاً في الظلمة. فبينا هم يسيرون إذ سمعوا خشخشة - أي صوتاً - تحت سنابك[٢] خيلهم فقالوا: أيها الملك ما هذا؟ فقال خذوا منه فمن أخذ منه ندم ومن تركه ندم. فأخذ بعض وترك بعض. فلما خرجوا من الظلمة إذا هم بالزبرجد. فندم الآخذ والتارك. ورجع ذو القرنين إلى دومة الجندل وكان بها منزله. فلم يزل بها حتى قبضه الله إليه.

وكان عليه السلام إذا حدث بهذا الحديث قال: رحم الله أخي ذا القرنين ما كان مخطئاً إذ سلك وطلب ما طلب ولو ظفر بوادي الزبرجد في ذهابه لما ترك فيه شيئاً إلا أخرجه للناس، لأنه كان راغباً ولكنه ظفر به بعد ما رجع فقد زهد[٣].

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير ثم حمل في مسيره ما شاء الله، ثم ركب البحر، فلما انتهى إلى موضع قال لأصحابه: ادلوني، فإذا حركت الحبل فأخرجوني فإن لم أحرك الحبل فأرسلوني إلى آخره فأرسلوه في البحر وأرسلوا الحبل مسيرة أربعين يوماً فإذا ضارب يضرب جنب الصندوق ويقول يا ذا القرنين أين تريد؟ قال: أريد أن أنظر إلى ملك ربي في البحر كما رأيته في البر؟ فقال: يا ذا القرنين إن هذا الموضع الذي أنت فيه مر فيه نوح زمان الطوفان، فسقط منه قدوم[٤] فهو يهوي في قعر البحر إلى الساعة لم يبلغ قعره، فلما سمع ذلك ذو القرنين حرك الحبل وخرج[٥].

(العياشي) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تغرب الشمس في عين حمئة في بحر، دون المدينة التي مما يلي المغرب يعني جابلقا[٦].

قال الرازي: اختلف الناس في أن ذا القرنين من هو؟ وذكروا أقوالًا:

القول الأول: إنه الإسكندر بن فليقوس[٧] اليوناني قالوا والدليل عليه أن القرآن دل على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه المشرق والمغرب ومثل ذلك الملك البسيط لا شك أنه على خلاف العادة وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلداً على وجه الأرض وأن لا يبقى خفياً مستتراً والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ أنه بلغ ملكه إلى هذا القدر ليس إلا الإسكندر وذلك أنه لما مات أبوه، جمع ملوك الروم بعد أن كانوا طوائف، ثم قصد ملوك المغرب

---

(١) حثى التراب: رماه وصبه.

(٢) سنابك: جمع سنبك وهو طرف الحافر.

(٣) تفسير العياشي ج٢، ص ٣٤١ - ٣٤٩ برقم ٧٩ في تفسيره لسورة الكهف.

(٤) القدوم: آلة للنحت والنجر.

(٥) و(٦) تفسير العياشي ص ٣٤٩. ٣٥٠ الحديثان ٨٠ و ٨٣.

(٦) في الأصل: فيلبوس.

وقهرهم وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر، ثم عاد إلى مصر وبنى الإِسكندرية باسم نفسه، ثم دخل الشام وقهر بني إسرائيل، ثم انعطف إلى العراق ودان له أهلها، ثم توجه إلى دارا وهزمه مرات إلى أن قتله واستولى الإِسكندر على ملوك الفرس وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع إلى العراق ومرض بسهرورد[١] ومات بها.

فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين[٢] ملك الأرض كلها وثبت بعلم التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الإسكندر وجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلقوس اليوناني. ثم ذكروا في تسمية ذي القرنين بهذا الاسم وجوهاً.

الأول: أنه لقب به لأنه بلغ قرني الشمس يعني مشرقها ومغربها.

والثاني: أن الفرس قالوا إن دارا الأكبر كان تزوج بنت فيلقوس، فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها على أبيها وكانت قد حملت منه بالإِسكندر فولدت الإِسكندر بعد عودها إلى أبيها فبقي الإِسكندر عند فيلقس وأظهر أنه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الأكبر، قالوا: والدليل على ذلك أن الإِسكندر لما أدرك دارا ابن دارا وبه رمق، وضع رأسه في حجره وقال لدارا: يا أخي أخبرني عمن فعل هذا لأنتقم منه لك؟، فهذا ما قالته الفرس. قالوا فعلى هذا التقدير فالإِسكندر ابن دارا الأكبر وأمه بنت فيلقس، فهذا إنما تولد من أصلين مختلفين الفرس والروم وهذا ما قاله الفرس وإنما ذكروه لأنهم أرادوا أن يجعلوه من نسل ملوك العجم، وهو في الحقيقة كذلك، وإنما قال الإِسكندر يا أخي على سبيل التواضع وإكرام دارا بذلك الخطاب.

والقول الثاني: قول أبي الريحان البيروني[٣] المنجم في كتابه الذي سماه بالآثار الباقية من القرون الخالية.

قيل: إن ذا القرنين هو أبو كرب شمر بن عمير بن افريقش الحميري وهو الذي بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به الشعراء من حمير[٤]، ثم قال أبو الريحان: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب، لأن الأذواء[٥] كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلو أساميهم من ذي، كذي المنار وذي نواس وذي النون.

---

(١) في نسخة: شهرزور.

(٢) وقال الثعلبي في العرائس ص ٣٢٢: هو الإسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومي بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهي إلى العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

(٣) البيروني الخوارزمي: مؤرخ وفلكي ومنجم وجغرافي محقق ولد ومات في خوارزم سنة ٤٤٠ هـ.

(٤) حيث قال:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ... ملكاً علا في الأرض غير مفندي
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب ملك من كريم سيدِ

(٥) أي الملوك الذين كان في صدر ألقابهم «ذو».

والقول الثالث: أنه كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة، وإن كنا لا نعرف من هو؟ ثم ذكروا في تسميته بذي القرنين وجوهاً:

الأول: ما روي أن ابن الكوّا سأل علياً عليه السلام عن ذي القرنين وقال: أملك هو أو نبي؟ قال: لا ملكاً ولا نبياً، كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله تعالى فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله.

الثاني: سمي بذي القرنين لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس.

الثالث: قيل: كان صفحة رأسه من نحاس.

الرابع: كان على رأسه ما يشبه القرنين.

الخامس: كان لتاجه قرنان.

السادس: عن النبي ﷺ: أنه سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها.

السابع: كان له قرنان - أي ضفيرتان ..

الثامن: إن الله تعالى سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتمتد الظلمة من ورائه.

التاسع: يجوز أن يلقب بذلك لشجاعته، كما يسمى الشجاع بالقرن لأنه يقطع(١) أقرانه.

العاشر: أنه رأى في المنام: كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنيها - أي جانبيها - فسمي لهذا السبب بذي القرنين.

الحادي عشر: سمي بذلك لأنه دخل النور والظلمة.

والقول الرابع: إن ذا القرنين ملك من الملائكة.

والقول الأول أظهر، للدليل الذي ذكرناه وهو: أن مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال وهذا الملك العظيم هو الإسكندر فوجب أن يكون المراد بذي القرنين هو إلا أن فيه إشكالاً قوياً وهو: أنه كان تلميذاً لأرسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه، فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل إليه.

المسألة الثانية: اختلفوا في أن ذا القرنين هل كان من الأنبياء أم لا؟ منهم من قال إنه كان من الأنبياء. واحتجوا عليه بوجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والأولى حمله على التمكين في الدين، والتمكين الكامل في الدين هو النبوة.

الثاني: قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ وهذا يدل على أن الله تعالى آتاه من النبوة سبباً.

---

(١) في المصدر: كما يسمى الشجاع كبشاً كأنه ينطح.

والثالث: قوله تعالى: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ والذي يتكلم الله معه لا بد وأن يكون نبياً. ومنهم من قال: إنه كان عبداً صالحاً وما كان نبياً[١].

أقول: المستفاد من الأخبار كما قال شيخنا المحدث: أنه غير الإسكندر وأنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام وأنه أول الملوك بعد نوح عليه السلام، وأما استدلاله فلا يخفى ضعفه بعد ما عرفت من أن الملوك المتقدمة لم تضبط أحوالهم بحيث لا يشذ عنه أحد، وأيضاً الظاهر من كلام أهل الكتاب الذين يعولون عليهم في التواريخ عدم الاتحاد، والظاهر من الأخبار أيضاً أنه لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً مؤيداً من عند الله تعالى[٢].

وروى حذيفة قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كل قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، قلت يا رسول الله وما الأرز؟ قال: شجر بالشام وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأُخرى، ولا يمرون بشيء إلا أكلوه، مقدمتهم بالشام ومؤخرتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية[٣].

وقال وهب ومقاتل: إنهم من ولد يافث بن نوح أب الترك.

وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تغير[٤] فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه.

وقال كعب: هم نادرة من ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج، فهم متصلون بنا من طرف الأب دون الأم. انتهى وهو بعيد[٥].

وأما سد ذي القرنين فقال أمين الإسلام الطبرسي: قيل: إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط. وقيل: إنه من وراء دربند وخزر من ناحية أرمينية وأذربيجان.

وجاء في الحديث: أنهم يدأبون في حفر السد نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٢١، ص ١٦٣ ـ ١٦٥.
(٢) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٢١٢.
(٣) الخبر مروي عن العامة فراجع.
(٤) تغير: أي تهجم.
(٥) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٧٦٣ ـ ٧٦٤ في تفسيره لسورة الكهف.

شعاع الشمس قالوا: نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان، حتى إذا جاء وعد الله - يعني خروج القائم عليه السلام قالوا غداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس، فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصّن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً[١] في أقفائهم، فتدخل في آذانهم فيهلكون بها ودواب الأرض تسمن من لحومهم.

وفي تفسير الكلبي: أن الخضر واليسع يجتمعان في كل ليلة على ذلك السد، يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج[٢].

هذا هو الكلام في قصص ذي القرنين عليه السلام.

(١) النغف: دود يسقط من أنوف الإبل والغنم وقيل: دود أبيض يكون في النوى إذا انقع.
(٢) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٧٦٣ ـ ٧٦٤ في تفسيره لسورة الكهف.

الباب التاسع

في قصص يعقوب ويوسف عليه السلام

تفسير علي بن إبراهيم مسنداً إلى جابر بن عبد الله الأنصاري في قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(١).

وهي: الطارق وحوبان والذيال وذو الكتفين ووثاب وقابس وعموران وفيلق ومصبح والصرح والفروع والضياء والنور، يعني الشمس والقمر، وكل هذه النجوم محيطة بالسماء(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام في تأويل هذه الرؤيا: أنه سيملك مصر ويدخل عليه أبواه وإخوته. وأما الشمس فأُم يوسف راحيل، والقمر يعقوب والكواكب إخوته، فلما دخلوا عليه سجدوا لله شكراً حين نظروا إليه، وكان ذلك السجود لله.

وقال عليه السلام: أنه كان من خبر يوسف عليه السلام: أنه كان له أحد عشر أخاً، وكان له أخ من أمه يسمى بنيامين وكان يعقوب إسرائيل الله - أي خالصه - فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين، فقصها على أبيه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾(٣). وكان يوسف من أحسن الناس وجهاً. وكان يعقوب يحبه ويؤثره على أولاده، فحسده إخوته على ذلك وقالوا ما بينهم، ما حكى الله عنهم: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾(٤) وعمدوا على قتل يوسف حتى يخلو لهم وجه أبيهم إلى آخر الآيات(٥).

وأما أسماؤهم: فروبيل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوي ويهودا وريالون ويشجر وأمهم ليا ابنة خالة يعقوب، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وولد له من السرية بجماع أو مطلق لهم الشيء من سريتين له، اسم إحداهما زلفة والأُخرى بلهة أربع بنين

---

(١) سورة يوسف؛ الآية: ٤.

(٢) في العرائس للثعلبي ص ٩٧ في خبر اليهودي أن أسماء الكواكب هي: جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح.

(٣) و(٤) سورة يوسف؛ الآيتان: ٥ و ٨.

(٥) تفسير القمي ج١، ص ٣٣٩ . ٣٤٠.

دان ونفتالي وأحاد وآشر[١]. وأكثر المفسرين على أن إخوة يوسف كانوا أنبياء. وقال بعضهم: لم يكونوا أنبياء، الأنبياء لا تقع منهم القبائح[٢]. وعن أبي جعفر عليه السلام أنهم لم يكونوا أنبياء.

وقوله إني ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[٣]. قيل: كانت أرضهم مذأبة وكانت الذئاب ضارية في ذلك الوقت. وقيل: إن يعقوب رأى في منامه: كأن يوسف قد شد عليه عشرة أذؤب ليقتلوه، وإذا ذئب منها يحمي عنه، فكأن الأرض انشقت فدخل فيها يوسف عليه السلام فلم يخرج إلا بعد ثلاثة أيام. فمن قال هذا فلقنهم العلة وكانوا لا يدرون. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تلقنوا الكذب فتكذبوا، فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوهم.

وقيل: كان يوم ألقي في الجب عمره عشر سنين. وقيل: اثنتا عشرة. وقيل: سبع. وقيل: تسع. وجمع بينه وبين أبيه وهو ابن أربعين سنة[٤].

ولما ألقوه في غيابة الجب قالوا له: انزع قميصك. فبكى فقال يا إخوتي تجردوني فسل واحد منهم السكين عليه وقال: لئن لم تنزعه لأقتلنك؟ فنزعه، فدلوه في الجب وتنحوا عنه، فقال عليه السلام في الجب: يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ارحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري، فنزلت سيارة[٥] من أهل مصر فبعثوا رجلًا ليستقي لهم الماء من الجب، فلما أدلى الدلو على يوسف تشبث بالدلو فجروه فنظروا إلى غلام من أحسن الناس وجهاً، فعدوا إلى صاحبهم، فقالوا يا بشرى هذا غلام فنخرجه ونبيعه ونجعله بضاعة لنا، فبلغ إخوته فجاؤوا فقالوا هذا عبد لنا أبق، ثم قالوا ليوسف لئن لم تقر لنا بالعبودية لنقتلنك؟ فقالت السيارة ليوسف ما تقول؟ فقال: أنا عبدهم فقالت السيارة فتبيعوه منا؟ قالوا نعم، فباعوه على أن يحملوه إلى مصر وشروه بثمن بخس دراهم معدودة كانت ثمانية عشر درهماً. عن الرضا عليه السلام: كانت عشرين درهماً، وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل[٦].

أقول: المشهور بين الأصحاب رضوان الله عليهم أن في كلب الغنم عشرين درهماً وفي كلب الصيد أربعين أو القيمة فيهما، أما البائعون فهم إخوته. وقيل: باعه الواجدون بمصر. وقيل: إن الذين أخرجوه من الجب باعوه من السيارة. والأصح الأول. وقال النبي صلى الله عليه وآله: أعطي يوسف شطر الحسن، والنصف الآخر لباقي الناس.

---

(١) وقد اختلفت كلمات المفسرين والمؤرخين في ضبط أسماء أولاد يعقوب ولا يخلو الكل عن التصحيف.

(٢) وبه قالت الإمامية، حيث إنهم قالوا إن الأنبياء لا يصدر عنهم الذنوب والقبائح وهم معصومون عنها وتقدم الكلام في ذلك في أول الكتاب باب عصمة الأنبياء فراجع.

(٣) سورة يوسف ؛ الآية: ١٣.

(٤) مجمع البيان المجلد الثالث، ص ٣٢٣ و ٣٣١.

(٥) السيارة: القافلة.

(٦) تفسير القمي ج١، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

وفيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾(١) قالوا إنهم ذبحوا جدياً على قميصه قالوا: نعمد إلى قميصه فنلطخه بالدم ونقول لأبينا إن الذئب أكله، فلما فعلوا ذلك قال لهم لاوي يا قوم أتظنون أن الله يكتم هذا الخبر عن نبيه يعقوب فقالوا وما الحيلة؟ قال نقوم ونغتسل ونصلي جماعة ونتضرع إلى الله تعالى أن يكتم ذلك عن أنبيائه إنه جواد كريم، فاغتسلوا وكان في سنة إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنهم لا يصلون جماعة حتى يبلغوا أحد عشر رجلاً فيكون واحد منهم إماماً وعشرة يصلون خلفه، قالوا: كيف نصنع وليس لنا إمام؟ فقال لاوي: نجعل الله إمامنا، فصلوا وبكوا وتضرعوا، وقالوا: يا رب أكتم علينا هذا، ثم جاؤوا إلى أبيهم عشاءً يبكون ومعهم القميص قد لطخوه بالدم فقالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾(٢) - أي نعدو - ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾(٣) الآية.

فقال يعقوب: ما كان أشد غضب ذلك الذئب على يوسف وأشفقه على قميصه حيث أكل يوسف ولم يمزق قميصه؟ فحملوا يوسف إلى مصر وباعوه من عزيز مصر، فقال العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾(٤) - أي مكانه - ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾(٥) ولم يكن لهم ولد، فأكرموه وربوه، فلما بلغ أشده هوته امرأة العزيز وكانت لا تنظر إلى يوسف امرأة إلا هوته ولا رجل إلا أحبه وكان وجهه مثل القمر ليلة البدر فراودته امرأة العزيز كما قال تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا...﴾ الآية(٦).

فما زالت تخدعه حتى كان كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾(٧) فقامت امرأة العزيز وغلقت الأبواب، فلما رأى يوسف صورة يعقوب في ناحية البيت عاضاً على إصبعه يقول: يا يوسف أنت في السماء مكتوب في النبيين وتريد أن تكتب في الأرض من الزناة؟ فعلم أنه قد أخطأ وتعدى.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: لما همت به وهم بها قامت إلى صنم في بيتها فألقت عليه ثوباً وقالت لا يرانا فإني أستحي منه، فقال يوسف: فأنت تستحين من صنم لا يسمع ولا يبصر، وأنا لا أستحي من ربي؟ فوثب وعدا وعدت من خلفه وأدركهما العزيز على هذه الحالة، وهو قوله عز وجل: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾(٨) فبادرت امرأة العزيز فقالت له: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٩) فقال يوسف للعزيز ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾(١٠) فألهم الله يوسف أن قال للملك سل هذا الصبي في المهد فإنه يشهد أنها راودتني عن نفسي فقال العزيز للصبي فأنطق الله الصبي في المهد ليوسف حتى قال: ﴿إن

(١) سورة يوسف؛ الآية: ١٨.
(٢) و(٣) سورة يوسف؛ الآية: ١٧.
(٤) و(٥) سورة يوسف؛ الآية: ٢١.
(٦) و(٧) سورة يوسف؛ الآية: ٢٣ و ٢٤.
(٨) و(٩) سورة يوسف؛ الآية: ٢٥.
(١٠) سورة يوسف؛ الآية: ٢٦.

كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١].

فلما رأى العزيز قميص يوسف قد تخرق من دبر، قال لامرأته ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢] ثم قال ليوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[٣].

فشاع الخبر بمصر وجعلت النساء يتحدثن بحديثها ويعذلنها وهو قوله تعالى: وقالت ﴿نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾[٤] فبلغ ذلك امرأة العزيز، فبلغت إلى كل امرأة رئيسة، فجمعن في منزلها وهيأت لهن مجلساً ودفعت إلى كل امرأة أترجة وسكيناً فقالت اقطعن، ثم قالت ليوسف اخرج عليهن، فلما نظرن إليه أقبلن يقطعن أيديهن وقلن إن هذا إلا ملك كريم فقالت امرأة العزيز ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ - أي امتنع - ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾[٥] فما أمسى يوسف في ذلك اليوم حتى بعثت إليه كل امرأة رأته تدعوه إلى نفسها فضجر يوسف فقال ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾[٦] وأمرت امرأة العزيز بحبسه فحبس[٧].

أقول: الصبي الذي كان في المهد هو ابن أخت زليخا وكان ابن ثلاثة أشهر ولما قطعن أيديهن لم يجدن وجعاً، وهذا حال العشق إذا غلب على القلب، كما في حكاية اليهودي الذي كان يصلح طعاماً لجاريته في مرضها فلما سمع أنينها سقطت المغرفة التي كان يخوط القدر بها من يده، فعاد يخوط القدر بيده حتى تناثر لحم يده وما شعر به، وقد وقع مثله لكثير عزة ولغيره من العشاق السبعة، وقد شاهدت أنا في شيراز رجلاً يمشي والناس وراءه وفي يديه في كل واحدة سكيناً يضرب بها على صدره واللحم يتناثر من بدنه وهو لا يحس به، فسألت عنه فقيل: إنه كان له محبوب فغيبوه عن نظره. وتحقيق هذه المقالة في كتابنا «مقامات النجاة» و «زهر الربيع» بما لا مزيد عليه.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[٨] فالآيات هي شهادة الصبي والقميص المخرق من دبر واستباقهما الباب حتى سمع مجاذبتها إياه على الباب فلما عصاها لم تزل مولعةً لزوجها حتى حبسه ودخل معه السجن فتيان، يقول عبدان للملك أحدهما خباز والآخر صاحب الشراب، والذي كذب ولم ير المنام هو الخباز، وسبب حبسهما أنه سعي بهما إلى الملك أنهما أرادا أن يسماه.

---

(١) سورة يوسف؛ الآية: ٢٧.
(٢) سورة يوسف؛ الآية: ٢٧.
(٣) سورة يوسف؛ الآية: ٢٨.
(٤) سورة يوسف؛ الآية: ٣٠.
(٥) سورة يوسف، الآيتان: ٣٢ و ٣٤.
(٦) سورة يوسف، الآيتان: ٣٢ و ٣٤.
(٧) تفسير القمي ج١، ص ٣٤٠ - ٣٤٣.
(٨) سورة يوسف؛ الآية: ٣٥.

وقال علي بن إبراهيم: ووكل الملك بيوسف رجلين يحفظانه، فلما دخل السجن قالوا له: ما صناعتك؟ قال أعبر الرؤيا، فرأى أحد الموكلين في نومه كما قال أعصر خمراً قال يوسف: تخرج من السجن وتصير على شراب الملك وترتفع منزلتك عنده، وقال الآخر: إني أرى في المنام أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل منه الطير، ولم يكن رأى ذلك فقال له يوسف: أنت يقتلك الملك ويصلبك وتأكل الطير من دماغك، فجحد الرجل وقال إني لم أرَ ذلك، فقال له يوسف: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

فلما أراد من رأى في نومه أنه يعصر خمراً الخروج من الحبس قال له يوسف: اذكرني عند ربك، فكان كما قال الله عز وجل: ﴿فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾(١).

أقول: قال أمين الإسلام الطبرسي: القول في ذلك أن الاستعانة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح، بل ربما يجب وكان نبينا صلى الله عليه وآله يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والأنصار وغيرهم. ولو كان قبيحاً لم يفعله فلو صحت هذه الرواية فإنما عوتب عليه السلام على ترك عادته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه في كل أموره دون غيره وقت ابتلائه، وإنما كان يكون قبيحاً لو ترك التوكل على الله واقتصر على غيره.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما مضت مدة يوسف عليه السلام في السجن وأذن له في دعاء الفرج وضع خده على الأرض ثم قال: اللهم إن كانت ذنوني قد أخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب. ففرج الله عنه، قلت: جعلت فداك أندعو نحن بهذا الدعاء؟ فقال: ادع بمثله: اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام (٢).

وقال علي بن إبراهيم: إن الملك رأى رؤيا. فقال لوزرائه: إني رأيتُ في نومي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف - أي مهازيل - ورأيت سبع سنبلات خضر وأُخر يابسات فلم يعرفوا تأويل ذلك، فذكر الذي كان على رأس الملك رؤياه التي رآها، وذكر يوسف بعد سبع سنين، فأرسلوا إليه، فقال ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ﴾(٣) فقال يوسف: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾(٤) ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن - أي سبع سنين - مجاعة شديدة يأكلن ما قدمتم لهن في السبع السنين الماضية.

فرجع الرجل إلى الملك فأخبره بما قال يوسف ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ

(١) تفسير القمي ج١، ص ٣٤٤.

(٢) مجمع البيان المجلد الثالث، ص ٣٥٩ ؛ ٣٦٠.

(٣) و(٤) سورة يوسف. الآية: ٤٦ - ٤٧.

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ - يعني الملك - فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾[1] فجمع الملك النسوة ف ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾[2] - أي لا أكذب عليه الآن كما كذبت عليه من قبل - ثم قالت ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ...﴾[3] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ...﴾[4] فلما نظر إلى يوسف ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾[5] سل حاجتك؟ ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[6] يعني الكناديج والأنابير، فجعله عليهما[7].

أقول: قوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ من كلام يوسف عليه السلام على قول أكثر المفسرين.

وقيل: هو من كلام امرأة العزيز كما قاله علي بن إبراهيم. والأول أشهر وأظهر. والكندوج شبه المخزن معرب كندود.

وقال علي بن إبراهيم: وكان بينه وبين أبيه ثمانية عشر يوماً، وكانوا في بادية وكان الناس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليمتاروا طعاماً، وكان يعقوب وولده نزولاً في بادية فيه مقل[8]، فأخذ إخوة يوسف من ذلك المقل وحملوه إلى مصر ليمتاروا به.

وقيل: كانت بضاعتهم بيع النعل، وكان يوسف يتولى البيع بنفسه، فلما دخل إخوته عليه عرفهم ولم يعرفوه، فلما جهزهم أحسن جهازهم، قال لهم: من أنتم؟ قالوا نحن بنو يعقوب. قال: فما فعل أبوكم؟ قالوا: شيخ ضعيف. قال: فلكم أخ غيركم؟ قالوا: لنا أخ من أبينا لا من أمنا. قال: فإذا رجعتم إليّ فأتوني به، ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ قال يوسف لقومه: هذه البضاعة التي حملوها إلينا، اجعلوها بين رحالهم، حتى إذا رأوها رجعوا إلينا، يعني لا أحتمل أن يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون بها إلينا.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ أخانا بنيامين ﴿نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قال يعقوب هل آمنكم عليه ألا كما أمنتكم على أخيه من قبل فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم في رحالهم التي حملوها إلى مصر، قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ﴾ - أي ما نريد - ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ قال يعقوب ﴿لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ﴾ حتى تحلفوا لي أن تأتوني به إلا أن تغلبوا في شأنه. فخرجوا وقال لهم يعقوب: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ

(١-٦) سورة يوسف؛ الآيات: ٥٠-٥٥.

(٧) تفسير القمي ج١، ص ٣٤٥ . ٣٤٦.

(٨) المُقل بالضم: الصمغ الذي يسمى الكور، وهو من الأدوية.

تَوَكَّلْتُ﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[١].

أقول: إن إخوة يوسف عليه السلام لم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حين فارقوه[٢].

وقوله: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ المشهور بين المفسرين أنه إنما قال ذلك لما خاف عليهم من العين. وقيل: لما اشتهروا بمصر بالحسن والجمال وإكرام الملك لهم خاف عليهم حسد الناس. ثم إن العبد مأمور بملاحظة الأسباب وعدم الاعتماد عليها والتوكل على الله قال أولًا ما يلزمه من الحزم والتدبير، ثم تبرأ من الاعتماد على الأسباب بقوله: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾[٣].

فخرجوا وخرج معهم بنيامين وكان لا يواكلهم ولا يجالسهم ولا يكلمهم. فلما دخلوا على يوسف وسلموا، نظر يوسف إلى أخيه فعرفه، فجلس منهم بالبعيد، فقال يوسف: أنت أخوهم؟ قال: نعم. قال: فلم لا تجلس معهم؟ قال: لأنهم أخرجوا أخي عن أبي وأمي، ثم رجعوا وزعموا أن الذئب أكله فآليت على نفسي أن لا أجتمع معهم ما دمت حياً، قال فهل تزوجت وولد لك؟ قال: نعم، ثلاث بنين سميت واحداً منهم الذئب وواحداً منهم القميص وواحداً الدم، قال: وكيف اخترت هذه الأسماء؟ قال: لئلا أنسى أخي، كلما دعوت واحداً من ولدي ذكرت أخي، قال يوسف لهم: اخرجوا وحبس بنيامين، فلما خرجوا من عنده، قال يوسف لأخيه: ﴿أَنَاْ أَخُوكَ﴾ يوسف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون، ثم قال له: أنا أحب أن تكون عندي. فقال لا يدعوني إخوتي، فإن أبي قد أخذ عليهم ميثاق الله أن يردوني إليه، قال: أنا أحتال بحيلة فلا تخبرهم بشيء. فقال: لا، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وأحسن إليهم، قال بعض قوامه: اجعلوا هذا الصاع في رحل هذا، وكان الصاع الذي يكيلون به من ذهب، فجعلوه في رحله من حيث لم يقف عليه إخوته، فلما ارتحلوا بعث إليهم يوسف وحبسهم، ثم أمر منادياً ينادي ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، فقال إخوة يوسف ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ﴾ - أي كفيل - فقال إخوة يوسف ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ٣٤٦ . ٣٤٧.

(٢) قال الطبرسي طاب ثراه في المجمع المجلد الثالث ص ٣٧٤: قال ابن عباس: وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أربعين سنة فلذلك أنكروه ولأنهم رأوه ملكاً جالساً على السرير عليه ثياب الملوك ولم يكن يخطر ببالهم أنه يصير إلى تلك الحالة.

(٣) تفسير البيضاوي ج٢، ص ٣١٦.

عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[١]. قال يوسف: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ فخذه فاحبسه فهو جزاؤه ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾، فحبسوا أخاه وهو قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ـ أي احتلنا له ـ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٢].

وسئل الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ قال: ما سرقوا وما كذب، إنما عنى سرقتم يوسف من أبيه، فلما أخرج ليوسف الصاع من رحل أخيه، قال إخوته إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل - يعنون يوسف - فتغافل يوسف عليه السلام وهو قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[٣] فاجتمعوا إلى يوسف وجلودهم تقطر دماً أصفر وكانوا يجادلونه في حبسه، وكان ولد يعقوب إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر ويقطر من رؤوسها دم أصفر وهم يقولون له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤] فأطلق عن هذا فقال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[٥] ولم يقل إلا من سرق متاعنا ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾[٦] فلما أيسوا وأرادوا الانصراف إلى أبيهم، قال لهم يهودا بن يعقوب ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله في هذا ومن قبل ما فرطتم في يوسف فارجعوا أنتم إلى أبيكم، أما أنا فلا أرجع إليه حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ثم قال لهم: ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾[٧] فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم وتخلف يهودا، فدخل علىَ يوسف وكلمه حتى ارتفع الكلام بينه وبين يوسف وغضب، وكانت على كتف يهودا شعرة فقامت الشعرة فأقبلت تقذف بالدم، وكان لا يسكن حتى يمسه بعض ولد يعقوب وكان بين يدي يوسف ابن له في يده رمانة من ذهب يلعب بها، فأخذ الرمانة من الصبي ثم دحرجها نحو يهودا وتبعها الصبي ليأخذها فوقعت يده على يهودا فذهب غيظه، فارتاب يهودا، ورجع الصبي بالرمانة إلى يوسف، حتى فعل ذلك ثلاثاً[٨].

---

(١) قال الطبرسي طاب ثراه في تفسيره لهذه الآية: أي قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد أُخرى ما تعلمون به أنه ليس من شأننا السرقة وقيل: إنهم قالوا ذلك لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة أن يكون وضع بغير إذن يوسف وقيل: إنهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدّوا أفواه دوابهم لا تتناول الحرث والزرع.

(٢) سورة يوسف؛ الآية: ٧٦.

(٣-٦) سورة يوسف؛ الآيات: ٧٧ - ٧٩.

(٧) سورة يوسف؛ الآية: ٨١.

(٨) تفسير القمي ج١، ص ٣٤٩.

أقول: السقاية المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعاً في السنين الشداد القحاط، يكال به الطعام، وقوله ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ تورية على وجه المصلحة أي سرقتم يوسف.

ثم قال علي بن إبراهيم: فلما رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بخبر أخيهم قال يعقوب ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾[١]. يعني يوسف وبنيامين ويهودا الذي تخلف بمصر، ثم تولى عنهم وقال: ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾[٢] يعني عميت من البكاء ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٣] أي محزون الأسف أشد الحزن. وسئل أبو عبد الله عليه السلام ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ فقال: حزن سبعين ثكلى بأولادها، وقال: إن يعقوب لم يعرف الاسترجاع، فمنها قال: واأسفا على يوسف[٤].

أقول: جاء في الحديث: لم تعط أمة من الأُمم: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند المصيبة إلا أُمة محمد صلى الله عليه وآله، ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصاب لم يسترجع، وقال: يا أسفا، وذلك لما جاء في الحديث من أن المسترجع عند المصيبة يبنى له بيت في الجنة وكلما ذكر المصيبة واسترجع كان له مثل ثوابه عند الصدمة الأولى.

ثم اعلم: أنه اختلف في قوله: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ كما أن الشيعة اختلفوا في أنه هل يجوز على الأنبياء مثل هذا النقص في الخلقة. قال أمين الإسلام الطبرسي: لا يجوز لأن ذلك ينفّر.

وقيل يجوز أن لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض انتهى فمن قال لا يجوز ذلك يقول إنه ما عمي، ولكنه صار بحيث يدرك إدراكاً ضعيفاً، ويأول بأن المراد أنه غلبة البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين، فتصير العين كأنها ابيضّت من بياض ذلك الماء، ومن يجوز ذلك يحملها على ظاهرها. والحق أنه لم يقم دليل على امتناع ذلك، حتى يحتاج إلى تأويل الآيات والأخبار الدالة على حصوله على أنه يحتمل، كما قيل أن يكون على وجه لا يكون فيه نقص ولا عيب في ظاهر الخلقة والأنبياء عليهم السلام يبصرون بقلوبهم ما يبصر غيرهم بعينيه[٥].

وفيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال سدير: أخبرني عن يعقوب حين قال لولده: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ كان علم أنه حي وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عينه من البكاء؟ قال: نعم، علم أنه حي، دعا ربه في السحر أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه ملك الموت بأطيب رائحة وأحسن صورة فقال له: من أنت؟ فقال أنا ملك الموت، أليس سألت الله أن ينزلني عليك، ما حاجتك يا يعقوب؟ قال له: أخبرني عن الأرواح تقبضها جملة أو متفرقة قال: تقبضها أعواني متفرقة وتعرض عليّ مجتمعة، قال يعقوب: فأسألك بإله إبراهيم وإسحاق

---

(١) سورة يوسف ؛ الآية: ٨٣.
(٢) و(٣) سورة يوسف؛ الآية: ٨٤.
(٤) تفسير القمي ج١، ص ٣٥٠.
(٥) بحار الأنوار ١٢، ص ٢٤٣.

ويعقوب هل عرض عليك في الأرواح روح يوسف؟ فقال: لا فعند ذلك علم أنه حي، فقال لولده: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾[١] وكتب عزيز مصر إلى يعقوب:

أما بعد: فهذا ابنك اشتريته بثمن بخس وهو يوسف واتخذته عبداً وهذا ابنك بنيامين أخذته وقد وجدت متاعي عنده واتخذته عبداً، فما ورد على يعقوب شيء أشد من ذلك الكتاب، فقال للرسول: مكانك أجيبه، فكتب إليه يعقوب:

بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله أما بعد: فقد فهمت كتابك تذكر فيه أنك اشتريت ابني واتخذته عبداً وإن البلاء موكل ببني آدم، وإن جدي إبراهيم ألقاه نمرود في النار فلم يحترق وجعلها الله له برداً وسلاماً، وإن أبي إسحاق أمر الله جدي أن يذبحه بيده، فلما أراد ذبحه فداه بكبش عظيم، وإنه كان لي ولد ولم يكن في الدنيا أحد أحب إليّ منه فأخرجوه إخوته، ثم رجعوا إليّ وزعموا أن الذئب أكله، فاحدودب لذلك ظهري وذهب من كثرة البكاء عليه بصري، وكان له أخ من أمه كنت آنس به فخرج مع إخوته إلى ما قبلك ليمتاروا لنا طعاماً، فرجعوا إليّ وذكروا أنه سرق صواع الملك وقد حبسته، وإنا أهل بيت لا يليق بنا السرقة ولا الفاحشة، وأنا أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا مننت عليّ به وتقربت إلى الله ورددته إليّ فلما ورد الكتاب إلى يوسف أخذه ووضعه على وجهه وبكى بكاءً شديداً، ثم نظر إلى إخوته فقال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فقالوا ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي لا توبيخ ولا تعنيف ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٢] فلما ولى الرسول إلى الملك بكتاب يعقوب، رفع يعقوب يده إلى السماء فقال: يا حسن الصحبة يا كريم المعونة وخير إله، ائتني بروح منك وفرج من عندك. فهبط جبرائيل عليه السلام فقال له يا يعقوب ألا أعلّمك دعوات يرد الله عليك بصرك وابنيك؟ قال: نعم. قال: قل يا من لم يعلم أحد كيف هو إلا هو يا من سد الهواء وكبس الأرض على الماء واختار لنفسه أحسن الأسماء ائتني بروح منك وفرج من عندك. قال فما انفجر عمود الصبح حتى أتي بالقميص فطرح عليه، فرد الله عليه بصره وولده[٣].

أقول: ورد في سبب معرفتهم له أنه تبسم، فلما أبصروا ثناياه كانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف. وقيل: رفع التاج عن رأسه، فعرفوه. وفي قوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ - أي شبان أو صبيان - تعليم لهم كيف يعتذرون. روي عن الصادق عليه السلام: كل ذنب عمله العبد وإن

---

(١) سورة يوسف؛ الآية: ٨٧.
(٢) سورة يوسف؛ الآيات: ٩٠ ـ ٩٢.
(٣) تفسير القمي ج١، ص ٣٥٠ - ٣٥٣.

كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، فقد حكى الله قول يوسف لإخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله[1].

وذكر بعض المحققين من أهل التفسير، وورد في الأخبار أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ إن كل مذنب فهو جاهل، لأنه خاطر بنفسه وفعل فعل الجاهل.

ثم قال علي بن إبراهيم قدس الله ضريحه: ولما أمر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله تعبير الرؤيا، فكان يعبر لأهل السجن فلما سأله الفتيان تعبير الرؤيا عبر لهما وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك ولم يفزع في تلك الحال إلى الله تعالى فأوحى الله إليه من أراك الرؤيا؟ ومن حببك إلى أبيك؟ ومن وجه إليك السيارة؟ ومن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعلت لك من الجب فرجاً؟ ومن أنطق لسان الصبي بعذرك؟ ومن ألهمك تأويل الرؤيا؟ قال: أنت يا رب. قال فكيف استعنت بغيري ولم تستعن بي؟ وأملت عبداً من عبيدي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي لبث في السجن بضع سنين؟ فقال يوسف: أسألك بحق آبائي عليك إلا فرّجت عني. فأوحى الله إليه: يا يوسف وأي حق لآبائك عليّ. إن كان أبوك آدم خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسكنته جنتي وأمرته أن لا يقرب شجرة منها فعصاني وسألني فتبت عليه، وإن كان أبوك نوح انتجبته من بين خلقي وجعلته رسولًا إليهم، فلما عصوا دعاني فاستجبت له وغرقتهم وأنجيته ومن معه في الفلك، وإن كان أبوك إبراهيم اتخذته خليلًا وأنجيته من النار وجعلتها عليه برداً وسلاماً، وإن كان أبوك يعقوب وهبت له اثني عشر ولداً فغيبت عنه واحداً فما زال يبكي حتى ذهب بصره وقعد على الطريق يشكوني، فأي حق لآبائك عليّ؟ قال له جبرائيل: قل يا يوسف: أسألك بمنك العظيم وإحسانك القديم. فقالها، فرأى الملك الرؤيا، فكان فرجه فيها.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: قال السجان ليوسف إني لأحبك، فقال يوسف: ما أصابني إلا من الحب، إن كانت عمتي أحبتني فسرقتني - أي نسبتني إلى السرقة - وإن كان أبي أحبني فحسدني إخوتي، وإن كانت امرأة العزيز أحبتني فحبستني، وشكا يوسف في السجن إلى الله تعالى، فقال: يا رب بماذا استحققت السجن؟ فأوحى الله إليه: أنت اخترته حين قلت: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ هلا قلت العافية أحب إليّ مما يدعونني إليه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما طرح إخوة يوسف، يوسف في الجب دخل عليه جبرائيل عليه السلام وهو في الجب، فقال: يا غلام من طرحك في هذا الجب؟ قال إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني. قال: أفتحب أن تخرج؟ قال: ذاك إلى إله

---

(١) مجمع البيان المجلد الثالث، ص ٤٠٠.

إبراهيم وإسحاق ويعقوب. قال: فإن إله إبراهيم يقول لك قل: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد كله لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام صل على محمد وآل محمد واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث لا أحتسب. فدعا ربه. فجعل له من الجب فرجاً ومن كيد المرأة مخرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب.

وعن المفضل الجعفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني ما كان قميص يوسف؟ قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار أتاه جبرائيل عليه السلام بثوب من ثياب الجنة فألبسه إياه، فلم يضره معه حر ولا برد، فلما حضر إبراهيم الموت جعله في تميمة[١] وعلقه على إسحاق وعلقه إسحاق على يعقوب، فلما ولد ليعقوب يوسف علقه عليه، فكان في عنقه، حتى كان من أمره ما كان، فلما أخرج يوسف القميص من التميمة وجد يعقوب ريحه، وهو قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ قلت جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص؟ فقال إلى أهله، ثم قال: كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمد صلى الله عليه وآله. وكان يعقوب بفلسطين وفصلت العير من مصر، فوجد ريح يوسف وهو من ذلك القميص الذي أخرج من الجنة، ونحن ورثته[٢].

أقول: قال أمين الإسلام الطبرسي رحمه الله: قيل: إن يوسف عليه السلام قال إنما يذهب بقميصي من ذهب به أولاً فقال يهودا أنا أذهب به وهو ملطخ بالدم، قال فاذهب به أيضاً وأخبره أنه حي وأفرحه كما أنه أحزنه. فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً، حتى أتاه، وكان معه سبعة أرغفة وكانت المسافة ثمانين فرسخاً، فلم يستوف الأرغفة في الطريق[٣].

وقال ابن عباس: هاجت ريح فحملت قميص يوسف إلى يعقوب.

وذكر في القصة أن الصبا استأذنت ربي في أن تأتي يعقوب ريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص، فأذن لها، فأتت بها، ولذلك يستروح كل محزون ريح الصبا وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

وعن أبي الحسن عليه السلام: كانت الحكومة في بني إسرائيل إذا سرق واحد شيئاً استرق به وكان يوسف عند عمته وهو صغير وكانت تحبه. وكانت لإسحاق منطقة ألبسها يعقوب وكانت عند أخته وإن يعقوب طلب يوسف ليأخذه من عمته، فاغتمت لذلك وقالت: دعه حتى أرسله إليك وأخذت المنطقة وشدت بها وسطه تحت الثياب، فلما أتى يوسف أباه جاءت وقالت قد سرقت المنطقة، ففتشته فوجدتها في وسطه، فلذلك قال إخوته ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ يعني بنيامين صواع الملك ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يعني يوسف المنطقة من عمته[٤].

---

(١) التميمة: الخرزة أو ما يشابهها.
(٢) تفسير القمي ج١، ص ٣٥٣ - ٣٥٥.
(٣) مجمع البيان المجلد الثالث، ص ٤٠١ في تفسيره لسورة يوسف.
(٤) تفسير القمي ج١، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

قال علي بن إبراهيم: ثم رحل يعقوب وأهله من البادية بعد ما رجع إليه بنوه بالقميص فارتد بصيراً، فقالوا يا أبانا استغفر لنا، قال: أخرهم إلى السحر، لأن الدعاء والاستغفار مستجاب فيه. فلما وافى يعقوب وأهله مصر، قعد على سريره ووضع التاج على رأسه فأراد أن يراه أبوه على تلك الحالة، فلما دخل أبوه لم يقم له فخروا له كلهم ساجدين فقال يوسف: يا أبة هذا تأويل رؤياي من قبل.

وعن أبي الحسن عليه السلام: أما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وإنما كان ذلك طاعة لله وتحية ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم عليه السلام، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره ذلك الوقت: رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين[١].

وقال أمين الإسلام الطبرسي: قيل: إن يوسف عليه السلام بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج إليه في السفر، وسألهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين، ولما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحزان.

وقال وهب: إنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنساناً وخرجوا مع موسى عليه السلام وهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلًا. وكان بين يوسف وموسى أربعمائة سنة[٢].

وقال علي بن إبراهيم: فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: يا يوسف أخرج يدك فأخرجها فخرج من بين أصابعه نور. فقال يوسف ما هذا يا جبرائيل؟ فقال هذه النبوة أخرجها الله من صلبك لأنك لم تقم إلى أبيك. فحط الله نوره ومحى النبوة من صلبه وجعلها في ولد لاوي أخي يوسف. وذلك لأنهم لما أرادوا قتل يوسف قال لا تقتلوه وألقوه في غيابة الجب. فشكر الله له ذلك. ولما أن أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر وقد حبس يوسف أخاه قال لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي فشكر الله له ذلك. فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب. وكان موسى من ولده.

قال يعقوب: يا بني أخبرني بما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي قال يا أبة اعفني من ذاك. قال فأخبرني ببعضه؟ قال يا أبة إنهم لما أدنوني من الجب قالوا انزع القميص فقلت لهم يا إخوتي اتقوا الله ولا تجردوني، فسلوا عليّ السكين وقالوا لئن لم تنزع لنذبحنك؟ فنزعت القميص وألقوني في الجب عرياناً. فشهق يعقوب شهقة وأغمي عليه. فلما أفاق قال يا بني حدثني قال يا أبة أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا أعفيتني فأعفاه.

قال: ولما مات العزيز وذلك في السنين الجدبة. افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٤٠٥.

سألت، فقالوا لها لو قعدت للعزيز. وكان يوسف. فقالت أستحي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له. فأقبل يوسف في موكبه. فقامت إليه وقالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً. فقال لها يوسف وهي هرمة ألست فعلت بي كذا وكذا؟ فقالت يا نبي الله لا تلمني فإني بليت بثلاثة لم يبل بها أحد. قال: وما هي؟ قالت: بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيراً وبليت بحسني بأنه لم تكن بمصر امرأة أجمل مني ولا أكثر مالاً وبليت بأن زوجي كان محصوراً بفقد الحركة - يعني عنيناً - فقال لها يوسف ما حاجتك؟ قالت تسأل الله أن يرد عليّ شبابي فسأل الله فرد عليها. فتزوجها وهي بكر. وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ يقول قد حجبها حبه عن الناس فلا تعقل غيره. والحجاب هو الشغاف والشغاف هو حجاب القلب(١).

أقول: المشهور بين المفسرين واللغويين أن المراد شقّ شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل إلى فؤادها (وحباً) نصباً على التمييز. وكان ما في الحديث بيان لحاصل المعنى.

قال الطبرسي رحمه الله: وروي عن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وغيرهم: قد شعفها بالعين - أي ذهب بها كل مذهب(٢).

(الأمالي) عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: أن يوسف لما صار في الجب وأيس من الحياة، كان دعاؤه: اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع إليك صوتي ولن تستجيب لي دعوة فإني أسألك بحق الشيخ يعقوب فارحم ضعفه واجمع بيني وبينه فقد علمت رقته عليّ وشوقي ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: وأنا أقول: اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع إليك صوتاً ولم تستجب لي دعوة فإني أسألك بك فليس كمثلك شيء وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا الله يا الله يا الله يا الله، ثم قال عليه السلام: قولوا هكذا وأكثروا منه عند الكرب العظام(٣).

وفيه بالإسناد إلى ابن عباس قال: لما أصاب يعقوب، ما أصاب الناس من ضيق الطعام، جمع يعقوب بنيه فقال لهم: يا بني إنه بلغني أنه يباع بمصر طعام طيب وأن صاحبه رجل صالح فاذهبوا إليه واشتروا منه طعاماً، فساروا حتى وردوا فأدخلوا على يوسف فعرفهم وهم له منكرون فسألهم فقالوا: نحن أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ولدكم إذاً ثلاثة أنبياء، وما أنتم بحلماء ولا فيكم وقار ولا خشوع فلعلكم جواسيس لبعض الملوك، جئتم إلى بلادي؟ فقالوا: أيها الملك لسنا بجواسيس ولا أصحاب حرب ولو تعلم بأبينا إذاً لكرمنا عليك، فإنه نبي الله وابن أنبيائه وإنه لمحزون، قال لهم يوسف: فما حزنه وهو نبي الله وابن أنبيائه

(١) تفسير القمي ج١، ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٢) مجمع البيان المجلد الثالث، ص ٣٤٨ . ٣٤٩.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٣٢٩ . ٣٣٠ المجلس ٦٣ . حديث رقم ٤.

والجنة مأواه وهو ينظر إليكم في مثل عددكم وقوتكم فلعل حزنه إنما هو من قبل سفهكم وجهلكم؟ قالوا: أيها الملك لسنا بجهال ولا سفهاء ولا أتاه الحزن من قبلنا، ولكن كان له ابن كان أصغرنا سناً، يقال له: يوسف، فخرج معنا إلى الصيد فأكله الذئب، فلم يزل بعده حزيناً. فقال لهم يوسف كلكم من أب واحد؟ قالوا أبونا واحد وأمهاتنا شتى. قال: فما حمل أباكم على أن سرّحكم[١] كلكم؟ ألا حبس منكم واحداً يأنس به ويستريح إليه؟ قالوا: قد فعل، قد حبس منا واحداً هو أصغرنا سناً. قال ولم اختاره من بينكم؟ قالوا لأنه أحب أولاده إليه بعد يوسف. فقال لهم يوسف إني أحبس منكم واحداً، يكون عندي وارجعوا إلى أبيكم وأقرئوه مني السلام وقولوا له يرسل إليّ بابنه الذي زعمتم أنه حبسه عنده ليخبرني عن حزنه وعن سرعة الشيب إليه قبل أوان مشيبه وعن بكائه وذهاب بصره؟ فلما قال هذا، اقترعوا بينهم، فخرجت القرعة على شمعون[٢]، فأمر به فحبس. فلما ودعوا شمعون قال لهم يا إخوتاه انظروا ماذا وقعت فيه واقرئوا والدي مني السلام. فودعوه وساروا حتى وردوا الشام ودخلوا على يعقوب عليه السلام وسلموا عليه سلاماً ضعيفاً فقال هم: يا بني ما لكم تسلمون سلاماً ضعيفاً؟ وما لي لا أسمع فيكم صوت خليلي شمعون؟ قالوا: يا أبانا إنا جئناك من أعظم الناس ملكاً لم ير الناس مثله حكماً وعلماً وإن كان لك شبيه، فإنه لشبيهك، ولكنا أهل بيت خلقنا للبلاء، اتهمنا الملك وزعم أنه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بنيامين برسالة منك، يخبره عن حزنك وعن سرعة الشيب إليك وعن بكائك وذهاب بصرك. فظن يعقوب عليه السلام أن ذلك مكر منهم، فقال لهم: يا بني بئس العادة عادتكم، كلما خرجتم في وجه نقص منكم واحد، لا أرسله معكم، فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم من غير علم منهم، فأقبلوا إلى أبيهم فرحين، فقالوا: يا أبانا إن هذه بضاعتنا ردت إلينا.

قال يعقوب: قد علمتم أن بنيامين أحبكم إليّ بعد أخيكم يوسف وبه أنسي، فلن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم، فضمنه يهودا، فخرجوا، حتى وردوا مصر، فدخلوا على يوسف، فقال لهم: هل بلغتم رسالتي؟ قالوا: نعم وقد جئناك بجوابها مع هذا الغلام، فاسأله عما بدا لك، فقال له يوسف: بما أرسلك أبوك إليّ يا غلام؟ قال: أرسلني إليك يقرئك السلام ويقول: إنك أرسلت إليّ تسألني عن حزني وعن سرعة الشيب إليّ قبل أوان المشيب وعن بكائي وذهاب بصري فإن أشد الناس حزناً وخوفاً أذكرهم للمعاد وإنما أسرع المشيب إليّ لذكري يوم القيامة. وإن بكائي وابيضاض عيوني، على حبيبي يوسف وقد بلغني حزنك بحزني واهتمامك بأمري، فكان الله لك جازياً ومثيباً، وإنك لن تصلني بشيء أشد فرحاً به من أن تعجل على ولدي بنيامين فإنه أحب أولادي بعد يوسف، وعجل عليّ بما

---

(١) أي أرسلكم وأطلقكم.

(٢) قال العلامة المجلسي قدس سره: إن يوسف اختار شمعون لأنه كان أحسنهم رأياً فيه.

أستعين به على عيالي. فلما قال هذا خنقت يوسف العبرة، ولم يصبر حتى قام فدخل البيت وبكى ساعة، ثم خرج إليهم وأمر لهم بطعام، وقال: ليجلس كل بني أم على مائدة فجلسوا، وبقي بنيامين قائماً، فقال له يوسف: ما لك لم تجلس؟ فقال: ليس لي فيهم ابن أم، فقال له يوسف: فما كان لك ابن أم؟ فقال بنيامين: بلى، ولكن زعم هؤلاء أن الذئب أكله، قال: فما بلغ حزنك عليه؟ قال: ولد لي اثنا عشر ابناً، كلهم أشتق له اسماً من اسمه، قال يوسف أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده؟ فقال له بنيامين: إن لي أباً صالحاً وإنه قال لي: تزوج لعل الله عز وجل يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح. فقال له يوسف: فاجلس على مائدتي، فقال إخوته: قد فضل الله يوسف وأخاه، حتى أن الملك قد أجلسه معه على مائدته، فأمر يوسف أن يجعل صواع الملك في رحل بنيامين(١).

وعن جابر بن عبد الله قال: أتى النبي ﷺ رجل من اليهود يقال له بستان اليهودي فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام أنها ساجدة له ما أسماؤها؟ فقال: أنت تسلم إن أخبرتك بأسمائها؟ فقال: نعم، فقال: جربان والطارق والذيال وذو الكتفان وقابس ووثّاب وعمودان والفيلق والمصبح والضّروح وذو القرع والضياء والنور في أفق السماء، ساجدة له، فلما قصها يوسف على يعقوب عليه السلام، قال يعقوب: هذا أمر متشتت يجمعه الله بعد. فقال اليهودي: والله إن هذه لأسماءها(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد عليها السلام وعلي بن الحسين عليه السلام.

فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية. وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره. وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن، فقالوا له إما أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، وإما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل. فصالحهم على واحدة منهما. وأما فاطمة فبكت على رسول الله ﷺ، حتى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتينا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء، فتبكي، حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف. وأما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك إني أخاف أن تكون من الهالكين؟ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إني ما ذكرت مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة(٣).

(علل الشرائع) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يعقوب وعيص توأمين فولد عيص ثم

---

(١) أمالي الصدوق المجلس ٤٣ ـ حديث رقم ٧.
(٢) الخصال ص ٤٥٤ باب الأحد عشر برقم ٢.
(٣) الخصال للصدوق، ص ٢٧٢ باب الخمسة برقم ١٥.

يعقوب، فسمي يعقوب لأنه خرج بعقب أخيه عيص، ويعقوب هو إسرائيل الله، ومعناه هو عبد الله، لأن إسرا هو عبد وإيل هو الله. وفي خبر آخر أن إسرا هو القوة وإيل هو الله، يعني قوة الله(١).

وعن (كعب الأحبار) في حديث طويل: إنما سمي إسرائيل لأن يعقوب كان يخدم بيت المقدس، وكان أول من يدخل وآخر من يخرج وكان يسرج القناديل وإذا كان بالغداة رآها مطفأة، فبات ليلة في مسجد بيت المقدس، وإذا بجني يطفيها فأسره إلى سارية في المسجد، فلما أصبحوا رأوا أسيراً وكان اسم الجني إيل، فسمي إسرائيل لذلك(٢).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة، أخذوا الصبر عن أيوب والشكر عن نوح عليه السلام والحسد عن بني يعقوب(٣).

وعن الرضا عليه السلام أنه قال له رجل: أصلحك الله كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ وكأنه أنكر ذلك عليه، فقال عليه السلام يا هذا أيهما أفضل النبي أو الوصي؟ قال: لا بل النبي. قال: فأيهما أفضل المسلم أو المشرك؟ قال: لا بل المسلم. قال: فإن عزيز مصر كان مشركاً وكان يوسف نبياً وإن المأمون مسلم وأنا وصي ويوسف سأل العزيز أن يوليه، حين قال ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ قال حافظ لما في يدي عالم بكل لسان(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يوسف عليه السلام لما كان في السجن شكى إلى ربه أكل الخبز وحده وسأل إداماً يأتدم به وقد كان كثر عنده قطع الخبز اليابس، فأمره أن يأخذ الخبز ويجعله في إجانة ويصب عليه الماء والملح فصار مرياً وجعل يأتدم به عليه السلام (٥).

وعن ابن عباس قال: مكث يوسف في منزل الملك وزليخا ثلاث سنين، ثم أحبته فراودته، فبلغنا والله أعلم أنها مكثت سبع سنين على قدميها، وهو مطرق إلى الأرض لا يرفع طرفه إليها، مخافة من ربه، فقالت يوماً ارفع طرفك وانظر إليّ، قال: أخشى العمى على بصري. قالت: ما أحسن عينيك! قال: هما أول ساقط على خدي في قبري. قالت: ما أحسن طيب ريحك! قال: لو شممت رائحتي بعد ثلاث من موتي لهربت مني! قالت لم لا تقترب؟ قال: أرجو بذلك القرب من ربي، قالت فرشي الحرير فقم واقض حاجتي؟ قال أخشى أن يذهب من الجنة نصيبي. قالت أسلمك إلى المعذبين؟ قال يكفيني ربي(٦).

(علل الشرائع) بإسناده إلى الثمالي قال: صليت مع علي بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة، فنهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاة له تسمى سكينة فقال لها: لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه، فإن اليوم يوم الجمعة، قلت له: ليس كل من يسأل مستحقاً؟

---

(١) علل الشرائع ج١، ص ٥٩ باب ٣٩.
(٢) علل الشرائع ج١، ص ٥٩ . ٦٠ باب ٣٩.
(٣-٦) بحار الأنوار ج١٢، ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

فقال: يا ثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ونرده، فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله: إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه ويأكل هو وعياله منه، وإن سائلًا مؤمناً صواماً مستحقاً له عند الله منزلة، وكان مجتازاً غريباً مرّ على باب يعقوب عشية الجمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه: أطعموا السائل الغريب الجائع، من فضل طعامكم يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعونه، قد جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله، فلما يئس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع وشكى جوعه إلى الله عز وجل وبات طاوياً، وأصبح جائعاً صابراً حامداً لله تعالى، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً، وعندهم فضلة من طعامهم، فأوحى الله عز وجل إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلة استوجبت بها أدبي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب إن أحب أنبيائي إليّ من رحم مساكين عبادي وأطعمهم وكان لهم مأوى، يا يعقوب ما رحمت عبدي ذميال[1] العابد لما مرَّ ببابك عند إفطاره وهتف بكم أطعموا السائل الغريب، فلم تطعموه، فشكى ما به إليّ وبات طاوياً حامداً لي وأصبح صائماً، وأنت يا يعقوب وولدك شباع وأصبحت عندكم فضلة من طعامكم، أوعلمت يا يعقوب أن العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن النظر مني لأوليائي واستدراج مني لأعدائي، أما وعزتي لأنزل بك بلواي ولأجعلنك وولدك غرضاً لمصائبي فاستعد لبلواي، فقلت لعلي بن الحسين: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً وبات فيها ذميال طاوياً جائعاً، فلما رأى يوسف الرؤيا وأصبح يقصها على أبيه يعقوب، فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف ما أوحى الله عز وجل إليه أن استعد للبلاء، فقال يعقوب ليوسف: لا تقصص رؤياك هذه على إخوتك فإني أخاف أن يكيدوا لك كيداً فلم يكتم يوسف رؤياه وقصها على إخوته، وكانت أول بلوى نزلت بيعقوب وآل يعقوب، الحسد ليوسف، لما سمعوا منه الرؤيا، فاشتدت رقة يعقوب على يوسف وخاف أن يكون ما أوحى الله إليه من استعداد للبلاء، هو في يوسف خاصة. فاشتدت رقته عليه من بين إخوته، فلما رأى إخوة يوسف ما يصنع بيوسف وتكرمته إياه وإيثاره إياه عليهم، اشتد ذلك عليهم. فتآمروا[2] بينهم، فقالوا: إن يوسف وأخاه أحب إلى أبينا منا، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم، فجاؤوا أباهم وقالوا: ما لك لا تأمنا على يوسف؟ فقال يعقوب: أخاف أن يأكله الذئب فانتزعه حذراً عليه من أن يكون البلوى من الله فيه، فغلبت قدرة الله وقضاؤه في يعقوب ويوسف وإخوته فلم يقدر يعقوب على دفع البلاء، فدفعه إلى إخوته ولما خرجوا لحقهم مسرعاً فانتزعه من أيديهم وضمه إليه واعتنقه وبكى ودفعه إليهم فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم، فلما أمعنوا به، أتوا به غيضة أشجار فقالوا نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة فيأكله

---

(١) الذميلة: المعية ولعل المراد في الحديث الذلة والإحتياج.

(٢) أي تشاوروا.

الذئب الليلة فقال كبيرهم: لا تقتلوا يوسف ولكن ألقوه في غيابة الجب، فألقوه في الجب وهم يظنون أنه يغرق فيه، فلما صار في قعر الجب ناداهم: يا ولد رومين اقرئوا يعقوب مني السلام. فلما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض لا تزالوا من ها هنا حتى تعلموا أنه قد مات فلم يزالوا حتى أيسوا ورجعوا إلى أبيهم عشاءً يبكون قالوا: يا أبانا أكله الذئب فاسترجع وذكر ما أوحى الله عز وجل إليه من الاستعداد للبلاء، فصبر وأذعن للبلاء. وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ وما كان الله ليطعم لحم يوسف الذئب من قبل أن رأى تأويل رؤياه الصادقة.

فلما أصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتى ننظر ما حال يوسف أمات أم هو حي؟ فلما انتهوا إلى الجب وجدوا عنده سيارة قد أرسلوا واردهم فأدلى دلوه، فلما جذب دلوه إذا هو بغلام متعلق بدلوه، فقال لأصحابه يا بشرى هذا غلام، فلما أخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف قالوا: هذا عبدنا سقط منا أمس في هذا الجب وجئنا اليوم لنخرجه فانتزعوه من أيديهم وتنحوا به ناحية، فقالوا: إما أن تقر لنا أنك عبدنا فنبيعك بعض هذه السيارة أو نقتلك؟ فقال لهم يوسف: لا تقتلوني واصنعوا بي ما شئتم، فأقبلوا به إلى السيارة، فقالوا: من يشتري هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً وسار به الذي اشتراه من البدو إلى مصر فباعه من ملك مصر.

فلما راهق يوسف راودته امرأة الملك عن نفسه. فقال لها معاذ الله أنا من أهل بيت لا يزنون، فغلقت الأبواب عليها وعليه وقالت لا تخف وألقت نفسها عليه فأفلت منها هارباً إلى الباب ففتحه فلحقته فجذبت قميصه من خلفه فأفلت منها ثيابه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) فهم الملك بيوسف ليعذبه. فقال له يوسف: ما أردت بأهلك سوءاً بل هي راودتني عن نفسي، فاسأل هذا الصبي أينا راود صاحبه عن نفسه؟ فأنطق الله الصبي لفصل القضاء فقال: يا أيها الملك انظر إلى قميص يوسف فإن كان مقدوداً من قدامه فهو الذي راودها، وإن كان مقدوداً من خلفه فهي التي راودته؟ فنظر إلى القميص فرآه مقدوداً من خلفه، فقال ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾(٢) وقال ليوسف: أعرض عن هذا ولا يسمعه أحد منك واكتمه، فلم يكتمه يوسف وأذاعه في المدينة حتى قلن نسوة: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾(٣) فبلغها ذلك، فأرسلت إليهن وهيأت لهن طعاماً ثم أتتهن بأترج ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾(٤) فقالت: هذا الذي لمتنني فيه فخرجن النسوة من عندها، فأرسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سراً من صاحبها تسأله الزيارة فأبى عليهن. ولما شاع أمر يوسف وامرأة العزيز والنسوة في مصر، بد اللملك بعد ما سمع قول الصبي، ليسجنن يوسف فسجنه في السجن(٥).

أقول: قال أمين الإسلام الطبرسي رحمه الله: قيل: إن النسوة قلن ليوسف أطع مولاتك

(١-٤) سورة يوسف؛ الآيات: ٢٥ و ٢٨ و ٣٠ و ٣١.

(٥) علل الشرائع ج١، ص ٦١ ـ ٦٥ باب ٤١.

واقض حاجتها فإنها المظلومة وأنت الظالم. وقال السدي: سبب السجن أن المرأة قالت لزوجها إن هذا العبد فضحني بين الناس ولست أطيق أن أعتذر بعذري فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر بعذري وإما أن تحبسه كما حبستني؟ فحبسه بعد علمه ببراءته(١).

وفي الرواية: أن إخوة يوسف لما انطلقوا به إلى الجب جعلوا يدلونه في البئر وهو يتعلق بشفيرها ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول: لا تفعلوا، ردوا عليّ القميص أتوارى به، فيقولون: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك. فدلوه إلى البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه، إرادة أن يموت. وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وكان يهودا يأتيه بالطعام والشراب. وقيل: إن الجب أضاء له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام.

(علل الشرائع) سمعت محمد بن عبد الله بن طيفور يقول في قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ إن يوسف رجع إلى اختيار نفسه فاختار السجن فوكل إلى اختياره والتجأ نبي الله محمد صلى الله عليه وآله إلى الاختيار، فتبرأ من الاختيار ودعا دعاء الافتقار فقال على رؤية الاضطرار: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على طاعتك فعوفي من العلة وعصم فاستجاب الله له وأحسن إجابته. وهو أن الله عصمه ظاهراً وباطناً.

وسمعته يقول في قول يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾: إن هذا مثل قول النبي صلى الله عليه وآله: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وذلك أنه سلم يوسف إليهم. فغشوه حين اعتمد على حفظهم له وانقطع في رعايته إليهم. فألقوه في غيابة الجب وباعوه. ولما انقطع إلى الله في الابن الثاني وسلمه واعتمد في حفظه عليه وقال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ أقعده على سرير المملكة ورد يوسف إليه وأخرج القوم من المحنة واستقامت أسبابهم.

وسمعته يقول في قول يعقوب ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ إنه عرض في التأسف بيوسف وقد رأى في مفارقته فراقاً آخر. وفي قطيعته قطيعة أخرى فتلهف عليها وتأسف من أجلها. كقول الصادق عليه السلام في معنى قوله عز وجل ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ إن هذا فراق الأحبة في دار الدنيا حتى يستدلوا به على فراق المولى. فلذلك يعقوب تأسف على يوسف من خوف فراق غيره فذكر يوسف لذلك(٢).

أقول: فراق الأحبة ووصال الأحبة نار وجنة مخلوقتان وفي الدنيا يستدل بها على نعيم الآخرة وجحيمها. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا هول المطلع وفراق الأحبة لطلبنا الموت.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ إنه أعظم لذات الجنة: يجلس الأحبة في المكان الواحد، كل واحد على سرير من سرر الجنة. وقال المتنبي:

---

(١) مجمع البيان المجلد الثالث، ص ٣٥٤.

(٢) علل الشرائع ج١، ص ٦٥ - ٦٦ باب ٤١.

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

وفيه أيضاً عن إسماعيل بن المفضل الهاشمي قال: قلت لجعفر بن محمد أخبرني عن يعقوب لما قال له بنوه: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ فأخر الاستغفار لهم. ويوسف عليه السلام لما قالوا له: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. قال: لأن قلب الشاب أرق من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف وجنايتهم على يعقوب إنما كان بجنايتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقه، وأخر يعقوب العفو لأن عفوه إنما كان عن حق غيره فأخرهم إلى السحر ليلة الجمعة(١).

وعنه عليه السلام قال: استأذنت زليخا على يوسف، فقيل لها: يا زليخا إنا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه!. قالت: إني لا أخاف ممن يخاف الله، فلما دخلت، قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك؟ قالت الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً. قال لها: يا زليخا ما الذي دعاك إلى ما كان منك؟ قالت حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبياً يقال له محمد يكون في آخر الزمان، أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفاً؟ قالت: صدقت، قال: وكيف علمت أني صدقت؟ قالت لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي. فأوحى الله عز وجل إلى يوسف: إنها قد صدقت، وإني أحببتها لحبها محمد عليه السلام فأمر الله تبارك وتعالى أن يتزوجها(٢).

(معاني الأخبار) معنى يوسف مأخوذ من أسف يوسف، أي غضب يغضب إخوته، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ والمراد بتسميته يوسف أنه يغضب إخوته ما يظهر من فضله عليهم(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قدم أعرابي على يوسف ليشتري منه طعاماً فباعه، فلما فرغ قال له يوسف أين منزلك؟ قال بموضع كذا وكذا، فقال: إذا مررت بوادي كذا وكذا، فقف ونادي: يا يعقوب يا يعقوب، فإنه سيخرج إليك رجل عظيم جميل حسن فقل له: لقيت رجلاً بمصر وهو يقرئك السلام ويقول لك: إن وديعتك عند الله عز وجل لن تضيع، فلما انتهى إلى الموضع نادى: يا يعقوب يا يعقوب! فخرج إليه رجل أعمى طويل جميل يتقي الحائط بيده، فأبلغه ما قال له يوسف، فسقط مغشياً عليه، ثم أفاق فقال: يا أعرابي ألك حاجة إلى الله تعالى؟ فقال نعم، إني كثير المال ولي ابنة عم لم يولد لي منها وإني أحب أن تدعو الله أن يرزقني ولداً. فدعا الله. فرزقه أربعة بطون، في كل بطن اثنان. وكان يعقوب يعلم أن يوسف حي لم يمت، وأن الله سيظهره له بعد غيبته، وكان يقول لبنيه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٤).

---

(١) علل الشرائع ج١، ص ٧١ باب ٤٦.
(٢) علل الشرائع ج١، ص ٧٣ باب ٤٨.
(٣) معاني الأخبار ص ٤٩.
(٤) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٢٨٤ - ٢٨٦.

وروي أن إخوة يوسف لما أتوا أبيهم عشاءً يبكون ومعهم قميص يوسف ملطخ بالدم، تولى عنهم يعقوب تلك الليلة وأقبل يرثي يوسف وهو يقول: حبيبي يوسف الذي كنت أؤثره على جميع أولادي فاختلس مني، حبيبي يوسف الذي كنت أرجوه من بين أولادي فاختلس مني، حبيبي يوسف الذي كنت أوسده يميني وأدثره شمالي فاختلس مني، حبيبي يوسف الذي كنت أؤنس به وحشتي وأصل به وحدتي فاختلس مني، حبيبي يوسف ليت شعري في أي الجبال طرحوك أم في أي البحار غرقوك، حبيبي يوسف ليتني كنت معك فيصيبني ما أصابك[١].

الثعلبي في (كتاب العرائس) قال: لما خلا يوسف بأخيه قال له: ما اسمك: قال: بنيامين. قال: وما بنيامين؟ قال ابن المثكل. وذلك أنه لما ولد هلكت أمه، قال وما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت ليان بن ناحور. قال: فهل لك من ولد؟ قال: نعم عشرة بنين. قال: ما أسماؤهم؟ فعدَّ له أسماءهم، وكلها مشتقة أو فيها دلالة على يوسف فقال يوسف: أحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل. فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال: إني أخوك فلا تعلمهم بشيء من هذا. فقال بنيامين إني لا أفارقك. ثم احتالا في وضع الصاع في رحل بنيامين[٢].

أقول: وعلى هذا فالمراد بأبويه اللذين دخلا مصر أبوه وخالته. كما قال الأكثر فإن الخالة يقال لها: أم، في إطلاق العرف.

وقال عليه السلام: لما تخاصم أمير المؤمنين عليه السلام في حضانة ابنة حمزة رضي الله عنه مع خالته: الخالة أم. وذلك لما ورد من أن أمه (أي أم يوسف) قد كانت ماتت في نفاسها ببنيامين فتزوج يعقوب أختها. وقيل: يريد أباه وأمه وكانا حيين. عن ابن إسحاق والجبائي. وقيل: إن راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجدت له، تحقيقاً للرؤيا. عن الحسن[٣].

(قصص الأنبياء) عن سليمان الطلحي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حال بني يعقوب هل خرجوا من الإيمان؟ قال: نعم. فما تقول في آدم عليه السلام؟ قال: دع آدم[٤].

أقول: للإيمان درجات ومراتب، كما جاء في صحيح الأخبار، فيكون المراد أنهم خرجوا من درجاته العالية. ثم عادوا إليها وإلى ما فوقها بتوبتهم واستغفار يعقوب ويوسف لهم.

(قصص الراوندي) بالإسناد عن الصدوق عن أبيه عن الصفار عن أيوب بن نوح عن ابن عمير عن هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بلغ من حزن يعقوب؟ قال: حزن سبعين ثكلى، ولما كان يوسف في السجن دخل عليه جبرائيل عليه السلام فقال: إن الله ابتلاك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) العرائس للثعلبي ص ١١٥ ـ ١١٦.

(٣) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٤٠٥ في تفسيره لسورة يوسف الآية: ٩٩.

(٤) قصص الراوندي ص ١٢٩ برقم ١٣٢.

وابتلى أباك وإن الله ينجيك من هذا السجن، فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أن يخلصك مما أنت فيه. فقال يوسف: اللهم إني أسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجلت فرجي وأرحتني مما أنا فيه. قال جبرائيل: فأبشر أيها الصديق فإن الله يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام ويملكك مصر وأهلها، فلم يلبث يوسف إلا تلك الليلة حتى رأى الملك رؤيا أفزعته، فقصها على أعوانه، فلم يدروا ما تأويلها، فذكر الغلام الذي نجا من السجن يوسف فقال أيها الملك أرسلني إلى السجن فإن فيه رجلًا حليماً عليماً وقد كنت أنا وفلان اغتضبت علينا وأمرت بحبسنا، رأينا رؤيا فعبرها لنا وكان كما قال، ففلان صلب وأما أنا فنجيت فقال له الملك: انطلق إليه، فدخل وقال: يوسف أفتنا في سبع بقرات... فلما بلغ رسالة يوسف الملك قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾. فلما بلغ يوسف رسالة الملك قال: كيف أرجو كرامته وقد عرف براءتي وحبسني سنين. فلما سمع الملك أرسل إلى النسوة فقال: ما خطبكن؟ قلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾. فأرسل إليه وأخرجه من السجن. فلما كلمه أعجبه كلامه وعقله. فقال: اقصص رؤياي فإني أريد أن أسمعها منك؟ فذكره يوسف كما رأى وفسره. قال الملك: صدقت فمن لي بجمع ذلك وحفظه؟ فقال يوسف: إن الله أوحى إليّ أني مدبره والقيّم في تلك السنين السبع الخصيبة بكبسه في الخزائن في سنبله.

ثم أقبلت السنون الجدبة، أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم بالسنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها درهم ولا دينار إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وصاروا عبيداً له. فقال يوسف للملك: ما ترى فيما خولني ربي؟ قال: الرأي رأيك قال: إني أُشهد الله وأُشهدك أيها الملك أني أعتقت أهل مصر كلهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك خاتمك وسريرك وتاجك. على أن لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي، فقال له الملك: إن ذلك لديني وفخري، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسوله... الحديث(١).

وقال في (العرائس): فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وعقله قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ فلما جاءه الرسول قال: أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء يعرف إلى اليوم، وذلك أنه قال: اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعمّ عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار إلى اليوم في كل بلدة، فلما خرج من السجن كتب على بابه: «هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء» ثم اغتسل وتنظف

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٣٢. حديث رقم ١٣٥.

وقصد الملك فلما أن نظر إلى الملك سلم عليه يوسف بالعربية، فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل، ثم دعا بالعبرانية، فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلما كلم الملك يوسف بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، فأعجب الملك بما رأى منه، وكان يوسف عليه السلام ابن ثلاثين سنة، فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه، قال لمن عنده: إن هذا علم تأويل رؤياي، ولم تعلمه السحرة والكهنة، ثم قال له: إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاهاً! فقال يوسف نعم، أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب[1] حسان غر كشف لك عنهن النيل فطلعن لك من شاطئه تشخب أخلافهن[2] لبناً، فبينا أنت تنظر إليهم ويعجبك حسنهن إذ نضب النيل وغار ماؤه وبدا قعره وخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترستهن افتراس السبع وأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن، فبينا أنت تتعجب إذا سبع سنابل خضر وسبع سنابل أُخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء، فبينا أنت تقول: أنّى هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الماء، إذ هبت ريح فردت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن سوداً متغيرات، فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا[3].

وعن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن يعقوب كم عاش مع يوسف بمصر؟ قال: عاش حولين، وكان يعقوب هو الحجة، وكان الملك ليوسف، فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس، فكان يوسف بعده هو الحجة[4].

(الخرائج) عن أبي محمد عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ قال عليه السلام: ما سرق يوسف، إنما كان ليوسف منطقة ورثها من إبراهيم، وكانت تلك المنطقة لا يسرقها أحد إلا استعبد فكان إذا سرقها إنسان نزل عليه جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك، فأخذ منه وأخذ عبداً، وإن المنطقة كانت عند سارة بنت إسحاق بن إبراهيم، وكانت سميت أم إسحاق، وإن سارة أحبت يوسف وأرادت أن تتخذه ولداً لها، وإنما أخذت المنطقة فربطتها على وسطه ثم سدلت عليه سرباله، وقالت: يعقوب إن المنطقة سرقت، فأتاه جبرائيل فقال: يا

(١) الشهب: بياض يتخلله سواد.
(٢) تشخب: أي تسيل والأخلاف جمع الخلف: حلمة ضرع البقر.
(٣) العرائس للثعلبي ص ١١١ . ١١٢.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٣٥ حديث ١٣٨.

يعقوب إن المنطقة مع يوسف، ولم يخبره بخبر ما صنعت سارة، لما أراد الله، فقام يعقوب إلى يوسف واستخرج المنطقة، فقالت سارة بنت إسحاق مني سرقها يوسف فأنا أحق به، فقال لها يعقوب: فإنه عبدك على أن لا تبيعيه ولا تهبيه. قالت: فأنا أقبله على أن لا تأخذه مني وأنا أعتقه الساعة، فأعتقته... الحديث[١].

وروي أنا لما قال للفتى: ﴿أَذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أتاه جبرائيل عليه السلام فضرب برجله حتى كشط[٢] له عن الأرض السابعة، فقال له: يا يوسف انظر ماذا ترى؟ فقال أرى حجراً صغيراً ففلق الحجر، فقال: ماذا ترى؟ قال دودة صغيرة. قال: فمن رازقها؟ قال الله. قال فإن ربك يقول: لم أنس هذه الدودة في ذلك الحجر في قعر الأرض السابعة، أظننت أني أنساك حتى تقول للفتى «اذكرني عند ربك»، لتلبثن في السجن بمقالتك هذه بضع سنين. قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكت لبكائه الحيطان، فتأذى به أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً فكان اليوم الذي يسكت أسوأ حالاً[٣].

(العياشي) عن هشام بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم ويوسف وداود. أما آدم فبكى حين أخرج من الجنة كان رأسه في باب من أبواب السماء فبكى حتى تأذى به أهل السماء، فشكوا ذلك إلى الله، فحط من قامته. وأما داود فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه. وأما يوسف فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن، فتأذى به أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً[٤].

وفيه عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبق يوسف الغلاء الذي أصاب الناس ولم يتمن الغلاء لأحد قط، قال: فأتاه التجار فقالوا: بعنا، فقال اشتروا، فقالوا نأخذ كذا بكذا؟ قال خذوا، وأمر فكالوهم فحملوا ومضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم قوم من التجار فقالوا لهم: كيف أخذتم؟ قالوا كذا بكذا وضاعفوا الثمن. قال وقدم أولئك على يوسف، فقالوا بعنا، فقال اشتروا كيف تأخذون؟ قالوا بعنا كما بعت كذا بكذا؟ فقال ما هو كما يقولون ولكن خذوا فأخذوا ثم مضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم آخرون فقالوا كيف أخذتم؟ فقالوا كذا بكذا، وضاعفوا الثمن، قال: فعظم الناس ذلك البلاء وقالوا اذهبوا بنا حتى نشتري قال: فذهبوا إلى يوسف فقالوا بعنا، فقال اشتروا. فقالوا بعنا كما بعت، فقال وكيف بعت؟ قالوا: كذا بكذا. فقال ما هو كذلك، ولكن خذوا. قال فأخذوا ورجعوا إلى المدينة، فأخبروا الناس، فقالوا فيما بينهم تعالوا نكذب في الرخص كما كذبنا في الغلاء. قال فذهبوا إلى يوسف فقالوا له بعنا، قال: اشتروا. فقالوا: بعنا كما بعت، قال: كيف بعت؟ قالوا: كذا بكذا. بالحط من السعر الأول.

---

(١) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٢٩٨ حديث رقم ٨٦.
(٢) كشط: كشف.
(٣) تفسير العياشي ج٢، ص ١٧٧ برقم ٢٧.
(٤) تفسير العياشي ج٢، ص ١٧٧ برقم ٢٨.

فقال ما هو كذا، ولكن خذوا. قال فأخذوا وذهبوا إلى المدينة، فلقيهم الناس فسألوهم بكم اشتريتم؟ فقالوا: كذا بكذا بنصف الأول. فقال آخرون: اذهبوا بنا حتى نشتري، فذهبوا إلى يوسف فقالوا بعنا، فقال: اشتروا. فقالوا: بعنا كما بعت، قال: كيف بعت؟ فقالوا: كذا بكذا. بالحط من النصف. فقال: ما هو كما تقولون ولكن خذوا، فلم يزالوا يتكاذبون حتى رجع السعر إلى الأمر الأول، كما أراد الله تعالى[١].

وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: رحم الله أخي يوسف لو لم يقل ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ لولاه من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة[٢].

وروى العياشي عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يعقوب ذهب إلى عابد من العباد في حاجة، فقال له الراهب فما بلغ بك مما أرى من الكبر؟ قال: الهم والحزن. فما جاوز الباب حتى أوحى الله إليه أن يا يعقوب شكوتني إلى العباد؟ فخر ساجداً عند عتبة الباب يقول لا أعود. فأوحى الله إليه إني قد غفرتها لك فلا تعودن إلى مثلها. فما شكى شيئاً مما أصابه من نوائب الدنيا إلا أنه قال يوماً ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٣].

وروي عن محمد بن إسماعيل رفعه بإسناده له قال: إن يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشرة ليال وكان يعقوب ببيت المقدس ويوسف بمصر. وهو القميص الذي نزل على إبراهيم من الجنة. فدفعه إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب ودفعه يعقوب إلى يوسف عليه السلام[٤].

وروي أن يوسف عليه السلام لما مات بمصر دفنوه في النيل في صندوق من رخام. وذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه، كل يحب أن يدفن في محلته، لما كانوا يرجون من بركته، فأرادوا أن يدفنوه في النيل، فيمر الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر، فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعاً سواء، فكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام حين خرج من مصر[٥].

(خاتمة) في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فقد اختلف فيه علماء الإسلام، ونسب بعضهم نبي الله الصديق إلى الفاحشة التي تزهو أنفسهم عنها.

فقال فخر الدين الرازي: اعلم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها، وفي هذه الآية مسائل:

---

(١) تفسير العياشي ج٢، ص ١٧٩ حديث ٣٤.
(٢) مجمع البيان، المجلد الثالث في تفسيره لسورة يوسف الآية ٥٥.
(٣) تفسير العياشي ج٢، ص ١٨٨ حديث ٥٧.
(٤) تفسير العياشي ج٢، ص ١٩٤ حديث ٧٣.
(٥) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٤٠٨ في تفسيره لسورة يوسف الآية ١٠١.

المسألة الأولى: في أنه عليه السلام هل صدر عنه ذنب؟ أم لا. وفي المسألة قولان:

أحدهما: أنه عليه السلام همّ بالفاحشة. قال الواحدي في كتاب البسيط: قال المفسرون والموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم: همَّ يوسف أيضاً بهذه المرأة هماً صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما رأى البرهان من ربه، زالت كل شهوة عنه. قال أبو جعفر الباقر عليه السلام بإسناده عن علي عليه السلام أنه قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان طمعه فيها أنه همّ أن يحل التكة[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن. وعنه أيضاً: أنها استلقت له وقعد لها بين رجليها ينزع ثيابه.

ثم إن الواحدي طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب، وما ذكر آية يحتج بها أو حديثاً صحيحاً يعول عليه في تصحيح هذه المقالة، ولما أمعن في الكلمات العارية عن الفائدة. روى أن يوسف لما قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال له جبرائيل عليه السلام ولا حين هممت يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ ثم قال: والذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه. فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب.

القول الثاني: إن يوسف صلوات الله عليه كان بريئاً من العمل الباطل والهم المحرم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول عنه ونذب.

واعلم أن الدلائل الدالة على وجود عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة ذكرناها في سورة البقرة فلا نعيدها إلا أنا نزيد ها هنا وجوهاً:

الوجه الأول: إن الزنا من منكرات الكبائر، والخيانة من معرض الأمانة من منكرات الذنوب وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم الدائم بالإساءة الموجبة للفضيحة الباقية، والعار الشديد من منكرات الذنوب، وأيضاً الصبي إذا تربّى في حجر إنسان وبقي مكفيّ المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته، فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم العظيم من منكرات الأعمال إذا ثبت هذا، فنقول: إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف كانت موصوفة بجميع هذه الأربعة، ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله لاستنكف منه، فكيف يجوز إسناده إلى الرسول المؤيد بالمعجزات.

الثاني: ثم إنه تعالى قال في عين هذه الواقعة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ وذلك يدل على أن ماهية الفحشاء مصروفة عنه. ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أفحش

---

(١) لقد ورد في حاشية البحار ج١٢، ص ٣٢٧ (إن الخبر كغيره من الآحاد التي لا يوجب علماً ولا عملاً وهو مخالف لأصول الشيعة بل لظاهر الكتاب، فلو كان ورد بطريق صحيح لكان وجب حمله أو طرحه فكيف وهو مرسل ورد من غير طريقنا). والتكة بمعنى الهميان أي الذي يشد على الوسط.

أقسام الفحشاء، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء والفحشاء، مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء أيضاً.

فالآية تدل على قولنا من وجه آخر، وذلك لأنا نقول هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ولا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة، ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح، عقيب أن يحكي عنه ذلك الذنب العظيم، فإن مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال، ثم يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه، فإن ذلك يستنكر جداً، فكذا ها هنا.

الثالث: أن الأنبياء متى صدرت عنهم زلة أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة، ولو كان يوسف ها هنا على هذه الكبيرة المنكرة، لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله عنه إتيانه بها، كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية.

الرابع: أن كل من له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية.

واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة: يوسف وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود، ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أيضاً أقر ببراءته من المعصية. وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ لم يبق للمرء المسلم توقف في هذا الباب.

أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة من الذنب فهو قوله عليه السلام: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ وقوله: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾. وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك، فلأنها قالت للنسوة ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ وأيضاً قالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾ ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ﴾. وأما الشهود: فقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ إلى آخر الآية. وأما شهادة الله فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾. فقد شهد الله في هذه الآية على طهارته سبع مرات.

أولها: قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة.

والثاني: قوله: ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ أي كذلك يصرف عنه الفحشاء.

والثالث: قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ مع أنه قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

الرابع: قوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه قراءتان، تارة باسم الفاعل وتارة باسم المفعول، فوروده باسم الفاعل دل على كونه إتياناً بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص ووروده باسم المفعول

يدل على أن الله تعالى أخلصه لنفسه، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهاً مما أضافوه إليه.

وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته فلأنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ وكان هذا إقرار من إبليس، بأنه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى. وعند هذا، فقول هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعلهم يقولون كنا في ابتداء الأمر تلامذة إبليس إلا أنا زدنا عليه في السفاهة، كما قال الحروري:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى ... بي الأمر حتى صار إبليس من جندي

فلو مات قلبي كنت أحسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام بريء مما يقول له هؤلاء الجهال، وإذا عرفت هذا، فنقول: الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين:

(المقام الأول) أن نقول لا نسلم أن يوسف عليه السلام ﴿هَمَّ بِهَا﴾ والدليل أنه تعالى قال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ ها هنا مقدم، وهو كما يقال قد كنت من الهالكين، لولا أخلصك. ثم ذكر للزجاج سؤالات وأجاب عنها، ثم قال:

(المقام الثاني) في الكلام على هذه الآية أن نقول: سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول: إن قوله ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره، لأن تعليق الهم بذات المرأة محال، لأن الهم من جنس القصد، ولا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من إظهار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم، وذلك الفعل غير مذكور، فهم زعموا أن ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة، ونحن نضمر شيئاً يغاير ما ذكروه. وبيانه من وجوه:

(الوجه الأول) أنه عليه السلام: هم بدفعها عن نفسه ومنعها من ذلك القبيح لأن الهم هو القصد. فوجب أن يحمل في كل واحد على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتمتع، والقصد اللائق بالرسول والمبعوث إلى الخلق وإلى زجر العاصي عن معصيته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هممت بفلان، أي بضربه ودفعه، فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فائدة.

قلنا: فيه أعظم الفوائد وهو أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد أن ثوبه لو تمزق من قدام، لكان يوسف عليه السلام هو الجاني، ولو كان ثوبه متمزقاً من خلفه، لكانت المرأة هي

الخائنة. فالله تعالى أعلمه هذا العلم، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه، بل ولى هارباً عنها حتى صارت شهادة الشاهد حجة على براءته عن المعصية.

(الوجه الثاني) في الجواب أن نفسر الهم بالشهوة، وهذا مستعمل في اللغة فمعنى الآية ولقد اشتهته واشتهاها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ لدخل ذلك العمل في الوجود.

(الوجه الثالث) أن نفسر الهم، بحديث النفس. وذلك لأن المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوي، فلا بد وأن يقع هناك بين الشهوة والحكمة وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة، وتارة تقوى داعية العقل والحكمة، فالهم عبارة عن جواب الطبيعة ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية، ومثاله الرجل الصالح القائم في الصيف الصائم إذا رأى الجلاب المبرد بالثلج، فإن طبيعته تحمله على شربه، إلا أن دينه يمنعه منه، هذا لا يدل على حصول الذنب، بل كلما كانت هذه الحالة أشد، كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل، فقد ظهر بحمد الله صحة القول الذي ذهبنا إليه ولم يبق في يد الواحدي إلا مجرد التصلّف وتعديد أسماء المفسرين. واعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي ﷺ أنه قال: ما كذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات!! فقلت الأولى أن لا تقبل مثل هذه الأخبار فقال على طريق الاستنكار: فإن لم تقبله لزمنا تكذيب الرواة؟ فقلت يا مسكين إن قبلنا لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم عليه السلام، وإن رددنا لزمنا الحكم بتكذيب الرواة، ولا شك أن صون إبراهيم عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب.

إذا عرفت هذا الأصل فنقول للواحدي: ومن الذي يضمن أن الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين.

المسألة الثانية: في أن المراد بذلك البرهان ما هو؟ أما المحققون المثبتون للعصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه:

(الأول) أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب.

(الثاني) إن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عن الأخلاق الذميمة، بل نقول: إن الله تعالى طهر نفوس المتصلين بهم عنها، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] أو المراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال المردعة لهم عن الإقدام على المنكرات.

(الثالث) أنه رأى مكتوباً في سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٢].

(١) سورة الأحزاب؛ الآية: ٣٣.
(٢) سورة الإسراء؛ الآية: ٣٢.

(الرابع) إنه النبوة المانعة عن ارتكاب الفواحش، والدليل عليه: أن الأنبياء بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح، فلو أنهم منعوا الناس عنها، ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وأيضاً إن الله عيّر اليهود بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2]. وما يكون عيباً في حق اليهود، كيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات.

وأما الذين نسبوا المعصية إلى يوسف فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أموراً:

(الأول) قالوا إن المرأة قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت، فسترته بثوب وقالت أستحي من إلهي هذا أن يراني على المعصية، فقال يوسف: تستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت، فوالله لا أفعل أبداً.

(الثاني) نقلوا عن ابن عباس، أنه مثل له يعقوب عليه السلام فرآه عاضاً على أصابعه ويقول له: أتعمل عمل الفجار، وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء عليهم السلام؟ فاستحى منه. وهو قول عكرمة ومجاهد وكثير من المفسرين. قال سعيد بن جبير: تمثل له يعقوب عليه السلام فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله.

(الثالث) قالوا إنه سمع في الهواء قائلاً يقول: يابن يعقوب لا تكن كالطير له ريش فإذا زنى ذهب ريشه.

(الرابع) نقلوا عن ابن عباس أن يوسف عليه السلام لم يزدجر برؤية يعقوب حتى ركضه جبرائيل عليه السلام فلم يبق فيه شيء من الشهوة إلا خرج.

ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلّف[3] وقال: هذا الذي ذكرناه قول أئمة المفسرين الذين أخذوا التأويل عمن شاهد التنزيل. فيقال له: إنك لا تأتينا البتة إلا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها فأين الحجة والدليل، وأيضاً فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز، وإنه عليه السلام كان ممتنعاً عن الزنا بحسب الدلائل الأصلية. فلما انضاف إليها هذه الزواجر، قوي الانزجار وكمل الاحتراز. والعجيب أنهم نقلوا أن جرواً دخل تحت حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي هناك بغير علمه، قالوا فامتنع جبرائيل عليه السلام من الدخول عليه أربعين يوماً وها هنا زعموا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبرائيل عليه السلام.

والعجب أيضاً أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبرائيل عليه السلام. ولو أن أفسق الخلق كان مشغولاً بفاحشة، فإذا دخل عليه رجل صالح على زي الصالحين

---

(١) سورة الصف؛ الآيتان: ٢ و ٣.

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٤٤.

(٣) تصلف: أي تكلف وادّعى.

استحى منه وفرّ، وترك ذلك العمل، وها هنا رأى يعقوب عض على أنامله ولم يلتفت. ثم أن جبرائيل عليه السلام على جلالة قدره، دخل عليه فلم يمتنع عن ذلك القبيح بسبب حضوره، حتى احتاج جبرائيل إلى ركضه على ظهره! فنسأل الله تعالى أن يصوننا عن العمى في الدين والخذلان في طلب اليقين(١).

فهذا هو الكلام الملخص في هذه المسألة، انتهى كلامه، وتسلطه على الواحدي فيما قمع به أساس كلامه، هو مذهب أصحابنا قدس الله أرواحهم.

والوجهان اللذان اختارهما، أومى الرضا عليه السلام إلى أحدهما في حديث أبي الصلت الهروي حيث قال: وأما قوله عز وجل في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همت بالمعصية، وهم يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ يعني الزنا وأشار إليهما معاً في خبر ابن الجهم حيث قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ لهم بها كما همّت به، لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أنه قال: همّت بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل(٢).

أقول: لا يتوهم خطأ في قصده القتل إذ الدفع عن الغرض والاحتراز عن المعصية لازم، وإن انجر إلى القتل، ولكنه تعالى نهاه عن ذلك، لمصالح كثيرة، وقد ظهر حقيقة الحال، فما ورد في روايتنا مما يوافق العامة فاحمله على التقية.

ثم قال الرازي: وأما قوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ ففيه إشكال، وذلك لأن يعقوب عليه السلام كان أبا يوسف، وحق الأبوة حق عظيم، وأيضاً أنه كان شيخاً، والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ.

والثالث: أنه كان من أكابر الأنبياء، إلا أن يعقوب عليه السلام كان أعلى حالاً منه.

الرابع: إن جده واجتهاده في تحصيل الطاعات أكثر من جد يوسف. ولما اجتمعت هذه الجهات الكثيرة، فهذا يوجب أن يبالغ يوسف في خدمة يعقوب، فكيف استجاز يوسف أن يسجد له يعقوب هذا تقرير السؤال؟ والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: هو قول ابن عباس: أن المراد بهذه الآية أنهم ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ أي لأجل وجدانه سجدوا لله، وحاصله أنه كان ذلك سجود الشكر، فالمسجود له هو الله، إلا أن ذلك السجود إنما كان لأجله.

والدليل على صحة هذا التأويل أن قوله ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ مشعر بأنهم صعدوا ذلك السرير، ثم سجدوا، ولو أنهم سجدوا ليوسف عليه السلام لسجدوا له قبل

---

(١) تفسير الرازي ج١٨، ص ١١٤ - ١٢٠. (٢) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٧٩ باب ١٥.

الصعود إلى السرير، لأن ذلك أدخل في التواضع، وحينئذ فيكون المراد من قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ أي رأيتهم ساجدين لأجلي، أي إنها سجدت لله، لطلب مصلحتي والسعي في إعلاء منصبي. وعندي أن هذا التأويل متعين، لأنه يبعد من عقل يوسف ودينه، أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة.

الوجه الثاني: في الجواب أن يقال إنهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه، كما يقال سجدت للكعبة. قال حسان:

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم ... وأعرف الناس بالآثار والسنن

فقوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي جعلوه كالقبلة، ثم سجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه.

الوجه الثالث: في الجواب أن التواضع قد يسمى سجوداً. كقوله: (ترى الأكم فيها سجداً للحوافر). إلا أن هذا مشكل لأنه تعالى قال: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ والخرور إلى السجدة مشعرة بالإتيان بالسجدة على أكمل الوجوه. وأجيب عنه بأن الخرور، يعني به المرور فقط. قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾(١) يعني لم يمروا.

الوجه الرابع: في الجواب أن نقول: الضمير في قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ﴾ غير عائد إلى الأبوين لا محالة، وإلا لقال: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ بل الضمير عائد إلى إخوته وإلى سائر من كان يدخل عليه، لأجل التهنئة، فالتقدير: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ مبالغة في تعظيمهما. وأما الإخوة وسائر الداخلين، فخروا له ساجدين، وإن قالوا: فهذا لا يلائم قوله: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾. قلنا: إن تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقاً للرؤيا، حسب الصورة والصفة من كل الوجوه، فسجود الكواكب والشمس والقمر، تعبيره تعظيم الأكابر من الناس له. ولا شك أن ذهاب يعقوب مع أولاده من كنعان إلى مصر لأجل نهاية التعظيم له فيكفي هذا القدر في صحة الرؤيا، فأما أن يكون التعبير في الصفة والصورة فلم يقل بوجوبه أحد من العقلاء.

الوجه الخامس في الجواب: لعل الفعل الدال على التحية والإكرام في ذلك الوقت، هو السجود، فكان مقصودهم من السجود تعظيمه، وهو في غاية البعد، لأن المبالغة في التعظيم كان أليق بيوسف منها بيعقوب. فلو كان الأمر كما قلتم كان من الواجب أن يسجد يوسف ليعقوب.

الوجه السادس: أن يقال لعل إخوته حملتهم الأنفة والاستعلاء على أن يسجدوا له، على سبيل التواضع، وعلم يعقوب أنهم لو لم يفعلوا ذلك لصار ذلك سبباً لثوران الفتن وظهور

---

(١) سورة الفرقان؛ الآية: ٧٣.

الأحقاد القديمة مع كونها، فهو عليه السلام مع جلالة قدره وعظيم حقه بسبب الأبوة والتقدم في النبوة، فعل ذلك السجود حتى تصير مشاهدتهم لذلك، سبباً لزوال تلك الأنفة والنفرة عن قلوبهم. ألا ترى أن السلطان الكبير إذا نصب محتسباً، فإذا أراد تربيته مكنه من إقامة الحسبة عليه، ليصير ذلك سبباً في أن لا يبقى في قلب أحد منازعة ذلك المحتسب في إقامة الحسبة، فكذلك ها هنا.

الوجه السابع: لعل الله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها إلا هو، كما أمر الملائكة بسجودهم لآدم، لحكمة لا يعرفها إلا هو ويوسف عليه السلام ما كان راضياً بذلك في قلبه، إلا أنه لما علم أن الله أمره بذلك سكت، انتهى[1].

أقول: أفعال الأنبياء عليهم السلام غير محتاجة إلى هذه التكلفات، لأن النبي لا ينطق عن الهوى. وهذا السجود الذي رآه يوسف عليه السلام في المنام، ومنام الأنبياء نوع من الوحي، فما أوحى إلى يوسف في المنام أوحاه إلى يعقوب في اليقظة، كما أن رؤيا إبراهيم ذبح ولده، صار سبباً لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة.

وسواء كان ذلك السجود ليوسف عليه السلام أو لله تعالى شكراً على الوجدان أو غير ذلك لا إشكال فيه، لأن السجود ليوسف إذا كان بأمر الله تعالى فهو سجود لله، لأنه وقع امتثالاً لأمره كالسجود إلى القبلة دون باقي الجهات.

والله أعلم ورسوله وأهل بيته المعصومون سلام الله عليهم أجمعين.

(١) تفسير الرازي ج١٨، ص ٢١١ - ٢١٣.

الباب العاشر

في قصص أيوب عليه السلام

قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[1].

وقال في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[2].

قال أمين الإسلام الطبرسي طاب ثراه: أي واذكر أيوب حين دعا ربه لما اشتدت المحنة به: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ أي نالني وأصابني الجهد ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. وهذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء[3].

﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أي بتعب ومكروه ومشقة. وقيل: بوسوسة، فيقول له طال من ضرك ولا يرحمك ربك.

وقيل: بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى، وكيف زال ذلك كله طمعاً أن يزله بذلك، فوجده صابراً مسلماً لأمر الله.

وقيل: إنه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه أن تدخل عليهم، فكان أيوب يتأذى بذلك ويتألم منه ولم يشك الألم الذي كان من أمر الله. قال قتادة: دام ذلك سبع سنين. وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي ادفع برجلك الأرض ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وفي الكلام حذف، أي فركض برجله فنبعت بركضته عين ماء.

---

(١) سورة الأنبياء؛ الآيتان: ٨٣ و ٨٤.

(٢) سورة ص؛ الآيات: ٤١ - ٤٤.

(٣) مجمع البيان المجلد الرابع، ص ٩٤.

وقيل نبعت عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأُخرى فروي. والمغتسل الموضع الذي يغتسل فيه. وقيل: هو اسم للماء الذي يغتسل به.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ وهو ملء الكف من الشماريخ وما أشبه ذلك أي وقلنا له ذلك. وذلك أنه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها إن عوفي: ليضربنها مائة جلدة. فقيل له: خذ ضغثاً بعدد ما حلفت فاضربها به دفعة واحدة. فإنك إذا فعلت ذلك برت يمينك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ أي يمينك. وروي عن ابن عباس أنه قال: كان السبب في ذلك أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته إلى مداواة أيوب. فقال أداويه على أنه إذا برىء قال: أنت شفيتني لا أريد جزاءً سواه، فقالت: نعم، فأشارت إلى أيوب بذلك فحلف ليضربنها.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي رجّاع إلى الله منقطع إليه. روى العياشي بإسناده أن عباد الملكي قال: قال لي سفيان الثوري: إني أرى لك من أبي عبد الله منزلة فاسأله عن رجل زنى وهو مريض فإن أقيم عليه الحد خافوا أن يموت ما يقول فيه. فسألته فقال لي: هذه المسألة من تلقاء نفسك أو أمرك بها إنسان؟ فقلت إن سفيان الثوري أمرني أن أسألك عنها فقال: إن رسول الله ﷺ أتي برجل أحبن - يعني به الاستسقاء - قد استسقى وبدت عروقه وقد زنى بامرأة مريضة. فأمر رسول الله ﷺ فأتي بعرجون فيه شمراخ. فضرب به ضربة وخلى سبيله[1]. رواه الصدوق في (الفقيه) بسند صحيح.

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب كيف سلط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يسلط على عقله، ترك له ليوحد الله به[2].

(وعنه) عليه السلام قال: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها فتقول يا رب حسنت وجهي حتى لقيت ما لقيت! فيجاء بمريم عليها السلام فيقال أنت أحسن أو هذه؟ قد حسناها فلم تفتتن. ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه، فيقول يا رب قد حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت! فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال: أنت أحسن أو هذا قد حسناه فلم يفتتن؟ ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا رب شددت عليّ البلاء حتى افتتنت! فيؤتى بأيوب عليه السلام فيقال: أبليتك أشد أم بلية هذا فقد ابتلي ولم يفتتن[3].

(تفسير علي بن إبراهيم) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال أبو بصير: سألته عن بلية أيوب عليه السلام التي ابتلي بها في الدنيا لأي علة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا، وأدى شكرها.

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع، ص ٧٤٥ ـ ٧٤٦.

(٢) فروع الكافي ج٣، ص ١١٢ كتاب الجنائز برقم ١٠.

(٣) روضة الكافي ص ٢٢٨ برقم ٢٩١.

وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس من دون العرش، فلما صعد ورأى شكر نعمة أيوب، حسده إبليس، فقال: يا رب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا ولو حرمته دنياه ما أدى إليك شكر نعمة أبداً فقيل له: قد سلطتك على ماله وولده، قال: فانحدر مسرعاً خشية أن تدركه رحمة الله عز وجل فلم يبق له مالاً وولداً إلا أعطبه. فازداد أيوب لله شكراً وحمداً. قال فسلطني على زرعه، قال: قد فعلت، فجاء مع شياطنيه فنفخ فيه فاحترق، فازداد أيوب لله شكراً وحمداً. فقال يا رب سلطني على غنمه، فسلطه على غنمه فأهلكها. فازداد أيوب شكراً وحمداً. فقال: يا رب سلطني على بدنه فسلطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه ولسانه وسمعه. فنفخ فيه إبليس فصار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه. فبقي في ذلك دهراً يحمد الله ويشكره حتى وقع في بدنه الدود. وكانت تخرج من بدنه فيردها ويقول لها: ارجعي إلى موضعك الذي خلقك الله منه. فنتن حتى أخرجه أهل القرية من القرية وألقوه في المزبلة خارج القرية، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم وعليها تتصدق من الناس بما تجده.

فلما طال عليه البلاء ورأى إبليس صبره، أتى أصحاباً له كانوا في الجبال رهباناً وقال لهم مروا بنا إلى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليته، فركبوا بغالاً شهباناً وجاؤوا، فلما دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه فقرنوا بعضها إلى بعض ثم مشوا إليه وكان فيهم شاب حدث السن فقعدوا إليه، فقالوا: يا أيوب لو أخبرتنا بذنبك وما نرى ابتلاءك بهذا البلاء الذي لم يبتل به أحد إلا من أمر كنت تسره فقال أيوب: وعزة ربي إنه ليعلم أني ما أكلت طعاماً إلا وعلى خواني يتيم أو ضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة لله إلا أخذت بأشدهما على بدني. فقال الشاب: سوأة لكم عمدتم إلى نبي الله فعيرتموه حتى أظهر من عبادة ربه ما كان يسرها.

فقال أيوب: لو جلست مجلس الخصم منك لأدليت بحجتي فبعث الله إليه غمامة، فنطق فيها ناطق بعشرة آلاف لسان أو ستة آلاف لغة: يا أيوب أدل بحجتك فإني منك قريب ولم أزل قريباً قال فشد عليه مئزره وجثى على ركبتيه وقال: ابتليتني بهذه البلية وأنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط إلا لزمت بأحسنهما على بدني ولم آكل أكلة من طعام إلا وعلى خواني يتيم قال: فقيل له: يا أيوب من حبب إليك الطاعة؟ ومن صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون؟ وتحمده وتسبحه وتكبره والناس عنه غافلون؟ أتمن على الله بما لله المن فيه عليك؟ فأخذ التراب ووضعه في فيه، ثم قال: أنت يا رب فعلت ذلك بي، فأنزل الله عليه ملكاً، فركض برجله، فخرج الماء فغسله بذلك الماء، فعاد أحسن ما كان، فأنبت الله عليه روضة خضراء، وردّ عليه أهله وماله وولده وزرعه، وقعد معه الملك يحدثه، فأقبلت امرأته معها الخبز اليابس، فلما انتهت إلى الموضع، إذا الموضع متغير وإذا رجلان جالسان، فبكت وصاحت وقالت: يا أيوب ما دهاك؟ فناداها أيوب فأقبلت، فلما رأته وقد رد الله عليه بدنه ونعمته سجدت لله شكراً، فرأى ذؤابتها مقطوعة، وذلك أنها سألت قوماً أن يعطوها ما تحمله إلى أيوب من طعام، وكانت حسنة

الذؤابة، فقالوا لها تبيعينا ذؤابتك هذه حتى نعطيك؟ فقطعتها ودفعتها إليهم وأخذت منهم طعاماً لأيوب. فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أن يضربها مائة. فأخبرته: أنه كان سببه كيت وكيت، فاغتم أيوب من ذلك، فأوحى الله إليه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ فأخذ مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة، فخرج من يمينه.

ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال: فرد الله عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابهم البلاء، كلهم أحياهم الله فعاشوا معه. وسئل أيوب عليه السلام بعد ما عافاه الله أي شيء كان أشد عليك مما مرَّ عليك؟ قال: شماتة الأعداء. قال: فأمطر الله عليه في داره فراش الذهب وكان يجمعه، فإذا ذهب الريح بشيء عدا خلفه فرده، فقال له جبرائيل: أما تشبع يا أيوب؟ قال: ومن يشبع من رزق ربه؟(١).

وعن ابن عباس: أن الله رد على المرأة شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكراً، وكان له سبعة بنين وسبع بنات أحياهم الله له بأعيانهم(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابتلي أيوب سبع سنين بلا ذنب. وعنه عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى ابتلى أيوب عليه السلام بلا ذنب، فصبر حتى عُير، وإن الأنبياء لا يصبرون على التعيير(٣).

(الأمالي) بإسناده إلى الصادق عليه السلام: إن أيوب عليه السلام مع جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة ولا قبحت له صورة ولا خرجت منه مدة ولا دم ولا قيح ولا استقذره أحد رآه ولا استوحش منه أحد شاهده ولا تدود شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بمن يبتيله من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره، من التأييد والفرج.

وقد قال النبي عليه السلام: أعظم الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لكيلا يدعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظائم نعمه تعالى متى شاهدوه وليستدلوا بذلك على أن الثواب من الله تعالى، على ضربين، استحقاق واختصاص، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه ولا فقيراً لفقره ولا مريضاً لمرضه وليعلموا أنه يسقم من يشاء ويشفي من يشاء كيف يشاء بأي سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء وشقاوة لمن شاء وسعادة لمن شاء، وهو عز وجل في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم ولا قوة لهم إلا به(٤).

---

(١) تفسير القمي ج٢، ص ٢٣٩- ٢٤٢.

(٢) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٣٤٧.

(٣) علل الشرائع ج١، ص ٩٥ باب ٦٥ برقم ٣ و٤.

(٤) لم أجده في الأمالي ولكن وجدته في كتاب الخصال للشيخ الصدوق ص ٣٩٩ باب السبعة برقم ١٠٨.

أقول: هذا الحديث كما قاله شيخنا المحدث أبقاه الله تعالى أوفق بأصول متكلمي الإمامية، من كونهم عليهم السلام منزهين عما يوجب تنفر الطبائع عنهم، فتكون الأخبار الأُخر محمولة على التقية، لموافقتها روايات العامة، لكن إقامة الدليل على نفي ذلك عنهم، ولو بعد ثبوت نبوتهم وحجتهم، لا يخلو من إشكال مع أن الأخبار الدالة على ثبوتها أكثر وأصح، وبالجملة للتوقف فيه مجال[1].

وقال السيد الأجل علم الهدى قدس الله ضريحه: فإن قيل: أفتصححون ما روي من أن الجذام أصابه حتى تساقطت أعضاؤه. قلنا: أما العلل المستقذرة التي تنفر من رآها وتوحشه كالبرص والجذام، فلا يجوز شيء منها على الأنبياء عليهم السلام لما تقدم ذكره، لأن النفور ليس يوافق على الأمور القبيحة بل قد يكون من الحسن والقبيح معاً وليس ينكر أن تكون أمراض أيوب عليه السلام وأوجاعه ومحنه في جسمه ثم في أهله وماله، بلغت مبلغاً عظيماً تزيد في الغم والألم على ما ينال المجذوم وليس ينكر تزايد الألم فيه عليه السلام وإنما ينكر ما اقتضى التنفير[2].

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل لما عافى أيوب نظر إلى بني إسرائيل قد ازدرعت، فرفع طرفه إلى السماء فقال: إلهي وسيدي عبدك أيوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئاً وهذا لبني إسرائيل زرع فأوحى الله عز وجل إليه: يا أيوب خذ سبحتك كفاً فابذره. وكانت سبحته فيها ملح، فأخذ أيوب كفاً فبذره فخرج هذا العدس. وأنتم تسمونه الحمص ونحن نسميه العدس[3].

(معاني الأخبار) معنى أيوب من آب يؤوب وهو أنه يرجع إلى العافية والنعم والأهل والمال والولد بعد البلاء[4].

وقال الصادق عليه السلام: ما سأل أيوب العافية في شيء من بلائه[5].

أقول: رد السيد الأخبار الواردة بأن الشيطان تسلط على أيوب وأهلك ماله وغنمه وأولاده ونفخ في بدنه وجعله قرحة واحدة. وقال: إن إبليس لا يقدر على أن يقرح الأجساد ولا يفعل الأمراض، وإنما الله سبحانه هو الذي أوجد المرض في بدن أيوب عليه السلام امتحاناً له وتعريضاً بالثواب من حيث الصبر على الأوجاع والأسقام[6].

ولا يخفى ما يرد على هذا الكلام ولا نرى فرقاً بين ما صدر من الأشقياء بالنسبة إلى

---

(١) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.
(٢) تنزيه الأنبياء، ص ٦١ ـ ٦٢.
(٣) فروع الكافي ج٦ كتاب الأطعمة ص ٣٤٣ باب الحمص.
(٤) معاني الأخبار للصدوق ص ٥٠.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٣٩ حديث رقم ١٤٧.
(٦) تنزيه الأنبياء ص ٦١.

الأنبياء والأئمة عليهم السلام. حيث خلاهم الله تعالى وأنفسهم نظراً إلى مصلحة التكليف ففعلوا ما فعلوا من قتلهم وإيصال الأوجاع إلى أبدانهم وبين ما أتاه الشيطان بالنسبة إلى أيوب وأولاده وأمواله. وأما التسلط المنفي في الآية فهو إنما يكون بالنسبة إلى الأديان لا الأبدان.

قال الثعلبي في (العرائس): قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب: كان أيوب النبي عليه السلام رجلاً من الروم وكان مكتوباً على جبهته المبتلى الصابر. وهو أيوب بن أموص بن دارح[(١)] بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[(٢)] وكانت أمه من ولد لوط بن هاران عليه السلام وكانت له البثنة بلدة من بلاد الشام. وكان له فيها من أصناف المال من الإبل والبقر والخيل والغنم وكان براً تقياً رحيماً وكان يحترز من الشيطان وكيده وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه، رجل من أهل اليمن يقال له اليفن، ورجلان من أهل بلاده بلدد وصافن[(٣)].

قال وهب: إن لجبرائيل عليه السلام بين يدي الله مقاماً ليس لأحد من الملائكة في القربة والفضيلة وإن جبرائيل عليه السلام هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله تعالى عبداً بخير تلقاه جبرائيل عليه السلام ثم لقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش، فإذا شاع ذلك في الملائكة المقربين شاعت الصلوات على ذلك العبد من أهل السموات فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض.

وكان إبليس لعنه الله، لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما أراد ووصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد، حتى رفع الله تعالى عيسى، فحجب من أربع وكان يصعد في ثلاث. فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله، حجب الثلاثة الباقية، فهو وجنوده محجوبون من جميع السموات إلى يوم القيامة ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[(٤)].

فلما سمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب عليه السلام وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه، فأدركه البغي والحسد، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه فقال: يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك فعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة وبلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك؟ فقال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ماله، فانقض عدو الله حتى وقع إلى الأرض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظمائهم فقال: ماذا عندكم من القوة والمعرفة فإني سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة

---

(١) في المصدر: تارخ.

(٢) قال المسعودي في مروج الذهب ج١، ص ٤٨: أيوب بن موصل بن زراح بن رعوايل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم وكان من بلدة البثنية.

(٣) في المصدر: مالك وظافر.

(٤) سورة الحجر ؛ الآية: ١٨.

التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة إذا شئت تحولت إعصاراً[(١)] من نار وأحرقت كل شيء آتي عليه، قال له إبليس فأت الإبل فأحرقها ورعاتها. فانطلق يؤم الإبل وذلك حين وضعت رؤوسها في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفخ منها أرواح السموم لا يدنو منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما أتى على آخرها تمثل إبليس براعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائماً يصلي فقال يا أيوب قال: لبيك قال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإبلك ورعاتها؟ قال أيوب: إنها ماله أعارنيه وهو أولى به إذا شاء تركه وإن شاء نزعه، وقديماً ما وطنت نفسي ومالي على الفناء. فقال إبليس: وإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت كلها، وبقي الناس مبهوتين وقوفاً عليها يتعجبون منها. منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور. ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً، لمنع وليه. ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ما فعل يشمت به عدوه ويفجع به صديقه.

قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود في التراب وعرياناً أحشر إلى الله تعالى. ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته، الله أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لقبض روحك مع الأرواح فآجرني فيك وصرت شهيداً ولكنه علم منك شراً فخلصك من البلاء.

فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً فقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما إذا شئت صحت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت نفسه. قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق حتى إذا توسطها صاح صوتاً فماتت من عند آخرها ومات رعاتها، ثم خرج متمثلاً بقهرمان الرعاة حتى إذا جاء أيوب وهو قائم يصلي فقال له القول الأول ورد عليه أيوب الرد الأول.

ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء فآتي عليه حتى لا أبقي شيئاً. فقال له إبليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى في الحرث وأولادها رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم خرج إبليس متمثلاً بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل القول الأول ورد عليه أيوب مثل رده الأول.

فجعل إبليس يصيب ماله مالاً مالاً حتى مرَّ على آخره بالهلاك، وهو يحمد الله ويشكره على البلاء. فلما رأى إبليس أنه لم ينجح منه بشيء، صعد سريعاً إلى موقفه فقال: إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده فإنها الفتنة

(١) الإِعصار: الرياح التي تهب من الأرض وتثير الغبار فترتفع كالعمود نحو السماء.

المضلة والمصيبة التي لا يقوى عليها صبر الرجال! فقال انطلق فقد سلطتك على ولده. فانقض حتى جاء بني أيوب في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح جداره بعضها ببعض ويرميهم بالحجارة حتى إذا مثل بهم كل مثلة رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكبين[(١)]، وانطلق إلى أيوب متمثلًا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح يسيل دمه وقال يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلبوا على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم في أنوفهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا، حتى رق أيوب وأخذ قبضة من التراب فوضعها على رأسه، فاغتنم إبليس ذلك، فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً.

ثم لم يلبث به أيوب أن رجع إلى ربه فتاب واستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته، فبدروا إبليس إلى الله تعالى فوقف إبليس خاسئاً ذليلًا فقال: يا إلهي إنما هوّن على أيوب ما ذهب منه، أنك متعته بنفسه، فهل أنت مسلطه على جسده فإنك إن ابتليته في جسده كفر بك فقال الله عز وجل: انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله. ولم يسلطه الله سبحانه عليه إلا ليعظم له الثواب وجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل ليأنسوا به بالصبر ورجاء الثواب.

فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب عليه السلام ساجداً فأتاه في موضع في وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار قرحة واحدة ووقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بدنه بالفخار والحجارة، فلم يزل يحك بدنه حتى تقطع لحمه وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشاً ورفضه خلق الله كلهم، غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله على نبينا وآله وعليهم السلام وكانت تختلف إليه بما يصلحه، وكان له أصحاب ثلاثة فاتهموه ورفضوه من غير أن يفارقوا دينه وأخذوا في لومه وتعنيفه وكان من بينهم شاب فلامهم على ما كان منهم وما عيروا به أيوب حتى قال لهم: إنكم أشد عليّ من مصيبتي.

ثم أعرض عنهم وقال: يا رب لأي شيء خلقتني؟ يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت، فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي، فالموت كان أجمل بي. يا إلهي ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً، إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني للبلاء غرضاً، لقد وقع عليّ بلاء لو وقع على جبل ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي؟ إلهي تقطعت أصابعي فإني لأرفع اللقمة من الطعام بيديّ معاً فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني؟ تساقطت لهواتي ولحم رأسي وإن دماغي ليسيل من فمي! إلهي تساقط شعر عيني فكأنما أحرق بالنار وجهي وحدقتاي

(١) في المصدر: فصاروا منكسين.

متدليتان على خدي وورم لساني حتى ملأ فمي فما أدخل فيه طعاماً إلا غصني وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني، وتقطعت أمعائي في بطني وإني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أُحسّه، ولا ينفعني. وذهبت قوة رجليّ فكأنهما قد يبستا ولا أطيق حملهما. وذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنّ بها عليّ ويعيرني. إلهي هلك أولادي فلو بقي أحد منهم أعانني على بلائي، ملّني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي. وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة من صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بمكان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ولا نظر إليّ فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي.

فلما قال ذلك أيوب عليه السلام وأصحابه عنده أظلته غمامة، ثم نودي: يا أيوب إن الله عز وجل يقول لك: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً، فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا يمكن أن يخاصمني إلا من يجعل الزيار في فم الأسد والسحال في فم العنقا واللجام في فم التنين ويكيل مكيالاً من النور ويزن مثقالاً من الريح ويصر صرة من الشمس ويردّ أمس لقد منتك نفسك أمراً ما يُبلغ بمثل قوتك أردت أن تخاصمني بعيّك أم أردت أن تكابرني بضعفك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي؟ أم كنت تمتد بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض؟ أم بحكمك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفاً في الهوى لا بعلائق ولا تحملها دعم من تحتها؟ هل يبلغ من حكمك أن تجري نورها؟ أو تسير نجومها؟ أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت مني يوم سجرت البحار؟ وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم أقدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب؟ ونصبت شوامخ الجبال؟ هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري كم مثقال فيها؟ أين الماء الذي أنزل من السماء؟ أحكمتك أحصت القطر؟ وقسمت الأرزاق؟ أم قدرتك تثير السحاب وتجري الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أي شيء لهب البرق؟ وهل رأيت عمق البحر؟ هل تدري ما بعد الهوا؟ هل تدري أين خزانة الثلج؟ وأين خزانة البرد؟ أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل والنهار؟ وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم الأحجار؟ وأين خزانة الريح؟ وكيف نحبسه؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار.

فقال أيوب عليه السلام: قصرت عن هذا الأمر الذي تعرض عليّ، ليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها، ولم أتكلم بشيء يسخط ربي اجتمع عليّ البلاء.

إلهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن كل

الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك، وإنما تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت عن لساني، فلن أعود وقد وضعت يدي في فمي وعضضت لساني وألصقت بالتراب خدي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

فقال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي، إذا أخطأت فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاءً للصابرين ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فركض برجله فانفجرت له عين، فدخل فيها واغتسل، فأذهب الله تعالى كل ما كان فيه من البلاء. ثم خرج وجلس، فأقبلت امرأته فقامت تلمسه في مضجعه فلم تجده، فقامت مترددة كالوالهة، ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ها هنا؟ فقال لها: هل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت: نعم وما لي لا أعرفه، فتبسم وقال: أنا هو، فعرفته بمضحكه فاعتنقته.

فذلك قوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذي قال من أجله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ...﴾.

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن أيوب نبي الله لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكان خرج لحاجته، فإذا قضى حاجته، أمسك امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى إلى أيوب في مكانه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾.

وقال الحسن: مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهر، تختلف فيه الدواب، ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير رحمة وهي زوجته، صبرت معه، وأيوب لا يفتر من ذكر الله والثناء عليه.

فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعاً من صبر أيوب عليه السلام فلما اجتمعوا إليه قالوا ما حزنك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت الله أن يسلطني عليه وعلى ماله، فلم يزد بذلك إلا صبراً وثناءً على الله تعالى فقد افتضحت بربي فاستغثت لتغيثوني عليه. فقالوا له: أين مكرك أين علمك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أمر أيوب عليه السلام فأشيروا عليّ؟ قالوا: نشير عليك أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فاته من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد بقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق، فتمثل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت هو ذلك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وإن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً.

قال الحسن: فصرخت، فلما صرخت علم أنها قد جزعت، فأتاها بسخلة فقال لتذبح هذه إلى أيوب ولا يذكر عليه اسم الله عز وجل فإنه يبرأ.

قال: فجاءت تصرخ: يا أيوب حتى متى يعذبك ربك ولا يرحمك؟ أين المال؟ أين الولد؟ أين لونك الحسن؟ قد تغير وقد صار مثل الرماد، اذبح هذه السخلة واسترح. قال أيوب: أتاك عدو الله، فنفخ فيك فأجبتيه، ويلك أرأيت ما كنا فيه من المال والولد والصحة؟ من أعطانيه؟ قالت: الله. قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمذ كم ابتلاني الله تعالى بهذا البلاء؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر قال: ويلك ما عدلت وما أنصفت ربك، ألا صبرت في البلاء الذي ابتلانا الله به ثمانين سنة، كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله عز وجل لأجلدنك مائة جلدة، حين أمرتني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به عليّ حرام أن أذوق مما تأتيني بعد إذ قلت لي هذا، فاعزبي عني(١)، فلا أراك، فطردها فذهبت.

فلما نظر أيوب عليه السلام إلى امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب خر ساجداً وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ثم ردد ذلك إلى ربه فقال: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ فركض برجله، فنبعت عين، فاغتسل منها، فأذهب الله تعالى عنه كل ألم، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أُخرى، فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلّا خرج، فقام صحيحاً وكسي حلة، فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال، إلا وقد أضعفه الله تعالى، فجلس على مكان مشرف.

ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جزعاً ويضيع، فتأكله السباع فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت فجعلت تبكي على أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه، فدعاها أيوب فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة، لا أدري أضاع أم ما فعل؟ فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأيتيه؟ فقالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذا كان صحيحاً، قال: فإني أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله تعالى وعصيت الشيطان، ودعوت الله تعالى فرد عليّ ما ترين. وقيل: إن إبليس تعرض لرحمة وقال: لو أن أيوب سجد لي سجدة واحدة لرددت عليه كل ما أخذت منه، وأنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بأيوب ما صنعت. وأراها أولادها والمال في بطن الوادي. وقال وهب: إن إبليس قال لرحمة لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسم عليه، لعوفي مما به من البلاء.

ورأيت في بعض الكتب أن إبليس لعنه الله قال لرحمة: وإن شئت فاسجدي لي سجدة واحدة، حتى أرد عليك المال والأولاد وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها قال: لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم إن عافاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة، وقال عند ذلك: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ في طمع إبليس في سجود رحمة له ودعائه إياها.

---

(١) عزب: بعد وغاب.

وقيل: إنما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه، فخشي أن يبقى خالياً من الذكر والفكر. وقيل: إنما قال ذلك حين وقعت الدودة في فخذه، فرفعها وردها إلى موضعها فقال لها: قد جعلني الله طعامك، فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان. وقيل: إنما قال ذلك عند شماتة الأعداء، فقال: ﴿رَبِّ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ يعني من شماتة الأعداء.

ويدل عليه ما روي أنه قيل له بعد ما عوفي: ما كان أشد عليك في بلائك؟ قال: شماتة الأعداء[١].

أقول: شماتة الأعداء أعظم المصائب والمحن، لأنه عذاب روحاني، وغيره عذاب جسماني، والروح ألطف الأعضاء وأرقها. وقد ورد في الحديث: أن أهل جهنم يكتمون عذاب النار حذراً من شماتة أهل الجنة.

(١) العرائس والمجالس للثعلبي: ص ١٣٥ - ١٤٤.

الباب الحادي عشر
في قصص شعيب عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(١) الآيات.

قال أمين الإسلام الطبرسي في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي أهل مدين أو هو اسم القبيلة. قيل إن مدين ابن إبراهيم الخليل، فنسب القبيلة إليه. قال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم(٢)، وكان خطيب الأنبياء لحسن مراجعة قومه وهم أصحاب الأيكة. وقال قتادة: أرسل شعيب مرتين إلى أهل مدين مرة، وإلى أصحاب الأيكة مرة ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي أدوا حقوق الناس على التمام في المعاملات.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي لا تنقصوهم حقوقهم.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحرمات، بعد أن أصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الأنبياء.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا﴾ فإنهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيباً للإيمان به، فيخوفونه بالقتل، أو إنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ بأن تقولوا هو باطل. ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي كثر عددكم.

---

(١) سورة الأعراف؛ الآيات: ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) اختلف العلماء والمؤرخون في نسب شعيب. قال الطبري: شعيب بن صيفون بن عنقاء بن ثابت بن مدين بن إبراهيم وهذا ما نسبه أهل التوراة، وقال اليعقوبي في تاريخه هو شعيب بن نويت بن عيا بن مدين بن إبراهيم وقال المسعودي هو شعيب بن نويت بن رعوايل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم وذكر الطبري في تاريخه: «قال بعضهم: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم وإنما هو من ولد بعض من كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه وهاجر معه إلى الشام ولكنه ابن بنت لوط، فجدة شعيب ابنة لوط» وذكر ابن الأثير في الكامل أن اسم شعيب هو يثرون.

قال ابن عباس: وذلك أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط، فولدت، حتى كثر أولادها[١].

(علل الشرائع) بإسناده إلى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب من حب الله عز وجل حتى عمي، فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمي، فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي، فرد الله عليه بصره. فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبداً منك إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك[٢] وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك! فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم إني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك في قلبي فلست أصبر أو أراك فأوحى الله جل جلاله إليه: أما إذا كان هكذا فمن أجل هذا، سأخدمك كليمي موسى بن عمران.

قال الصدوق رحمه الله: يعني بذلك: لا أزال أبكي أو أراك قد قبلتني حبيباً[٣].

وقال شيخنا المحدث أبقاه الله تعالى: كلمة أو بمعنى إلى أن، أو إلا أن، أي إلى أن يحصل لي غاية العرفان والإيقان المعبر عنها بالرؤية وهي رؤية القلب لا البصر. والحاصل طلب كمال المعرفة بحسب الاستعداد والقابلية والوسع والطاقة انتهى[٤].

والأظهر أن يقال المراد بقوله: أو أراك. إلى أن أراك بعد الموت، يعني إني أبكي على حبك ولا أفتر عن البكاء حتى ألقاك، كمن غاب عن حبيبه فهو يبكي على حبيبه لأجل فراقه إلى أن يلقاه. فهذه معان ثلاثة والحديث حمال أوجه، وما قاله نبي الله شعيب عليه السلام، هو الذي قاله أمير المؤمنين عليه السلام: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: أول من عمل المكيال والميزان شعيب النبي عليه السلام عمله بيده، فكانوا يكيلون ويوفون، ثم إنهم بعد أن طففوا في المكيال والميزان وبخسوا في الميزان ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ فعذبوا بها ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٥].

قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي الزلزلة. وقيل: أرسل الله عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وأنضجهم الحر، فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة، فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة، ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد وصاروا رماداً، وهو عذاب يوم الظلة. عن ابن عباس وغيره من المفسرين.

---

(١) مجمع البيان المجلد الثاني، ص ٦٦٨ - ٦٨٩.
(٢) أي أنقذتك.
(٣) علل الشرائع ج١، ص ٧٤ - ٧٥ باب ٥١.
(٤) بحار الأنوار ج١٢، ص ٣٨١.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٤٢ حديث رقم ١٥٣.

وقيل: بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا بها. عن أبي عبد الله وقيل: إنه كان لشعيب قومان، قوم أهلكوا بالرجفة وقوم هم أصحاب الظلة(١).

(قصص الأنبياء) للراوندي من علمائنا، رواه بإسناده إلى سهل بن سعيد، قال: بعثني هشام بن عبد الملك أستخرج له بئراً في رصافة(٢) عبد الملك فحفرنا منها مائتي قامة، ثم بدت لنا جمجمة رجل طويل، فحفرنا ما حولها، فإذا رجل قائم على صخرة عليه ثياب بيض وإذا كفه اليمنى على رأسه على موضع ضربة برأسه، فكنا إذا نحينا يده عن رأسه سالت الدماء وإذا تركناها عادت فسدت الجرح، وإذا في ثوبه مكتوب: أنا شعيب بن صالح رسول رسول الله شعيب النبي عليه السلام إلى قومه، فضربوني وطرحوني في هذا الجب وهالوا عليّ التراب. فكتبنا إلى هشام ما رأيناه، فكتب أعيدوا عليه التراب كما كان واحتفروا في مكان آخر(٣).

(كنز الفوائد) للكراجكي: عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي قال: خرجت بإفريقية مع علم لي إلى مزروع لنا فحفرنا موضعاً فأصبنا تراباً هشاً فحفرنا عامة يومنا حتى انتهينا إلى بيت كهيئة الأزج(٤)، فإذا فيه شيخ مسجى وإذا عند رأسه كتابة فقرأتها فإذا هي: أنا حسان بن سنان الأوزاعي رسول شعيب النبي عليه السلام إلى أهل هذه البلاد، دعوتهم إلى الإيمان بالله فكذبوني وحبسوني في هذا الحفر إلى أن يبعثني الله وأخاصمهم يوم القيامة.

وذكروا أن سليمان بن عبد الملك مر بوادي القرا، فأمر ببئر يحفر فيه ففعلوا فانتهى إلى صخرة، فاستخرجت فإذا تحتها رجل عليه قميصان واضع يده على رأسه، فجذبت يده، فمجّ مكانها بدم، ثم تركت فرجعت إلى مكانها فرقأ الدم(٥) فإذا معه كتاب فيه: أنا الحارث بن شعيب الغساني رسول شعيب إلى أهل مدين فكذبوني وقتلوني(٦).

وقال وهب: بعث الله شعيباً إلى أهل مدين، ولم يكونوا قبيلة شعيب التي كان منها ولكنهم كانوا أمة من الأمم بعث إليهم شعيب، وكان عليهم ملك جبار ولا يطيقه أحد من ملوك عصره، وكانوا ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس أشياءهم مع كفرهم بالله وتكذيبهم لنبيه، وكانوا يستوفون إذا اكتالوا لأنفسهم أو وزنوا لها، وكانوا في سعة من العيش، فأمرهم الملك باحتكار الطعام ونقص المكاييل والموازين، ووعظهم شعيب، فأرسل إليه الملك، ما

---

(١) مجمع البيان المجلد الثاني ص ٦٩٣.
(٢) رُصافة: أي رصافة هشام بن عبد الملك وقال ياقوت: هي في غربي الرقة (من بلاد الشام) وكان يسكنها في الصيف وبناها هشام لما وقع الطاعون في الشام.
(٣) قصص الأنبياء ص ١٤٢ - ١٤٣ حديث رقم ١٥٣.
(٤) الأزج: بيتٌ يبنى طولاً.
(٥) أي انقطع وجف.
(٦) كنز الفوائد ص ١٧٩ - ١٨٠.

تقول في ما صنعنا، أراض أنت أم ساخط؟ فقال شعيب: أوحى الله تعالى إليّ: أن الملك إذا صنع مثل ما صنعت، يقال له ملك فاجر فكذبه الملك وأخرجه وقومه من المدينة.

قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ فزادهم شعيب في الوعظ فقالوا ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ فأذوه بالنفي من بلادهم، فسلط الله عليهم الحر والغيم، حتى أنضجهم، فلبثوا فيه تسعة أيام وصار ماؤهم حميماً لا يستطيعون شربه، فانطلقوا إلى غيضة[1] لهم، وهو قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ فرفع الله لهم سحابة سوداء، فاجتمعوا في ظلها، فأرسل الله عليهم ناراً منها فأحرقتهم فلم ينج أحد منهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ فلما أصاب قومه ما أصابهم، لحق شعيب والذين آمنوا معه بمكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا[٢].

والرواية الصحيحة: إن شعيباً عليه السلام صار منها إلى مدين، فأقام بها، وبها لقيه موسى بن عمران صلوات الله عليهما[٣].

وعن علي عليه السلام قال: قيل له: يا أمير المؤمنين حدثنا. قال: إن شعيب النبي عليه السلام دعا قومه إلى الله حتى كبر سنه ودق عظمه، ثم غاب عنهم ما شاء الله، ثم عاد إليهم شاباً، فدعاهم إلى الله عز وجل. فقالوا ما صدقناك شيخاً فكيف نصدقك شاباً[٤]؟.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يبعث الله عز وجل من العرب إلا خمسة أنبياء: هوداً وصالحاً وإسماعيل وشعيباً ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وعليهم، وكان شعيب بكاءً[٥].

(الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى شعيب: إني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: عاش شعيب صلوات الله عليه مائتين واثنين وأربعين سنة[٧].

وقال مجاهد: عذاب يوم الظلة هو: إظلال العذاب لقوم شعيب.

وقال بريد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ قال: مما كان نهاهم عنه قطع الدراهم، انتهى[٨].

---

(١) الغيضة: مغيض ماءٍ يجتمع فينبت فيه الشجر.

(٢) و(٣) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٤٦ - ١٤٧ حديث ١٥٩.

(٤) و(٥) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٤٥ حديث رقم ١٥٦ و ١٥٧.

(٦) فروع الكافي ج٥، ص ٥٦ كتاب الجهاد باب الأمر بالمعروف.

(٧) قصص الأنبياء ص ١٤٦ حديث رقم ١٥٨.

(٨) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج١، ص ٥٥.

الباب الثاني عشر
في قصص موسى وهارون وعليهما السلام
وفيه فصول:

الفصل الأول
فيما يشتركان فيه من علل التسمية والفضائل

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

قال المفسرون: موسى اسم مركب من اسمين بالقبطية، فـ(مو) هو الماء و(سى) الشجر، وسمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر[2]، وجدته جواري آسية وقد خرجن ليغتسلن. وهو موسى بن عمران بن يصهر بن يافث بن لاوي بن يعقوب. واختلف في اسم أم موسى وهارون. فقال محمد بن إسحاق: نخيب. وقيل: أفاحية. وقيل: يوخابيد، وهو المشهور[3].

أقول: وهو الذي وجدته في التوراة المعربة في البصرة سنة الخامسة والتسعين بعد الألف، بعد انصرافي من حج البيت.

تفسير علي بن إبراهيم، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في خبر المعراج، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم العين، حوله ثلة من أمته، فأعجبتني كثرتهم، فقلت من هذا يا جبرائيل؟ فقال: هذا المحبب في قومه، هارون بن عمران، فسلمت عليه وسلم عليّ واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السموات. ثم صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل وسمعته يقول: يزعم بني إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله وهذا رجل أكرم على الله مني. فقلت من هذا يا

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٨٧.

(٢) علل الشرائع ج١، ص ٧٣.

(٣) العرائس للثعلبي ص ١٤٧.

جبرائيل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران، فسلمت عليه وسلم عليّ واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السموات[١].

وقال عليه السلام: كان عمر موسى بن عمران مائتين وأربعين سنة، وكان بينه وبين إبراهيم خمسمائة سنة[٢].

وعنه عليه السلام: اختار من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم وداود وموسى وأنا، واختار من البيوتات أربعة. فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣].

(علل الشرائع) سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ من هم؟ فقال: قابيل يفر من هابيل، والذي يفر من أمه موسى، والذي يفر من أبيه إبراهيم، والذي يفر من صاحبته لوط، والذي يفر من ابنه نوح، والذي يفر من أبيه كنعان[٤].

قال الصدوق: إنما يفر موسى من أمه خشية أن يكون قصر فيما وجب عليه من حقها[٥].

أقول: ذكر جماعة من أهل الحديث: أنه يجوز أن يتجوز بالأم عن المربية أو المرضعة التي أحضنته أو أرضعته في بيت فرعون قبل وقوع أمه عليه، كما تجوزوا عن إبراهيم بأبيه.

(الأمالي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران: يا موسى أتدري لم انتخبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا يا رب. فأوحى الله إليه: إني اطلعت على الأرض، فلم أجد أشد تواضعاً لي منك خر موسى ساجداً وعفر خديه في التراب، تذللًا منه لربه عز وجل. فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى، ومر يدك على موضع سجودك وامسح بها وجهك وما نالته من بدنك، فإنه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة[٦].

وفي حديث آخر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ فقال موسى لا يا رب فقال: يا موسى إني قلبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجد أحداً فيهم أذل لي منك نفساً يا موسى إنك إذا صليت وضعت خديك على التراب[٧].

---

(١) تفسير القمي ج٢، ص ٨ ـ ٩ في تفسيره لسورة الإسراء.
(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٢٧٠ في خبر الحسن بن علي مع ملك الروم.
(٣) الخصال للصدوق ص ٢٢٥ باب الأربعة برقم ٥٨.
(٤) علل الشرائع ج٢ ص ٣٢٠ باب ٣٨٥ حديث رقم ٤٤.
(٥) هذا البيان من الصدوق (ره) في الخصال ص ٣١٨ باب الخمسة برقم ١٠٢.
(٦) بحار الأنوار ١٣، ص ٧.
(٧) علل الشرائع ج١، ص ٧٤.

(وروي) أن موسى عليه السلام: كان إذا صلى لم ينفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر[١].

أقول: هذا الوضع على التراب بعد الصلاة هو سجدة الشكر، الذي قال به علماؤنا ونطقت به أخبارنا، وشنع المخالفون به علينا تشنيعاً شنيعاً وقالوا إن سجدة الشكر من مبتدعات اليهود والرافضة. ورووا في أخبارهم: إن أول من سجد سجدة الشكر في الإسلام هو أمير المؤمنين عليه السلام، لما أمر بالمبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الغار.

تفسير علي بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام قال: إن بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال وكان موسى عليه السلام إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد، وكان يوماً يغتسل على شط نهر، وقد وضع ثيابه على صخرة، فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه، حتى نظر بنو إسرائيل إليه، فعلموا أنه ليس كما قالوا، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ. . .﴾ الآية[٢].

قال أمين الإسلام الطبرسي: اختلفوا فيما آذوا به موسى عليه السلام على أقوال:

أحدهما: إن موسى وهارون عليهما السلام صعدا الجبل، فمات هارون، فقالت بنو إسرئيل أنت قتلته، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرفوا أنه قد مات. فبرّأه الله من ذلك. روي ذلك عن علي عليه السلام، وابن عباس.

وثانيها: إن موسى عليه السلام كان حيياً يغتسل وحده، فقالوا ما يتستر منا إلا لعيب بجلده إما برص وإما أدرة، فذهب مرة ليغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى، فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً، فبرّأه الله مما قالوا. رواه أبو هريرة مرفوعاً. وقال قوم إن ذلك لا يجوز، لأن فيها اشتهار النبي وإبداء سوأته على رؤوس الأشهاد، وذلك ينفر عنه.

وثالثها: إن قارون استأجر مومسة[٣] لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على رؤوس الملأ، فعصمه الله تعالى من ذلك. عن أبي العالية.

ورابعها: إنهم آذوه من حيث إنهم نسبوه إلى السحر والجنون والكذب، بعد ما رأوا الآيات. عن أبي مسلم. انتهى[٤].

وأما السيد قدس الله ضريحه فقد رد الثاني، بأنه ليس يجوز أن يفعل الله تعالى بنبيه، ما ذكروه من هتك العورة، لتنزيهه عن عاهة أُخرى. فإنه تعالى قادر أن ينزهه مما قذفوه به على

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير القمي ج ٢، ص ١٩٧ والآية من سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٣) المومسة: الفاجرة.

(٤) مجمع البيان المجلد الرابع، ص ٥٨٣.

وجه لا يلحقه معه فضيحة أُخرى، وليس يرمي بذلك أنبياء الله من يعرف أقدارهم. ثم قال: والذي روي في ذلك من الصحيح معروف وذكر الوجه الأول[١].

وقال جماعة من أهل الحديث: لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح وإن رؤيتهم له على ذلك الوضع الذي لم يتعمده موسى عليه السلام، ولم يعلم أن أحداً ينظر إليه أم لا وإن مشيه عرياناً لتحصيل ثيابه مضافاً إلى تبعيده عما نسبوه إليه، ليس من المنفرات.

وسئل الصادق عليه السلام أيهما مات قبل موسى أم هارون؟ قال: هارون مات قبل موسى صلوات الله عليهما. وسئل أيهما كان أكبر؟ قال: هارون، وكان اسم ابني هارون شبير وشبراً وتفسيرهما بالعربية الحسن والحسين. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم، فأما موسى فرجل طوال سبط يشبه رجال الزط ورجال أهل شيوة، وأما عيسى فرجل أحمر جعد ربعة، ثم سكت فقيل يا رسول الله فإبراهيم قال فانظروا إلى صاحبكم. يعني نفسه صلوات الله عليه[٢].

الفصل الثاني

في أحوال موسى عليه السلام من حين ولادته إلى نبوته

تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي، عن ابن محبوب عن العلا عن محمد عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن موسى عليه السلام لما حملت به أمه، لم يظهر حملها إلا عند وضعه، وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظنهن، وذلك لما كان بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون إنه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يديه، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون، وفرق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس. فلما وضعت أم موسى بموسى نظرت إليه واغتمت وقالت يذبح الساعة، فعطف الله بقلب الموكلة بها عليه، فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفر لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي. فقالت لا تخافي. وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه، وهو قول الله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فأحبته القبطية الموكلة به، وأنزل الله على أم موسى التابوت ونوديت ضعيه في التابوت فاقذفيه في اليم - وهو البحر - ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٣] فوضعته في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل.

وكان لفرعون قصور على شط النيل منتزهات فنظر من قصره ومعه آسية امرأته إلى سواد

---

(١) تنزيه الأنبياء ص ٨٧.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٥٣ حديث رقم ١٦٥.

(٣) سورة القصص ؛ الآية: ٧.

في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتى جاءت به إلى قصر فرعون وأمر فرعون بأخذه، فأخذ التابوت ودفع إليه ولما فتحه وجد فيه صبياً فقال هذا إسرائيلي، فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة وكذلك في قلب آسية وأراد فرعون أن يقتله فقالت آسية: لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وهم لا يشعرون أنه موسى، ولم يكن لفرعون ولد، فقال التمسوا له ظئراً[(١)] تربيه فجاؤوا بعدة نساء قد قتل أولادهن، فلم يشرب لبن أحد من النساء وهو قول الله ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾.

وبلغ أمه أن فرعون قد أخذه، فحزنت ثم قالت لأخت موسى قصيه - أي اتبعيه - فجاءت أخته إليه، فبصرت به عن جنب - أي من بعد - وهم لا يشعرون فلما لم يقبل موسى ثدي أحد من النساء، اغتم فرعون غماً شديداً، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فقالوا: نعم، فجاءت بأمه، فلما أخذته بحجرها وألقمته ثديها. التقمه وشرب ففرح فرعون وأهله وأكرموا أمه. فقالوا لها: ربيه لنا فإنا نفعل بك ونفعل. وذلك قول الله: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ﴾[(٢)]. وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلما يلدون ويربي موسى ويكرمه ولا يعلم أن هلاكه على يديه.

ولما درج[(٣)] موسى كان يوماً عند فرعون فعطس فقال الحمد لله رب العالمين. فأنكر ذلك عليه ولطمه وقال: ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته وكان طويل اللحية فهبلها أي قلعها فهم فرعون بقتله فقالت امرأته غلام حدث لا يدري ما يقول فقال فرعون بل يدري فقالت له ضع بين يديك تمراً وجمراً فإن مّيز بين التمر والجمر فهو الذي تقول فوضع بين يديه تمراً وجمراً فقال له كل فمد يده إلى التمر فجاء جبرائيل عليه السلام فصرفها إلى الجمر، فأخذ الجمر فاحترق لسانه وصاح وبكى فقالت آسية لفرعون. ألم أقل إنه لا يعقل؟ فعفى عنه.

فقلت لأبي جعفر عليه السلام: فكم مكث موسى غائباً عن أمه حتى رده الله عليها؟ قال: ثلاثة أيام. قلت له: أخبرني عن الأحكام والقضاء والأمر والنهي أكان ذلك إليهما؟ قال: كان موسى الذي يناجي ربه ويكتب العلم ويقضي بين بني إسرائيل وهارون يخلفه إذا غاب عن قومه للمناجاة قلت: فأيهما مات قبل صاحبه قال: مات هارون قبل موسى، وماتا جميعاً في التيه. قلت: أو كان لموسى ولد؟ قال: لا، كان الولد لهارون.

قال: فلم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة، حتى بلغ مبلغ الرجال، وكان ينكر عليه ما يتكلم من التوحيد، حتى همّ به، فخرج موسى من عنده ودخل مدينة من مدائن فرعون فإذا رجلان يقتتلان، أحدهما يقول بقول موسى والآخر يقول بقول فرعون، فجاء موسى فوكز صاحبه وقضى عليه وتوارى في المدينة، فلما كان من الغد جاء آخر فتشبث بذلك الرجل الذي

---

(١) الظئر: المربية.

(٢) سورة القصص ؛ الآية: ١٣.

(٣) درج الصبي: مشى.

يقول بقول موسى فاستغاث بموسى فلما نظر صاحبه إلى موسى قال له: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس فخلى سبيله وهرب.

وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم إيمانه (ستمائة سنة) وهو الذي قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾[١] الآية.

وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل، فطلبه ليقتله، فبعث المؤمن إلى موسى ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٢] فخرج منها خائفاً يترقب - أي يلتفت يمنة ويسرة - ومر نحو مدين، وكان بينه وبين مدين ثلاثة أيام، فلما بلغ باب مدين، رأى بئراً يستقي الناس منها لأغنامهم، فقعد ناحية ولم يكن أكل منذ ثلاثة أيام شيئاً، فنظر إلى جاريتين في ناحية ومعهما غنيمات لا تدنوان من البئر، فقال لهما: ما بالكما لا تستقيان؟ فقالتا: ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[٣] فرحمهما موسى ودنا من البئر، فقال لمن على البئر: أستسقي لي دلواً ولكم دلواً؟ وكان الدلو يمده عشرة رجال. فاستسقى وحده دلواً لبنتي شعيب وسقى أغنامهما، ثم تولى إلى الظل فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٤] والله ما سأل إلا خبزاً يأكله ببقلة الأرض، ولقد رأوا خضرة البقل في صفاق[٥] بطنه من هزاله.

فلما رجعت ابنتا شعيب قال لهما: أسرعتما الرجوع فأخبرتاه بقصة موسى، ولم تعرفاه، فقال شعيب لواحدة منهن: اذهبي إليه فادعيه لنجزيه أجر ما سقى لنا، فجاءت إليه تمشي على استحياء فقالت له: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. فقام موسى معها فسفقتها الرياح فبان عجزها[٦]، فقال لها موسى: تأخري ودليني على الطريق، فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء.

فلما دخل على شعيب قص عليه قصته فقال شعيب ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قالت إحدى بنات شعيب: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين؟ فقال لها شعيب: أما قوته فقد عرفتيه بسقي الدلو وحده، فبم عرفت أمانته فقالت: إنه قال لي تأخري عني فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء، فهذه أمانته. فقال له شعيب: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك فقال له موسى: ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا سبيل عليَّ. ثم إنه أتم عشراً.

قلت: فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين أيجوز ذلك؟ قال: إن موسى عليه السلام علم أنه يتم بشرطه فكيف لهذا أن يعلم أنه يبقى حتى يفي.

---

(١) سورة غافر؛ الآية: ٢٨.
(٢) سورة القصص؛ الآية: ٢٠.
(٣) سورة القصص؛ الآية: ٢٣.
(٤) سورة القصص؛ الآية: ٢٤.
(٥) صفاق البطن: جلد البطن.
(٦) مؤخر الشيء أو الجسم.

فلما قضى موسى الأجل قال: لا بد أن أرجع إلى وطني وأمي وأهل بيتي فما لي عندك؟ قال شعيب: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلق فهو لك، فعمد موسى عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه فقشر منه بعضه وترك بعضه وغرزه في وسط مربض الغنم وألقى عليه كساء أبلق، ثم أرسل الفحل على الغنم، فلم تضع الغنم في تلك السنة إلا بلقاً، فلما حال عليه الحول، حمل موسى امرأته وزوده شعيب من عنده وساق غنمه، فلما أراد الخروج قال لشعيب: اعطني عصا تكون معي، وكان عصيّ الأنبياء عنده قد ورثها مجموعة في بيت فقال له شعيب: أدخل في هذا البيت وخذ عصاً من بين تلك العصي. فدخل فوثبت عليه عصا نوح وإبراهيم صلوات الله عليهما وصارت في كفه فأخرجها، ونظر إليها شعيب فقال: ردها وخذ غيرها. فوثبت إليه تلك العصا بعينها حتى فعل مثل ذلك مرات، فلما رأى شعيب ذلك قال له: اذهب بها فقد خصك الله بها.

فخرج يريد مصر، فلما صارت في مفازة ومعه أهله أصابهم برد شديد وريح وظلمة وقد جنهم الليل، ونظر موسى إلى نار قد ظهرت فأقبل نحو النار فإذا شجرة ونار تلتهب عليها، فلما ذهب إلى النار يقتبس منها، أهوت إليه ففزع وعدا ورجعت النار إلى الشجرة فالتفت إليها ورجعت إلى مكانها ورجع الثانية ليقتبس، فأهوت نحوه فعدا وتركها، ثم التفت وقد رجعت إلى الشجرة فرجع إليها الثالثة فأهوت نحوه فعدا ولم يرجع، فناداه الله سبحانه: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(١) قال موسى: فما الدليل على ذلك؟ قال الله وما تلك بيمينك يا موسى؟ قال هي عصاي قال: ألقها، فألقاها فصارت حية ففزع منها موسى وعدا، فناداه الله: خذها ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾(٢) ـ أي من غير سمرة ـ وذلك أن موسى كان شديد السمرة، فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا، فقال الله عز وجل: فذلك برهان من ربك إلى فرعون وملئه. فقال موسى عليه السلام ﴿إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾(٣).

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى عليه السلام ذهب يقتبس ناراً، فانصرف منها وهو نبي مرسل(٤).

(عيون الأخبار) في حديث ابن الجهم قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز

(١) سورة القصص؛ الآية: ٣٠.
(٢) سورة القصص؛ الآيات: ٣١ ـ ٣٢.
(٣) تفسير القمي ج٢، ص ١٣٥ ـ ١٤٠ والآية من سورة القصص ٣٥.
(٤) فروع الكافي ٥، ص ٨٣ كتاب المعيشة باب الرزق من حيث لا يحتسب.

وجل: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ﴾ قال هذا من عمل الشيطان قال الرضا عليه السلام: إن موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجلان يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات، قال هذا من عمل الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله، إنه يعني الشيطان عدو مضل مبين. قال المأمون فما معنى قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ قال: يقول إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ﴿فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ - أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني، فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، قال موسى عليه السلام: رب بما أنعمت عليّ من القوة حتى قتلت رجلًا بوكزة فلن أكون ظهيراً للمجرمين بل أجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى فأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب، فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر، قال له موسى: إنك لغوي مبين قاتلت رجلًا بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأؤدبنك وأراد أن يبطش به، فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما وهو من شيعته قال: يا موسى تريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.

قال المأمون: جزاك الله خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه فعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال موسى عليه السلام ﴿فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ففررت منكم لما خفتكم ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[2] . . . الخبر[3].

(إكمال الدين) مسنداً إلى أمير المؤمنين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما حضر يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه، ثم حدثهم بشدة تنالهم تقتل فيها الرجال وتشق بطون الحبالى وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في ولد لاوي بن يعقوب وهو رجل أسمر طويل، ووصفه لهم بنعته فتمسكوا بذلك. ووقعت الغيبة والشدة ببني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربعمائة سنة، حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علائم ظهوره واشتدت البلوى عليهم وحمل عليهم بالخشب والحجارة وطلبوا الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر وتراسلوه وقالوا كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحارى وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء، فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في تلك الوقت حدث السن وقد خرج من دار فرعون يظهر النزاهة فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خز. فلما رآه الفقيه عرفه بالنعت، فقام إليه وانكب

(١) سورة الشعراء؛ الآية: ٢٠.
(٢) سورة الشعراء؛ الآية: ٢١.
(٣) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٧٧ باب ١٥ والاحتجاج للطبرسي ص ٤٢٨.

على قدميه يقبلهما ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك، فلما رأى الشيعة ذلك علموا أنه صاحبهم فأكبوا على الأرض شكراً لله عز وجل فلم يزدهم إلا أن قال أرجو الله أن يعجل فرجكم ثم غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام.

فكانت الغيبة الثانية أشد عليهم من الأولى وكانت نيفاً وخمسين سنة واشتدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنه لا صبر لنا على استتارك عنا فخرج إلى بعض الصحارى واستدعاهم وطيب قلوبهم وأعلمهم أن الله عز وجل أوحى إليه أنه مفرج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا بأجمعهم الحمد لله، فأوحى الله عز وجل قل لهم قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد لله. فقالوا كل نعمة من الله. فأوحى الله إليه قل لهم قد جعلتها عشرين سنة. فقالوا لا يأتي بالخير إلا الله. فأوحى الله إليه قل لهم قد جعلتها عشراً. فقالوا: لا يصرف الشر إلا الله. فأوحى الله إليه قل لهم لا تبرحوا فقد أذنت في فرجكم. فبينا هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً. فأراد الفقيه أن يعرّف الشيعة ما يستبصرون به. وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه ما اسمك؟ فقال: موسى بن عمران بن وهيب بن لاوي بن يعقوب قال بماذا جئت؟ قال بالرسالة من عند الله عز وجل. فقام إليه فقبل يده. ثم جلس بينهم وطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرقهم، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة[١].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: كان شعيب يزور موسى كل سنة. فإذا أكل قام موسى على رأسه وكسر له الخبز[٢].

أقول: فيه إشعار باستحباب قيام صاحب المنزل على رأس ضيفه وأن يخدمه مثل هذه الخدمة ونحوها مما يزيد عليها بمفهوم المخالفة وما ينقص عنها بمفهوم الموافقة.

(الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت عصا موسى لآدم فصارت إلى شعيب ثم صارت إلى موسى، وإنها لعندنا وإن عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها وإنها لتنطق إذا استنطقت أُعدت لقائمنا يصنع بها ما كان يصنع بها موسى عليه السلام وإنها لتصنع ما تؤمر به، حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، تفتح لها شعبتان إحداهما في الأرض والأخرى في السقف وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها[٣]، وكانت من عوسج الجنة[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: إن فرعون لما وقف على زوال ملكه على يد موسى عليه السلام أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وإنه من بني إسرائيل فلم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل

---

(١) بحار الأنوار ١٣، ص ٣٦ - ٣٧.
(٢) قصص الراوندي ص ١٥٢ حديث رقم ١٦١.
(٣) أصول الكافي ج١، ص ٢٣١ كتاب الحجة.
(٤) سعد السعود، ص ١٢٣.

من بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى بحفظ الله تبارك وتعالى إياه[(١)].

(تفسير الإمام العسكري عليه السلام) قال الإمام: قال الله تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم﴾ وأنجينا أسلافكم ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وكان من عذاب فرعون لبني إسرائيل أنه كان يكلفهم عمل البناء على الطين ويخاف أن يهربوا عن العمل فأمر بتقييدهم. وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلاليم إلى السطوح. فربما سقط الواحد منهم فمات أو زمن[(٢)]، ولا يعبأون بهم، إلى أن أوحى الله إلى موسى: قل لا يبتدئون عملًا إلا بالصلاة على محمد وآله الطيبين ليخف عليهم فكانوا يفعلون ذلك فيخف عليهم، وأمر كل من سقط فزمن ممن نسي الصلاة على محمد وآله الطيبين أن يقولها على نفسه إن أمكنه - أي الصلاة على محمد وآله، أو يقال عليه إن لم يمكنه فإنه يقوم ولا تقلّبه يد ففعلوها فسلموا، فقيل لفرعون إنه يولد في بني إسرائيل مولود يكون على يده زوال ملكك، فأمر بذبح أبنائهم، فكانت الواحدة منهن تعطي القوابل الرشوة لكيلا تنم عليها ويتم حملها ثم تلقي ولدها في صحراء أو غار جبل وتقول عليه عشر مرات الصلاة على محمد وآله، فيقيّض[(٣)] الله ملكاً يربيه ويدر من إصبع له لبناً يمصه ومن إصبع طعاماً يتغذاه إلى أن نشأ بنو إسرائيل وكان من سلم منهم ونشأ أكثر ممن قتل.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يبقونهن ويتخذونهن إماء، فضجوا إلى موسى وقالوا: يفترعون[(٤)] بناتنا وأخواتنا، فأمر الله تلك البنات كلما رأى بهن من ذلك ريب صلين على محمد وآله الطيبين، فكان يرد عنهن أولئك الرجال إما بشغل أو مرض أو زمانة أو لطف من ألطافه فلم تفترش منهن امرأة بل دفع الله عز وجل عنهن بصلاتهن على محمد وآله الطيبين، ثم قال عز وجل: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ وفي ذلك الإنجاء الذي أنجاكم منهم ربكم ﴿بَلَاءٌ﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال الله عز وجل: يا بني إسرائيل اذكروا إذ كان البلاء يصرف عن أسلافكم ويخفّ بالصلاة على محمد وآله الطيبين أفما تعلمون أنكم إذا شاهدتموه وآمنتم به كانت النعمة عليكم أفضل وفضل الله عليكم أجزل[(٥)].

قال الثعلبي في كتاب (عرائس المجالس) مات الريان بن الوليد فرعون مصر الأول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يديه، فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف عليه السلام الثاني فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى وكان جباراً، وقبض الله يوسف عليه السلام في ملكه وطال ملكه ثم هلك، وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان بن أراشة بن ثوران بن عمرو بن فاران بن عملاق بن

(١) بحار الأنوار ج١٣، ص ٤٧.
(٢) أي أصابه الزمانة يعني العاهة.
(٣) أي فيجيء الله بملك يربيه.
(٤) افترع البكر: افتضّها أي أزال بكارتها.
(٥) تفسير الإمام: ص ٩٧ - ٩٨.

لاوي بن سام بن نوح عليه السلام وكان أفجر من قابوس، وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد نشروا وكثروا وهم تحت أيدي العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب شرعوا فيهم من الإسلام، حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله ولا أطول عمراً في ملكه ولا أسوأ ملكاً لبني إسرائيل منه، وكان يعذبهم ويستعبدهم وصنفهم في أعماله، فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الأعمال القذرة وقد استنكح منهم فرعون امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم من خيار النساء، فأسلمت على يد موسى ولم يسلم من أهل مصر إلا ثلاثة: آسية وحزقيل ومريم بنت ناموساء التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام، فعمر فرعون وهم تحت يديه أربعمائة سنة، فلما أراد الله أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام، وذلك أن فرعون رأى في منامه أن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأخربتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فدعا فرعون السحرة والمنجمين وسألهم عن رؤياه فقالوا: إنه يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلّك زمانه الذي يولد فيه، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن: اقتلن الغلمان دون البنات.

قال مجاهد: لقد ذكر أنه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار(١) ثم يصف بعضها إلى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني إسرائيل فيوقفن فتحزُّ(٢) أقدامهن حتى أن المرأة منهن لتضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل تطأه، تتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها، فكان يقتل الغلمان الذين كانوا في وقته ويقتل من يولد منهم ويعذب الحبالى حتى يضعن ما في بطونهن، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا: إن الموت وقع في بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها، قالوا فولدت هارون أمه علانية آمنة، فلما كان العام المقبل حملت بموسى، فلما وضعته أمرها الله سبحانه بوضعه في التابوت ولفظه في الماء، حتى أتى به إلى قصر فرعون، وأتت به آسية إلى فرعون وقالت: قرة عين لي ولك لا تقتله فقال: قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لي فيه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون ابنه كما أقرت به لهداه الله تعالى كما هدى زوجته، ولكن الله تعالى حرمه ذلك، فلما آمنت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله وهو موسى، لأنه وجد بين الماء والشجر، و (مو) بلغة القبط الماء و (شا)(٣) الشجر، فعرب فقيل موسى.

---

(١) الشفار: جمع شفرة، السكين الحاد.

(٢) في المصدر فتجرح.

(٣) في المصدر (شى) ولعله الأصح.

وعن ابن عباس: أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم شرارهم فسلط الله عليهم القبط يعذبونهم. قال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى سبعين ألف وليد.

وعن ابن عباس: أن أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل مصافية[١] لها، فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فأتتها وقبلتها، فلما وقع موسى عليه السلام بالأرض هالها نور بين عيني موسى، فارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها.

ولما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: هذا الحرس بالباب، فطاش عقلها، فلفته في خرقة ووضعته في التنور وهو مسجور[٢]، فدخلوا فإذا التنور مسجور ولم يروا شيئاً وخرجوا من عنده فرجع إليها عقلها، فقالت لأخت موسى فأين الصبي؟ قالت: لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه، وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً فاحتملته.

وعن ابن عباس قال: انطلقت أم موسى إلى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال لها ما تصنعين به؟ قالت ابن لي أخبؤه فيه، وكرهت أن تكذب فانطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده فلم يدر الأُمناء، فلما أعياهم أمره، قال كبيرهم: اضربوه فضربوه وأخرجوه، فوقع في واد يهوي[٣] فيه حيران، فأشهد الله تعالى عليه إن رد له لسانه وبصره أن لا يدل عليه ويكون معه يحفظه حيثما كان. فرد الله عليه بصره ولسانه، فآمن به وصدقه، فانطلقت أم موسى وألقته في البحر وذلك بعد ما أرضعته ثلاثة أشهر، وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان بها برص شديد وقد قالت أطباء مصر والسحرة إنها لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد منه شيء شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا من ساعة كذا.

فلما كان يوم الإثنين غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية فأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها تلاعبهن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فأخذوه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، للذي أراد الله أن يكرمها، ففتحت الباب فإذا نور ما بين عينيه، وقد جعل الله تعالى رزقه في إبهامه يمصه لبناً، فألقى الله حبه في قلبها، وأحبه فرعون، فلما أخرجوه عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت، فضمته إلى صدرها وقبلته، فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن أن هذا المولود هو ذلك الذي تحذر منه، فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فوهبه لها.

---

(١) مصافية: مخلصة.

(٢) سجر التنور: أوقده وأحماه.

(٣) هوى: سقط.

وقال أهل السير لما بلغ موسى أشده وكبر، كان يركب مراكب فرعون وكان يدعى موسى ابن فرعون، فركب ذات يوم وركب موسى في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف(١) فدخلها نصف النهار وقد غلقت اسواقها وليس في طرقها أحد، وذلك قوله تعالى ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فبينا هو يمشي في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون والذي من شيعته يقال إنه السامري والذي من عدوه كان خبازاً لفرعون واسمه قاثون وكان اشترى حطباً للمطبخ، فتنجز السامري ليحمله فامتنع. فلما مر بهما موسى عليه السلام استغاث به فقال موسى للقبطي: دعه، فقال الخباز: إنما آخذه لعمل أبيك فأبى أن يخلي سبيله فغضب موسى فبطش به، وخلص السامري من يده، فنازعه القبطي فوكزه موسى، فقتله وهو لا يريد قتله، فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار.

فقيل له إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلًا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا فقال: ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه فطلبوا ذلك فبينا هم يطوفون إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى عليه السلام فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي: إنك لغوي مبين، فخاف الإسرائيلي من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام فظن أنه يريد قتله فقال له يا موسى ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي﴾ الآية.

وإنما قال ذلك مخافة من موسى وظناً أن يكون إياه أراد، وإنما أراد الفرعوني فتتاركا وذهب إلى فرعون وأخبره بما سمع من الإسرائيلي، فأرسل فرعون الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه في الطرق فإنه غلام لا يهتدي إلى الطريق فجاءه رجل من أقصى المدينة من شيعته يقال له: حزقيل وكان على تقية من دين إبراهيم الخليل وكان أول من صدق بموسى وآمن به.

(وروي) عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيأتي الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم. فجاء حزقيل فاختصر طريقاً حتى سبق الذباحين إليه، وأخبره بما همَّ به فرعون. فذلك قوله﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ...﴾ الآية.

فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاء ملك على فرس بيده عنزة فقال: اتبعني فتبعه فهداه إلى مدين وكان مسيرة ثماني ليال ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر، فما وصل إليها حتى وقع خف قدميه وإن خضرة البقل تتراءى من بطنه، ثم إنه اتصل بشعيب وبقي عنده المدة المشروطة، فلما قضى أتم الأجلين وسار بأهله منفصلًا من أرض مدين يؤم الشام ومعه أغنامه وامرأته وهي

---

(١) منف: بالفتح ثم السكون وفاء: إسم مدينة فرعون بمصر (معجم البلدان).

في شهرها، فانطلق في برية الشام عادلاً عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام، فسار غير عارف بالطريق حتى انتهى إلى جانب الطور الغربي الأيمن في عشية شتائية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق وعمد موسى إلى زنده وقدحه مرات فلم تور، فتحير وقام وقعد وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد، تحيراً وضجراً، فبينا هو كذلك إذ أنس من جانب الطور ناراً، فحسبه ناراً ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾[1] يعني من يدلني على الطريق. وقد كان ضل الطريق، فلما أتاها رأى نوراً عظيماً ممتداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك. واختلفوا فيها. فقيل: العوسجة. وقيل: العناب.

فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى ناراً عظيمة ليس لها دخان يلتهب من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار إلا عظماً ولا الشجرة إلا خضرة، فلما دنا استأخرت عنه، فخاف عنها ورجع، ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها فدنت منه، فنودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ فنظر فلم ير أحداً، فنودي: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلما سمع ذلك علم أنه ربه واقترب، فلما قرب منه وسمع النداء ورأى تلك الهيبة، خفق قلبه وكل لسانه وصار حياً كميت فأرسل الله إليه ملكاً يقوي قلبه، فلما رجع إليه رشده، نودي: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[2] ثم قال الله سبحانه تسكيناً لقلبه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ...﴾ الآية.

واختلف في اسم العصا. فقيل: اسمها ما شاء الله. وقيل: غياث. وقيل: عليق، وأما صفاتها والمآرب التي كانت فيها لموسى عليه السلام:

فقال أهل العلم: كان لعصى موسى شعبتان ومحجن في أصل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها. فكان موسى إذا دخل مفازة ليلاً ولم يكن قمر، تضيء شعبتاها من نور مد بصره، وكان إذا أعوزه الماء أدلاها في البئر فجعلت تمتد إلى قعر البئر وتصير في رأسها شبه الدلو ويستقي وإذا احتاج إلى الطعام ضرب الأرض بعصاه فيخرج ما يأكل يومه وكان إذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرزها في الأرض فتغصنت أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها.

ويقال: كان عصاه من اللوز، وكان إذا قاتل عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يتناضلان، وكان يضرب بها على الجبل الصعب الوعر المرتقى فيفرج، وإذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضربها وبدا له طريق يمشي فيه، وكان يشرب أحياناً من إحدى الشعبتين اللبن ومن

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢.

الأُخرى العسل، وكان إذا أعيى في طريقه يركبها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك رجل وكانت تدله على الطريق وتقاتل أعداءه وإذا احتاج موسى إلى طيب فاح منها الطيب حتى يتطيب منها ثوبه وإذا كان في طريق فيه لصوص تكلمت العصا وتقول له: خذ بجانب كذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع والحيات والحشرات وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته وكساءه وطعامه وسقاءه.

وقال شعيب لموسى، حين زوجه ابنته وسلم إليه أغنامه يرعاها: اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلأ بها أكثر فإن فيها تنيناً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام. فلما بلغ مفرق الطريقين أخذت الأغنام ذات اليمين، فاجتهد موسى على أن يصرفها إلى ذات الشمال فلم تطعه، فنام موسى والأغنام ترعى، فإذا بالتنين قد جاء، فقامت عصا موسى فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت على جنب موسى وهي دامية، فلما استيقظ موسى عليه السلام رأى العصا دامية والتنين مقتولًا، فعلم أن في تلك العصا لله قدرة.

فهذه مآرب موسى فيها إذا كانت عصا، فأما إذا ألقاها موسى عليه السلام فيرى أنها تنقلب حية كأعظم ما يكون من التنانين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم ولها اثنا عشر ناباً يخرج منها لهب يهب من فيها ريح السموم لا يصيب شيئاً إلا أحرقته وكانت تكون في عظم الثعبان وخفة الجان ولين الحية، وذلك موافق لنص القرآن حيث قال في موضع: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وفي موضع آخر: ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ الحديث[1].

(وروي) أن بنت شعيب لما قالت لموسى: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بداً أن يتبعها، لأنه كان في أرض مسبعة وخوف، فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيئاً، فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى: أعوذ بالله. قال شعيب: ولم ذاك؟ ألست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً عما سقيت لهما وإنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً فقال له شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونطعم الطعام. والتي تزوج بها موسى اسمها: صفورة والأُخرى ليا.

وقيل: اسم الكبرى صفرا، واسم الصغرى صفيرا.

---

(١) عرائس المجالس للثعلبي ص ١٤٧ . ١٥٧ وقد اختصر المصنف طاب ثراه وأسقط منه الكثير كراهة التطويل.

الفصل الثالث

في معنى قوله تعالى: ﴿فاخلع نعليك﴾ وقول موسى: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ وتسمية الجبل: طور سيناء

(علل الشرائع) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عز وجل لموسى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ لأنها من جلد حمار ميت(١).

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قال: يعني: ارفع خوفيك، يعني خوفه من ضياع أهله. وقد خلفها تمخض، وخوفه من فرعون(٢).

قال الصدوق: سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن طيفور الدامغاني الواعظ يقول في قول موسى عليه السلام: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(٣) قال: يقول: إني أستحي أن أكلمك بلساني الذي كلمت به غيرك فيمنعني حيائي منك عن محاورة غيرك، فصارت هذه الحالة عقدة من لساني فاحللها بفضلك، ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي﴾(٤) معناه أنه سأل الله عز وجل أن يأذن له في أن يعبر عنه هارون فلا يحتاج أن يكلم فرعون بلسان كلم الله عز وجل به(٥).

وفيه عن ابن عباس قال: إنما سمي الجبل الذي كان عليه طور سيناء لأنه جبل كان عليه شجر الزيتون وكل جبل يكون عليه ما ينتفع به من النبات والأشجار سمي طور سينا وطور سينين، وما لم يكن عليه ما ينتفع به من النبات والأشجار سمي طور، لا يقال له طور سينا ولا طور سينين(٦).

(الاحتجاج) سأل سعد بن عبد الله القائم عليه السلام عن قول الله عز وجل لنبيه موسى عليه السلام ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فإن فقهاء الفريقين يزعمون أنها كانت من إهاب الميتة فقال عليه السلام: من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوته، إنه ما خلا الأمر من خصلتين: إما أن كانت صلاة موسى عليه السلام فيها جائزة أو غير جائزة فإن كانت جائزة فيها، فجاز لموسى أن يكون يلبسها في تلك البقعة. وإن كانت مقدسة مطهرة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها، فقد أوجب أن موسى لم يعرف الحلال والحرام ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه مما لم تجز. وهذا كفر.

---

(١) و(٢) علل الشرائع ج١، ص ٨٥ باب ٥٥.
(٣) و(٤) سورة طه، الآيات: ٢٧-٣٠.
(٥) علل الشرائع ج١، ص ٨٥ باب ٥٥.
(٦) علل الشرائع ج١، ص ٨٦، باب ٥٧.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيها. قال: إن موسى عليه السلام كان بالواد المقدس فقال: يا رب إني أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك وكان شديد الحب لأهله، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أي انزع حب أهلك من قلبك، إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً[١].

أقول: اختلف المفسرون في سبب الأمر بخلع النعلين، على أقوال:

الأول: إنهما كانتا من جلد حمار ميت، وقد تقدم ما يدل على أنه محمول على التقية.

الثاني: إنه كان من جلد بقرة ذكية. ولكنه أمر بخلعها ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الوادي المقدس.

الثالث: إن الحفاء من علامة التواضع، ولذلك كانت السلف تطوف حفاة.

الرابع: إن موسى عليه السلام إنما لبس النعل اتقاء من الأنجاس وخوفاً من الحشرات، فآمنه الله مما يخاف وأعلمه بطهارة الموضع.

الخامس: إن المعنى فرغ قلبك من حب الأهل والمال.

السادس: إن المراد: فرغ قلبك عن ذكر الدارين[٢].

وفي خبر ابن سلام، أنه سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الوادي المقدس لم سمي المقدس؟ قال: لأنه قدست فيه الأرواح واصطفيت فيه الملائكة وكلم الله موسى تكليماً[٣].

الفصل الرابع

في بعثة موسى وهارون إلى فرعون وتفصيل الأحوال إلى وقت غرق فرعون وقومه

أما الآيات الواردة فيه فكثيرة، وأما الأخبار فمستفيضة.

قال الثقة علي بن إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[٤] قال كان فرعون يعبد الأصنام ثم ادعى بعد ذلك الربوبية فقال فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾[٥] فقال الذين آمنوا لموسى: قد أوذينا قبل

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ٤٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج١٣، ص ٦٦.

(٣) علل الشرائع ج٢، ص ١٨٣ باب ٢٢٢ برقم ٣٣.

(٤) و(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.

مجيئك يا موسى بقتل أولادنا ومن بعد ما جئتنا، لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى فقال موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[١].

ذلك أنه لما سجد السحرة، آمن الناس بموسى، فقال هامان لفرعون: إن الناس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كل من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: خل عن بني إسرائيل فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا فيها الخيام.

فقال فرعون لموسى ادع ربك حتى يكف عنا الطوفان حتى أخلي عن بني إسرائيل وأصحابك. فدعا موسى ربه فكف عنهم الطوفان، وهمّ فرعون أن يخلي عن بني إسرائيل، فقال له هامان: إن خليت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك فقبل منه ولم يخل عن بني إسرائيل.

فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فأكلت كل شيء لهم من النبت والشجر حتى كادت تجرد شعرهم ولحاهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال: يا موسى ادع ربك أن يكف عنا الجراد حتى أخلي عن بني إسرائيل وأصحابك فدعا موسى ربه فكف عنهم الجراد. فلم يدعه هامان أن يخلي عن بني إسرائيل.

فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمل[٢] فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن دفعت عنا القمل كففت عن بني إسرائيل فدعا موسى ربه حتى ذهب القُمَّل. وقال: أول ما خلق الله القُمَّل، في ذلك الزمان، فلم يخل عن بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم.

ويقال: إنها تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فجاؤوا إلى موسى فقالوا ادع الله أن يذهب عنا الضفادع فإن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم ذلك.

فلما أبوا أن يخلوا عن بني إسرائيل، حول الله ماء النيل دماً، فكان القبطي يراه دماً، والإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً وإذا شربه القبطي يشربه دماً، فكان القبطي يقول للإسرائيلي خذ الماء في فمك وصبه في فمي فكان إذا صبه في فمه تحول دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئن رفع عنا الدم لنرسلن معك بني إسرائيل فلما رفع عنهم غدروا ولم يخلوا عن بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الرجز - وهو الثلج الأحمر - ولم يروه

---

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

(٤) القُمَّل: شيء يقع في الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي غضة قبل أن تخرج فيطول الزرع ولا سنبل له، وقيل: هو السوس أو ما شابه.

قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه من قبل، فقالوا لموسى: ادع لنا بما عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل فكشف عنهم الثلج فخلوا عن بني إسرائيل.

فلما خلي عنهم اجتمعوا إلى موسى، وخرج موسى من مصر واجتمع إليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك فقال له هامان قد نهيتك أن تخلي عن بني إسرائيل فقد استجمعوا إليه فجزع فرعون وبعث وخرج في طلب موسى(١).

أقول: إن فرعون كان يستعبد الناس ويعبد الأصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقرباً إليه. وقيل: كان يعبد ما يستحسن من البقر.

وروي أنه كان يأمرهم أيضاً بعبادة البقر، ولذلك أخرج السامري لهم عجلاً، وأما الطوفان فقيل: هو الماء الخارج عن العادة. وقيل: هو الموت الذريع(٢).

وقيل: هو الطاعون - بلغة اليمن - أرسل الله ذلك على أبكار آل فرعون في ليلة، فلم يبق منهن إنسان ولا دابة. وقيل: هو الجدري، وهم أول من عذبوا به، فبقي في الأرض.

واختلف في القمل أيضاً: فقيل: هو صغار الجراد لا أجنحة لها. وقيل: صغار الذر. وقيل: دواب سود كالقراد. وقيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

تفسير علي بن إبراهيم بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: لما بعث موسى عليه السلام إلى فرعون أتى بابه فاستأذن عليه فضرب بعصاه الباب، فاصطكت الأبواب ففتحت ثم دخل على فرعون فأخبره أنه رسول رب العالمين، وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٣) يعني كفرت نعمتي، فتجاوبا الكلام، إلى أن قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾(٤) فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلا هرب، ودخل فرعون من الرعب ما لم يملك، فقال فرعون أنشدك الله والرضاع إلا كففتها عني ثم ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾(٥) فلما أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهم بتصديقه، فقام إليه هامان فقال: بينما أنت إله تعبد إذ صرت تابعاً لعبد ثم قال فرعون للملأ الذين حوله ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾(٦).

وكان فرعون وهامان قد تعلما السحر وإنما غلبا الناس بالسحر وادّعى فرعون الربوبية

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ٢٣٦ - ٢٣٨ في تفسيره لسورة الأعراف الآية ٢٧.
(٢) موت ذريع: سريع فاش لا يكاد الناس يتدافنون.
(٣) سورة الشعراء؛ الآيتان: ١٨ - ١٩.
(٤) و(٥) سورة الشعراء؛ الآيتان: ٣٠-٣٣.
(٦) سورة الشعراء؛ الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

بالسحر. فلما أصبح بعث في المدائن حاشرين وجمعوا ألف ساحر واختار من الألف ثمانين، فقال السحرة لفرعون قد علمت أنه ليس في الدنيا أسحر منا فإن غلبنا موسى فما عندك؟ قال أشارككم في ملكي، قالوا: فإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا، علمنا أن ما جاء به ليس بسحر، آمنا به وصدقناه. فقال فرعون: فإن غلبكم موسى صدقته أنا أيضاً معكم، وكان موعدهم يوم عيد لهم.

فلما ارتفع النهار وجمع فرعون الخلق والسحرة، وكانت له قبة طولها في السماء سبعون ذراعاً وقد كانت لبست بالفولاذ المصقول وكان إذا وقعت عليها الشمس لم يقدر أحد أن ينظر إليها من لمع الحديد ووهج الشمس.

فقالت السحرة لفرعون إنا نرى رجلًا ينظر إلى السماء ولن يبلغ سحرنا السماء، وضمنت السحر من في الأرض فقالوا لموسى: إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾(١) فأقبلت تضطرب مثل الحيّات فقالوا ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾(٢) فأوجس في نفسه خيفة موسى فنودي: لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص، ثم طلع رأسها وفتحت فاها ووضعت شدقها(٣) العليا على رأس قبة فرعون ثم دارت والتقمت عصا السحرة وحبالهم وانهزم الناس حتى رأوا عظمها فقتل في الهزيمة من وطء الناس بعضهم بعضاً عشرة آلاف رجل وامرأة وصبي ودارت على قبة فرعون.

قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما وغشي عليهما من الفزع ومر موسى في الهزيمة مع الناس فناداه الله: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ فرجع موسى ولف على يديه عباءة ثم أدخل يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ﴾(٤) لما رأوا ذلك و﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾(٥) فغضب فرعون (من) ذلك وقال ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٦) فقالوا له ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ﴾(٧) فحبس فرعون من آمن بموسى في السجن، حتى أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والضفادع والدم فأطلق فرعون عنهم.

فأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾(٨) فخرج موسى ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر، وجمع فرعون أصحابه وبعث في المدائن حاشرين وحشر الناس وقد تقدم مقدمته في ستمائة ألف وركب هو في ألف وألف وخرج، كما حكى الله عز وجل ﴿فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ

---

(١) و(٢) سورة الشعراء؛ الآية: ٤٣-٤٤.

(٣) أي شفتها.

(٤-٨) سورة الشعراء؛ الآيات: ٤٦-٥٢.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(١) فلما قرب موسى من البحر وقرب فرعون من موسى ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(٢) فقال موسى ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٣) - أي سينجيني - فدنا موسى من البحر فقال له انفرق فقال له البحر: استكبرت يا موسى أن تقول لي أنفرق لك ولم أعص الله طرفة عين وقد كان فيكم العاصي فقال له موسى: فاحذر أن تعصي وقد علمت أن آدم أُخرج من الجنة بمعصيته، وإنما لعن إبليس بمعصيته قال البحر: عظيم ربي مطاع أمره.

فقام يوشع بن نون فقال لموسى: يا رسول الله ما أمرك ربك؟ فقال بعبور البحر، فاقتحم فرسه الماء، وأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾(٤) فضربه، فكان كل فرق كالطود العظيم فضرب له في البحر اثني عشر طريقاً فأخذ كل سبط في طريق، فكان قد ارتفع الماء وبقيت الأرض يابسة طلعت فيها الشمس ويبست ودخل موسى البحر وكان أصحابه اثني عشر سبطاً، فضرب الله لهم في البحر اثني عشر طريقاً، فأخذ كل سبط في طريق وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال فجزعت الفرقة التي كانت مع موسى في طريقه فقالوا: يا موسى أين إخواننا؟ فقال لهم: معكم في البحر، فلم يصدقوه، فأمر الله البحر فصار طاقاتٍ حتى كان ينظر بعضهم إلى بعض ويتحدثون.

وأقبل فرعون بجنوده فلما انتهى إلى البحر قال لأصحابه: ألا تعلمون أن ربكم الأعلى قد فرج لكم البحر. فلم يجسر أحد أن يدخل البحر وامتنعت الخيل منه لهول الماء، فتقدم فرعون فقال له منجمه لا تدخل البحر وعارضه، فلم يقبل منه وأقبل إلى فرس حصان فامتنع الفرس أن يدخل الماء، فعطف عليه جبرائيل عليه السلام وهو على ماديانة(٥) فتقدّمه ودخل فنظر إلى الرمكة فطلبها ودخل البحر واقتحم أصحابه خلفه، فلما دخلوا كلهم حتى كان آخر من دخل من أصحابه وآخر من خرج من أصحاب موسى، أمر الرياح فضربت البحر بعضه ببعض، فأقبل الماء يقع عليه مثل الجبال فقال فرعون عند ذلك ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٦). فأخذ جبرائيل كفاً من حمأة فوضعها في فيه ثم قال: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾(٧).

وذلك أن قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر وهووا من البحر إلى النار. وأما فرعون فنبذه الله وحده وألقاه بالساحل، لينظروا إليه وليعرفوه وليكون لمن خلفه آية ولئلا يشك أحد في هلاكه وأنهم كانوا اتخذوه رباً، فأراهم الله إياه جيفة ملقاة بالساحل، ليكون لمن خلفه عبرة.

(١-٤) سورة الشعراء؛ الآيات: ٥٧ - ٦٣.

(٥) في حاشية البحار ج١٣، ص ١٢٣ ذكر أن ماذيانة لفظ عجمي وبالعربية الرمكة وهي الفرس أو البرذونة تتخذ للنتاج.

(٦) و(٧) سورة يونس؛ الآيتان: ٩٠ - ٩١ وقصة موسى مع فرعون من تفسير القمي ج٢، ص ١١٩ - ١٢٢.

وقال الصادق عليه السلام: ما أتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلا كئيباً حزيناً ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون، فلما أمره الله بنزول هذه الآية: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ نزل عليه وهو ضاحك مستبشر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أتيتني إلا والحزن في وجهك حتى الساعة قال: نعم، يا محمد لما غرق الله فرعون قال ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فأخذت حمأة فوضعتها في فيه، ثم قلت له ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعملت ذلك من غير أمر الله، خفت أن تلحقه الرحمة من الله ويعذبني على ما فعلت، فلما كان الآن وأمرني ربي الله أن أؤدي إليك ما قلته أنا لفرعون آمنت وعلمت أن ذلك كان رضاً لله تعالى:

وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ فإن موسى عليه السلام أخبر بني إسرائيل أن الله قد غرّق فرعون، فلم يصدقوه، فأمر الله البحر فلفظ به على ساحل البحر حتى رأوه ميتاً[(١)].

(علل الشرائع وعيون الأخبار) بإسناده إلى إبراهيم الهمداني قال: قلت للرضا عليه السلام لأي علة أغرق الله فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده؟ قال: لأنه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله في السلف والخلف. قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾[(٢)] وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(٣)] فقيل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾[(٤)].

وقد كان فرعون من قدمه إلى قرنه في الحديد. فلما أُغرق ألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة، فيرونه مع تثقله بالحديد على مرتفع من الأرض وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آية وعلامة. ولعلة أخرى أغرقه الله عز وجل وهي أنه استغاث بموسى لما أدركه الغرق، ولم يستغث بالله، فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى لم تغث فرعون، لأنك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته[(٥)].

أقول: هذان الوجهان ذكرهما العلماء في أول الوجوه وذكروا وجوهاً أُخر:

منها - أنه لم يكن مخلصاً في هذه الكلمة، بل إنما تكلم بها توسلاً إلى دفع البلية الحاضرة.

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ٣١٦.
(٢) سورة غافر؛ الآيتان: ٨٤ و ٨٥.
(٣) و(٤) سورة يونس؛ الآيات: ٩٠-٩٢.
(٥) علل الشرائع ج١، ص ٧٧ باب ٥٣ وعيون أخبار الرضا ج٢، ص ٨٣ باب ٣٢.

ومنها - أن ذلك الإقرار كان منبئاً عن محض التقليد. ألا ترى أنه قال ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

ومنها - أن أكثر اليهود كانت قلوبهم مائلة إلى التشبيه والتجسيم، ولذا اشتغلوا بعبادة العجل، لظنهم أنه تعالى في جسده، فكأنه آمن بالإله الموصوف بالجسمية. وكل من اعتقد ذلك كان كافراً.

ومنها - أنه أقر بالتوحيد فقط ولم يقر بنبوة موسى، فلذا لم يقبل منه(١).

وفيه عنه عليه السلام: في قول فرعون ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ من كان يمنعه؟ قال منعته رشدته، ولا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا(٢).

أقول: الرشدة طيب الولادة، وفرعون لم يتولد من الزنا، ومن ذلك جاء في الأخبار الصحيحة: أن الألوف الذين حضروا واقعة الطفوف كانوا ما بين ولد زنية أو حيضة، ولعل التفصيل إشارة إلى من أعان على القتال، تبين فيه نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام. وورد أنه لا يبغضهم إلا ولد من الزنا. وأما من حضر وكثر السواد ولم يقاتل فهو ممن حمل به في الحيض.

وفي (قصص الأنبياء) عن العبد الصالح صلوات الله عليه قال: كان من قول موسى حين دخل على فرعون: اللهم إني أدرأ بك في نحره(٣) وأستجير بك من شره وأستعين بك، فحول الله ما كان في قلب فرعون من الأمن خوفاً(٤).

وروى الصدوق قال: غار النيل على عهد فرعون، فأتاه أهل مملكته فقالوا: أيها الملك أجر لنا النيل، قال: إني لم أرض عنكم، ثم ذهبوا فأتوه فقالوا: أيها الملك نموت ونهلك ولئن لم تجر لنا النيل لنتخذن إلهاً غيرك قال: اخرجوا إلى الصعيد فخرجوا، فتنحى عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه، فألصق خده بالأرض وأشار بالسبابة وقال: اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيده وإني أعلم أنك تعلم أنه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فأجره.

قال: فجرى النيل جرياً لم يجر مثله، فأتاهم فقال لهم: إني قد أجريت لكم النيل، فخروا له سجداً. وعرض له جبرائيل عليه السلام فقال: أيها الملك أعني على عبد لي، قال: فما قصته؟ قال: عبد لي ملكته على عبيدي وخولته على مفاتيحي فعاداني وأحب من عاداني وعادى من أحببت. قال: لبئس العبد عبدك، لو كان لي عليه سبيل لأغرقته في بحر القلزم(٥)، قال: أيها

---

(١) تفسير الرازي ج١٧، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) علل الشرائع ج١، ص ٧٥ - باب ٥٢.

(٣) في نسخة (إليك في نحره).

(٤) قصص الراوندي ص ١٥٤ حديث رقم ١٦٧.

(٥) القلزم: ابتلاع الشيء وسمي قلزماً لابتلاعه من ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله وهو على بحر الهند (معجم البلدان).

الملك اكتب لي بذلك كتاباً فدعى بكتاب ودواة فكتب ما جزاء العبد الذي يخالف سيده فأحب من عادى وعادى من أحب إلا أن يغرق في بحر القلزم قال: أيها الملك اختمه، فختمه ثم دفعه إليه. فلما كان يوم البحر أتاه جبرائيل عليه السلام بالكتاب فقال: خذ هذا ما استحققت به على نفسك وهذا ما حكمت به على نفسك(١).

أقول: قد أوردوا شبهة في هذا المقام وهو أنه يلزم من إجراء الماء مثلاً على يدي فرعون إغراء قومه وغيرهم باتباعه وقبول قوله، وهذا غير جائز على الحكيم، ولم أر من تعرض للجواب عنها، لأنها شبهة فاسدة في نفس الأمر، إلا أن الشبهات كلها من هذا الباب، فلزم التعرض للجواب عنها، مع أنها لا اختصاص لها في هذا الباب المورد، بل جارية في موارد كثيرة كما ستعرف إن شاء الله تعالى. والجواب عنها من وجوه:

الوجه الأول: إن الأمور التي يظهر بطلانها على العامة والخاصة، ومن أعمل العقل فيها لا إغراء للناس في وجودها، وذلك أن ربوبية فرعون كانت أمراً باطلاً تدركه العقول والأوهام والأفهام ومن طاوعه عليها لم يكن منها على يقين، ولهذا قالوا له لئن لم تجر لنا النيل لنتخذن إلهاً غيرك.

فظهر أن سجودهم له وقولهم بربوبيته إنما هو مستند إلى أطماع الدنيا واعتباراتها والهرب من شره وعذابه الذي كان يوقعه لغيرهم وقد أطاعوا في متابعته الأهواء والوساوس الشيطانية، وما كانت التقية تبلغ بهم إلى ذلك الحد وارتكاب الأقوال الباطلة. وبالجملة فقوله لهم ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، أمر ظاهر البطلان، وحينئذ فإجراء ماء النيل مثلًا لا يلزم منه إغراؤهم بالقول بربوبيته.

نعم إذا وقع التحدي للنبي أو الإمام صلوات الله عليهم بأمر من الأمور الدالة على صدق دعواهم لا يجوز إجراؤه على يد المبطل من غيرهم.

ولهذا لما ادعى الإمامة في زمن الكاظم عليه السلام جماعة من إخوته وبني عمه كان يتحداهم بالجلوس وسط النار، مع أن دخول النار والجلوس فيها مبتذل في هذه الأعصار لكثير من عوام مذهبنا مذهب المخالفين.

الوجه الثاني: إن الله سبحانه أقسم بعزته أنه لا يضيع عمل عامل ومن يرد حرث الدنيا في ذلك العمل يؤته منها ومن يرد حرث الآخرة يؤته منها.

ومن هذا جاء في الأخبار: أن إمهال الشيطان إلى يوم القيامة وتسلطه على بني آدم وما أعطاه الله سبحانه مما طلب، إنما سبب عبادته في السماء. كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه عبد الله في السماء ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة.

---

(١) علل الشرائع ج١، ص ٧٥ ـ ٧٦ باب ٥٣.

وأما فرعون فجاء في الأخبار أن الله سبحانه أمهله أربعمائة سنة، يدعي فيها الربوبية، لأنه كان حسن الأخلاق سهل الحجاب وما جلس على مائدة إلا كان فيها الأيتام والمساكين.

روي عن علي عليه السلام: إنما أمهل الله فرعون في دعوته لسهولة إذنه وبذل طعامه، فجوزي في الدنيا على أعماله.

وكون ذلك الجزاء مستلزماً لنقص الغير مما يمكن الاحتراز عنه لا يمنع منه، لأن جزاء إبليس على عمله، استلزم تسلطه على بني آدم، لكنه لا يؤول إلى جبرهم بل هم مختارون في الطاعة.

وهذا الوجه يجري في موارد كثيرة، وذلك أن كفار الهند وغيرهم إذا تعبدوا لله سبحانه بزعمهم يجري على أيديهم الأفعال الغريبة كالإخبار عن الغائبات ونحوها. ومثل جماعة من أهل الخلاف يجري على يدي جماعة من مشايخهم جزاء لعبادتهم ما لا يجري على يدي غيرهم من أهل الله.

الوجه الثالث: إن فرعون وهامان كانا حاذقين في السحر وبه غلبا على قومهما فلعل تلك الأفعال الغريبة كانت مستندة إلى السحر، ولا ينافيه سجوده وتضرعه لله تعالى ودعاؤه. فإن السحرة لا يخلو سحر من سحرهم عن الآيات والأدعية، وإن ضموا إليها أموراً أُخرى. فلعل جريان النيل كان من ذلك العلم. ويجري أيضاً في غيره من الموارد في الكفار والمخالفين.

الوجه الرابع: إن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون طريق التكليف مقروناً بالألطاف والتوفيقات ومحفوفاً بالابتلاء والاختبار ومعارضات العقول والأوهام ليتميز المؤمن من غيره والمجاهد من القاعد ومن يغلب الهوى عليه ممن يجري على مقتضى العقول وبزوال الأوهام.

وذلك أن الله سبحانه أرسل إلى فرعون وقومه وموسى وهارون الحجج القاطعة والآيات الباهرة والألطاف الإلهية والتوفيقات الربانية، ولو عملوا فيها بمقتضى العقول وتجردوا عن الأوهام والشكوك لكانت موجبة لإيمانهم.

وأما الذي جرى على يد فرعون من الأمور الغريبة، فكان من باب الابتلاء والاختبار لقومه. وهذا مما ليس فيه إغراء ولا يوجب لفرعون ربوبية ولا نبوة. وهذا أيضاً يجري في غيره من الموارد الكثيرة في طبقات الكفار والمخالفين.

فإن كون عبد السلام البصري مثلًا يلزم الحيات ويدخل مع تلاميذه النار ويفعل الأفعال الغريبة لا يوجب أن يكون مذهبه على الحق ولا أن تكون طريقته هي المثلى لأن الكثير من كفار الهند وغيرهم يصنعون ما هو أغرب وأعجب.

الوجه الخامس: إن الحكمة الإلهية قد جرت بأنه إذا أكمل الحجة على عباده وأقام فيهم البراهين وأكمل فيهم العقول وأرسل إليهم الأنبياء، ولم يبق لهم عذر فإن أطاعوه وقبلوا الإيمان

به وبرسله، جازاهم في الدنيا والآخرة، وإن أبوا إلا العناد واللجاج وتكذيب الآيات والرسل، أمهلهم وأملى لهم واستدرجهم وكلما ازدادوا في الطغيان زادت عليهم النعم وهم يحسبون أنه من صنيع الله إليهم وإحسانه عليهم.

كما قال عز شأنه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾(١) فما كان يصنعه جل وعز إلى فرعون وقومه من نعم الدنيا، كان من باب الإملاء والاستدراج، وهكذا الحال في بعض الموارد، فإن الكوفي أبا (. . .) كان يقول في مجلس الكوفة: قال علي، وأنا أقول. يعني خلافاً لقوله.

ولا شك أن قول علي عليه السلام هو حكم الله تعالى، وإن غايره يكون حكم الشيطان، فقد جعل نفسه وفتواه شريكاً لله تعالى، ومع ذلك أمهله الله تعالى واستدرجه في نعم الدنيا والاعتبار عند الملوك والسلاطين واعتماد الناس على أقواله ومذاهبه في حياته وبعد مماته إلى يوم القيامة. والناس يظنون أن ذلك من ألطاف الله سبحانه عليه، وليس هو إلا استدراجاً وجزاء لأعماله. فإنه حكي عنه أنه قام الليل من نصفه أو من أوله إلى آخره عابداً داعياً مدة عشرين سنة. وهكذا حال أصحابه من باقي الفقهاء الأربعة. وبقيت وجوه كثيرة لا نطيل الكتاب بذكرها.

(علل الشرائع) سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطير منه فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق. ويوم الأربعاء غرق الله فرعون ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان ويوم الأربعاء أظل قوم فرعون أول العذاب(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام: لما رجع موسى إلى امرأته، قالت من أين جئت؟ قال: من عند رب تلك النار. قال: فغدا إلى فرعون، فوالله لكأني أنظر إليه طويل الباع ذو شعر آدم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها من ليف، فقيل لفرعون إن على الباب فتى، يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب الأسد خل سلاسلها، وكان إذا غضب على أحد خلاها فقطعته، فخلاها وقرع موسى الباب الأول وكانت تسعة أبواب، فلما قرع موسى الباب الأول انفتحت له الأبواب التسعة، فلما دخل جعلن يبصبصن تحت رجليه كأنهن جراء، فقال فرعون لجلسائه: أرأيتم مثل هذا قط. فلما أقبل إليه ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ الآية.

فقال فرعون لرجل من أصحابه قم فخذ بيده وقال للآخر اضرب عنقه، فضرب جبرائيل عليه السلام بالسيف حتى قتل ستة من أصحابه، فقال خلوا عنه. قال: فأخرج يده فإذا هي

---

(١) سورة الأعراف؛ الآيتان: ١٨٢ و ١٨٣.

(٢) علل الشرائع ج٢، ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ حديث رقم ٤٤. وعيون أخبار الرضا ج١، ص ٢٢٣ باب ٢٤.

بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه، وألقى العصا فإذا هي حية فالتقمت الإيوان بلحييها، فدعاه أن يا موسى أقلني إلى غد، ثم كان من أمره ما كان[١].

وعن ابن أبي عمير قال: قلت لموسى بن جعفر عليه السلام أخبرني عن قول الله عز وجل لموسى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢]. فقال: أما قوله ﴿لَّيِّنًا﴾ يعني كنّياه وقولا له يا أبا مصعب واسمه الوليد بن مصعب. وأما قوله: ﴿يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ فإنما قال ليكون أحرص لموسى على الذهاب. وقد علم الله عز وجل أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى إلا عند رؤية العذاب. ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فلم يقبل الله إيمانه، وقال: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان على مقدمة فرعون ستمائة ألف ومائتي ألف وعلى ساقته ألف ألف، فدخلوا البحر وغرقوا[٤].

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ يقول: نلقيك على نجوة[٥] من الأرض لتكون لمن بعدك علامة وعبرة.

وعن أبان الأحمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ فقال: كان إذا عذّب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه ومد يديه ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض فتركه حتى يموت[٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: التسع آيات التي أوتي موسى عليه السلام: الجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والحجر والبحر والعصا ويده[٧].

وعنه عليه السلام: شاطىء الواد الأيمن الذي ذكره الله في كتابه: هو الفرات والبقعة المباركة هي كربلاء، والشجرة هي محمد صلى الله عليه وآله[٨].

أقول: يعني نور محمد صلى الله عليه وآله ظهر من تلك الشجرة.

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع، ص ٣٩٥.
(٢) سورة طه؛ الآيتان: ٣٤ و ٤٤.
(٣) علل الشرائع ج١، ص ٨٦ باب ٥٦.
(٤) الاختصاص للمفيد ص ٢٦٦.
(٥) النجوة: ما ارتفع من الأرض.
(٦) علل الشرائع ج١، ص ٨٩ - باب ٦٠.
(٧) الخصال للصدوق، ص ٤٢٣ باب التسعة حديث رقم ٢٤.
(٨) كامل الزيارات ص ٤٨.

(العياشي) عن عاصم رفعه قال: إن فرعون بنى سبع مدائن يتحصن فيها من موسى عليه السلام وجعل فيما بينها آجاماً[(١)] وجعل فيها الأسد. فلما بعث الله موسى إلى فرعون، فدخل المدينة ورأى الأسود تبصبصت وولت مدبرة.

قال: ثم لم يأت مدينة إلا فتح الله له بابها إلى قصر فرعون الذي هو فيه، فقعد على بابه وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه فلما خرج الآذن قال له موسى: استأذن على فرعون فلم يلتفت إليه فأكثر عليه فقال له الآذن: ما وجد رب العالمين من يرسله غيرك؟ فغضب موسى فضرب الباب بعصاه، فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلا انفتح، حتى نظر إليه فرعون وهو في مجلسه، فقال أدخلوه، فدخل عليه وهو في قبة له ارتفاعها ثمانون ذراعاً، فقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾[(٢)] وكان لها شعبتان فإذا هي حية قد وقع إحدى الشعبتين في الأرض والشعبة الأخرى في أعلى القبة، فنظر فرعون إلى جوفها وهو يلتهب نيراناً وأهوت إليه، فأحدث وصاح يا موسى خذها[(٣)].

وروى العياشي عن يوسف بن ظبيان قال: قال إن موسى وهارون حين دخلا على فرعون ولم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح[(٤)] كانوا ولد نكاح كلّهم وإن كان فيهم ولد سفاح لأمر بقتلهما ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ وأمره بالتأني والنظر، ثم وضع يده على صدره، قال: وكذلك نحن لا يقصدنا بشر إلا كل خبيث الولادة[(٥)].

(تفسير الإمام الحسن العسكري) قال: إن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر، أوحى الله عز وجل إليه: قل لبني إسرائيل جددوا توحيدي وأمرّوا[(٦)] بقلوبكم ذكر محمد صلى الله عليه وآله سيد عبيدي وإمائي وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعلي أخي محمد وآله الطيبين وقولوا: اللهم بجاههم جوزنا على متن هذا الماء، يتحول لكم أرضاً فقال لهم موسى ذلك فقالوا أتورد علينا ما نكره وهل فررنا من فرعون إلا من خوف الموت وأنت تقحم بنا هذا الماء بهذه الكلمات وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا فقال لموسى كالب بن يوحنا وهو على دابة له وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ: يا نبي الله أمرك الله بهذا أن نقوله وندخل الماء؟ فقال نعم، فوقف وجدد توحيد الله ونبوة محمد وولاية علي والطيبين من آلهما، كما أمر به ثم قال: اللهم بجاههم جوزني على متن هذا الماء، ثم اقتحم فرسه فركض على متن الماء حتى بلغ آخر الخليج، ثم عاد راكضاً، فقال: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى، فما هذا الدعاء إلا مفتاح أبواب الجنان ومغاليق أبواب

(١) الآجام جمع الأجمة: الشجر الكثير والملتف.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠٧.
(٣) تفسير العياشي ج٢، ص ٢٣ في تفسيره لسورة الأعراف برقم ٦١.
(٤) ولد سفاح: ولد زنا.
(٥) تفسير العياشي ص ٢٤ في تفسيره لسورة الأعراف برقم ٦٢.
(٦) في المصدر: وأقروا.

النيران ومستنزل الأرزاق وجالب على عبيد الله وإمائه رضاء المهيمن الخلاق فأبوا، وقالوا: نحن لا نسير إلا على الأرض، فأوحى الله إلى موسى: اضرب بعصاك البحر وقل اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما فلقته. ففعل، فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج. فقال موسى عليه السلام: ادخلوا قالوا الأرض وحلة نخاف أن نرسب فيها فقال الله: يا موسى قل: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين جففها. فقالها فأرسل الله عليها ريح الصبا فجففت وقال موسى: ادخلوا قالوا: يا نبي الله نحن اثنا عشر قبيلة بنو اثني عشر أباً وإن دخلنا رام كل فريق تقدم صاحبه فلا نأمن وقوع الشر بيننا فلو كان لكل فريق منا طريق على حدة لأمنا ما نخافه فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم اثنتي عشرة ضربة في اثني عشر موضعاً ويقول: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين بيّن لنا الأرض فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً وجف قرار الأرض بريح الصبا، فقال ادخلوها قالوا كل فريق منا يدخل سكة من هذه السكك لا يدري ما يحدث على الآخرين فقال الله عز وجل: فاضرب كل طود من الماء بين هذه السكك فضرب وقال: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما جعلت هذا الماء طاقات واسعة يرى بعضهم بعضاً منها. فحدثت طاقات واسعة يرى بعضهم بعضاً. فلما دخلوا جاء فرعون وقومه فدخلوا، فأمر الله البحر فأطبق عليهم فغرقوا وأصحاب موسى ينظرون إليهم. ثم قال الله عز وجل لبني إسرائيل في عهد محمد صلى الله عليه وآله: فإذا كان الله تعالى فعل هذا كله بأسلافكم لكرامة محمد صلى الله عليه وآله ودعا موسى دعاء تقرب بهم، أفما تعقلون أن عليكم الإيمان بمحمد وآله وقد شاهدتموه الآن(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بين قوله: قد أجيبت دعوتكما وبين أخذ فرعون أربعون سنة(٢).

قال الثعلبي: قال العلماء بأخبار الماضين: لما كلم الله موسى وبعثه إلى مصر خرج وليس معه زاد ولا سلاح وكان يستعين بالصيد وببقول الأرض، ولما قرب من مصر أوحى الله إلى أخيه هارون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه جعله لموسى وزيراً ورسولاً معه إلى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت لغرة ذي الحجة متنكراً إلى شاطىء النيل ليلتقي في تلك الساعة بموسى.

فخرج هارون وأقبل موسى عليه السلام، فالتقيا على شط النيل قبل طلوع الشمس، فاتفق أنه كان يوم ورود الأسد الماء، وكان لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حولها.

وكان فرعون إذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سوراً في كل سور رساتيق وأنهار(٣) ومزارع وأرض واسعة في ربض(٤) لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بنفسه ثم أسكنها الأسد، فنسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جنداً من

---

(١) تفسير الإمام العسكري ص ٩٨.

(٢) تفسير العياشي ج٢، ص ١٢٧ في تفسيره لسورة يونس برقم ٤٠.

(٣) في المصدر: بساتين وأنهار.

(٤) الربض: ما حول المدينة من بيوت.

جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقاً تفضي من يسلكها إلى أبواب المدينة، فمن أخطأ الطريق وقع في الغيضة فأكلته الأسود وكانت الأسود إذا وردت النيل ظلت عليها يومها كلها، ثم تصدر مع الليل، فالتقى موسى وهارون يوم ورودها، فلما أبصرتهما الأسد مدت أعناقها ورؤوسها إليهما وشخصت أبصارها نحوهما، وقذف الله تعالى في قلوبها الرعب فانطلقت منهزمة نحو الغيضة، وكان لها ساسة يسوسونها ويحرسونها من الناس.

فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا، فانطلق موسى وهارون في تلك المسبعة حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج، فأقاما إليه سبعة أيام.

فكلمهما واحد من الحراس وزبرهما، وقال لهما: هل تدريان لمن هذا الباب؟ فقال موسى: إن هذا الباب والأرض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له، فسمع ذلك الرجل قولًا لم يظن أن أحداً من الناس يفصح بمثله، فأسرع إلى كبرائه الذين هم فوقه فقال لهم: سمعت اليوم قولًا من رجلين هو أعظم عندي مما أصابنا في الأُسد وما كانا ليقدما على ما أقدما عليه إلا بسحر عظيم وأخبرهم القصة فتداولوه حتى انتهوا إلى فرعون.

وقال السدي بإسناده: سار موسى عليه السلام بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلًا فتضيّف أُمه وهي لا تعرفه، وإنما أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل - نوع من المرق - ونزل في جانب الدار، فجاء هارون، فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف فدعاه فأكل معه، فلما أن قعد تحدثا، فقال له هارون. من أنت؟ فقال: أنا موسى، فتعانقا، فقال له موسى: يا هارون انطلق معي إلى فرعون فإن الله عز وجل قد أرسلنا إليه. فقال هارون: سمعاً وطاعة، فقامت أمهما فصاحت وقالت: أنشدكما الله أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما.

فانطلقا إليه فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلًا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب، وقال فرعون من هذا الذي يضرب ببابي في هذه الساعة؟ فأشرف عليهما البواب فكلمهما، فقال له موسى: أنا رسول رب العالمين.

وقال محمد بن إسحاق: خرج موسى حين قدم مصراً على فرعون هو وأخوه حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن فمكثا سنتين يغدوان إلى بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترىء أحد أن يعلمه بشأنهما، حتى دخل عليه بطّال له يلعب عنده ويضحكه، فقال له: أيها الملك إن على بابك رجلًا يقول قولًا عجيباً زعم أن له إلهاً غيرك فقال أدخلوه فدخل موسى وهارون، فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء فتحول خوفه أمناً. وكذا كل من يدعو بذلك الدعاء[1].

(١) والدعاء هو: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العليّ العظيم، سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما فيهنّ وما بينهنّ ورب العرش العظيم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت».

ثم قال فرعون لموسى من أنت؟ قال: أنا رسول رب العالمين، فتأمله فرعون فعرفه، فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ إلى آخر الآيات والمنازعات. ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، فوثب عن سريره وأحدث، حتى قامت به بطنه في يومه ذلك أربعين مرة.

وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يصدع ولا تصيبه آفة مما تصيب الناس وكان يقوم في أربعين يوماً مرة وكان أكثر ما يأكل الموز لكيلا يكون له ثفل فيحتاج إلى القيام وكانت هذه الأشياء مما زين له أن قال ما قال، لأنه ليس له من الناس شبيه، فلما قصدته الحية نادى يا موسى أكففها عني بحرمة الرضاع وإني أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا، ثم نزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء مثل الثلج لها شعاع كشعاع الشمس، فقال له فرعون: هذه يدك فأدخلها موسى جيبه وأخرجها الثانية ولها نور ساطع في السماء تكل منه الأبصار، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثم ردها موسى وأخرجها على لونها الأول، فهمّ فرعون بتصديقه، وقال له هامان: بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسى: أمهلني إلى غد. وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن قل لفرعون: إنك إن آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددت شاباً طرياً فاستنظره فرعون. فلما كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بما وعد موسى فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً فنفخ في منخره ثم قال له هامان: أنا أردك شاباً فأتاه بالوسمة(١) فخضبه بها.

فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة، هاله ذلك. فأوحى الله تعالى إليه: لا يهولنك ما رأيت فإنه لم يلبث إلا قليلًا حتى يعود إلى الحالة الأولى.

وفي بعض الروايات أن موسى وهارون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما المطر في الطريق، فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما، ووجّه فرعون الطلب في أثرهما، فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها. وجاء الطلب إلى الباب والعجوز منتبهة، فلما أحست بهم خافت عليهما، فخرجت العصا من ثقب الباب والعجوز تنظر، فقاتلتهم حتى قتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار. فلما انتبه موسى وهارون أخبرتهما بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم، فآمنت بهما وصدقتهما(٢).

قال الثعلبي: قالت العلماء بأخبار الأنبياء أن موسى وهارون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما على السحر فأراد قتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون: أتقتلون رجلًا يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فقال الملأ من قوم فرعون ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي

---

(١) في المصدر: فأتى بالوشم.
(٢) عرائس المجالس للثعلبي ص ١٦٠ - ١٦٤.

﴿ٱلْمَدَآئِنِ يَأْتُوكَ حَٰشِرِينَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾. وكانت لفرعون مدائن فيها السحرة معدة لفرعون، إذا أحزنه أمر.

وقال ابن عباس: قال فرعون لما رأى سلطان الله في اليد والعصا: إنا لا نغالب موسى إلا بمن هو مثله، فأخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في المكتب، فعلموهم سحراً كثيراً وواعد فرعون موسى موعداً، فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم ومعهم معلمهم، فقالوا له ماذا صنعت قال علمتهم سحراً لا يطيقه سحر أهل الأرض إلا أن يكون أمر من السماء فإنه لا طاقة لهم به.

ثم بعث فرعون فجمع السحرة كلهم وكانوا اثنين وسبعين ألفاً. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: بضعاً وثلاثين ألفاً. وقال عكرمة: سبعين ألفاً. وقيل: ثمانين ألفاً، واختار منهم سبعة آلاف واختار من أولئك سبعمائة.

وكان رئيس السحرة أخوين بأقصى مدائن الصفر، فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأمهما دلينا على قبر أبينا فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما فقالا: إن الملك وجه علينا أن نقدم عليه لأنه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعاً من عزهما ومعهما عصا إذا ألقياها فلا يقوم لها شيء تبلع الحديد والخشب والحجر.

فأجابهما أبوهما انظرا إذا هما ناما فإن قدرتما أن تسلا العصا فسلاها، فإن الساحر لا يعمل سحره وهو نائم وإن عملت العصا وهما نائمان، فذلك أمر رب العالمين، ولا طاقة لكما بهما ولا لجميع أهل الدنيا. فأتياهما في خيفة وهما نائمان ليأخذا العصا: فقصدتهما العصا ثم واعدوه يوم الزينة وكان يوم سوق لهم.

وقال ابن عباس: كان يوم عاشوراء ووافق يوم السبت أول يوم النيروز يجتمع الناس من الآفاق وكان بالإسكندرية. فلما اجتمع الناس والسحرة جاء موسى متكئاً على عصاه ومعه هارون، فقال موسى للسحرة: ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب أليم.

فقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر وقالوا لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وكانوا قد جاؤوا بالعصي والحبال تحملها ستون بعيراً، فقال لهم موسى ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾، فقال: والله إن كانت لعصياً في أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاي هذه.

فأوحى الله إليه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾(١) ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾(٢) أسود مدلهم على أربع

(١) سورة طه؛ الآيتان: ٦٨ و ٦٩.

(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ١٠٧ وسورة الشعراء؛ الآية: ٣٢.

قوائم، قصار غلاظ وهو أعظم وأطول من البختي[١] وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه لا يضرب ذنبه على شيء إلا حطمه ويكسر بقوائمه الصخور ويضرم حيطان البيوت ناراً ومنخراه تنفخان سموماً وعلى مفرقه شعر كأمثال الرماح، فاستعرضت ما ألقى السحرة من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس فابتلعتها واحداً واحداً حتى ما يرى بالوادي قليلًا ولا كثيراً، فانهزم الناس وتزاحموا ووطىء بعضهم بعضاً حتى مات يومئذ خمسة وعشرون ألفاً وانهزم فرعون مرعوباً، وقد إستطلق بطنه في يومه ذلك من أربعمائة جلسة، ثم بعد ذلك إلى أربعين مرة في اليوم والليلة على الدوام إلى أن هلك.

فلما عاين السحرة ما عاينوا قالوا لو كان سحراً لما خفي علينا أمره، ولو كان سحراً فأين حبالنا وعصينا فخروا سجداً ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[٢].

وكان فيهم أربعة شيوخ: سابور، عارور، حطحط، مصفا، فلما آمن السحرة قال فرعون متجلداً ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾[٣] فقالوا ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾[٤]. فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وهو أول من فعل ذلك، فأصبحوا سحرة كفرة، وأمسوا شهداء بررة.

ورجع فرعون مغلوباً، وأبى إلا الإقامة على الكفر، فتابع الله عليه بالآيات وأخذه وقومه إلى أن أهلكهم. ورجع موسى عليه السلام والعصا تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه، والناس ينظرون إليها حتى دخل موسى عسكر بني إسرائيل وأخذ برأسها فإذا هي عصا كما كانت. واعتزل موسى عليه السلام في مدينته ولحق بقومه وعسكروا مجتمعين إلى أن صاروا ظافرين[٥].

قال الثعلبي: فلما خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عليه السلام عزم على بناء صرح يقوي به سلطانه، فقال يا هامان ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ الآية.

فجمع العمال والفعلة حتى اجتمع له خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأُجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب والأبواب ويضرب المسامير، فلم يزل يبني ذلك الصرح إلى أن فرغ منه في سبعة سنين وارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض.

---

(١) البختي: نوع من أنواع الجمال ذات الأعناق الطويلة.
(٢) سورة الشعراء؛ الآيات: ٤٧ ـ ٤٨.
(٣) سورة الشعراء؛ الآية: ٤٩.
(٤) سورة طه، الآية: ٧٢.
(٥) عرائس المجالس ص ١٦٣ – ١٦٥.

فبعث الله عز وجل جبرائيل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح فقطعه ثلاث قطع، وقعت قطعة منها في البحر، وأخرى في الهند، وأُخرى في المغرب. وقال الضحاك: بعثه الله وقت الغروب فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألف ألف رجل ولم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلا أصابه موت أو حريق أو عاهة.

ثم إن فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى عليه السلام فلما لم يؤمن أوحى الله تعالى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أهل أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الأبواب، فإني مرسل على أعدائكم عذاباً، وإني سآمر الملائكة فلا تدخل بيتاً على بابه دم وسآمرها تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، فتسلمون أنتم ويهلكون هم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم، ثم أسر بعبادي حتى تنتهي بهم البحر فيأتيك أمري.

ففعل ذلك بنو إسرائيل، فقال القبط لبني إسرائيل: لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله مرسل عذاباً، فنسلم وتهلكون، فقالت القبط: فما يعرفكم ربكم إلا بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا نبينا. فأصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة واحدة، وكانوا سبعين ألفاً، فاشتغلوا بدفنهم وبالحزن عليهم. وسرى موسى عليه السلام بقومه متوجهين إلى البحر، وهم ستمائة ألف وعشرون ألفاً لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكثرتهم لكبره ولا ابن عشرين لصغره وهم المقاتلة دون الذرية، وكان موسى عليه السلام على الساقة وهارون على المقدمة.

فلما فرغت القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني إسرائيل، قال فرعون: هذا عمل موسى، قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا، ثم خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم، فنادى في قومه فأرسل في المدائن من يجمع الساحرين.

وقال ابن جريج: أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسود مع كل ملك ألف. ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكانوا مائة ألف رجل كل واحد منهم راكب حصاناً أدهم. فلما أغرقوا في البحر بعث موسى عليه السلام جندين عظيمين من بني إسرائيل كل جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون وهي خالية من أهلها لم يبق منهم إلا النساء والصبيان والزمنى والمرضى والهرمى، وأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوحنا، فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم. ثم إن يوشع استخلف على قوم فرعون رجلًا منهم، وعاد إلى موسى بمن معه سالمين غانمين[1].

تفسير علي بن إبراهيم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]، فبنى هامان له في الهواء صرحاً بلغ مكاناً في الهواء لم يقدر الإنسان أن يقوم عليه من الرياح القائمة في الهواء، فقال لفرعون: لا نقدر على أن نزيد على هذا.

---

(١) عرائس المجالس ص ١٦٩.

(٢) سورة القصص ؛ الآية: ٣٨.

وبعث الله رياحاً فرمت به، فاتخذ فرعون عند ذلك التابوت وعمد إلى أربعة أنسر، فأخذ فراخها وربّاها، حتى إذا بلغت وكبرت عمدوا إلى جوانب التابوت الأربعة فغرزوا في كل جانب منه خشبة وجعلوا على رأس كل خشبة لحماً وجوعوا الأنسر وشدوا أرجلها بأصل الخشبة، فنظرت الأنسر إلى اللحم فأهوت إليه وارتفعت في الهواء فأقبلت تطير يومها. فقال فرعون لهامان: انظر إلى السماء هل بلغناها؟ فنظر هامان فقال: أرى السماء كما كنت أراها في الأرض في البعد فقال: انظر إلى الأرض، فقال: لا أرى الأرض ولكن أرى البحار والماء.

قال: فلم تزل الأنسر ترتفع حتى غابت الشمس وغابت عنهم البحار والماء، وجنهم الليل فنظر هامان إلى السماء فقال فرعون: هل بلغناها؟ فقال: أرى الكواكب كما كنت أراها في الأرض. ثم جالت الرياح القائمة في الهواء فأقبلت التابوت، فلم يزل يهوي حتى وقع على الأرض، فكان فرعون أشد ما كان عتواً في ذلك الوقت[١].

(علل الشرائع) عن أبي الحسن عليه السلام قال: احتبس[٢] القمر عن بني إسرائيل فأوحى الله جل جلاله إلى موسى عليه السلام: أخرج عظام يوسف من مصر، ووعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه. فسأل موسى عمن يعلم موضعه؟ فقيل له: ها هنا عجوز تعلم علمه، فبعث إليها، فأتي بعجوز مقعدة عمياء، فقال لها: أتعرفين موضع قبر يوسف؟ قالت: نعم، قال: فأخبريني به، قالت: لا، حتى تعطيني أربع خصال: تطلق رجلي، وتعيد لي شبابي، وتعيد لي بصري، وتجعلني معك في الجنة. قال: فكبر ذلك على موسى عليه السلام فأوحى الله جل جلاله إليه: يا موسى أعطها ما سألت، فإنك إنما تعطي عليّ. ففعل، فدلته عليه، فاستخرجه من شاطىء النيل في صندوق مرمر. فلما أخرجه طلع القمر، فحمله إلى الشام. فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام[٣].

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قوماً ممن آمن بموسى عليه السلام قالوا: لو أتينا عسكر فرعون فكنا فيه ونلنا من دنياه، فإذا كان الذي نرجوه من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه، ففعلوا. فلما توجه موسى وعسكره هاربين من فرعون، ركبوا دوابهم وأسرعوا في المسير ليلحقوا موسى وعسكره فيكونوا معه، فبعث الله ملكاً فضرب وجوه دوابهم فردهم إلى عسكر فرعون، فكانوا مع فرعون[٤].

وفيه عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان رجل من أصحاب موسى أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنهم ليعظ أباه فيلحقه بموسى، فمضى أبوه

(١) تفسير القمي ج٢، ص ١٤٠ ـ ١٤١ في تفسيره لسورة القصص.

(٢) يعني احتبسه السحاب عن الرؤية في أول الشهر.

(٣) علل الشرائع ج١، ص ٣٤٥ باب ٢٣٢.

(٤) فروع الكافي ج٥، ص ١٠٩ كتاب المعيشة باب عدل السلطان برقم ١٣.

وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر، فغرقا جميعاً، فأتى موسى الخبر، فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب الذنب دفاع(١).

قال عليه السلام: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أولهم ابن آدم الذي قتل أخاه ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، واثنان من بني إسرائيل هوّدا قومهما ونصراهم، وفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، واثنان من هذه الأمة(٢). أقول: الأول والثاني.

وروي أن أول من اتخذ الآجر فرعون، حين أمر فرعون ببناء الصرح توهم الملعون أنه لو كان إله كان جسماً في السماء. وقيل: أراد أن يبني له رصداً يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على من يبعث رسولاً ويبدّل دولته.

وروي في قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾(٣) إنها لم تكن تسعى حقيقة وإنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق، فلما طلعت الشمس طلب الزئبق الصعود، فحركت الشمس ذلك، فظن أنها تسعى، فخاف موسى أن يلتبس على الناس أمرهم، ولم يفرقوا بين فعله وفعلهم فيشكوا. وقيل: إنه خوف الطباع إذا رأى الإنسان أمراً فظيعاً فإنه يحذره ويخافه في أول وهلة. وقيل: إنه خاف أن يتفرق الناس قبل إلقاء العصا وقبل أن يعلموا بطلان السحر فيبقوا في شبهة. وقيل: إنه خاف، لأنه لم يدر أن العصا إذا انقلبت حية هل تظهر المزية؟ لأنه لم يعلم أنها تتلقفها، وكان ذلك موضع خوف، لأنها لو انقلبت حية ولم تتلقف ما يأفكون، ربما ادعوا المساواة سيما والأهواء معهم والدولة لهم، فلما تلقفت زالت الشبهة.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ أي أستاذكم، ويعجز التلميذ عما يأتي به الأستاذ أو رئيسكم ما عجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته احتشاماً. وإنما قال ذلك لإبهام العوام(٤).

وعن وهب: كانت العصا من عوسج، وكان طولها عشرة أذرع على مقدار قامة موسى عليه السلام. وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ فقيل: هو الكناية بأبي الوليد. وقيل: هو ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾. وقيل: هو أن موسى أتاه فقال له: أتسلم وتؤمن برب العالمين، على أن لك شبابك فلا تهرم وتكون ملكاً لا ينزع الملك منك حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة؟ فأعجبه ذلك، وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي كان دعاه إليه وأنه يريد أن يقبل منه، فقال هامان: قد كنت أرى لك عقلاً ورأياً، بينا أنت رب تريد أن تكون مربوباً، وبينا أنت تُعبد تريد أن تعبد؟(٥).

---

(١) أصول الكافي ج ٢، ص ٣٧٥ باب مجالسة أهل المعاصي برقم ٢.

(٢) الخصال ص ٣٤٦ باب السبعة برقم ١٥.

(٣) سورة طه؛ الآية: ٦٦.

(٤) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٣١ و ٣٤.

(٥) مجمع البيان المجلد الرابع ص ١٥ و٢٠ في تفسيره لسورة طه الآية: ٢١ و ٤٤.

الفصل الخامس
في أحوال مؤمن آل فرعون، وامرأة فرعون، وخروج موسى عليه السلام وقومه من البحر، وحال ابتلائهم بالتقية

قال الله تعالى في مؤمن آل فرعون: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[١] أي صرف الله عنه سوء مكرهم فجاء مع موسى عليه السلام حتى عبر البحر.

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ﴾[٢]: أي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحاً ومساءً فيعذبون. وقال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة، لأن نار القيامة لا تكون غدواً وعشياً.

ثم قال: إن كانوا يعذبون في النار غدواً وعشياً ففيما بين ذلك هم من السعداء، ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة. ألم تسمع قوله عز وجل: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[٣]. وهذا أمر للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب وهو عذاب جهنم[٤].

أقول: هذه النار هي نار البرزخ التي يعذب فيها أرواح الكفار في الدنيا وهي برهوت واد في حضرموت من بلاد اليمن، كما أن جنة الدنيا وادي السلام ومحلها ظهر الكوفة بين النجف وكربلاء وفيها أرواح المؤمنين في أجساد مثالية يتنعمون بها حتى يوافوا جنة الخلد، وأولئك يوافون نار جهنم.

(تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام) عن آبائه عن الصادق عليهم السلام قال: كان حزقيل مؤمن آل فرعون يدعو قوم فرعون إلى توحيد الله ونبوة موسى وتفضيل محمد صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخلقه وتفضيل علي بن أبي طالب والخيار من الأئمة عليهم السلام على سائر أوصياء النبيين، وإلى البراءة من ربوبية فرعون. فوشى به واشون إلى فرعون وقالوا: إن حزقيل يدعو إلى مخالفتك ويعين أعداءك على مضادتك، فقال لهم فرعون: إنه ابن عمي وخليفتي على ملكي وولي عهدي إن فعل ما قلتم فقد استحق العذاب على كفره نعمتي! وإن كنتم كاذبين فقد استحققتم أشد العذاب لإيثاركم الدخول في مساءته.

فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبية فرعون وتكفر نعماءه؟ فقال حزقيل: أيها الملك هل جربت عليَّ كذباً قط؟ قال: لا، قال: فسلهم من ربهم؟ فقالوا: فرعون، قال: ومن خالقكم؟ قالوا: فرعون، قال: ومن رازقكم الكافل لمعاشكم والدافع عنكم

---

(١) و(٢) سورة غافر؛ الآيتان: ٤٥ و٤٦.

(٣) سورة غافر؛ الآية: ٤٦.

(٤) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٨١٧-٨١٨.

مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا. قال حزقيل: أيها الملك فأُشهدك وكل من حضرك أن ربهم هو ربي وخالقهم هو خالقي ورازقهم هو رازقي لا رب لي ولا خالق ولا رازق غير ربهم وخالقهم ورازقهم، وأُشهدك ومن حضرك أن كل رب وخالق سوى ربهم فأنا بريء منه ومن ربوبيته وكافر بإلهيته.

يقول حزقيل هذا وهو يعني أن ربهم هو: الله ربي، ولم يقل: إن الذي قالوا ربهم هو ربي. وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره وتوهموا أنه يقول: فرعون ربي وخالقي ورازقي. فقال لهم فرعون: يا طلاب الفساد في ملكي ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمي وهو عضدي، أنتم المستحقون لعذابي لإرادتكم فساد أمري وإهلاك ابن عمي. ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتد وفي صدره وتد، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم.

فذلك ما قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾(١) لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾(٢) وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد، ومشط عن أبدانهم لحومهم بالأمشاط(٣).

وعن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ أربع خطط في الأرض وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: أفضل نساء الجنة أربع: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(٤).

تفسير علي بن إبراهيم قدس الله ضريحه: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ قال: كتم إيمانه ستمائة سنة وكان مجذوماً مكنعاً(٥) وهو الذي قد وقعت أصابعه وكان يشير إلى قومه بيديه المكنوعتين ويقول: يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد. وقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ يعني مؤمن آل فرعون(٦).

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ولقد قطعوه إرباً إرباً ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه.

وقال الثعلبي: قالت الرواة: كان حزقيل من أصحاب فرعون نجاراً وهو الذي نجر التابوت لأم موسى حين قذفته في البحر. وقيل: إنه كان خازناً لفرعون مائة سنة، وكان مؤمناً مخلصاً يكتم إيمانه إلى أن ظهر موسى عليه السلام على السحرة، فأظهر حزقيل يومئذ إيمانه فأُخذ وقتل مع السحرة صلباً. وأما امرأة حزقيل فإنها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة.

---

(١) و(٢) سورة غافر؛ الآية: ٤٥.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٧٠ - ٣٧١ احتجاجات الإمام الصادق.

(٤) الخصال للصدوق ص ٢٠٥ - ٢٠٦ باب الأربعة حديث رقم ٢٢.

(٥) أي مشلول اليدين.

(٦) تفسير القمي ج٢ ص ٢٥٧ و ٢٥٨.

وروي عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أُسري بي مرّت بي رائحة طيبة، فقلت لجبرائيل: ما هذه الرائحة؟ فقال: هذه ماشطة آل فرعون وأولادها، كانت تمشطها فوقعت المشطة من يدها، فقالت: بسم الله فقالت بِنْت فرعون: أبي؟ قالت: لا، بل ربي وربك ورب أبيك، فأخبرت فرعون فدعا بها وبولدها، وقال: من ربك؟ قالت: إن ربي وربك الله. فأمر بتنور من نحاس فأحمي فدعا بها وبولدها، فقالت: إن لي إليك حاجة وهي أن تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها فقال: ذلك لك، لما لك من حق، فأمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً بالتنور، حتى كان آخر ولدها وكان صبياً مرضعاً، فقال: اصبري يا أماه إنك على الحق، فألقيت في التنور مع ولدها.

وأما امرأة فرعون آسية: فكانت من بني إسرائيل وكانت مؤمنة خالصة وكانت تعبد الله سراً، إلى أن قتل فرعون امرأة حزقيل، فعاينت حينئذ الملائكة يعرجون بروحها، فزادت يقيناً وإخلاصاً. فبينا هي كذلك إذ دخل عليها فرعون يخبرها بما صنع، فقالت: الويل لك يا فرعون، ما أجرأك على الله جلّ وعلا، فقال لها: لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبك؟ فقالت: ما اعتراني جنون، بل آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين.

فدعا فرعون أمها وقال لها: إن ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة، فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بإله موسى. فخلت بها أمها فسألتها موافقته في ما أراد، فأبت وقالت: أما أن أكفر بالله فلا. فأمر بها فرعون حتى مدت بين أربعة أوتاد، ثم لا زالت تعذب حتى ماتت.

وعن ابن عباس قال: أخذ فرعون امرأته آسية حين تبين له إسلامها يعذبها لتدخل في دينه. فمر بها موسى وهو يعذبها، فشكت إليه بإصبعها؟ فدعى الله موسى أن يخفف عنها، فلم تجد للعذاب ألماً. وإنها ماتت من عذاب فرعون، فقالت وهي في العذاب: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، وأوحى الله إليها: أن ارفعي رأسك، فرفعت فرأت البيت في الجنة بني لها من در، فضحكت. فقال فرعون: انظروا إلى الجنان التي بها تضحك وهي في العذاب[1].

وقيل: إنها كانت تعذب بالشمس وإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة. عن سلمان[2].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾[3] الآية. فإن بني إسرائيل لما عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة، فقالوا: يا موسى أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمارة إلى مفازة لا ظل ولا شجر ولا ماء، وكانت تجيء بالنهار غمامة

---

(١) عرائس المجالس ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) مجمع البيان المجلد الخامس، ص ٤٧٩ في تفسيره لسورة التحريم.

(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٥٧.

فتظلهم من الشمس وينزل عليهم بالليل المن، فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشي يجيء طائر مشوي فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار ومر.

وكان مع موسى حجراً يضعه في وسط العسكر، ثم يضربه بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، فيذهب الماء إلى كل سبط في رحله، وكانوا اثني عشر سبطاً. فلما طال عليهم الأمد، قالوا ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾(١) والفوم هو الحنطة. فقال لهم موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾(٢) فقالوا يا موسى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾(٣) فنصف الآية في سورة البقرة وتمامها وجوابها لموسى في سورة المائدة(٤).

أقول: هذا التبعيض في الآية الواحدة، الظاهر أن منشأه ما وقع في مصحف عثمان الذي سموه إمام المصاحف، ولم يكن له ربط بترتيب القرآن، فكانت الآية الواحدة مقطعة في السورتين.

وروي أنهم لما لم يوافقوا موسى عليه السلام على قتال الجبارين، أراد موسى أن يفارقهم، ففزعوا وقالوا: إن خرج موسى من بيننا نزل علينا العذاب، فسألوه أن يقيم معهم ويسأل الله أن يتوب عليهم فأوحى الله إليه: إني قد تبت عليهم على أن يدخلوا مصر، وحرمتها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض عقوبة لقولهم ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ فدخلوا كلهم في التوبة والتيه إلا قارون. فكانوا يقومون في أول الليل ويأخذون في قراءة التوراة، فإذا أصبحوا على باب مصر دارت بهم الأرض فردتهم إلى مكانهم، وكان بينهم وبين مصر أربع فراسخ، فبقوا على ذلك أربعين سنة. فمات هارون وموسى في التيه، ودخلها أبناؤهم وأبناء أبنائهم(٥).

وروى الثعلبي عن محمد بن قيس قال: جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم إلا خمساً وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضاً قال: بلى ولكنكم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة(٦). وفي حديث آخر: إنه عليه السلام قال له: إنا لم نختلف في نبينا ولكنا اختلفنا عنه.

وعن ابن عباس قال: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر: خبّرنا يا موسى بأي قوة وبأي عدة تبلغ الأرض المقدسة ومعك الذرية والنساء والزّمنى فقال

---

(١) و(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٦١.

(٣) سورة المائدة؛ الآية: ٢٢.

(٤) تفسير القمي ج١، ص ٤٨.

(٥) تفسير القمي ج١، ص ١٦٥ في تفسيره لسورة المائدة آية ٢٤.

(٦) عرائس المجالس ص ١٧٧ نهاية الباب الخامس عشر في قصة موسى.

موسى عليه السلام: ما أعلم قوماً ورثهم الله من عرض الدنيا ما ورثكم وسيجعل الله لكم مخرجاً، قالوا فادعه يطعمنا ويسقينا ويظلنا فأوحى الله تعالى إلى موسى: قد أمرت السماء أن تمطر عليهم المن والسلوى وأمرت الريح أن تشوي[(١)] لهم السلوى وأمرت الحجارة أن تنفجر وأمرت الغمام أن تظلهم وسخرت ثيابهم أن تنبت بقدر ما ينبتون[(٢)]. فلما قال موسى ذلك سكنوا، فسار بهم إلى الأرض المقدسة وهي فلسطين. وإنما قدسها لأن يعقوب صلوات الله عليه ولد بها وكانت مسكن أبيه إسحاق ويوسف صلوات الله عليهما، ونقلوا كلهم بعد الموت إلى أرض فلسطين[(٣)].

(العياشي) عن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها وبئس البلاد مصر أما إنها سجن من سخط الله عليه، ولم يكن دخول بني إسرائيل مصر إلا من سخطه ومعصية منهم لله، لأن الله تعالى قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ يعني الشام، فأبوا أن يدخلوا فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفيافيها[(٤)]، ثم دخلوها بعد أربعين سنة، وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلا من بعد توبتهم ورضا الله عنهم، وقال: إني لا أكره أن آكل من شيء يطبخ في فخارها، وما أحب أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن يورثني ترابها الذل ويذهب بغيرتي[(٥)].

وروى الشيخ في (التهذيب) قال الصادق عليه السلام: نومة الغداة مشومة تطرد الرزق وتصفر اللون وتغبره وتقبحه. وهو نوم كل مشوم، إن الله تعالى يقسم الأرزاق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وإياكم وتلك النومة. وكان المن والسلوى ينزل على بني إسرائيل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه، وكان إذا انتبه فلا يرى نصيبه احتاج إلى السؤال والطلب[(٦)].

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ المن الترنجبين كان يسقط على شجرهم فيتناولونه، والسلوى السماني أطيب طير لحماً يسترسل لهم فيصطادونه.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ وهي أريحا من بلاد الشام وادخلوا باب القرية سجداً لله تعظيماً لمثال محمد وعلي، مثل الله تعالى على الباب مثال محمد وعلي وأمرهم أن

---

(١) في المصدر: أن تنشف.

(٢) في المصدر: أن تثبت بقدر ما يثبتون.

(٣) قصص الراوندي، ص ١٧٢ حديث رقم ١٩٩.

(٤) نيافي كصحاري لفظاً ومعنى.

(٥) تفسير العياشي ج١، ص ٣٠٥ سورة المائدة حديث رقم ٧٥.

(٦) بحار الأنوار ج١٣، ص ١٨٢.

يسجدوا تعظيماً لذلك المثال وأن يجددوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما وليذكروا العهد والميثاق المأخوذ عليهم ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي قولوا إن سجودنا لله تعظيماً لمثال محمد وعلي واعتقادنا لولايتهما حطة لذنوبنا ومحو لسيئاتنا ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لم يسجدوا كما أمروا وقالوا كما أمروا ولكن دخلوها من منقلبها بأستاههم، وقالوا هنطا سمقانا - أي حنطة حمراء ينقونها أحب إلينا من هذا الفعل وهذا القول **(فأنزلنا على الذين غيروا** . بدلوا - **ما قيل لهم)** ولم ينقادوا لولاية محمد وعلي وآلهما الطيبين ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ والرجز الذي أصابهم إنه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون ألفاً كلهم من علم الله أنهم لا يؤمنون ولا يتوبون.

وفي قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ طلب منهم السقي لما لحقهم العطش في التيه وضجوا بالبكاء إلى موسى عليه السلام وقالوا أهلكنا العطش فقال موسى: إلهي بحق محمد سيد الأنبياء وبحق علي سيد الأوصياء وبحق فاطمة سيدة النساء وبحق الحسن سيد الأولياء وبحق الحسين أفضل الشهداء وبحق عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء فأوحى الله تعالى: يا موسى ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب مشربهم فلا يزاحم الآخرين في مشربهم، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يعني المن والسلوى ولا بد لنا من خلط معه ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾ الآية. فقال: اهبطوا مصراً من الأمصار من هذه التيه فإن لكم ما سألتم في المصر[1] . . . الحديث.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: أن القائم عليه السلام إذا قام بمكة وأراد أن يتوجه إلى الكعبة نادى مناديه: ألا لا يحمل أحد منك طعاماً ولا شراباً. ويحمل حجر موسى بن عمران وهو وقر[2] بعير، فلا ينزل منزلاً إلا انبعث عين منه، فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظامئاً روي، فهو زادهم حتى ينزل النجف من ظهر الكوفة[3].

وقال الثعلبي: إن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوي بن سام بن نوح عليه السلام.

فأمر الله موسى عليه السلام وقومه بالمسير إلى أرض الشام وقال: يا موسى إني قد كتبتها لكم داراً وقراراً، فجاهد فيها من العدو، فإني ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كل

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري ص ١٠٢ . ١٠٤.

(٢) وقر: بمعنى حمولة.

(٣) أصول الكافي ج١، ص ٢٣١ باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء برقم ٣.

سبط نقيباً ليكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به. فاختار موسى النقباء من كل سبط نقيباً وأمره عليهم، فسار موسى ببني إسرائيل، فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون أحوالهم. فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق[١] وكان طوله ثلاثة وعشرين ألف ذراع بذراع الملك. وكان عوج يحتجر بالسحاب ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله. وروي أنه أتى نوحاً أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال له: اذهب يا عدو الله فإني لم أؤمر بك، وطبق الماء ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يدي موسى.

وكان لموسى عليه السلام عسكر فرسخ في فرسخ، فجاء عوج حتى نظر إليهم ثم أتى الجبل ونقر منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم! فبعث الله تعالى إليه الهدهد ومعه المسنّ - يعني منقاره - حتى نقرا الصخرة، فانثقبت فوقعت في عنق عوج فطوقته فصرعته. فأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع ونزل في السماء عشرة أذرع، فما أصاب إلا كعبه وهو مصروع بالأرض فقتله، فأقبل جماعة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه، فلما قتل وقع على نيل مصر، فجسرهم سنة، وأمه عناق إحدى بنات آدم من صلبه.

فلما لقيهم عوج وعلى رأسه حزمة حطب، أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته وقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا! فطرحهم بين يديها وقال: ألا أطحنهم برجلي فقالت امرأته: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. ففعل ذلك. وكان لا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفر بالخشب، ويدخل في شطر الرمان إذا نزع حبها خمسة أنفر أو أربعة.

فلما خرجوا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم تنكروا وارتدوا عن نبي الله، ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهارون فيرون فيه رأيهما، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق، ثم انصرفوا إلى موسى بعد أربعين يوماً، وجاؤوا بحبة من عنبهم، وقر رجل وأخبروه بما رأوه.

ثم إنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقريبه عن قتالهم ويخبرهم بما رأوا من أحوالهم إلا يوشع بن نون وكالب بن يوحنا ختن موسى على أخته مريم. فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله

---

(١) في المصدر: عوج بن عنق.

أرضهم فتكون نساؤنا وأموالنا غنيمة لهم، وأرادوا الرجوع إلى مصر وقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين فقال لهم موسى: إن الذي أنجاكم وفلق لكم البحر هو الذي يظهركم عليهم فلم يقبلوا وهموا بالانصراف إلى مصر.

فخرق يوشع وكالب ثيابهما وقالا لهم: ادخلوا على الجبارين الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، لأن الله منجز ما وعد، وإنا رأيناهم واختبرناهم فكانت أجسامهم قوية ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين.

فأراد بنو إسرائيل أن يرموهم بالحجارة وعصوهما، و ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[1] فغضب موسى ودعا عليهم فقال ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2] وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على قبة الزمر، فأوحى الله تعالى إلى موسى: (إلى متى لا يصدقون بالآيات لأهلكنهم أجمعين) ولأجعلن لك شعباً أقوى وأكثر منهم، فقال موسى: إلهي لو إنك قتلت هذا الشعب لقالت الأمم الذين سمعوا إنما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقتلهم في البرية، وأنت طويل صبرك وتغفر الذنوب فاغفر لهم ولا توبقهم فقال الله عز وجل: قد غفرت لهم بكلمتك. ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم بي، حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة، غير عبدي يوشع وكالب، ولأتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة، مكان كل يوم من الأيام التي تجسسوا فيها سنة، وكانت أربعين يوماً، ولنلقين جيفهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعملوا الخير والشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ﴾ في ستة فراسخ، وكانوا ستمائة ألف مقاتل فكانوا يسيرون جادين حتى إذا أمسوا وباتوا فإذا هم في الموضع الذي ارتحلوا منه، ومات النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر بغتة، وكل من دخل في التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب ولم يدخل أريحا أحد ممن قال ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ فلما هلكوا وانقضت الأربعون سنة ونشأت النواشىء من ذراريهم وساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم في ذكر النعم التي أنعم الله على بني إسرائيل في التيه. قال الله سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[3] أي على أجدادكم وأسلافكم[4].

---

(١) و(٢) سورة المائدة؛ الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٤٠.

(٤) عرائس المجالس ص ٢١٣ - ٢١٥.

الفصل السادس

في نزول التوراة وسؤال الرؤية وعبادة العجل وما يتعلق بها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

(علل الشرائع وعيون الأخبار) سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن الثور ما باله غاض طرفه لا يرفع رأسه إلى السماء قال: حياءً من الله عز وجل لما عبد قوم موسى العجل نكس رأسه[2].

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكرموا البقر، فإنها سيد البهائم ما رفعت طرفها إلى السماء حياءً من الله عز وجل منذ عبد العجل[3].

تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ قال: اختبرناهم من بعدك ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ بالعجل الذي عبدوه. وكان سبب ذلك أن موسى عليه السلام لما وعده الله تعالى أن ينزل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً، أخبر بني إسرائيل بذلك، وذهب إلى ميقات ربه وخلف هارون على قومه. فلما جاءت الثلاثون يوماً، ولم يرجع موسى إليهم، عصوا وأرادوا أن يقتلوا هارون، قالوا: إن موسى كذبنا وهرب منا.

فجاء إبليس في صورة رجل فقال لهم: إن موسى قد هرب منكم ولا يرجع أبداً فاجمعوا إليّ حليكم حتى أتخذ إلهاً تعبدونه. وكان السامري على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرائيل عليه السلام وكان على حيوان في صورة رمكة كانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض يتحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى، فأخذ التراب من حافر رمكة جبرائيل وكان يتحرك، فصره في صرة وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل. فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل، قال للسامري هات التراب الذي معك فجاء به السامري فألقاه إبليس في جوف العجل، فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار ونبت عليه الوبر والشعر، فسجد له بنو إسرائيل، وكان عدد الذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل.

---

(١) سورة البقرة؛ الآيات: ٥١ - ٥٤.

(٢) علل الشرائع ج٢، باب ٣٨٥، ص ٣١٨ وعيون أخبار الرضا ج١، ص ٢١٩ باب ٢٤.

(٣) علل الشرائع ج٢، ص ٢٠٧ باب ٢٤٥.

فقال لهم هارون: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾(١) فهموا بهارون حتى هرب من بينهم وبقي في ذلك، حتى تم ميقات موسى أربعين ليلة. فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله عليه الألواح فيه التوراة وما يحتاجون إليه من الأحكام والسير والقصص.

ثم أوحى الله إلى موسى عليه السلام: إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري وعبدوا العجل وله خوار فقال موسى عليه السلام: يا رب العجل من السامري، فالخوار ممن قال: مني، يا موسى إني لما رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة. ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾(٢) ثم رمى الألواح وأخذ بلحية أخيه هارون ورأسه يجره إليه فقال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾(٣) فقال له بنو إسرائيل: ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم - يعني من حليهم - فقذفناها قال: التراب الذي جاء به السامري طرحناه في جوفه، ثم أخرج السامري العجل وله خوار. فقال له موسى ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾(٤) يعني من تحت حافر رمكة جبرئيل عليه السلام في البحر فنبذتها أي أمسكتها ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾(٥) أي زينت.

فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر، ثم قال موسى للسامري ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾(٦) يعني ما دمت حياً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة، حتى تعرفوا أنكم سامرية فلا يغتر بكم الناس، فهم إلى الساعة بمصر والشام معروفين لا مساس لهم. ثم همّ موسى بقتل السامري، فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنه سخي، فقال له موسى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(٧).

أقول: قوله ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أحمالاً من حلي القبط التي استعاروها منهم حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس. وقيل: استعاروه لعيد كان لهم، ثم لم يردوه عند الخروج مخافة أن يعلموا به.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٩٠ - ٩١.
(٢) سورة طه، الآية ٨٦.
(٣) سورة طه، الآيات: ٩٢ - ٩٤.
(٤-٦) سورة طه، الآيتان: ٩٥ و ٩٦.
(٧) تفسير القمي ج٢، ص ٦١ - ٦٣ والآية من سورة طه ٩٧ - ٩٨.

وقوله: ﴿لَا مِسَاسَ﴾. قال الطبرسي اختلف في معناه، فقيل: إنه أمر الناس بأمر الله أن لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يواكلوه، تضييقاً عليه، والمعنى: لك أن تقول لا أمس ولا أُمس ما دمت حياً. وقال ابن عباس: لك ولولدك، والمساس فعل من المماسة، ومعنى ﴿لَا مِسَاسَ﴾ لا يمس بعضنا بعضاً السامري، يهيم في البرية مع الوحش والسباع، لا يمس أحداً ولا يمسه أحد، عاقبه الله تعالى بذلك. وكان إذا لقي أحداً يقول لا مساس، أي لا تمسني ولا تقربني، وصار ذلك عقوبة له ولولده، حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك، وإن مس واحد من غيرهم حمَّ كلاهما في الوقت. وقيل: إن السامري خاف وهرب فجعل يهيم في البرية لا يجد أحداً من الناس يمسه، حتى صار لبعده من الناس كالقائل ﴿لَا مِسَاسَ﴾[(١)].

(علي بن إبراهيم) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله رسولاً إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلان الناس بعده. فأما الخمسة أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وأما صاحبا نوح عليه السلام ففيطيفوس[(٢)] وحزام. وأما صاحبا إبراهيم: فمكيل ورذام. وأما صاحبا موسى: فالسامري ومرعقيبا. وأما صاحبا عيسى: فمولس ومريسان[(٣)]. وأما صاحبا محمد صلى الله عليه وآله: فحبتر وزريق[(٤)].

أقول: الحبتر الثعلب والمراد به... لأنه يشبهه بالمكر والخديعة والتعبير عن... بزريق لكونه أزرق. وقيل: إنه يشبه بطائر اسمه زريق في سوء أخلاقه أو لكون الزرقة مما تبغضه العرب وتتشأم منه. كما قيل في قوله تعالى: **﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾**.

وعن أبي بصير قال: سأل طاوس اليماني الباقر عليه السلام عن طير طار مرة لم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله في القرآن ما هو؟ فقال: طور سيناء أطاره الله عز وجل على بني إسرائيل حين أظلهم فيه أنواع العذاب حتى قبلوا التوراة وذلك قوله عز وجل ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[(٥)].

(وروي) أنه لما أنزل الله سبحانه التوراة، قال: رب أرني أنظر إليك فأوحى الله إليه: لا تقدر على ذلك ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجبل، فساخ[(٦)] الجبل في البحر فهو يهوي حتى الساعة، ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السماء، فأوحى الله إلى الملائكة أدركوا موسى لا يهرب فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى

---

(١) مجمع البيان، المجلد الرابع ص ٤٧ في تفسيره لسورة طه الآية: ٩٧.

(٢) في المصدر: فقنطيفوص.

(٣) في المصدر: بولس ومريتون.

(٤) تفسير القمي ج١، ص ٢١٤ في تفسيره لسورة الأنعام الآية ١١٢.

(٥) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٢٩ والآية من سورة الأعراف آية: ١٧١.

(٦) أي غاص ورسب.

وقالوا أثبت يابن عمران فقد سألت الله عظيماً فلما نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه فمات[(١)] من خشية الله وهول ما رأى، فرد الله عليه روحه، فرفع رأسه وأفاق وقال سبحانك تبت إليك وأنا أول من صدق أنك لا ترى، فقال الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[(٢)]. . . الحديث.

وعنه عليه السلام قال: من الجبال التي تطايرت يوم موسى عليه السلام سبعة أجبل فلحقت بالحجاز واليمن منها بالمدينة أحد وورقان وبمكة ثور وثبير وحراء وباليمن صبر وحضور[(٣)].

(عيون الأخبار) في خبر ابن الجهم أنه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن معنى قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ الآية، كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران ولا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال فقال الرضا عليه السلام: إن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى عزَّ أن يرى بالأبصار، لكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور.

وسأل الله أن يكلمهم ويسمعهم كلامه فكلمه الله، وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام. لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن لك بأن الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة. فلما قالوا هذا القول العظيم، بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك فأحياهم الله وبعثهم معه. فقالوا إنك لو سألت الله أن يراك تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله لا يُرى بالأبصار وإنما يعرف بآياته، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله إليه: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُۥ

---

(١) الظاهر من الكتاب العزيز أنه غشي عليه ولم يمت حيث قال الله تعالى: وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك.

(٢) تفسير القمي ج١، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ في تفسيره لسورة الأعراف آية: ١٤٣.

(٣) الخصال للصدوق ص ٣٤٤ باب السبعة حديث رقم ١٠.

دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾. يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنك لا ترى(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر، فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلتكم ريح، فادفنوني وهو أول طور سيناء(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: الغري قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً(٣).

وقال المرتضى نور الله ضريحه: إن قيل: ما الوجه في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ الآية. وليس ظاهر الآية يدل على أن هارون أحدث ما أوجب إيقاع ذلك الفعل به وبعد فما الاعتذار لموسى عليه السلام من ذلك الفعل وهو فعل السخفاء والمتسرعين وليس من عادة الحكماء المتماسكين.

قلنا: ليس فيما حكاه الله تعالى من فعل موسى بأخيه ما يقتضي صدور معصية ولا قبيح من واحد منهما. وذلك أن موسى عليه السلام أقبل وهو غضبان على قومه لما أحدثوا بعده مستعظماً لفعلهم، مفكراً في ما كان منهم، فأخذ برأس أخيه وجره إليه، كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر. أما ترى أن المفكر الغضبان قد يعض على شفتيه ويقبض على لحيته، فأجرى موسى عليه السلام أخاه هارون مجرى نفسه، لأنه كان أخاه وشريكه ومن يمسه من الخير والشر ما يمسه، فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في أحوال الفكر والغضب، وبهذه الأمور تختلف أحكامها بالعادات فيكون ما هو إكرام في بعضها استخفافاً في غيرها وبالعكس.

وأما قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ فلا يمنع أن يكون هارون خاف من أن يتوهم بنو إسرائيل بسوء ظنهم أنه منكر عليهم معاتب، ثم ابتدأ بشرح قصته فقال في موضع: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ الآية، وفي موضع آخر: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي﴾. ويمكن أن يكون قوله ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ ليس على سبيل الأنفة بل معنى كلامه لا تغضب ولا يشتد جزعك وأسفك، انتهى(٤).

وذكر الصدوق: إن ذلك كان بينهما على جهة المصلحة لتخويف الأمة وليعلموا شدة إنكار موسى عليهم، على أنه لو كان ذلك مما لا ينبغي من واحد منهما فهو من باب ترك الأولى. كما قيل لما ورد من الأدلة القاطعة على عصمتهم.

(وروي) أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه وقد عبدوا العجل، قال لهم موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾(٥). فقالوا: كيف

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٧٨، باب ١٥.
(٢) و(٣) بحار الأنوار ج١٣، ص ٢١٩.
(٤) تنزيه الأنبياء ص ٨٠.
(٥) سورة البقرة ؛ الآية: ٥٤.

نقتل أنفسنا؟ فقال لهم موسى: اغدوا كل واحد منكم إلى بيت المقدس ومعه سكين أو حديدة أو سيف، فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل فكونوا أنتم متلثمين لا يعرف أحد صاحبه فاقتلوا بعضكم بعضاً. فاجتمعوا سبعين ألف رجل ممن كانوا عبدوا العجل إلى بيت المقدس، فلما صلى بهم موسى عليه السلام وصعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً، حتى نزل جبرائيل فقال: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل فقد تاب عليكم، فقتل عشرة آلاف فأنزل الله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١].

(بصائر الدرجات) بإسناده إلى سدير قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فمر بنا رجل من أهل اليمن فسأله أبو جعفر عليه السلام عن اليمن فأقبل يحدث، فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف دار كذا وكذا؟ قال: نعم ورأيتها فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف صخرة عندها في موضع كذا وكذا قال: نعم ورأيتها، فقال الرجل: ما رأيت رجلًا أعرف بالبلاد منك. فلما قام الرجل قال لي أبو جعفر عليه السلام يا أبا الفضل تلك الشجرة التي غضب موسى فألقى الألواح عندها، فما ذهب من التوراة التقمته الصخرة، فلما بعث الله رسوله أدته إليه، وهي عندنا[٢].

(وعنه) عليه السلام: إن الله لم يعط الأنبياء شيئاً إلّا وقد أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله، وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وهي الألواح[٣].

(وعن) أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في الجفر: إن الله تبارك وتعالى لما أنزل الألواح على موسى عليه السلام أنزلها عليه وفيها تبيان كل شيء إلى أن تقوم الساعة، فلما انقضت أيام موسى عليه السلام أوحى الله إليه: أن استودع الألواح وهي زبرجدة من الجنة فأتى موسى الجبل فانشق الجبل، فجعل فيه الألواح ملفوفة فانطبق الجبل عليها. فلم تزل حتى بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وآله، فأقبل ركب من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وآله فلما انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى عليه السلام، فأخذها القوم، ودفعوها إلى النبي صلى الله عليه وآله[٤].

(وعن) أمير المؤمنين عليه السلام: أن يوشع بن نون كان وصي موسى عليه السلام وكانت ألواح موسى من زمرد أخضر، فلما غضب موسى ألقى الألواح من يده فمنها ما تكسر ومنها ما بقي ومنها ما ارتفع. فلما ذهب عن موسى الغضب قال يوشع: أعندك تبيان ما في الألواح قال نعم، فلم يزل يتوارثها رهط بعد رهط حتى وصلت إلى النبي صلى الله عليه وآله ودفعها إليّ[٥].

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ٤٧ في تفسيره لسورة البقرة الآية: ٥٤.
(٢) بحار الأنوار ج١٣، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.
(٣) أصول الكافي ج١، ص ٢٢٥ باب أن الأئمة ورثوا علم الأنبياء برقم ٥.
(٤) بحار الأنوار ج١٣، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.
(٥) بحار الأنوار ج١٣، ص ٢٢٥.

(العياشي) عن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قال كان في العلم، والتقدير ثلاثين ليلة، ثم بدا لله فزاد عشراً فتم ميقات ربه للأول والآخر أربعين ليلة(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(٢) قال: لما ناجى موسى عليه السلام ربه أوحى إليه: أن يا موسى قد فتنت قومك، فقال بماذا يا رب؟ قال بالسامري: صاغ لهم من حليهم عجلًا فخار، قال يا رب ومن أخاره؟ قال: أنا، فقال عندها موسى: إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء. فلما انتهى موسى إلى قومه ورآهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فتكسرت، فقال أبو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون هذا عند إخبار الله إياه قال: فعمد موسى فبرد العجل بالمبرد من أنفه إلى طرف ذنبه ثم أحرقه بالنار فذره في اليم - يعني الماء - قال: فكان أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة فيعرض لذلك الرماد فيشربه وهو قول الله عز وجل ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(٣).

وعنه عليه السلام قال: لما سأل موسى ربه تبارك وتعالى وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾(٤).

قال: فلما صعد موسى عليه السلام على الجبل فتحت أبواب السماء وأقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العمد(٥) في رأسها النور يمرون به فوجاً بعد فوج يقولون يابن عمران فقد سألت عظيماً، فلم يزل موسى واقفاً حتى تجلى ربنا جل جلاله فجعل الجبل دكاً. وخر موسى صعقاً. فلما أن رد الله عليه روحه قال ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦).

قال ابن أبي عمير: وحدثني عدة من أصحابنا أن النار أحاطت به حتى لا يهرب لهول ما رأى(٧).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن موسى بن عمران لما سأل ربه النظر إليه وعده أن يقعد في موضع، ثم أمر الملائكة أن تمر عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريح والصواعق. فكلما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع رأسه فيقولون قد سألت عظيماً(٨).

---

(١) تفسير العياشي ج١، ص ٤٤ حديث رقم ٤٦.
(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٩٣.
(٣) تفسير العياشي ج١، ص ٥١ حديث رقم ٧٣.
(٤) سورة الأعراف؛ الآية: ١٤٣.
(٥) العمد: بضم العين والميم وفتحهما جمع العمود.
(٦) تفسير العياشي ج٢، ص ٢٦ حديث رقم ٧٢.
(٧) و(٨) تفسير العياشي ج ٢، ص ٢٦ ـ ٢٧ . حديث رقم ٧٣ - ٧٤.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن ما ناجى موسى أن قال يا رب هذا السامري صنع العجل فالخوار من صنعه؟ قال: فأوحى الله إليه يا موسى إن تلك فتنتي فلا تفضحني عنها[(١)].

أقول: الفتنة ورد لها في القرآن الكريم والأخبار عن الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم معان كثيرة ومن أشهرها الابتلاء والاختبار، وليس هنا بمعنى الضلال لقوله تعالى ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾. وأما قوله تعالى فلا تفضحني فذلك أن بني إسرائيل من فرط الجهل على قلوبهم لم يتعرفوا معاني الألفاظ ولا مواقع مواردها وإيصال ذلك إلى أفهامهم مما يتعذر على موسى عليه السلام فإنه لم يقدر على إيصال الواضحات إلى أفهامهم فكيف هذا وأمثاله.

(مهج الدعوات) من كتاب عبد الله بن عباس بن حماد الأنصاري عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر عنده حزيران فقال: هو الشهر الذي دعا فيه موسى على بني إسرائيل فمات في يوم وليلة من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف من الناس[(٢)].

(تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام) قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[(٣)] قال: كان موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من عند ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وأمثاله.

فلما فرج الله عنهم أمره الله عز وجل أت يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل. فظن موسى عليه السلام أنه بعد ذلك يعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوماً فلما كان في آخر اليوم استاك قبل الفطر، فأوحى الله إليه يا موسى أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك صم عشراً أُخر، ولا تستك عند الإفطار. ففعل ذلك موسى عليه السلام، وكان وعده الله أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه الله إياه.

فجاء السامري فشبّه على مستضعفي بني إسرائيل فقال وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة وهذه عشرون يوماً وعشرون ليلة تمت أربعون، أخطأ موسى ربّه وقد أتاكم ربكم أراد أن يريكم أنّه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه وأنّه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه فأظهر لهم العجل الذي كان عمله، فقالوا: كيف يكون العجل إلهنا، قال: إنما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما كلم موسى من الشجرة. فلما سمعوا منه كلاماً، قالوا له: إنه في العجل كما في الشجرة. فضلّوا بذلك وأضلّوا.

فلما رجع موسى إلى قومه قال: يا أيها العجل أكان فيك ربك كما يزعم هؤلاء فنطق العجل وقال: عز ربنا أن يكون العجل حاوياً له أو شيء من الشجرة والأمكنة عليه مشتملاً لا

---

(١) تفسير العياشي ج٢، ص ٢٩ حديث رقم ٨٠.

(٢) مهج الدعوات ص ٣٠٩.

(٣) سورة البقرة ؛ الآية: ٥١.

والله يا موسى، ولكن السامري نصب عجلاً مؤخره إلى الحائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه بعض مردته، فهو الذي وضع فاه على دبره وتكلم بما تكلم لما قال هذا إلهكم وإله موسى، يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء بعبادتي واتخاذي إلهاً إلا لتهاونهم بالصلاة على محمد وآله الطيبين وجحودهم بموالاتهم وبنبوّة النبي ووصية الوصي حتى أدّاهم إلى أن اتخذوني إلهاً، قال الله عز وجل: فإذا كان الله تعالى إنما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمد ووصيه علي، فما تخافون من الخذلان الأكبر ومعاندتكم لمحمد وعلي وقد شاهدتموهما وتبينتم آياتهما ودلائلهما(١).

وفيه أيضاً قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢) أي عفونا عن أوائلكم عبادتهم العجل لعلكم يا أيها الكائنون في عصر محمد صلى الله عليه وآله من بني إسرائيل تشكرون تلك النعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم. قال عليه السلام: وإنما عفا الله عز وجل عنهم لأنهم دعوا الله بمحمد وآله الطيبين وجددوا على أنفسهم الولاية لمحمد وعلي وآلهما الطاهرين فعند ذلك رحمهم الله وعفا عنهم.

ثم ساق الحديث إلى قوله: وأمر الله موسى عليه السلام أن يقتل من لم يعبده من عبده، فتبرأ أكثرهم وقالوا لم نعبد، فقال الله عز وجل لموسى: أبرد هذا العجل بالحديد برداً ثم ذره في البحر، فمن شرب منه ماء(٣) اسودت شفتاه وأنفه وبان ذنبه. ففعل، فبان العابدون، فأمر الله الاثني عشر ألفاً أن يخرجوا على الباقين شاهرين السيوف يقتلونهم وناد منادٍ: ألا لعن الله أحداً اتقاهم بيد أو رجل ولعن الله من تأمل المقتول لعله ينسبه حميماً قريباً فيتعداه إلى الأجنبي.

فاستسلم المقتولون فقال القاتلون نحن أعظم مصيبة منهم نقتل بأيدينا آباءنا وأمهاتنا وإخواننا وأقرباءنا ونحن لم نعبد فقد ساوى بيننا وبينهم في المصيبة. فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إني إنما امتحنتهم بذلك لأنهم ما اعتزلوهم لما عبدوا العجل ولم يهجروهم ولم يعادوهم على ذلك، قل لهم من دعا الله بمحمد وآله الطيبين يسهل عليهم قتل المستحقين للقتل بذنوبهم فقالوها، فسهل عليهم ولم يجدوا لقتلهم لهم ألماً. فلما استمر القتل فيهم ستمائة ألف إلا اثني عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل، وفق الله بعضهم، فقال لبعض والقتل لم يفض بعد إليهم فقال: أوليس الله قد جعل التوسل بمحمد وآله الطيبين أمراً لا يخيب معه طلبة ولا يرد به مسألة وهكذا توسلت به الأنبياء والرسل، فما لنا لا نتوسل.

قال فاجتمعوا وضجوا: يا ربنا نجنا بجاه محمد الأكرم وبجاه علي الأفضل الأعظم وبجاه فاطمة ذات الفضل والعصمة وبجاه الحسن والحسين سبطي سيد المرسلين وسيدي شباب أهل

---

(١) تفسير الإمام العسكري ص ٩٩.

(٢) سورة البقرة ؛ الآية: ٥٢.

(٣) في المصدر: من مائه.

الجنة أجمعين وبجاه الذرية الطيبة الطاهرة من آل طه ويس لما غفرت لنا ذنوبنا وغفرت لنا هفوتنا[١] وأزلت هذا القتل عنا. فذلك حين نودي موسى عليه السلام من السماء: أن كف القتل فقد سألني بعضهم مسألة وأقسم علي قسماً لو أقسم به هؤلاء العابدون العجل وسألني بعضهم العصمة حتى لا يعبدوه لوفقتهم وعصمتهم، ولو أقسم عليّ بها إبليس لهديته ولو أقسم بها نمرود أو فرعون لنجّيته. فرفع الله عنهم القتل، فجعلوا يقولون يا حسرتنا أين كنا عن هذا الدعاء بمحمد وآله الطيبين حتى يقينا الله شر الفتنة[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله لم سمي الفرقان فرقاناً؟ قال: لأنه متفرق الآيات والسور، أنزلت في غير الألوح وغير الصحف والتوراة والإنجيل والزبور نزلت كلها جملة في الألواح والورق[٣].

(البصائر) عن السمان قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى عليهم السلام؟ قال: قلت جعلت فداك ومن أي الحالات تسألني؟ قال: أسألك عن العلم، فأما الفضل فهم فيه سواء قلت: جعلت فداك فما عسى أقول فيهم؟ قال: هو والله أعلم منهما. ثم قال: يا عبد الله أليس تقولون لعلي ما للرسول من العلم. قال: قلت بلى، قال فخاصمهم فيه، إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤] فأعلمناه أنه لم يبين له الأمر كله وقال تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وآله ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٥].

(وروي) أنه لما أتاهم موسى وقد عبدوا العجل وأرادوا التوبة فقيل لهم: «فاقتلوا أنفسكم» فجلسوا في الأفنية محتبين وأصلت القوم عليهم خناجرهم، فكان الرجل يقتل ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنه المضي لأمر الله سبحانه فأرسل الله عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً.

وقيل لهم من حل حبوته[٦] أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته، فكانوا يقتلونهم إلى المساء. فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدّة القتلى سبعين ألفاً دعا موسى وهارون وبكيا وجزعا وتضرعا وقالا: يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية، فكشف الله السحابة وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا عن القتل، فلما انكشف السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى عليه السلام، فأوحى الله: ما يرضيك أن أُدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل

---

(١) الهفوة: السقطة والزلة.

(٢) تفسير الإمام العسكري ص ١٠٠ وفي المصدر: شر الفتنة ويعصمنا بأفضل العصمة.

(٣) علل الشرائع ج٢، ص ١٨١ باب ٢٢٢ حديث رقم ٣٣.

(٤) سورة الأعراف ؛ الآية: ١٤٥.

(٥) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٢٤٢ نقلاً عن بصائر الدرجات والآية من سورة النحل آية: ٨٩.

(٦) الحبوة: ما يشتمل به من ثوب أو عمامة.

منهم شهيداً ومن بقي مكفراً عنه ذنبه. ثم إن موسى عليه السلام هم بقتل السامري، فأوحى الله تعالى إليه: لا تقتله فإنه سخي. فلعنه موسى عليه السلام وقال: ﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا﴾[١] لعذابك في القيامة ﴿لَّن تُخۡلَفَهُۥ﴾[٢]. وأمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن لا تخالطوه ولا تقربوه، فصار السامري وحشياً لا يألف ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحداً منهم، فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقراض، فكان كذلك حتى هلك[٣].

الفصل السابع

في قصة قارون وذبح البقرة وما يتعلق بها

(تفسير علي بن إبراهيم) كان سبب هلاك قارون أنه لما أخرج موسى بني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية وذلك بعد غرق فرعون وقومه، أمرهم بقتال الجبابرة في أريحا أرض الشام فلم يطيعوه وقالوا ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ففرض الله عليهم دخولها وحرمها عليهم أربعين سنة وكانوا في التيه وكان قارون منهم وكان يقرأ القرآن ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه وكان يسمى المنون لحسن قراءته وقد كان يعمل الكيمياء. فلما طال الأمر على بني إسرائيل في التية أخذوا في التوبة. وكان قارون امتنع أن يدخل معهم في التوبة وكان موسى يحبه.

فدخل عليه موسى فقال: يا قارون قومك في التوبة وأنت قاعد ها هنا ادخل معهم وإلا نزل بك العذاب فاستهان به وبقوله فخرج من عنده مغتماً، فجلس في فناء قصره عليه جبة شعر ونعلان من جلد حمار فأمر قارون أن يصب عليه رماد قد خلط بالماء فصب عليه فغضب موسى غضباً شديداً وكان في كتفه شعرات كان إذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدم.

فقال موسى: يا رب إن لم تغضب لي فلست لك بنبي، فأوحى الله إليه: قد أمرت السموات والأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت. وقد كان قارون أمر أن يغلق باب القصر، فأقبل موسى فأومى إلى الأبواب فانفرجت ودخل عليه، فلما نظر إليه قارون علم أنه قد أُوتي بالعذاب، فقال يا موسى أسألك بالرحم بيني وبينك، فقال له موسى: يا بن لاوي لا يردني كلامك يا أرض خذيه فدخل القصر بما فيه في الأرض ودخل قارون في الأرض إلى الركبة، فبكى وحلفه بالرحم فقال له موسى يا بن لاوي لا تزدني من كلامك. وهذا ما قال موسى لقارون يوم أهلكه الله فعيره بما قاله لقارون، فعلم موسى أن الله قد عيّره بذلك، فقال: يا رب إن

---

(١) سورة طه؛ الآية: ٩٧.

(٢) سورة طه؛ الآية: ٩٧.

(٣) عرائس المجالس للثعلبي ص ١٨٧ في قصة هارون مع السامري.

قارون دعاني بغيرك ولو دعاني بك لأجبته، فقال الله: ما قلت يابن لاوي لا تزدني من كلامك، فقال موسى: يا رب لو علمت أن ذلك لك رضاً لأجبته، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لو أن قارون كما دعاك دعاني لأجبته ولكنه لما دعاك وكلته إليك، يا بن عمران لا تجزع من الموت، فإني كتبت الموت على كل نفس وقد مهدت لك مهاداً لو قد وردت عليه لقرت عينك.

فخرج موسى إلى جبل طور سيناء مع وصيه، فصعد موسى الجبل فنظر إلى رجل قد أقبل ومعه مكتل ومسحاة[١]، فقال له موسى: ما تريد؟ قال إن رجلًا من أولياء الله توفي فأنا أحفر قبره، فقال له موسى: أفلا أعينك عليه، قال بلى، فحفر القبر، فلما فرغا أراد الرجل أن ينزل إلى القبر، فقال له موسى: ما تريد؟ قال أدخل القبر فأنظر كيف مضجعه، فقال موسى: أنا أكفيك فدخل موسى فاضطجع فيه، فقبض فيه ملك الموت روحه وانضم عليه الجبل[٢].

أقول: قوله تعالى: ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾. قيل: كان ابن عمه يصهر بن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث. كان ابن خالته. وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام. وقيل: كان عم موسى عليه السلام[٣].

وقول قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي فضلت على الناس بالجاه والمال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وهو علم التوراة وكان أعلمهم. وقيل: هو علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب. وقيل: العلم بكنوز يوسف[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في خبر يونس قال: فدخل الحوت في بحر القلزم ثم خرج إلى بحر مصر ثم دخل إلى بحر طبرستان ثم دخل في دجلة العوراء[٥] ثم مرّت به تحت الأرض حتى لحقت بقارون، وكان قارون هلك في أيام موسى، ووكل الله به ملكاً يدخله في كل يوم قامة رجل، وكان يونس في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكل به: أنظرني فإني أسمع كلام آدمي فأوحى الله إلى الملك: أنظره. ثم قال قارون: من أنت؟ قال يونس: أنا المذنب الخاطىء يونس بن متى، قال: فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران أخو كلثم التي كانت سميت لي؟ قال؛ هيهات هلك. قال: فما فعل الغفور الرحيم على قومه هارون بن عمران؟ قال هلك. قال: فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سميت لي؟ قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد. فقال قارون: واأسفا على آل عمران. فشكر الله له ذلك، فأمر الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا، فرفعه عنه[٦].

---

(١) مكتل: زنبيل من خوص والمسحاة: كالمجرفة.
(٢) تفسير القمي ج٢، ص ١٤٤ - ١٤٥ في تفسير سورة القصص.
(٣) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٤١٥ - ٤١٦.
(٤) تفسير البيضاوي ج٣، ص ٣١٥ في تفسير سورة القصص.
(٥) دجلة العوراء بالعين المهملة: اسم لدجلة البصرة علم لها (معجم البلدان).
(٦) تفسير القمي ج١، ص ٩٨ في تفسير سورة يونس.

(وروي) في قوله تعالى: فبغى على قومه، يعني: على بني إسرائيل. فقال ابن عباس: كان فرعون قد ملك قارون على بني إسرائيل حين كان بمصر وكان يظلمهم. وقيل: زاد عليهم في الثياب شبراً، وقيل بكثرة ماله.

(وروي) عن خيثمة قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلًا غراء محجلة ما يزيد منها مفتاح على إصبع لكل مفتاح منها كنز وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه، فجعلت من جلود البقر على طول الأصابع، فكانت تحمل معه. ويقال: أينما يذهب تحمل معه على أربعين بغلًا. وكان أول طغيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الأموال، فكان يخرج في زينته ويختال. قال مجاهد: خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات. وقيل: في أربعة آلاف فارس ومعهم ثلاثة آلاف جارية بيض عليهم الحلي والثياب الحمر، فتمنى أهل الجهالة مثل الذي أوتيه.

ثم إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر لونه لون السماء. فأمرهم به موسى وقال: لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها، فإنه تعالى ينزل من السماء عليكم كلاماً فاستكبر قارون وقال: إنما تفعل هذه الأرباب بعبيدهم لكي يميزوا من غيرهم.

ولما قطع موسى عليه السلام بني إسرائيل البحر جعل الحبورة[1] - وهي رياسة المذبح وبيت القربان - لهارون، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديتهم ويدفعونه إلى هارون، فيضعه على المذبح فتنزل النار من السماء فتأكله، فوجد قارون في نفسه من ذلك وأتى موسى وقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما لا صبر لي على هذا، فقال موسى: والله ما أنا جعلتها لهارون بل الله تعالى جعلها له، فقال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه. فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل وقال: هاتوا عصيكم فجاؤوا بها فحزمها وألقاها في القبة التي كانت تعبد الله تعالى فيها، وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون عليه السلام قد اهتز لها ورق أخضر، وكانت من شجرة اللوز، فقال موسى: يا قارون أترى هذا؟ فقال قارون والله والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر! فذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة بينهما، وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم إلا كبراً ومعاداة لموسى عليه السلام، حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يميلون إلى مجالسته ومضاحكته.

ثم إن الله سبحانه أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فصالح قارون على أن يعطي عن كل ألف

---

(١) في المصدر الحبارة وكذا فيما يأتي.

دينار ديناراً وعن كل ألف شاة شاة وعن كل ألف شيء شيئاً، فرجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً، فلم تسمح بذلك نفسه! فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغية فنجعل لها جعلًا على أن تقذفه بنفسها! فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم. وقيل: طشتاً من الذهب، وقال لها إني أُموّلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل. فلما كان الغد جمع قارون بني إسرائيل فخرج إليهم موسى فقام فيهم خطيباً فوعظهم وقال: من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت. فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال قارون فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة! قال دعوها فإن قالت فهو ما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة إنما أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أُحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت: لا ولكن جعل لي قارون جعلًا على أن أُقذفك بنفسي.

فلما تكلمت بهذا الكلام نكس قارون رأسه وعرف أنه وقع في مهلكة، وخرّ موسى ساجداً يبكي ويقول: يا رب إن عدوك قد آذاني وأراد فضيحتي، اللهم فإن كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه، فأوحى الله سبحانه إليه: ارفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون ومن كان معه فليثبت معه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلا رجلان. ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى كعابهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى حقوقهم(١)، ثم قال يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم. وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى عليه السلام ويناشده قارون الله والرحم، حتى ناشده سبعين مرة، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه. ثم قال: يا أرض خذيهم فأطبقت عليهم الأرض.

فأوحى الله إلى موسى: ما أفظك، استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوني مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً. قال قتادة: ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة، وإنه يتجلجل فيها ولا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. فلما خسف الله تعالى بقارون وصاحبيه أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى أنما دعا على قارون ليأخذ داره وأمواله وكنوزه! فدعا الله تعالى موسى حتى خسف بداره وأمواله الأرض(٢) . . . الحديث.

(١) أي إلى خاصرتهم.

(٢) عرائس المجالس ص ١٨٩ - ١٩٢ وقد اختصر المصنف طاب ثراه، وأسقط منه الكثير كراهة التطويل.

(تفسير علي بن إبراهيم) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلًا من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأجابت، وخطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقاً رديئاً، فلم تقبل، فحسد ابن عمه الذي أجابوه فقعد له فقتله غيلة، ثم حمله إلى موسى عليه السلام فقال: يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل ولا أدري من قتله وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم ذلك على موسى عليه السلام، فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي الله.

وكان رجل في بني إسرائيل له بقرة وكان له ابن بار وكان عند ابنه سلعة، فجاء قوم يطلبون سلعته، وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً وكره ابنه أن ينبهه وينغص عليه نومه، فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته، ولما انتبه أبوه قال له: يا بني ماذا صنعت في سلعتك؟ قال هي قائمة لم أبعها، لأن المفتاح كان تحت رأسك وكرهت أن أنبهك وأنغص عليك نومك، قال أبوه قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه، وأمر بنو إسرائيل أن يذبحوا البقرة بعينها.

فلما اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجوا، قال لهم موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتعجبوا وقالوا: أتتخذنا هزواً نأتيك بقتيل، فتقول: اذبحوا بقرة! فقال لهم موسى: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. فعلموا أنهم قد أخطأوا فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال: إنه يقول: إنها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا مسنة ولا فتية، فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ قالوا ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي لم تذلل ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي لا تسقي الزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ﴾ أي لا نقطة فيها إلا الصفرة قالوا: الآن جئتنا بالحق، هي بقرة فلان. فذهبوا ليشتروها، فقال لا أبيعها إلا بملء جوفها ذهباً. فرجعوا إلى موسى فأخبروه فقال لهم: لا بد لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملء جلدها ذهباً، ثم قالوا: ما تأمرنا يا نبي الله؟ فأوحى الله تعالى إليه: قل لهم اضربوه ببعضها، وقولوا من قتلك؟ فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا من قتلك يا فلان؟ فقال ابن عمي الذي جاء بي. وهو قوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

(وروي) في حديث آخر: إنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر، فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه وطرحوه على باب المدينة، ثم جاؤوا يطالبون بدمه! فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله(٢)...

وعن أبي جعفر عليه السلام: من لبس نعلًا أصفر لم يزل ينظر في سرور ما دامت عليه، لأن الله عز وجل يقول: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾.

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ٤٩ - ٥٠ والآيات من سورة البقرة: ٦٩ - ٧٣.

(٢) تفسير البيضاوي ج١، ص ١١٢.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: لو أنهم عمدوا إلى أي بقرة أجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم(١).

(وقال الطبرسي) اختلف العلماء في هذه الآيات، فمنهم من ذهب إلى أن التكليف فيها متغاير، ولو أنهم ذبحوا أولًا أي بقرة اتفقت لهم، كانوا قد امتثلوا الأمر، فلما لم يفعلوا كانت المصلحة أن يشدد عليهم التكليف، ولما رجعوا المرة الثانية فغيرت مصلحتهم إلى تكليف ثالث.

ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر، فمنهم من قال في التكليف الأخير أنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت. فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف إلى تكليف زيادة في التشديد عليهم لما فيه من المصلحة. ومنهم من قال: يجب أن تكون الصفة الأخيرة فقط، دون ما تقدم. وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخاً للأول، والثالث للثاني. وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل، لأن المصلحة يجوز أن تتغير لعدم فوات وقتها، وإنما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل، لأن ذلك يؤدي إلى البداء. وذهب آخرون إلى أن التكليف واحد، وأن الأوصاف المتأخرة إنما هي للبقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان، وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة قال: إنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة، قالوا لموسى ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ فلا يخلو قولهم ﴿مَا هِيَۚ﴾ من أن يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها، أي عن التي أمروا بها ثانياً. والظاهر من قولهم ﴿مَا هِيَۚ﴾ يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها، لأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أُخرى ليستفهموا عنها.

وإذا صح ذلك فليس يخلو قوله ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ من أن يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الأولى أو غيرها، وليس يجوز أن يكون كناية عن بقرة ثانية، إذ الظاهر تعلقها بما تضمنه سؤالهم، ولأنه لم يكن الأمر جواباً لهم، وقول القائل في جواب من سأله كذا وكذا إنه بالصفة الفلانية صريح في أن الهاء كناية عما وقع السؤال عنه، هذا مع قولهم ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ فإنهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا أن خطابهم مجمل غير مبين، ولو كان على ما ذهب إليه القوم فلم لم يقل وأي تشابه عليكم، وإنما أمرتم بذبح أي بقرة كانت.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فالظاهر أن ذمهم مصروف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام، لا على ترك المبادرة في الأول إلى ذبح البقرة(٢).

انتهى. غاية ما أفاد رحمه الله هو أن الظاهر من الآيات هو ذلك وبعد تسليمه فقد يعدل عن الظاهر، لورود النصوص المعتبرة.

---

(١) قصص الراوندي ص ١٦٠ حديث رقم ١٧٥.

(٢) مجمع البيان المجلد الأول ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: إن بني إسرائيل جمعوا أموالهم لشراء البقرة، فوسع الله جلد الثور حتى وزن ما ملئ به جلده فبلغ خمسة آلاف ألف دينار فقال بعض بني إسرائيل لموسى عليه السلام وذلك بحضرة المقتول المنشور المضروب ببعض البقرة لا ندري أيهما أعجب إحياء الله هذا وإنطاقه بما نطق به أو إغناؤه لهذا الفتى بهذا المال العظيم فأوحى الله إليه: يا موسى قل لبني إسرائيل من أحب منكم أن أطيب في دنياه عيشه وأعظم في جناني محله وأجعل بمحمد وآله الطيبين فيها منادمته ليفعل كما فعل هذا الفتى، إنه كان قد سمع موسى بن عمران ذكر محمد وآلهما الطيبين، وكان عليهم مصلياً ولهم على جميع الخلائق من الجن والإنس والملائكة مفضلاً، فلذلك صرفت له المال العظيم.

قال الفتى: يا نبي الله كيف أحفظ هذه الأموال؟ أم كيف أحذر من عداوة من عاداني فيها؟ وحسد من يحسدني لأجلها؟ قال: قل عليها من الصلاة على محمد وآله الطيبين، ما كنت تقول قبل أن تنالها، فإن الذي رزقكها بذلك القول مع صحة الاعتقاد، يحفظها عليك أيضاً بهذا القول مع صحة الاعتقاد، فقالها الفتى فما رامها حاسد له إلا دفعه الله عنها.

فلما قال موسى عليه السلام للفتى ذلك وصار الله له بمقالته حافظاً، قال هذا المنشور: اللهم إني أسألك بما سألك به هذا الفتى من الصلاة على محمد وآله الطيبين أن تبقيني في الدنيا ممتعاً بابنة عمي.. فأوحى الله إليه: يا موسى إنه كان لهذا الفتى المنشور بعد القتل ستون سنة وقد وهبت له لمسألته وتوسله بمحمد وآله الطيبين سبعين سنة تمام مائة وثلاثين سنة صحيحة حواسه ثابت فيها جنانه قوية فيها شهواته يتمتع بحلال الدنيا ويعيش ولا يفارقها ولا تفارقه، فإذا حان حينهما وماتا جميعاً معاً، فصارا إلى جناني، وكانا زوجين فيها ناعمين.

ولو سألني هذا الشقي القاتل، بمثل ما توسل به هذا الفتى على صحة اعتقاده أن أعصمه من الحسد وأُقنعه بما رزقته، وذلك هو الملك العظيم لفعلت، ولو سألني بذلك مع التوبة أن لا أفضحه، لما فضحته، ولصرفت هؤلاء عن اقتراح إبانة القاتل ولأغنيت هذا الفتى من غير هذا الوجه بقدر هذا المال أوجده، ولو سألني بعد ما افتضح وتاب إليّ وتوسل بمثل وسيلة هذا الفتى أن أُنسي الناس فعله بعدما ألطف لأوليائه فيعفون عن القصاص لفعلت، وكان لا يعيره بفعله أحد.

فلما ذبحوها، قال الله تعالى ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ وأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة ولكن اللجاج حملهم على ذلك واتهامهم لموسى حداهم قال: فضجوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: افتقرت القبيلة ودفعت إلى التكفف وانسلخا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا، فادعوا الله لنا بسعة الرزق فقال لهم موسى: ويحكم ما أعمى قلوبكم أما سمعتم دعاء الفتى صاحب البقرة وما أورثه الله تعالى من الغنا أو ما سمعتم دعاء المقتول المنشور؟ وما أتم له من العمر الطويل والسعادة والتنعم بحواسه لما لا تدعون الله بمثل وسيلتهما، ليسد فاقتكم فقالوا:

اللهم إليك التجأنا وعلى فضلك اعتمدنا فأزل فقرنا وسد خلتنا[١] بجاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى ليذهب رؤساؤهم إلى خربة بني فلان ويكشفوا في موضع كذا وجه أرضها قليلًا ويستخرجوا ما هناك، فإنه عشرة آلاف دينار ليردوا على كل من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع لتعود أحوالهم، ثم ليقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهي خمسة آلاف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم في هذه المحنة لتضاعف أحوالهم جزاءً على توسلهم بمحمد وآله الطيبين واعتقادهم لتفضيلهم[٢].

(وروي) عن السدي وغيره: إن رجلًا من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ بره أن رجلًا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل وربح، فقال للبائع إن أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه، فأمهلني حتى يستيقظ فأعطيك الثمن، قال فأيقظ أباك وأعطني المال، قال: ما كنت أفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف فأنظرني حتى ينتبه أبي، قال الرجل: فأنا أحط عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد، فقال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهة أبي، ففعل ولم يوقظ أباه، فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك، فدعا له وجزاه خيراً وقال هذه البقرة لك بما صنعت. فقال رسول الله ﷺ: انظر ماذا صنع البر.

وعن ابن عباس: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان له عجل فأتى بالعجل إلى غيضة وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر، ومات الرجل فشبت العجلة في الغيضة وصارت عوانا[٣]، وكانت تهرب من كل من رامها.

فلما كبر الصبي كان باراً بوالدته، وكان يقسم الليلة ثلاثة أثلاث، يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي السوق فيبيعه بما شاء، ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثله ويعطي والدته ثلثاً. فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها فانطلق إليها وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك، وإن من علامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها.

فأتى يعقوب الغيضة، فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وقادها، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها، قالت البقرة بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت

---

(١) أي بمعنى الفقر والحاجة.
(٢) تفسير الإمام العسكري ص ١١٠ - ١١٢.
(٣) العوان: النصف من السن.

تقدر عليّ أبداً فانطلق فإنك لو أشرت إلى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل، لبرك بوالدتك. فسار الفتى بها، فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال: أيها الفتى إني رجل من رعاة البقر اشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضي حاجتي فقد أوسط الجبل وما قدرت عليه وإني أخشى على نفسي الهلكة فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك، فلم يفعل الفتى وقال: اذهب فتوكل على الله، ولو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة، فقال إبليس: إن شئت فبعنيها بحكمك وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها، فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك.

فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعا الفتى باسم إله إبراهيم فرجعت البقرة إليه، فقالت: أيها الفتى البار بوالدته لا تمر إلى الطائر الذي طار، فإنه إبليس عدو الله اختلسني، أما إنه لو ركبني لما قدرت عليه أبداً، فلما دعوت إله إبراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردني إليك لبرك بأمك وطاعتك لها. فجاء بها الفتى إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال لأمه: بكم أبيعها قالت: بثلاث دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي.

وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير، فانطلق الفتى إلى السوق، فعقبه الله سبحانه ملكاً ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضاء أمي فقال له الملك: ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضاء أمي. فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضاً مني فانطلق بالبقرة إلى السوق، فأتى الملك، فقال: استأمرت والدتك؟ فقال الفتى: نعم إنها أمرتني أن لا أنقصها من ستة دنانير على أن أستأمرها، قال له الملك: فإني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت: إن ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي، ليجربك فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل ذلك، فقال الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكي هذه البقرة، فإن موسى يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير، فأمسكوا تلك البقرة، وقد رد الله تعالى على بني إسرائيل ذبح البقرة بعينها، مكافأة على بره بوالدته فضلًا منه ورحمة، فطلبوها فوجدوها عند الفتى، فاشتروها بملء مسكها ذهباً. وقال السدي: اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً[1].

---

(١) عرائس المجالس ص ٢٠٤ - ٢٠٦.

الفصل الثامن
في لقاء موسى عليه السلام للخضر وسائر أحوال الخضر

تفسير علي بن إبراهيم: لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف، قالوا أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى أن يتبعه وما قصته؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾(١). قال: وكان سبب ذلك أنه لما كلم الله موسى تكليماً، فأنزل عليه الألواح وفيها من كل شيء موعظة، ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فصعد المنبر فأخبرهم أن الله قد أنزل عليكم التوراة، وقال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم مني. فأوحى الله إلى جبرائيل: أدرك موسى فقد هلك وأعلمه أن عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجل أعلم منك، فصر إليه وتعلم من علمه، فنزل جبرائيل عليه السلام على موسى عليه السلام وأخبره فذلّ موسى في نفسه وأعلم أنه أخطأ ودخله الرعب، وقال لوصيه يوشع: إن الله قد أمرني أن أتبع رجلًا عند ملتقى البحرين وأتعلم منه فتزود يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا. فلما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلًا مستلقياً على قفاه، فلم يعرفاه، فأخرج وصي موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت.

وكان ذلك الماء ماء الحيوان، فحيي الحوت ودخل في الماء. فمضى عليه السلام ويوشع معه حتى عييا، فقال لوصيه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾(٢) - أي عناء - فذكر وصيه السمكة، فقال لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ على الصخرة فقال موسى: ذلك الرجل الذي رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده فرجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ إلى عند الرجل وهو في الصلاة، فقعد موسى عليه السلام حتى فرغ من الصلاة فسلم عليهما.

وحدثني محمد بن علي بن بلال عن يونس قال: اختلف يونس وهشام في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام أيهما كان أعلم، وهل يجوز أن يكون حجة في وقته، وهو حجة الله على خلقه. فقال قاسم الصيقل: فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب: أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر، إما جالساً وإما متكئاً، فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام، فقال: من أنت؟ قال أنا موسى بن عمران قال: أنت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً، قال: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشداً قال: إني وُكلت بأمر لا تطيقه، ثم حدثه العالم بما يصيب آل محمد عليهم السلام من البلاء، حتى اشتد بكاؤهما، ثم حدثه عن فضل آل محمد، حتى جعل موسى يقول: يا ليتني كنت من آل محمد، حتى ذكر فلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وما يلقى

(١) سورة الكهف؛ الآية: ٦٠.
(٢) سورة الكهف؛ الآية: ٦٢.

منهم ومن تكذيبهم إياه، وذكر له تأويل هذه الآية: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(١) حين أخذ الميثاق عليهم فقال موسى عليه السلام ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فقال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ فقال موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ قال الخضر عليه السلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

يقول: لا تسألني عن شيء أفعله ولا تنكره عليّ حتى أخبرك أنا بخبره قال: نعم، فمروا ثلاثتهم حتى انتهوا إلى ساحل البحر وقد شحنت سفينة وهي تريد أن تعبر، فقال أرباب السفينة: نحمل هؤلاء الثلاثة نفر فإنهم قوم صالحون فحملوهم، فلما جنحت السفينة في البحر، قام الخضر عليه السلام إلى جانب السفينة فكسرها وحشاها بالخرق والطين، فغضب موسى غضباً شديداً وقال للخضر: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ فقال له الخضر عليه السلام ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ قال له موسى عليه السلام ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ فخرجوا من السفينة. فنظر الخضر عليه السلام إلى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنه قطعة قمر، في أذنيه درتان، فتأمله الخضر عليه السلام ثم أخذه وقتله، فوثب موسى على الخضر عليه السلام وجلد به الأرض فقال ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ فقال الخضر عليه السلام ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ قال موسى عليه السلام ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ﴾ بالعشي قرية تسمى الناصرة وإليها تنسب النصارى، ولم يضيفوا أحداً قط ولم يطعموا غريباً فاستطعموهم فلم يطعموهم ولم يضيفوهم فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال ليتهدم فوضع الخضر عليه السلام يده عليه وقال: قم بإذن الله؛ فقام، فقال موسى عليه السلام لم ينبغ أن تقيم الجدار حتى يطعمونا ويروونا، وهو قوله ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فقال الخضر عليه السلام ﴿هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ التي فعلت بها ما فعلت فإنها كانت لقوم ﴿يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ - السفينة - ﴿مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ كذا نزلت وإذا كانت السفينة معيوبة لم يأخذ منها شيئاً.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وطبع كافراً كذا نزلت، فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب طبع كافراً ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ فأبدل الله والديه بنتاً، ولد منها سبعون نبياً من أنبياء بني إسرائيل.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ - الذي أقمته - ﴿فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(٢).

(١) سورة الأنعام؛ الآية: ١١٠.
(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٣٧ - ٤٠ والآيات من سورة الكهف ٦٦ - ٨٢.

أقول: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ أي لا أزال أمشي ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ بحر فارس وبحر الروم. وقيل: هو إفريقية.

وقيل: البحران موسى والخضر عليه السلام، فإن موسى كان بحر العلم الظاهر، والخضر بحر العلم الباطن. وروي أن موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله المصر خطبة طويلة فأعجب بها، فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا! فأوحى الله إليه: بل عندنا الخضر وهو بمجمع البحرين. وكان الخضر عليه السلام في أيام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى. وقيل: أن موسى عليه السلام سأل ربه: أي عبادك أعلم؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى[١]، قال إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر، قال أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة، قال: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتلك فحيث فقدته فهناك. قال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع البحرين نسيا حوتهما يعني نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر.

وروي أن موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر عليه السلام. وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة، فأنضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء، فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه ائتنا ما نتغدى به...[٢] الحديث.

ولا ينافي نبوة موسى عليه السلام وكونه صاحب شريعة، أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين، فإن رسول الله ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، هكذا في التفاسير.

والأولى في الجواب أن يقال إن الخضر عليه السلام كان من الأنبياء، فزيادة نبي على نبي في طرف من العلم وذلك النبي الآخر يزيد عليه فيما لا يتناهى من العلوم والكمال، لا قدح فيه على أن الله سبحانه إذا أراد أن يبتلي بعض الأنبياء في مثل هذه الأمور، كما سيأتي في حديث الطير وعلمه الزائد عليهما لا إشكال فيه، كما ستعرفه إن شاء الله تعالى.

(علل الشرائع) عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن الخضر عليه السلام كان نبياً مرسلاً، بعثه الله تعالى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه. وكانت آيته أنه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا أزهرت خضراء، وإنما سمي الخضر لذلك، وكان اسمه تاليا بن ملكان بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام[٣].

---

(١) الردى: الهلاك.

(٢) تفسير البيضاوي ج٣، ص ٢٧.

(٣) علل الشرائع ج١، ص ٧٧، باب ٥٤.

ثم ساق الحديث إلى قوله: وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً قال: ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضة ولكن كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب: عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجب لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجب لمن أيقن أن البعث حق كيف يظلم، عجب لمن يرى الدنيا وتصرف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئن إليها. وكان بينهما وبين هذا الأب الصالح سبعون أباً، فحفظهما الله بصلاحه.

قال الصدوق بعد تمام الحديث: إن موسى عليه السلام مع كمال عقله ومحله من الله تعالى لم يستدرك باستدلاله واستنباطه معنى أفعال الخضر عليه السلام حتى اشتبه عليه وجه الأمر فيه وسخطه جميع ما كان يشاهده حتى أخبر بتأويله، ولو لم يخبر بتأويله لما أدركه، ولو بقي في الفكر عمره، فإذا لم يجز لأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم: القياس والاستنباط والاستخراج، كان من دونهم من الأمم أولى بأن لا يجوز لهم ذلك، انتهى[(١)].

وقوله: ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضة، يعني أن المقصود منه هو العلم ووصوله إلى أهله، وإن كان ذهباً فهو كنزان، كنز علم وكنز ذهب.

(علل الشرائع) سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن طيفور الدامغاني الواعظ بفرغانة يقول في خرق الخضر عليه السلام السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار: إن تلك إشارات من الله تعالى لموسى عليه السلام وتعريضات إلى ما يريده من تذكيره لمنن سابقة لله عز وجل عليه، نبهه عليها وعلى مقدارها من الفضل، ذكره بخرق السفينة أن الذي حفظه في الماء حين ألقته أمه في التابوت وألقت التابوت في اليم، هو الذي يحفظهم في السفينة.

وأما قتل الغلام كان قد قتل رجلاً في الله عز وجل، وكانت تلك زلة عظيمة عند من لم يعلم أن موسى عليه السلام نبي، فذكره بذلك منة عليه حين دفع عنه كيد من أراد قتله به.

وأما إقامة الجدار من غير أجر، فإن الله عز وجل ذكره بذلك فضله فيما أتاه في ابنتي شعيب حين سقى لهما، وهو جائع ولم يبتغ على ذلك أجراً، مع حاجته إلى الطعام فنبهه الله على ذلك ليكون شاكراً مسروراً[(٢)].

فأما قول الخضر عليه السلام: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فإن ذلك كان من جهة موسى عليه السلام حيث قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فموسى اختار سبعين رجلاً من قومه لميقات ربه فلم يصبروا بعد سماع كلام الله عز وجل، حتى تجاوزوا الحد بقولهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى

---

(١) علل الشرائع ج١، ص ٨٠ باب ٥٤.

(٢) في حاشية البحار ج١٣، ص ٢٩٢: لم يسند محمد بن عبد الله هذه الأمور والإشارات إلى رواية ولا حديث، بل هي نتيجة ذوقه واستفادته، فلا يصح الجزم بأنها أريدت من الآيات وأن الله تعالى أراد تذكير موسى بها.

﴿ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾[(١)] فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا، ولو اختارهم الله لعصمهم، ولما اختار من يعلم منه تجاوز الحد.

فإذا لم يصلح موسى عليه السلام للاختيار مع فضله ومحله، فكيف تصلح الأمة لاختيار الإمام بآرائها؟ وكيف يصلحون لاستنباط الأحكام واستخراجها بعقولهم الناقصة وآرائهم المتفاوتة وهممهم المتباينة وإرادتهم المختلفة. تعالى الله عن الرضا باختيارهم علواً كبيراً. وأفعال أمير المؤمنين صلوات الله عليه مثلها مثل أفاعيل الخضر عليه السلام، وهي حكمة وصواب، وإن جهل الناس وجه الحكمة والصواب فيها[(٢)].

وفيه عن عباية الأسدي قال: كان عبد الله بن العباس جالساً على شفير زمزم يحدث الناس، فلما فرغ من حديثه، أتاه رجل فسلم عليه ثم قال: يا عبد الله إني رجل من أهل الشام، فقال أعوان كل ظالم إلا من عصم الله منكم، سل عما بدا لك، فقال: يا عبد الله بن عباس إني جئتك أسألك عمن قتله علي بن أبي طالب عليه السلام من أهل لا إله إلا الله لم يكفروا بصلاة ولا بحج ولا بصوم شهر رمضان ولا بزكاة؟ فقال له عبد الله: ثكلتك أمك سل عما يعنيك ودع عما لا يعنيك، فقال: ما جئتك أضرب إليك من حمص للحج ولا للعمرة ولكن أتيتك تشرح لي أمر علي بن أبي طالب عليه السلام وفعاله فقال: ويلك إنّ علم العالم لا تحتمله ولا تقر به القلوب الصدئة أُخبرك أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان مثله في هذه الأُمة كمثل موسى والعالم عليهما السلام، وذلك أن الله تبارك وتعالى قال في كتابه ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[(٣)]. فكان موسى يرى أن جميع الأشياء قد أثبتت له، كما ترون أنتم أن علماءكم قد أثبتوا جميع الأشياء.

فلما انتهى موسى عليه السلام إلى ساحل البحر فلقي العالم، فاستنطق بموسى ليصل علمه ولم يحسده، كما حسدتم أنتم علي بن أبي طالب عليه السلام وأنكرتم فضله، فقال له موسى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ فعلم العالم أن موسى لا يطيق بصحبته ولا يصبر على علمه ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ فقال له موسى ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ فعلم العالم أن موسى لا يصبر عن علمه ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾. قال: «فركبا في السفينة فخرقها» العالم، وكان خرقها لله عز وجل، وسخط موسى ذلك. كذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام لم يقتل إلا من كان قتله لله عز وجل رضاً ولأهل الجهالة من الناس سخطاً[(٤)].

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٥٥.

(٢) علل الشرائع ج١، ص ٨١ باب ٥٤ حديث رقم ٢.

(٣) سورة الأعراف؛ الآيتان: ١٤٤ و ١٤٥.

(٤) علل الشرائع ج١، ص ٨٢ باب ٥٤ حديث رقم ٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن موسى بن عمران عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: أوصني. فكان مما أوصاه أن قال له: إياك واللجاجة، أو أن تمشي في غير حاجة أو أن تضحك من غير تعجب[١] واذكر خطيئتك وإياك وخطايا الناس[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ﴾ قال: والله ما كان من ذهب ولا فضة وما كان إلا لوحاً في كلمات أربع: إني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد رسولي، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح قلبه، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يضحك سنّه، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يستبطىء الله في رزقه، وعجبت لمن يرى النشأة الأولى كيف ينكر النشأة الآخرة[٣].

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أقام العالم الجدار أوحى الله تعالى إلى موسى: إني مجازي الأبناء بسعي الآباء، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، لا تزنوا فتزني نساؤكم، ومن وطىء فراش امرأة مسلم وُطىء فراشه، كما تدين تدان[٤].

(تفسير) علي بن إبراهيم عنه عليه السلام: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء، وجد في طريقه ريحاً مثل ريح المسك الأذفر، فسأل جبرائيل عنها فقال إنها تخرج من بيت عذب فيه قوم في عبادة الله حتى ماتوا. ثم قال له: إن الخضر عليه السلام كان في أبناء الملوك، فآمن بالله وتخلّى في بيت أبيه يعبد الله، ولم يكن لأبيه ولد غيره، فأشاروا إلى أبيه أن يزوجه، لعل الله أن يرزقه ولداً، فيكون الملك فيه وفي عقبه فخطب له امرأة بكراً وأدخلها عليه، فلم يلتفت الخضر إليها، فلما كان اليوم الثاني قال لها الخضر: تكتمين عليَّ أمري؟ فقالت: نعم، قال لها: إن سألك أبي هل كان مني إليك ما كان من الرجال إلى النساء فقولي نعم؟ قالت: أفعل.

فسألها الملك عن ذلك، فقالت: نعم، وأشار عليه الناس أن يأمر النساء أن يفتشنها فأمر وكانت على حالتها، فقالوا: أيها الملك زوجت الغر من الغرة[٥] ـ يعني الغافل من الغافلة ـ زوجه امرأة ثيباً فزوجه، فلما دخلت عليه، سألها الخضر أن تكتم عليه فقالت نعم، فلما أن سألها الملك قالت أيها الملك إن ابنك امرأة فهل تلد المرأة من المرأة! فغضب عليه، فأمر بردم الباب[٦] عليه فردم. فلما كان اليوم الثالث حركته رقة الآباء، فأمر بفتح الباب ففتح، فلم يجدوه فيه، فأعطاه الله من القوة أن يتصور كيف شاء، ثم كان على مقدمة ذي القرنين، وشرب من الماء الذي من شرب منه بقي إلى الصيحة.

(١) في المصدر: عجب.

(٢) أمالي الصدوق ص ٢٦٥ المجلس ٥٢ حديث رقم ١١.

(٣) الخصال للصدوق ص ٢٣٦ باب الأربعة حديث رقم ٧٩.

(٤) فروع الكافي ج٥، ص ٥٥٣، باب أن من عف عن حرم الناس.

(٥) أي الشابة الحديثة السن التي لا تجربة لها.

(٦) أي صده.

قال: فخرج من مدينة أبيه رجلان في تجارة في البحر حتى وقعا إلى جزيرة من جزائر البحر، فوجدا فيه الخضر قائماً يصلي، فلما انفتل دعاهما فسألهما عن خبرهما فأخبراه، فقال لهما: هل تكتمان عليّ أمري إن أنا رددتكما في يومكما إلى منازلكما فقالا: نعم، فنوى أحدهما أن يكتم أمره، ونوى الآخر أن رده إلى منزله أخبر أباه بخبره فدعا الخضر سحابة، فقال: احملي هذين إلى منازلهما، فحملتهما السحابة حتى وضعتهما من يومهما، فكتم أحدهما أمره، وذهب الآخر إلى الملك فأخبره بخبره! فقال له الملك: من يشهد لك بذلك؟ قال: فلان التاجر فدل على صاحبه فبعث الملك إليه فأنكره وأنكر معرفة صاحبه.

فقال له الأول: أيها الملك ابعث معي خيلًا إلى هذه الجزيرة واحبس هذا حتى آتيك بابنك! فبعث معه خيلًا، فلم يجدوه، فأطلق عن الرجل الذي كتم عليه. ثم إن القوم عملوا بالمعاصي، فأهلكهم الله وجعل مدينتهم عاليها سافلها، وابتدرت الجارية التي كتمت عليه أمره والرجل الذي كتم عليه كل واحد منهما ناحية من المدينة فلما أصبحا التقيا، فأخبر كل واحد منهما صاحبه بخبره فقالا: ما نجونا إلا بذلك، فآمنا برب الخضر وحسن إيمانهما، وتزوج بها الرجل.

ووقعا إلى مملكة ملك آخر، وتوصلت المرأة إلى بيت الملك وكانت تزين بنت الملك، فبينا هي تمشطها يوماً إذ سقط من يدها المشط فقالت: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت لها بنت الملك: ما هذه الكلمة، فقالت لها: إن لي إلهاً يجري الأمور كلها بحوله وقوته، فقالت ألك إله غير أبي؟ فقالت: نعم وإلهك وإله أبيك، فدخلت بنت الملك إلى أبيها، فأخبرت أباها بما سمعت من هذه المرأة، فدعاها الملك فسألها عن خبرها فأخبرته، فقال لها: من دلك على دينك؟ قالت: زوجي وولدي، فدعاهم الملك وأمرهم بالرجوع عن التوحيد فأبوا عليه، فدعا بمرجل[1] من ماء فسخنه وألقاهم فيه وأدخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت. فقال جبرائيل لرسول الله ﷺ: فهذه الرائحة التي تشمها من ذلك البيت[2].

عن عبد الله بن سلمان قال: قرأت في بعض كتب الله عز وجل أن ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله عز وجل حجة على عباده ولم يجعله نبياً فمكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً، فوضعت له عين الحياة وقيل له من شرب منها شربة لم يمت حتى يسمع الصيحة.

وإنه خرج في طلبها حتى انتهى إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً، فكان الخضر عليه السلام على مقدمته وكان من أحب الناس إليه، فأعطاه حوتاً مالحاً، وأعطى كل واحد من أصحابه حوتاً مالحاً وقال لهم: ليغسل كل رجل منكم حوته عند كل عين. فانطلقوا وانطلق الخضر عليه السلام

---

(١) الإناء الذي يُغلى فيه الماء أو القدر وهو من حجارة أو نحاس.

(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٤٢ - ٤٤ في تفسيرة لسورة الكهف وفيه شممتها.

إلى عين من تلك العيون، فلما غمس الحوت في الماء حي فانساب في الماء، فلما رأى الخضر عليه السلام ذلك علم أنه قد ظفر بماء الحياة فرمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس فيه ويشرب منه. فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته ورجع الخضر وليس معه الحوت، فسأله عن قصته فأخبره، فقال له: أشربت من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها وأنت الذي خلقت لهذه العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور(١).

المظفر العلوي عن ابن العياشي عن أبيه عن جعفر بن أحمد عن ابن فضال عن الرضا عليه السلام قال: إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور وإنه ليأتينا فيسلم علينا فنسمع صوته ولا نرى شخصه، وإنه ليحضر حيث ذكر، فمن ذكره منكم فليسلم عليه وإنه ليحضر المواسم فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمّن على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته(٢).

أقول: في قوله عليه السلام: «وإنه ليحضر حيث ذكر» دلالة على حضوره في الأمكنة التي يذكرونها فما تعارف في هذه الأعصار بين الناس من قولهم طحين للخضر عليه السلام في حجرة مقفلة، وإذا صار الصباح رأوا على ذلك الطحين آثار يد الخضر غير خال من الدليل بل هذا دليله، لأنهم من ذلك الوقت يذكرونه في الدعاء والصلاة.

(وعن) الرضا عليه السلام قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء الخضر فوقف على باب البيت وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله قد سجّي(٣) بثوب، فقال السلام عليكم يا أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله خلفاً من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركاً من كل فائت فتوكلوا عليه وثقوا به واستغفروا الله لي ولكم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا أخي الخضر جاء يعزيكم بنبيكم(٤).

(الكافي) بإسناده إلى سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر قال: علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا ليس علينا عين، فقال ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر عليهما السلام لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر أُعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة(٥).

---

(١) بحار الأنوار ج١٣، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٣) أي مدُ عليه الثوب.

(٤) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٢٩٩ - ٣٠١.

(٥) أصول الكافي ج١، ص ٢٦٠ باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون.

(إكمال الدين) كان اسم الخضر خضرويه بن قابيل بن آدم. ويقال: حضرون أيضاً، ويقال: خلعبا. وإنما سمي الخضر لأنه جلس على أرض بيضاء فاهتزت خضراء. والصحيح أن اسمه الياس[(١)] بن ملكان بن عامر بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام[(٢)].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مسجد السهلة مناخ الراكب. قيل: ومن الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام[(٣)].

وعنه عليه السلام في قول موسى عليه السلام لفتاه ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ وقوله ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال: إنما عنى الطعام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن موسى لذو جوعات[(٤)].

أقول: والجوعة الثالثة كما جاء في الحديث هو قوله (لاتخذت عليه أجراً).

(تفسير العياشي) عن بريد عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت له ما منزلتكم في الماضين أو بمن تشبهون منهم قال: الخضر وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا بنبيين[(٥)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: كان في كتف الغلام الذي قتله العالم - أي الخضر عليه السلام مكتوباً كافراً[(٦)].

وقال عليه السلام: إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وإن الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمائة سنة[(٧)].

(رياض الجنان) بإسناده إلى عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة أحد حواريي المسيح عليه السلام رقّ فيه مكتوب بالقلم السرياني منقول من التوراة: إن موسى عليه السلام لما رجع من عند الخضر عليه السلام إلى قومه سأله أخوه هارون عليه السلام عما شاهده من عجائب البحر قال: بينا أنا والخضر على شاطىء البحر إذ سقط بين أيدينا طائر أخذ في منقاره قطرة ورمى بها نحو المشرق وأخذ ثانية ورماها في المغرب وأخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء ورابعة رماها إلى الأرض ثم أخذ خامسة وعاد ألقاها في البحر، فبهتنا لذلك.

فسألت الخضر عليه السلام عن ذلك فلم يجب، فإذا نحن بصياد يصطاد، فنظر إلينا وقال: ما لي أراكما في فكر وتعجب من الطائر قلنا: هو ذلك، قال: أنا رجل صياد قد علمت وأنتما نبيان

---

(١) في المصدر: بليا.
(٢) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٣٠٣.
(٣) نفس المصدر.
(٤) تفسير العياشي ج٢، ص ٣٣٠ في تفسيره لسورة الكهف حديث رقم ٤٤ و ٤٥.
(٥) نفس المصدر.
(٦) تفسير العياشي ج٢، ص ٣٣٦ في تفسير سورة الكهف حديث رقم ٥٧.
(٧) تفسير العياشي ج٢، ص ٣٣٦ تفسير سورة الكهف حديث رقم ٥٨.

ما تعلمان؟ قلنا: ما نعلم إلا ما علمنا الله، قال: هذا طائر في البحر يسمى مسلم، لأنه إذا صاح يقول في صياحه مسلم، فأشار برمي الماء من منقاره إلى السماء والأرض والمشرق والمغرب إلى أنه يبعث نبي بعدكما تملك أمته المشرق والمغرب ويصعد إلى السماء ويدفن في الأرض، وأما رميه الماء في البحر يقول: إن علم العالم عند علمه مثل هذه القطرة وورث علمه وصيه وابن عمه. فسكن ما كنا فيه من المشاجرة واستقل كل واحد منا علمه بعد أن كنا معجبين بأنفسنا. ثم غاب الصياد عنا، فعلمنا أنه بعثه الله تعالى إلينا ليعرفنا حيث ادعينا الكمال(١).

(مهج الدعوات) روي أن الخضر وإلياس يجتمعان في كل موسم ويفترقان عن هذا الدعاء وهو: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيده الله عز وجل لا يصرف السوء إلا الله(٢).

الفصل التاسع
في مناجاة موسى وما جرى بينه وبين إبليس
وفي وفاة موسى وهارون وموضع قبرهما وما يتبع ذلك من النوادر

تفسير علي بن إبراهيم، عن ابن محبوب، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من زرع حنطة في أرض فلم يزكّ أرضه وزرعه وخرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض أو بظلم لمزارعه وأكرته، لأن الله يقول: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾(٣) يعني لحوم الإبل وشحوم البقر والغنم(٤).

(الأمالي) بإسناده إلى عبد العظيم الحسني عن أبي الحسن العسكري عليه السلام(٥) قال: لما كلم الله موسى بن عمران قال موسى: إلهي ما جزاء من شهد أني رسولك ونبيك وأنت كلمتني؟ قال: يا موسى تأتيه ملائكتي فتبشره بجنتي، قال موسى: إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلي؟ قال: يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً ومن باهيت به ملائكتي يا موسى آمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق إن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار، قال موسى: إلهي فما جزاء من وصل رحمه؟ قال: يا موسى أنسىء له أجله وأهون عليه سكرات

---

(١) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٣١٣.
(٢) مهج الدعوات ص ٣١٠ في خبر خضر وإلياس.
(٣) سورة النساء؛ الآية: ١٦٠.
(٤) تفسير القمي ج١، ص ١٥٨.
(٥) في المصدر: عن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام.

الموت ويناديه خزنة الجنة هلم إلينا من أي أبوابها شئت، قال موسى: إلهي فما جزاء من كف أذاه عن الناس وبذل معروفه لهم؟ قال: يا موسى تناديه النار يوم القيامة لا سبيل لي عليك قال إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشي وأجعله في كنفي، قال إلهي فما جزاء من تلى حكمتك سراً وجهراً؟ قال: يا موسى يمر على الصراط كالبرق، قال: إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشتمهم فيك؟ قال: أعينه على أهوال يوم القيامة. قال: إلهي فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك؟ قال: يا موسى أقي وجهه من حرّ النار وأؤمنه يوم الفزع الأكبر. قال: يا إلهي فما جزاء من ترك الخيانة حياءً منك؟ قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة. قال: إلهي فما جزاء من أحب أهل طاعتك؟ قال: يا موسى أحرمه على ناري. قال: إلهي فما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً؟ قال: لا أنظر إليه ولا أقيل عثرته. قال: إلهي فما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد. قال: إلهي فما جزاء من صلى الصلاة بوقتها؟ قال أعطيه سؤلي وأبيحه جنتي. قال: إلهي فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك؟ قال: أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ. قال: إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً؟ قال: يا موسى أقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه، قال: إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس؟ قال: يا موسى ثوابه كثواب من لم يصمه(١).

(الأمالي) عن محمد بن سنان عن المفضل قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران أن قال له: يابن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، ها أنا يابن عمران مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل. حوّلت أبصارهم من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور، يابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل وادعني فإنك تجدني قريباً مجيباً(٢).

(الكافي) محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن ابن مسكان عن سدير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن بني إسرائيل أتوا موسى فسألوه أن يسأل الله عز وجل أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا ويحبسها إذا أرادوا؟ فسأل الله عز وجل ذلك لهم فقال الله عز وجل فليحرثوا أفعل ذلك لهم يا موسى. فأخبرهم موسى فحرثوا ولم يتركوا شيئاً إلا وزرعوه، ثم استنزلوا المطر عليهم على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم، فصارت زروعهم كأنها الجبال والآجام، فحصدوا وداسوا وذرّوا(٣)، فلم يجدوا شيئاً، فضجوا إلى موسى عليه السلام

---

(١) أمالي الصدوق ص ١٧٣ المجلس ٣٧ برقم ٨.
(٢) أمالي الصدوق ص ٢٩٢ المجلس ٥٧ برقم ١.
(٣) أي بذروا.

وقالوا: إنما سألناك أن تسأل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا، ثم صيرها ضرراً! فقال: يا رب إن بني إسرائيل ضجوا مما صنعت بهم فقال: ومم ذاك يا موسى؟ قال: سألوني أن أسألك أن تمطر السماء إذا أرادوا، فأجبتهم ثم صيرتها عليهم ضرراً، فقال: يا موسى أنا كنت المقدّر لبني إسرائيل، فلم يرضوا بتقديري، فأجبتهم إلى إرادتهم فكان ما رأيت[1].

(عيون الأخبار) بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال: لما بعث الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه وفلق له البحر وأعطاه التوراة، رأى مكانه من ربه عز وجل. فقال: يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي. قال: يا موسى أما علمت أن محمداً عندي أفضل من جميع ملائكتي وجميع خلقي، قال موسى: يا رب فإن كان محمد أكرم عندك من جميع خلقك فهل من آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله جل جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين، فقال موسى: يا رب فإن كان آل محمد كذلك فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أُمتي ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى وفلقت لهم البحر؟ فقال الله جل جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل أُمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي، فقال موسى: يا رب ليتني كنت أراهم! فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في جنات عدن والفردوس بحضرة محمد في نعيمها يتقلبون، أفتحب أن أسمعك كلامهم؟ قال: نعم إلهي، قال الله جل جلاله: قم بين يديّ واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ففعل ذلك موسى عليه السلام.

فنادى ربنا عز وجل: يا أُمة محمد! فأجابوه وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أُمهاتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك[2]، لا شريك لك. قال: فجعل الله عز وجل تلك الإجابة شعاراً للحج.

ثم نادى ربنا عز وجل: يا أُمة محمد إن قضائي عليكم أن رحمتي سبقت غضبي وعفوي قبل عقابي فقد استجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صادق في أقواله محق في أفعاله وإن علي بن أبي طالب أخاه ووصيه من بعده ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد وأن أولياءه المصطفين المطهرين الميامين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه، أدخلته جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال عليه السلام: فلما بعث الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله، قال: يا محمد وما كنت بجانب

---

(١) فروع الكافي ج٥، ص ٢٦٢ كتاب المعيشة باب فضل الزرع.
(٢) في المصدر: والملك لك.

الطور إذ نادينا أُمتك بهذه الكرامة. ثم قال الله عز وجل لمحمد ﷺ: قل الحمد لله رب العالمين على ما اختصني به من هذه الفضيلة. وقال لأمته: قولوا أنتم الحمد لله رب العالمين على ما اختصنا به من هذه الفضائل(١).

(الكافي) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة التي لم تغير أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب أقريب أنت مني فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني، فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك، قال: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون فيَّ فأُحبهم، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم، فدفعت عنهم بهم(٢).

أقول: ينبغي على الصوفية إذكارهم ووجدهم ونهيقُهم وزعيقهم ورقصهم وصنعتهم وزعمهم أن هذا كله من أفضل العبادات والطاعات.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل ناجى موسى بن عمران بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام ولياليهن ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها. فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلام الآدميين مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله عز وجل(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: احفظ وصيتي لك بأربعة أشياء:

أوّلهنّ: ما دمت لا ترى ذنوبك تغفر فلا تشغل بعيوب غيرك.

والثانية: ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتمّ بسبب رزقك.

والثالثة: ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحداً غيري.

والرابعة: ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره(٤).

وعنه عليه السلام: ليس في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلا وهي في التوراة (يا أيها الناس) وفي خبر آخر: (يا أيها المساكين)(٥).

وعنهم عليهم السلام: قال إبليس يا موسى لا تخل بامرأة فإنه لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له، إلا وكنت صاحبه دون أصحابي، وإياك أن تعاهد الله عهداً فإنه ما عاهد الله أحد إلا وكنت

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١، ص ٢٥٥ باب ٢٧ حديث رقم ٣٠ وللحديث صدر ترك ذكره للاختصار.
(٢) أصول الكافي ج٢، ص ٤٩٦ كتاب الدعاء باب ما يجب من ذكر الله عز وجل في كل مجلس ح٤.
(٣) الخصال ص ٦٤١ باب ما بعد الألف برقم ٢٠.
(٤) الخصال للصدوق ص ٢١٧ باب الأربعة حديث رقم ٤١.
(٥) عيون الأخبار الرضا ج٢، ص ٤٣ باب ٣١ حديث رقم ١١٩.

صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به، وإذا هممت بصدقة فأمضها، فإذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبينها(١).

(قصص الراوندي) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في زمن موسى صلوات الله عليه ملك جبار قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح فتوفي في يوم الملك الجبار والعبد الصالح فقام على الملك الناس وأغلقوا أبواب السوق لموته ثلاثة أيام، وبقي العبد الصالح في بيته، فتناولت دواب الأرض عن وجهه. فرآه موسى بعد ثلاث، فقال: يا رب هو عدوك وهذا وليك؟ فأوحى الله إليه: يا موسى إن وليي سأل هذا الجبار حاجة فقضاها له، فكافأته عن المؤمن وسلطت دواب الأرض على محاسن وجه المؤمن لسؤاله ذلك الجبار(٢).

(وعنه عليه السلام) قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى: يا موسى اشكرني حق شكري فقال: يا رب كيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنعمت به عليّ؟ فقال: يا موسى شكرتني حق شكري حين علمت أن ذلك مني(٣).

(وعن) أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى موسى: أحبني وحبّبني إلى خلقي، قال موسى: يا رب إنك لتعلم أنه ليس أحب إليّ منك، فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فذكّرهم نعمتي وآلائي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً، فقال موسى: يا رب رضيت بما قضيت، تميت الكبير وتبقي الأولاد الصغار؟ فأوحى الله إليه: أما ترضى بي وكيلًا وكفيلًا؟ فقال: بلى يا رب نعم الوكيل ونعم الكفيل(٤).

وعن أبي جعفر قال: إن موسى سأل ربه أن يعلمه زوال الشمس فوكل الله بها ملكاً، فقال: يا موسى قد زالت الشمس، فقال موسى متى؟ فقال: حين أخبرتك وقد سارت خمسمائة عام(٥).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا موسى بن عمران يعظ أصحابه إذ قام رجل فشق قميصه(٦)، فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى قل له: لا تشق قميصك ولكن اشرح لي قلبك(٧).

(وعن) أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله أوحى إلى موسى عليه السلام: إن بعض أصحابك ينم عليك فاحذره. فقال: يا رب لا أعرفه فأخبرني به حتى أعرفه فقال: يا موسى عبت عليه النميمة وتكلّفني أن أكون نماماً قال: يا رب وكيف أصنع؟ قال الله تعالى: فرق أصحابك عشرة عشرة ثم

---

(١) قصص الراوندي ص ١٥٣ حديث رقم ١٦٣.

(٢) قصص الراوندي ص ١٥٤ حديث رقم ١٦٦.

(٣) و(٤) قصص الراوندي ص ١٦١ حديث رقم ١٧٨ و ١٧٩.

(٥) قصص الراوندي ص ١٦١ حديث رقم ١٨٠.

(٦) من شدة تأثره بمواعظ كليم الله موسى عليه السلام.

(٧) روضة الكافي ص ١٢٩ . حديث رقم ٩٨.

تقرع بينهم فإن السهم يقع على العشرة التي هو فيهم، ثم تفرقهم وتقرع بينهم فإنّ السهم يقع عليه. قال: فلما رأى الرجل أن السهام تقرع، قام فقال يا رسول الله أنا صاحبك لا والله لا أعود أبداً[(١)].

(وروي) أن موسى بن عمران رأى رجلًا تحت ظل العرش، فقال يا رب من هذا الذي أدنيته حتى جعلته تحت ظل العرش؟ فقال الله تبارك وتعالى: يا موسى هذا لم يعق والديه ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله[(٢)].

وقال موسى: يا رب ما لمن عاد مريضاً؟ قال: أوكل به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره، قال: يا رب ما لمن غسل ميتاً؟ قال: أخرجه من ذنوبه كما خرج من بطن أمه، قال: يا رب ما لمن شيع جنازة؟ قال: أُوكل به ملائكة معهم رايات يشيعونه من محشره إلى مقامه، قال: فما لمن عزى الثكلى؟ قال: أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي.

وقال: يا موسى أكرم السائل إذا أتاك بشيء، ببذل يسير أو برد جميل، فإنه قد يأتيك من ليس بجنّي ولا إنسيّ، ملك من ملائكة الرحمن ليبلوك فيما خولتك فكيف أنت صانع[(٣)].

(وعنه) عليه السلام قال: مر موسى بن عمران برجل رافع يده إلى السماء يدعو، فانطلق موسى في حاجته، فغاب عنه سبعة أيام، ثم رحل إليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته فأوحى الله إليه يا موسى لو دعاني حتى تسقط لسانه ما استجبت له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به[(٤)].

أقول: هذا يكشف لك عن أمور كثيرة:

منها بطلان عبادة المخالفين، وذلك أنهم وإن صاموا وصلوا وحجوا وزكوا وأتوا من العبادات والطاعات وزادوا على غيرهم إلا أنهم أتوا إلى الله تعالى من غير الأبواب التي أمر بالدخول منها، فإنه سبحانه وتعالى قال ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ وقد صح عن المسلمين قوله صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلي بابها.

وقوله: أهل بيتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق. وقد جعلوا المذاهب الأربعة وسائط وأبواباً بينهم وبين ربهم وأخذوا الأحكام عنها، وهم أخذوها عن القياسات والاستنباطات والآراء، والاجتهاد الذي نهى الله سبحانه عن أخذ الأحكام عنها، وطعن على من أدخل في الدين منها.

وكذلك عبادات الصوفية وأصولهم الفاسدة، فإنهم أخذوها عن مشايخهم. وأخذها مشايخهم عن أسلافهم، وكلما تنتهي إلى الصوفية من أهل الخلاف، فمن زعم أنه من الشيعة وهو من الصوفية، فهو عندنا من المبتدعين، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار.

---

(١) و(٢) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٣٥٣.

(٣) و(٤) قصص الراوندي ص ١٦٣ - ١٦٤ حديث رقم ١٨٥ و ١٨٧.

(قصص الأنبياء) للراوندي من علماء الإمامية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما مضى موسى صلوات الله عليه إلى الجبل اتبعه رجل من أفضل أصحابه فأجلسه في أسفل الجبل وصعد موسى عليه السلام الجبل فناجى ربه ثم نزل، فإذا بصاحبه قد أكل السبع وجهه وقطّعه، فأوحى الله تعالى إليه: إن كان له عندي ذنب، فأردت أن يلقاني ولا ذنب له(١).

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن من عبادي من يتقرب إليّ بالحسنة، فأحكمه في الجنة، قال: وما تلك الحسنة، قال: يمشي في حاجة مؤمن(٢).

أقول: قوله: (يمشي) إشارة إلى أن هذا الثواب مرتب على سعيه في حاجة المؤمن، وإن لم تقض على يده. وقد وقع التصريح به في موارد أُخر.

وفي حديث صحيح عنه عليه السلام قال: من طاف بالبيت طوافاً، كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة ورفع له ستة آلاف درجة. ثم قال: وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف حتى عد عشراً.

بقي الكلام في أن المؤمن الذي يترتب هذا الثواب على قضاء حاجته هل يكتفي بكونه من جملة الشيعة وواحداً منهم وإن كان فاسقاً في جوارحه، أم لا بد من هذه الأعمال إلى الاعتقاد.

أقول: الظاهر هو الثاني، لأن الفاسق لا يبالغ في حرمته إلى هذا الحال، نعم يكفي في هذا المعنى أن يكون مستور الظاهر غير متجاهر بالذنوب والمعاصي، وإلا فالمقصود من عصمه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد بقي شيء آخر وهو أن جماعة من صلحاء الشيعة حالهم مستوري الذنوب والتجاهر بالمعاصي، لكنهم إما من جنود السلطان أو من نواكر العمال والحكام وإن لهم خدمة معهم أو نحو ذلك. فمثل هذه، لا يقال له تجاهر بالمعاصي حتى تردّ لهم شهادتهم ولا يسعى لهم في حوائجهم ويحكم عليهم بلوازم الفسوق والمعاصي. وهذا لا يخلو من كلام والحكم بفسقهم في هذا المقام في غاية الإشكال وإن مال إليه بعض العلماء من أصحابنا. بل الأظهر عندي أن هذا ليس على إطلاقه من باب التجاهر بالمعاصي، بل هنا تفصيل بسطنا الكلام فيه في المجلدة السابعة من (شرح التهذيب).

قال الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: قل للملأ من بني إسرائيل: إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فإن من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلته في النار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه(٣).

---

(١) و(٢) قصص الراوندي ص ١٦٤ - ١٦٥ حديث رقم ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) الاختصاص للمفيد ص ٢٣٥.

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام: إن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطي موسى منها أربعة أحرف[١].

(تفسير علي بن إبراهيم) مات موسى وهارون عليهما السلام في التيه. فروي أن الذي حفر قبر موسى ملك الموت في صورة آدمي. ولذلك لا يعرف بنو إسرائيل موضع قبر موسى[٢].

وعن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل شق ثوبه على أبيه أو أخيه أو على قريب له فقال: لا بأس بشق الثوب، قد شق موسى بن عمران على أخيه هارون عليه السلام. وفي ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان قبض موسى عليه السلام[٣].

عن ابن عمارة قال: قلت للصادق عليه السلام أخبرني بوفاة موسى بن عمران، فقال: إنه لما أتاه أجله، أتاه ملك الموت، فقال: السلام عليك يا كليم الله فقال: وعليك السلام، من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك، فقال له موسى: من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال له موسى: كيف وقد تكلمت مع ربي جل جلاله؟ قال: فمن يديك، قال كيف وقد حملت بها التوراة؟ قال: فمن رجليك، قال: كيف وقد وطئت بها طور سيناء؟ قال: فمن عينيك، قال: كيف ولم تزل إلى ربي ممدودة؟ قال: فمن أذنيك، قال: كيف وقد سمعت بهما كلام الله عز وجل؟

قال: أوحى الله تعالى إلى ملك الموت لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك، وخرج ملك الموت. فمكث ما شاء الله أن يمكث بعد ذلك، ودعا يوشع بن نون، فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى عن قومه.

فمر في غيبته برجل وهو يحفر قبراً، فقال: ألا أعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى. فأعانه على حفر القبر وسوّى اللحد ثم اضطجع فيه موسى بن عمران لينظر كيف هو، فكشِف له عن الغطاء، فرأى مكانه من الجنة، فقال يا رب اقبضني إليك. فقبض ملك الموت روحه في مكانه ودفنه في القبر وسوى عليه التراب. وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة آدمي، وكان ذلك في التيه. فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، فأي نفس لا تموت[٤].

ثم إن يوشع بن نون قام بالأمر من بعد موسى، صابراً من الطواغيت على الضراء والبلاء، حتى مضى منهم طواغيت، فقوي بعدهم أمره. فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى،

---

(١) أصول الكافي ج١، ص ٢٣٠ والحديث مسند وطويل فراجعه.
(٢) تفسير القمي ج١، ص ١٦٥ في تفسيره لسورة المائدة آية: ٢٦.
(٣) بحار الأنوار ج ١٣، ص ٣٦٤ - ٣٦٥.
(٤) أمالي الصدوق ص ١٩٢ المجلس ٤١ برقم ٢.

بصفراء[١] بنت شعيب امرأة موسى في مائة ألف رجل، فقاتلوا يوشع بن نون! فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين بإذن الله، وأسر صفراء بنت شعيب وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن نلقى كليم الله موسى بن عمران، فأشكو ما لقيت منك ومن قومك فقالت صفراء واويلاه والله لو أبيحت لي الجنة استحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه وخرجت على وصيه بعده[٢].

(القصص) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال موسى صلوات الله عليه لهارون عليه السلام إمض بنا إلى جبل طور سيناء، ثم خرجا، فإذا بيت على بابه شجرة عليها ثوبان، فقال موسى لهارون: اطرح ثيابك وادخل البيت والبس هاتين الحلتين ونم على السرير، ففعل هارون. فلما أن نام على السرير، قبضه الله تعالى إليه وارتفع البيت والشجرة.

ورجع موسى إلى بني إسرائيل فأعلمهم أن الله قبض هارون ورفعه إليه، فقالوا: كذبت أنت قتلته فشكى موسى عليه السلام ذلك إلى ربه فأمر الله تعالى الملائكة فأنزلته على سرير بين السماء والأرض، حتى رأته بنو إسرائيل، فعلموا أنه مات[٣].

(الكافي) عن محمد بن سنان قال: كنت عند الرضا عليه السلام فقال لي: يا محمد إنه كان في زمن بني إسرائيل أربعة نفر من المؤمنين، فأتى واحد منهم من الثلاثة وهم في منزل واحد في مناظرة بينهم، فقرع الباب وخرج إليه الغلام، فقال: أين مولاك؟ فقال: ليس هو في البيت، فرجع الرجل ودخل الغلام إلى مولاه فقال له: من كان الذي قرع الباب؟ قال: فلان فقلت له: ليس في المنزل، فسكت ولم يلم غلامه ولا اغتم أحد منهم لرجوعه عن الباب، وأقبلوا في حديثهم.

فلما كان من الغد بكر إليهم الرجل، فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة بعضهم فسلم عليهم وقال: أنا معكم؟ فقالوا: نعم، ولم يعتذروا إليه! وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال. فلما كانوا في بعض الطريق، إذا غمامة قد أظلتهم، فظنوا أنه مطر، فبادروا فلما استوت الغمامة على رؤوسهم، إذا مناد ينادي من جوف الغمامة: أيتها النار خذيهم وأنا جبرائيل رسول الله فإذا نار في جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة نفر، وبقي الآخر مرعوباً يعجب مما نزل بالقوم ولا يدري ما السبب. فرجع إلى المدينة، فلقي يوشع بن نون وأخبره الخبر وما رأى وما سمع فقال يوشع بن نون: أما علمت أن الله سخط عليهم، بعد أن كان راضياً، وذلك بفعلهم بك، قال وما فعلهم بي؟ فحدثه يوشع، فقال الرجل: فأنا أجعلهم في حل وأعفو عنهم قال: لو كان هذا قبل لنفعهم، وأما الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم بعد[٤].

---

(١) هكذا في البحار والمصدر عن كمال الدين للصدوق وقد تقدم سابقاً أنها صفوراء.

(٢) بحار الأنوار ج١٣، ص ٣٦٦.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٧٤ برقم ٢٠٣.

(٤) أصول الكافي ج٢، ص ٣٦٤ هذا الحديث مأخوذ من حديث طويل عن أعمار الأنبياء عليهم السلام فراجع.

الفصل العاشر
في قصة بلعم بن باعوراء وأحوال إسماعيل الذي سماه الله صادق الوعد وإنه غير إسماعيل بن إبراهيم وقصة إلياس وإليا واليسع وقصص ذي الكفل عليهم السلام

تفسير علي بن إبراهيم عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: أنه أعطى بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم وكان يدعو به فيستجاب له، فمال إلى فرعون. فلما مر فرعون في طلب موسى عليه السلام وأصحابه، قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا. فركب حمارته ليمر في طلب موسى عليه السلام، فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها! فأنطقها الله عز وجل فقالت: ويل لك على ما تضربني أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها، وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه. وهو قوله ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾(1) وهو مثل ضربه الله.

فقال الرضا عليه السلام: فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة: حمارة بلعم وكلب أصحاب الكهف والذئب. وكان سبب الذئب: أنه بعث ملك ظالم رجلًا شرطياً(2) ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذبهم، وكان للشرطي ابن يحبه، فجاء ذئب فأكل ابنه، فحزن الشرطي، فأدخل الله ذلك الذئب الجنة، لما أحزن الشرطي(3).

أقول: قال ابن عباس: دخل الذئب الجنة بأكله لابن الشرطي، فلو أكل الشرطي، لرفعه الله تعالى إلى عليين، والشرطي من أعوان الظلمة من الشرطة، وهي العلامة، لأنهم يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها.

وقال صاحب (الكامل): لما مات موسى وهارون عليهما السلام في التيه، أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون يأمره بالمسير إلى أريحا وفتحها.

وقال آخرون: إن موسى عاش حتى خرج من التيه وسار إلى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون وكالب بن يوحنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران. فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلعم بن باعوراء وهو من ولد لوط عليه السلام فقالوا له: إن موسى عليه السلام جاء ليقتلنا

---

(١) سورة الأعراف؛ الآيتان: ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) في حاشية البحار: واحد الشرط وهم طائفة من أعوان الولاة، سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها (ج ١٣، ص ٣٧٨).

(٣) تفسير القمي ج١، ص ٢٤٨ في تفسيره للآية ١٧٥ - ١٧٦ من سورة الأعراف.

ويخرجنا من ديارنا، فادع الله عليهم! وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم، فقال لهم: كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة، فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم.

فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية وطلبوا إليها أن تحسن لزوجها أن يدعو على بني إسرائيل! فقالت له في ذلك، فامتنع، فلم تزل به حتى قال: أستخير ربي فاستخار الله تعالى، فنهاه في المنام، فأخبرها بذلك، فقالت: راجع ربك. فعاد الاستخارة فلم يرد جواب. فقالت: لو أراد ربك لنهاك. ولم تزل تخدعه حتى أجابهم. فركب حماراً له متوجهاً إلى جبل يشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم، فما مشى عليها إلا قليلًا حتى ربض[1] الحمار فضربه حتى قام فركبه، فسار قليلًا فربض، ففعل ذلك ثلاث مرات.

فلما اشتد ضربه في الثالثة فأنطقها الله: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردني؟ فلم يرجع، فأطلق الله الحمار حينئذ فسار حتى أشرف على بني إسرائيل فكان كلما أراد أن يدعو عليهم، ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم.

فقالوا له في ذلك، فقال هذا شيء غلب الله عليه، واندلع[2] لسانه فوقع على صدره، فقال: الآن خسرت الدنيا والآخرة. ولم يبق إلا المكر والحيلة وأمرهم أن يزينوا النساء ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن إلى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها، وقال: إن زنى منهم رجل واحد كفيتموهم. ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني إسرائيل، فأخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها إلى موسى عليه السلام فقال له: أظنك تقول إن هذا حرام فوالله لا نطيعك! ثم أدخلها خيمة فوقع عليها! فأنزل الله عليهم الطاعون.

وكان صحاح بن عيراد بن هارون[3] صاحب أمر عمه موسى غائباً، فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل، وكان ذا قوة وبطش، فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما بحربة بيده فانتظمهما، ورفع الطاعون. وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً. وقيل: سبعون ألفاً.

ثم إن موسى عليه السلام قدم يوشع عليه السلام إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين، وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس المغرب، فخشي أن يدركهم الليل فيعجزوا، فدعا الله أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم، ودخلها موسى عليه السلام، فأقام بها ما شاء الله أن يقيم، وقبضه الله تعالى إليه، لا يعلم بغيره أحد من الخلق.

وأما من زعم أن موسى عليه السلام كان توفي قبل ذلك فقال إن الله تعالى أمر يوشع بالمسير

---

(١) أي برك بمعنى ألصق صدره بالأرض.

(٢) أي خرج من فمه.

(٣) **في المصدر: فنحاص بن العزار بن هارون.**

إلى مدينة الجبارين، فسار ببني إسرائيل ففارقه رجل منهم يقال له: بلعم بن باعوراء وكان يعرف الاسم الأعظم. وساق من حديثه نحو ما تقدم. فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت، فدعا الله تعالى فرد الشمس(١) عليه وزاد في الشمس ساعة، فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار... الحديث(٢).

تفسير علي بن إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾(٣). فإنه وقع الطاعون بالشام في بعض الكور(٤)، فخرج منه خلق كثير كما حكى الله تعالى، هرباً من الطاعون، فصاروا إلى مفازة، فماتوا في ليلة واحدة كلهم فبقوا حتى كانت عظامهم يمر بها المار فينحيها برجله عن الطريق، ثم أحياهم الله وردهم إلى منازلهم، فبقوا دهراً طويلاً، ثم ماتوا وتدافنوا(٥).

(القصص) بالإسناد إلى الصدوق عن عبد الأعلى أنه قال الصادق عليه السلام حديث يرويه الناس فقال: ما هو؟ قال: يروون أن الله تعالى أوحى إلى حزقيل النبي أن أخبر فلان الملك إني متوفيك يوم كذا. فأتى حزقيل الملك فأخبره بذلك قال: فدعا الله تعالى وهو على سريره حتى سقط ما بين الحائط والسرير وقال: يا ربّ أخّرني حتى يشيب طفلي وأقضي أمري فأوحى الله إلى ذلك النبي: أن ائت فلاناً وقل له: إني أنسأت في عمره خمس عشرة سنة، فقال النبي: يا رب وعزتك إنك تعلم أني لم أكذب كذبة قط، فأوحى الله إليه: إنما أنت عبد مأمور، فأبلغه(٦).

وعن الباقر والصادق عليهما السلام: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ الآية، قال: هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام من بني إسرائيل، وكانوا سبعين ألفاً وكان الطاعون يقع فيهم في كل أوان، فكانوا إذا أحسوا به، خرج من المدينة الأغنياء وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقل في الذين خرجوا.

فيقول الذين خرجوا لو كنا أقمنا لكثر فينا الموت ويقول الذين أقاموا له كنا خرجنا لقل فينا الموت. فاجتمع رأيهم جميعاً على أنه إذا وقع الطاعون خرجوا كلهم من المدينة. فلما أحسوا

---

(١) ذكر الثعلبي في العرائس ص ٢٢٠ أيضاً: ردت الشمس له، ثم ذكر رد الشمس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو مع الرسول صلى الله عليه وآله.

(٢) الكامل في التاريخ ج١، ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٣.

(٤) الكور: المدينة والصّقع وهي جمع كورة.

(٥) تفسير القمي ج١، ص ٨٠ - ٨١.

(٦) قصص الراوندي ص ٢٤١ برقم ٢٨٣.

بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحوا عن الطاعون حذر الموت، فساروا في البلاد، ثم إنهم مروا بمدينة خربة أفنى أهلها الطاعون، فلما حطوا رحالهم قال الله (موتوا جميعاً) فماتوا وصاروا رميماً. فمر بهم نبي من الأنبياء يقال له حزقيل فرآهم وبكى وقال: يا رب لو شئت أحييتهم الساعة. فأحياهم الله(١).

كتاب (المحاسن) عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خرج ملك القبط يريد هدم بيت المقدس، اجتمع الناس إلى حزقيل النبي فشكوا ذلك إليه، فقال: لعلي أناجي ربي الليلة. فلما جنه الليل ناجى ربه، فأوحى الله إليه: إني قد كفيتهم، وكانوا قد مضوا، فأوحى الله إلى ملك الهواء أن أمسك عليهم أنفاسهم، فماتوا كلهم وأصبح النبي وأخبر قومه، فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا.

ودخل حزقيل النبي العجب! فقال في نفسه: ما فضل سليمان النبي عليّ؟ وقد أعطيت مثل هذا. قال فخرجت قرحة على كبده وأذنه، فخشع لله وتذلل وقعد على الرماد فأوحى الله إليه أن خذ لبن التين فحكه على صدرك من خارج ففعل فسكن عنه ذلك(٢).

وروي عن الشيخ أحمد بن فهد في (المهذب) وغيره بأسانيدهم إلى المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم النيروز هو الذي أحيى الله فيه القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم. وذلك أن نبياً من الأنبياء، سأل ربه أن يحيي القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله فأوحى الله إليه: أن صب عليهم الماء في مضاجعهم فصب عليهم الماء في ذلك اليوم، فعاشوا ثلاثون ألفاً. فصار صب الماء في يوم النيروز سنّة ماضية، لا يعرف سببها إلا الراسخون في العلم(٣).

أقول: لا يتوهم من هذه الأخبار عدم جواز الفرار من الطاعون، وذلك أن الآجال إذا تقاربت لا ينفع الفرار وعدمه.

وقد وردت الأخبار متظافرة في الأمر بالفرار منه، ولم يعارضها إلا ما روي من قوله صلى الله عليه وآله: الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف(٤).

ولما سئل الصادق عليه السلام عن معناه، قال: إن النبي صلى الله عليه وآله قال في جماعة كانوا في الثغور بإزاء العدو، وكانوا إذا فروا من الطاعون زحف العدو على أرض المسلمين واستولى عليها.

---

(١) روضة الكافي الخبر المرقم ٢٣٧ ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) بحار الأنوار ج١٣، ص ٣٨٣.

(٣) بحار الأنوار ج١٣، ص ٣٨٦.

(٤) في وهج الفصاحة باب حكم الرسول رقم ٢٠٦٢: «الفار من الوباء كالفار من الزحف».

يعني أن هذا الكلام متوجه إلى جماعة مخصوصين يلزم من فرارهم من الطاعون الفساد والانفتال في الدين واستيلاء على المسلمين. وقد حققنا الكلام وأوردنا الأخبار في هذا الباب في رسالتنا الموسومة: بمسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون.

وأما إسماعيل الذي سماه الله صادق الوعد فقال فيه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[(١)].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبياً من الأنبياء، بعثه الله عز وجل إلى قومه، فأخذوه وسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إن الله جل جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام[(٢)].

وفي (قصص الأنبياء) عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أفضل الصدقة صدقة اللسان تحقن به الدماء وتدفع به الكريهة وتجر المنفعة إلى أخيك المسلم[(٣)]. ثم قال صلى الله عليه وآله: إن عابد بني إسرائيل الذي كان أعبدهم، كان يسعى في حوائج الناس عند الملك، وإنه لقي إسماعيل بن حزقيل، فقال: لا تبرح حتى أرجع إليك يا إسماعيل، فسها عنه عند الملك فبقي إسماعيل إلى الحول هناك، فأنبت الله لإسماعيل عشباً، فكان يأكل منه وأجرى له عينين وأظله بغمام.

فخرج الملك بعد ذلك إلى التنزه ومعه العابد، فرأى إسماعيل، فقال: إنك لها هنا يا إسماعيل؟ فقال له: قلت لا تبرح، فلم أبرح. فسمي صادق الوعد.

قال: وكان جبار مع الملك فقال: كذب هذا العبد، قد مررت بهذه البرية فلم أره ها هنا، فقال له إسماعيل: إن كنت كاذباً فنزع الله صالح ما أعطاك.

قال: فتناثرت أسنان الجبار، فقال الجبار إني كذبت على هذا العبد الصالح، فاطلب أن يدعو الله أن يرد أسناني فإني شيخ كبير، فطلب إليه الملك فقال: إني أفعل، قال: الساعة؟ قال: لا. قال: وأخره إلى السحر، ثم دعا، ثم قال: إن أفضل ما دعوتم الله بالأسحار. قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[(٤)].

وفي حديث آخر: إنه عليه السلام قال لمن وعده: لو لم تجئني لكان منه المحشر، فأنزل الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾[(٥)].

---

(١) سورة مريم؛ الآية: ٥٤.

(٢) علل الشرائع ج١، ص ٩٨ باب ٦٧ برقم ٢.

(٣) وهج الفصاحة باب الحكم برقم ٤٣٩ ص ٣٣٣.

(٤) و(٥) قصص الراوندي ص ١٨٨ - ١٨٩ برقم ٢٣٥ و ٢٣٦.

(كامل الزيارة) بإسناده إلى بريد العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام يا ابن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ أكان إسماعيل بن إبراهيم فإن الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام: إن إسماعيل مات قبل إبراهيم وإن إبراهيم كان حجة الله على خلقه، فإلى من أرسل إسماعيل إذاً؟ قلت فمن كان؟ قال إسماعيل بن حزقيل النبي، بعثه الله إلى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا جلدة وجهه. فغضب الله عليهم، فوجه سطاطائيل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل أنا ملك العذاب وجهني رب العزة إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل. فأوحى الله إليه: ما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال إسماعيل: يا رب إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية وأخبرت خلقك بما يفعل بالحسين بن علي من بعد نبيها، وإنك وعدت الحسين أن تكرّه[١] إلى الدنيا، حتى ينتقم ممن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أن تكر بي إلى الدنيا، حتى أنتقم ممن فعل بي كما تكر الحسين عليه السلام فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك. فهو يكر مع الحسين بن علي عليه السلام[٢].

وأما قصة إلياس وإليا واليسع عليهم السلام

(الكافي) عن المفضل بن عمر قال: أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى، فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام، فأذن لنا فدخلنا عليه.

فقلت: أصلحك الله سمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية ثم بكيت فبكينا، فقال: نعم ذكرت إلياس النبي صلوات الله عليه، وكان من عباد بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع[٣] فيه بالسريانية، فما رأينا والله قسيساً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه، ثم فسره لنا بالعربية فقال: كان يقول في سجوده: أتراك معذبي بنارك وقد أظمأت لك هواجري؟ أتراك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي؟ أتراك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي؟ أتراك معذبي وقد أسهرت لك ليلي؟ فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإني غير معذبك. قال: فقال: إن قلت لا أعذبك، ثم عذبتني ماذا؟ ألست عبدك وأنت ربي؟ فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإني غير معذبك، فإني إذا وعدت وعداً وفيت به[٤].

(١) أي بمعنى ترجعه.
(٢) بحار الأنوار ج١٣، ص ٣٩٠.
(٣) اندفع بالحديث: أي أفاض.
(٤) أصول الكافي ج١، ص ٢٢٧ باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب برقم ٢.

(قصص الأنبياء) عن ابن عباس قال: إنّ يوشع بن نون بوّأ بني إسرائيل الشام بعد موسى عليه السلام وقسّمها بينهم، فسار منهم سبط ببعلبك بأرضها وهو السبط الذي منه إلياس النبي عليه السلام، فبعثه الله إليهم، وعليهم يومئذ ملك[1]، فتنهم بعبادة صنم يقال له بعل، وذلك قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[2]؟! فكذبوه.

وكان للملك زوجة فاجرة يستخلفها إذا غاب فتقضي بين الناس وكان لها كاتب حكيم قد خلص من يدها ثلاثمائة مؤمن، كانت تريد قتلهم، ولم يعلم على وجه الأرض أنثى أزنى منها، وقد تزوجت سبعة ملوك من بني إسرائيل حتى ولدت تسعين ولداً سوى ولد ولدها.

وكان لزوجها جار صالح من بني إسرائيل وكان له بستان يعيش به إلى جانب قصر الملك يكرمه. فسافر مرة، فاغتنمت امرأته فقتلت العبد الصالح وأخذت بستانه غصباً من أهله، وكان ذلك سبب سخط الله عليهم. فلما قدم زوجها أخبرته الخبر! فقال لها ما أصبت، فبعث الله إلياس النبي يدعوهم إلى عبادة الله فكذبوه وطردوه! ودعاهم إلى الله فلم يزدهم إلا طغياناً. فآلى الله على نفسه أن يهلك الملك والزانية إن لم يتوبوا إليه، وأخبرهما بذلك فاشتد غضبهم عليه وهموا بتعذيبه وقتله! فهرب منهم ولحق بالجبل، فبقي سبع سنين يأكل من نبات الأرض.

فأمرض الله ابناً للملك وكان أعز ولده، فاستشفعوا إلى عبدة الأصنام ليشفعوا له! فلم ينفع، فبعثوا الناس إلى الجبل الذي فيه إلياس، فكانوا يقولون اهبط إلينا واشفع لنا. فنزل إلياس من الجبل وقال: إن الله أرسلني إليكم وإلى من ورائكم فاسمعوا رسالة ربكم يقول: ارجعوا إلى الملك فقولوا إني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل أضرهم وأنفعهم وتطلب الشفاء لابنك من غيري.

فلما صاروا إلى الملك وقصوا عليه القصة امتلأ غيظاً! فقال لهم: ما الذي منعكم أن تقتلوه فإنه عدوي؟ قالوا قذف في قلوبنا الرعب. فندب[3] خمسين من قومه وأوصاهم بالاحتيال له وإطماعه في أنهم آمنوا به ليغتر بهم فيمكنهم من نفسه. فانطلقوا إلى الجبل الذي فيه إلياس، فنادوا يا نبي الله أبرز لنا فإنا آمنا بك فطمع في إيمانهم، فقال: اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي بالنزول إليهم وإن كانوا كاذبين فارمهم بنار تحرقهم - فما استتم كلامه حتى رموا بالنار فاحترقوا، فبلغ الملك خبرهم، فاشتد غيظه.

وانتدب كاتب امرأته المؤمن وبعث معه جماعة إلى جبل، وقال له: قد آن أن أتوب، فقل

(١) في عرائس المجالس ص ٢٢٣: يقال له لاجب (أي اسم الملك).
(٢) سورة الصافات؛ الآيات: ١٢٣ - ١٢٥.
(٣) أي أرسل.

له: يرجع إلينا ويأمرنا وينهانا بما يرضي ربنا، وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام، فانطلق الكاتب ومن معه إلى الجبل، ثم ناداه فعرف الناس صوته، فأوحى الله إليه: أن ابرز إلى أخيك الصالح وصافحه، فقال المؤمن: بعثني إليك هذا الطاغي وقص عليه ما قالوا، ثم قال: وإني لخائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني، فأوحى الله عز وجل إلى إلياس: إن كل شيء جاءك منهم خداع ليظفروا بك، وإني أشغله عن هذا المؤمن بأن أميت ابنه. فلما قدموا عليه أخذ الموت ابنه، ورجع إلياس سالماً إلى مكانه. فلما ذهب الجزع عن الملك، سأل الكاتب عن الذي جاء به فقال ليس لي علم به.

ثم إن إلياس نزل واستخفى عند أم يونس بن متى ستة أشهر، ويونس مولود، ثم عاد إلى مكانه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات ابنها حين فطمته، فعظم مصابها فخرجت في طلب إلياس ورقت الجبال حتى وجدت إلياس، فقالت: إني فجعت بموت ابني وألهمني الله تعالى الاستشفاع بك إليه ليحيي لي ابني فإني تركته بحاله ولم أدفنه وأخفيت مكانه فقال لها: ومتى مات ابنك؟ قالت: اليوم سبعة أيام. فانطلق إلياس وسار سبعة أيام أُخرى، حتى انتهى إلى منزلها، فدعا الله سبحانه حتى أحيى الله بقدرته يونس عليه السلام، فلما عاش انصرف إلياس. ولما صار[1] أربعين سنة أرسله الله إلى قومه، كما قال: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[2].

ثم أوحى الله تعالى إلى إلياس بعد سبع سنين من يوم أحيى الله يونس: سلني أعطك فقال: تميتني فتلحقني بآبائي، فإني قد مللت بني إسرائيل وأبغضتهم فيك فقال الله تعالى: هذا اليوم الذي أعري الأرض منك وأهلها، وإنما قوامها بك ولكن سلني أعطك، فقال إلياس: فأعطني ثاري من الذين أبغضوني فيك فلا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي، فاشتد على بني إسرائيل الجوع وألحّ عليهم البلاء وأسرع الموت فيهم وعلموا أن ذلك من دعوة إلياس، ففزعوا إليه وقالوا: نحن طوع يدك فهبط إلياس معهم ومعه تلميذ له اليسع، وجاء النبي الملك، فقال: قتلت بني إسرائيل بالقحط. فقال: قتلهم الذي أغواهم، فقال: ادع ربك ليسقيهم.

فلما جن الليل عاد إلياس ودعا الله فقال لليسع: انظر في أكناف السماء ماذا ترى؟ فرأى سحابة، فقال: أبشروا بالسقاء، فليحرزوا[3] أنفسهم وأموالهم من الغرق فأمطر الله عليهم السماء وأنبت لهم الأرض، فقام إلياس بين أظهرهم وهم صالحون.

ثم أدركهم الطغيان والبطر، فجحدوا حقه وتمردوا فسلط الله عليهم عدواً قصدهم ولم يشعروا به حتى رهقهم[4]، فقتل الملك وزوجته وألقاهما في بستان الذي قتلته زوجة الملك. ثم وصى إلياس إلى اليسع، وأنبت الله لإلياس الريش وألبسه النور ورفعه إلى السماء وقذف بكسائه

---

(١) أي يونس.

(٢) سورة الصافات؛ الآية: ١٤٧.

(٣) أي فليحفظوا أنفسهم.

(٤) أي حتى لحقهم.

من الجو على اليسع. فنبأه الله على بني إسرائيل وأوحى الله إليه وأيده، فكان بنو إسرائيل يعظمونه صلوات الله عليه ويهتدون بهداه[١].

وقال الشيخ الطبرسي: اختلف في إلياس، فقيل: هو إدريس عليه السلام. وقيل: هو من أنبياء بني إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع، وهو إلياس بن ياسين[٢] بن فنحاص ابن العيزار بن هارون بن عمران. عن ابن عباس ومحمد بن إسحاق وغيرهما قالوا: إنه بعث بعد حزقيل، لما عظمت الأحداث في بني إسرائيل.

وكان يوشع لما فتح الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم، فأحل سبطاً منهم ببعلبك، وهم سبط إلياس، بعث فيهم نبياً إليهم، فأجابه الملك، ثم إن امرأته حملته على الخلاف لإلياس وطلبته لتقتله، فهرب إلى الجبال والبراري، واستخلف اليسع على بني إسرائيل، ورفعه الله من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه الريش، فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، وسلط الله على الملك وقومه عدواً لهم فقتلهم، وبعث الله اليسع رسولاً إلى بني إسرائيل فآمنوا به. وقيل: إن إلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر، ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات، وذكر وهب أنه ذو الكفل. وقيل: هو الخضر عليه السلام[٣].

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالكرفس فإنه طعام إلياس واليسع ويوشع بن نون عليهم السلام[٤].

وفيه عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بينا أبي عليه السلام يطوف في الكعبة إذا رجل معتجر[٥] فقطع عليه أسبوعه حتى أدخله داراً جنب الصفا فأرسل إلي، فكنا ثلاثة، فقال: مرحباً يا ابن رسول الله، ثم قال: إن شئت أخبرني وإن شئت أخبرتك قال: أشاء، قال إياك أن تنطق لسانك عن مسألتي بأمر تضمر لي غيره، قال إنما يفعل ذلك من في قلبه علمان يخالف أحدهما صاحبه، فإن الله عز وجل أبى أن يكون له علم فيه اختلاف، قال هذه مسألتي وقد فسرت طرفاً منها، أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف من يعلمه؟ قال أما جملة العلم فعند الله سبحانه، وأما ما لا بد للعباد منه، فعند الأوصياء.

قال: ففتح الرجل عجرته واستوى جالساً وتهلل وجهه وقال هذه أردت، زعمت أن علم ما لا اختلاف فيه عند الأوصياء فكيف يعلمونه قال كما كان رسول الله يعلم إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله يرى، لأنه كان نبياً وهم محدثون وإنه كان يسمع الوحي وهم لا يسمعون، فقال:

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٤٨ برقم ٢٩٣ وذكره الثعلبي في العرائس ص ٢٢٣ مفصلاً فراجع.

(٢) هكذا في المصدر وكذا ذكره الطبري في تاريخه والثعلبي في العرائس وابن الأثير في الكامل.

(٣) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٧١٣ في تفسيره لسورة الصافات آية: ١٢٣.

(٤) فروع الكافي ج٦، ص ٣٦٦ كتاب الأطعمة باب الكرفس.

(٥) الاعتجار: هو أن يلف العمامة على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

صدقت يا ابن رسول الله، أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فضحك أبي عليه السلام وقال أبى الله أن يطلع على علمه إلا ممتحناً للإيمان به، كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلا بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(١) وأيم الله لو صدع قبل ذلك لكان آمناً ولكنه إنما نظر في الطاعة وخاف الخلاف، فلذلك كفّ فوددت أن عينيك تكون مع مهدي هذه الأمة والملائكة بسيوف آل داود بين السماء والأرض تعذب أرواح الكفرة من الأموات وتلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء.

ثم أخرج سيفاً، ثم قال: ها أن هذا منها، فقال أبي: إي والذي اصطفى محمداً على البشر. قال: فردّ الرجل اعتجاره وقال: أنا إلياس ما سألتك عن أمرك ولي منه جهالة غير أني أحببت أن يكون هذا الحديث قوة لأصحابك(٢).

(المناقب) لابن شهرآشوب المازندراني، روي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله سمع صوتاً من قلة جبل: اللهم اجعلني من الأمة المرحومة المغفورة. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا بشيخ أشيب قامته ثلاثمائة ذراع، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عانقه، ثم قال: إني آكل في كل سنة مرة وهذا أوانه. فإذا هو بمائدة نزلت من السماء فأكلا، وكان إلياس عليه السلام(٣).

وأما قصص ذي الكفل عليه السلام

فقال الله تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٤).

(قصص الأنبياء) بالإسناد إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: إن ذا الكفل كان رجلًا من حضرموت واسمه عويديا بن إدريم.

ولما كبر اليسع عليه السلام قال: لو أني استخلفت رجلًا يعمل على الناس في حياتي فأنظر كيف يعمل، فجمع الناس فقال لهم من يتكفل لي بثلاث أستخلفه بعدي: أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب؟ فقام رجل تزدريه الأعين، فقال أنا وكان نبياً وكان يقضي أول النهار. فقال إبليس لأتباعه من له؟ فقام واحد منهم يقال له الأبيض أنا، فقال إبليس: فاذهب إليه لعلك تغضبه. فلما انتصف النهار جاء الأبيض إلى ذي الكفل وقد أخذ مضجعه فصاح وقال: إني مظلوم، فقال: قل له تعال، فقال: لا أنصرف، فأعطاه خاتمه فقال: اذهب وائتني بصاحبك،

---

(١) سورة الحجر؛ الآية: ٩٤.

(٢) أصول الكافي ج١، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ باب في شأن ﴿إنا أنزلناه﴾.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج١، ص ١١٨.

(٤) سورة الأنبياء؛ الآيتان: ٨٥ و ٨٦.

فذهب حتى إذا كان من الغد جاء إلى تلك الساعة التي أخذ هو مضجعه فصاح إني مظلوم وإن خصمي لم يلتفت إلى خاتمك، فقال له الحاجب: ويحك دعه ينم فإنه لم ينم البارحة ولا أمس قال: لا أدعه ينام وأنا مظلوم! فدخل الحاجب وأعلمه فكتب إليه كتاباً وختمه ودفعه إليه، فذهب.

حتى إذا كان من الغد حين أخذ مضجعه جاء فصاح فقال: ما التفت إلى شيء من أمرك، ولم يزل يصيح حتى قام وأخذ بيده في يوم شديد الحر، لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت. فلما رأى الأبيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه أن يغضب. فأنزل الله تعالى قصته على نبيه ليصبر على الأذى كما يصبر الأنبياء صلوات الله عليهم على البلاء[١].

وعن عبد العظيم الحسني قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام عن ذي الكفل ما اسمه وهل كان من المرسلين؟.

فكتب صلوات الله عليه: بعث الله تعالى جل ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإن ذا الكفل منهم صلوات الله عليه وكان بعد سليمان عليه السلام وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود عليه السلام ولم يغضب إلا لله عز وجل وكان اسمه عويديا[٢].

وقال الشيخ الطبرسي: وأما ذو الكفل فاختلف فيه فقيل: إنه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً، ولكنه تكفل لنبي صوم النهار وقيام الليل وأن لا يغضب ويعمل بالحق، فوفى بذلك، فشكر الله ذلك له وكان نبياً وسمي ذا الكفل، بمعنى أنه ذو الضعف، فله ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله[٣].

وقال الثعلبي في كتاب (العرائس): وقال بعضهم: ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر عليهما السلام، بعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى الروم فآمنوا، ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فأبوا وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره الموت ومع ذلك نكره أن نعصي الله ورسوله! فإن سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر: لقد سألتموني عظيماً.

ثم قام وصلى ودعا وقال: إلهي أمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أني لا أملك إلا نفسي وإن قومي سألوني ما أنت أعلم به مني، فلا تأخذني بجريرة غيري فأوحى الله تعالى إليه: إني قد سمعت مقالة قومك وإني قد أعطيتهم ما سألوني فلا يموتون إلا إذا شاؤوا، فكن كفيلاً لهم مني، فبلغهم بشر رسالة الله، فسمي ذا الكفل.

---

(١) و(٢) قصص الراوندي ص ٢١٢ - ٢١٣ برقم ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٩٤ - ٩٥.

ثم إنهم توالدوا وكثروا ونموا، حتى ضاقت بهم بلادهم وتنغصت عليهم معيشتهم وتأذوا بكثرتهم، فسألوا بشراً أن يدعو الله تعالى أن يردهم إلى آجالهم فأوحى الله تعالى إلى بشر: أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم، ثم ردهم إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم. قال: فلذلك كثرت الروم، حتى يقال إن الدنيا خمسة أسداسها الروم، وسموا روماً: لأنهم نسبوا إلى جدهم روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم. وكان بشر بن أيوب مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره خمساً وتسعين سنة[١].

وقال السيد ابن طاوس في «سعد السعود» قيل إنه تكفل الله جل جلاله أن لا يبغضه قومه، فسمي ذا الكفل. وقيل: تكفل لنبي من الأنبياء، أن لا يغضب، فاجتهد إبليس أن يغضبه بكل طريق، فلم يقدر، فسمي ذا الكفل لوفائه لنبي زمانه أن لا يغضب[٢].

---

(١) عرائس المجالس للثعلبي ص ١٤٥.

(٢) سعد السعود ص ٢٤١.

الباب الثالث عشر
فيه قصص لقمان وحكمه عليه السلام وقصة اشموئيل وطالوت وجالوت وتابوت السكينة

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(١).

تفسير علي بن إبراهيم عن حماد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله عز وجل، فقال: أما والله لقد أوتي لقمان الحكمة لا بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنه كان رجلًا قوياً في أمر الله متورعاً في الله عميق النظر طويل الفكر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال، لشدة تستره، ولم يضحك من شيء قط ولم ينازع إنساناً قط ولم يفرح بشيء أتاه من أمر الدنيا ولا حزن منها على شيء قط، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقد مات أكثرهم أفراطاً(٢) فما بكى لأحد منهم، ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما، ولم يسمع قولًا من أحد استحسنه إلا سأل عن تفسيره وعمن أخذه؟ وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين، فيرثي للقضاة مما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لغرتهم بالله وطمأنينتهم بذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه وكان يداوي قلبه بالتفكر ويداوي نفسه بالعبر وكان لا يتكلم إلا فيما يعنيه.

فبذلك أُوتي الحكمة، وإن الله تعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة(٣)، فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم فقالوا: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس؟ فقال لقمان: لقد أمرني ربي فالسمع والطاعة، لأنه إن فعل بي ذلك أعانني وعلمني وعصمني وإن هو خيّرني قبلت العافية، فقالت الملائكة: يا لقمان لِمَ، قال: لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدين وأكثر فتناً وبلاءً.

ثم ساق الحديث إلى قوله: فعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقه فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم وغطاه

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) أي صغاراً قبل أن يبلغوا.

(٣) أي القيلولة يعني أن ينام الناس في منتصف النهار.

بالحكمة غطاءً، فاستيقظ وهو أحكم الناس في زمانه وخرج على الناس ينطق بالحكمة، فلما أُوتي الحكمة ولم يقبلها، أمر الله الملائكة فنادت داود بالخلافة، فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان، فأعطاه الله الخلافة في الأرض، وابتلي فيها غير مرة، وكل ذلك يهوي في الخطأ، فيقيه الله ويغفر له. وكان لقمان يكثر زيارة داود ويعظه بمواعظه، وكان يقول له داود عليه السلام طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية، وأعطي داود عليه السلام الخلافة وابتلي بالخطأ والفتنة.

فوعظ لقمان ابنه بآثار حتى تفطر وانشق، وكان فيما وعظه أن قال: يا بني إنك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد، يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك وخذ من الدنيا بلاغاً ولا ترفضها تكون عيالًا على الناس، وصم صوماً يقطع شهوتك ولا تصم صياماً يمنعك من الصلاة فإن الصلاة أحب إلى الله من الصيام، يا بني إن الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان واجعل شراعها التوكل واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك، يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً، يا بني خف الله خوفاً لو أتيت يوم القيامة ببر الثقلين خفت أن يعذبك، وارج الله رجاءً لو وافيت القيامة بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر الله لك.

فقال له ابنه: يا أبة وكيف أطيق هذا وإنما لي قلب واحد فقال: يا بني لو استخرج قلب المؤمن فشق، لوجد فيه نوران، نور للخوف ونور للرجاء، لو وزنا ما رجح أحدهما على الآخر مثقال ذرة، يا بني لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها، فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه منها، ألا ترى أنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان فيما أوصى به لقمان ابنه ناتان أن قال له: يا بني ليكن مما تتسلح به على عدوك فتصرعه: المماسحة - أي المصادقة - وإعلان الرضا عنه ولا تزاوله بالمجانبة، فيبدو له ما في نفسك فيتأهب لك، يا بني إني حملت الجندل[(٢)] والحديد وكل حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمر من الفقر، يا بني اتخذ ألف صديق وألف قليل ولا تأخذ عدواً واحداً، والواحد كثير. فقال أمير المؤمنين عليه السلام.

تكثر من الإخوان ما استطعت إنهم ... عماد إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب ... وإن عدواً واحداً لكثير[(٣)]

(١) تفسير القمي ج٢، ص ١٦٢ - ١٦٥.
(٢) الجندل: الصخر العظيم.
(٣) أمالي الصدوق المجلس ٩٥ ص ٥٣٢ برقم ٥ و ٦.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال له: يا بني ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيته في طلب الرزق أن الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره وآتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة، والله تبارك وتعالى سيرزقه في الحالة الرابعة. وأما أول ذلك: فكان في رحم أمه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا يؤذيه حر ولا برد، ثم أخرجه من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أمه يكفيه به ويربيه من غير حول به ولا قوة، ثم فطم من ذلك فأجرى له رزقاً من كسب أبويه ورأفة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك، حتى أنهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة حتى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره وظن الظنون بربه وجحد الحقوق في ماله وقتر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق وسوء يقين[١] بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل! فبئس العبد هذا يا بني[٢].

ثم قال: يا بني إن تك في شك من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شك من البعث فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك، فإنك إذا فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك، وإنما النوم بمنزلة الموت وإنما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت، يا بني لا تقترب فيكون أبعد لك ولا تبتعد فتهان، كل دابة تحب مثلها وابن آدم لا يحب مثله لا تنشر برك إلا عند باغيه[٣].

يا بني لا تتخذ الجاهل رسولاً فإن لم تصب عاقلاً حكيماً يكون رسولك، فكن أنت رسول نفسك.

إذا سافرت مع قوم وتحيرتم في طريقكم فانزلوا وإذا شككتم بالقصد فقفوا وتآمروا[٤] وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه، فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله أن يكون عيناً للصوص أو يكون هو الشيطان الذي يحيركم، واحذروا الشخصين أيضاً إلا أن تروا ما لا أرى، فإن العاقل إذا بصر بعينه شيئاً، عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، يا بني فإذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء وصلّها واسترح منها، فإنها دين، وصلّ في جماعة ولو على رأس زج[٥] ولا تنامنّ على دابتك، فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون في محل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وإذا

---

(١) الخلف: البدل والعوض.

(٢) الخصال ص ١٢٢ أبواب الثلاثة برقم ١١٤.

(٣) قصص الراوندي ص ١٩٠ برقم ٢٣٩.

(٤) أي تشاوروا.

(٥) الزج: الحديدة التي تُركب في أسفل الرمح.

أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض، وإذا ارتحلت فصل ركعتين وودع الأرض التي حللت بها وسلم عليها وعلى أهلها، فإن لكل بقعة أهلًا من الملائكة، وإياك والسير من أول الليل وعليك بالتعريس والدلجة[١] من لدن نصف الليل إلى آخره وإياك ورفع الصوت في مسيرك[٢].

وقال أمين الإسلام الطبرسي: اختلف في لقمان فقيل: إنه كان حكيماً ولم يكن نبياً. عن ابن عباس وأكثر المفسرين. وقيل: إنه كان نبياً. وقيل: إنه كان عبداً أسود حبشياً غليظ المشافر[٣] مشقوق الرجلين في زمن داود عليه السلام. وقال له بعض الناس: ألست كنت ترعى الغنم معنا فمن أين أوتيت الحكمة؟ قال: أداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. وقيل: إنه كان ابن أخت أيوب. وقيل: ابن خالته. وعنه صلى الله عليه وآله: لم يكن لقمان نبياً ولكنه كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين، أحب الله فأحبه ومنّ عليه بالحكمة[٤].

وذكر أن مولى لقمان دعاه فقال: اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان، ثم أمره بذبح شاة فقال له: إئتني بأخبث مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان، فسأله عن ذلك فقال: إنهما أطيب شيء إذا طابا، وأخبث شيء إذا خبثا.

وروي أن مولاه دخل المخرج فأطال الجلوس، فناداه لقمان: إن طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاجلس هوناً وقم هوناً. قال: فكتب حكمته على باب الحُش[٥].

وروي أنه قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال: ما فعل أبي؟ قال مات قال: ملكت أمري، قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت، قال: جدّد فراشي، قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال: سترت عورتي، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال: انقطع ظهري.

وقيل له: ما أقبح وجهك قال تعيب على النقش أو على فاعل النقش.

وروي أنه دخل على داود وهو يسرد الدرع، وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت، فقال: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال له داود: بحقّ ما سمّيت حكيماً[٦].

---

(١) التعريس: نزول القوم للاستراحة من السفر ثم يرتحلون والدلجة: أي ساروا في آخر الليل.
(٢) روضة الكافي ص ٣٤٨ برقم ٥٤٧.
(٣) المشافر: جمع المشفر أي الشفة.
(٤) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٤٩٣ - ٤٩٤.
(٥) الحش مثلثة: المخرج وأصله من البستان سمي بذلك لأنهم كانوا يقضون حاجتهم في البساتين.
(٦) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٤٩٥ - ٤٩٦.

وقال المسعودي: كان لقمان نوبياً مولى للقين بن جسر، ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبداً صالحاً ومنَّ الله عليه بالحكمة، ولم يزل في فيافي الأرض[١] مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيام يونس بن متَّى، حتى بعث إلى أهل نينوى من بلاد الموصل[٢].

ومن حكمته أنه قال: يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولا من جمعوا له، وإنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل ووعدت عليه أجراً فأوفه عملك واستوف أجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمنت، فكان حتفها[٣] عند سمنها. ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخربها[٤] ولا تعمرها فإنك لم تؤمر بعمارتها. واعلم أنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع: شبابك فيما أبليته؟ وعمرك فيما أفنيته؟ ومالك مما اكتسبته؟ وفيما أنفقته فتأهب لذلك وأعد له جواباً[٥].

وقال لقمان: لأن يضربك الحكيم فيؤذيك، خير من أن يدهنك الجاهل بدهن طيب، يا بني لا تطأ أمتك ولو أعجبتك وانه نفسك عنها وزوّجها، يا بني لا تفشين سرك إلى امرأتك ولا تجعل مجلسك على باب دارك، يا بني تعلمت سبعة آلاف من الحكمة، فاحفظ منها أربعة وسر معي إلى الجنة: أحكم سفينتك فإن بحرك عميق، وخفف حملك فإن العقبة كؤود، وأكثر الزاد فإن السفر بعيد، وأخلص العمل فإن الناقد بصير[٦].

(بيان التنزيل) لابن شهرآشوب قال: أول ما ظهر من حكم لقمان أن تاجراً سكر وخاطر[٧] نديمه أن يشرب ماء البحر كله وإلا سلم إليه ماله وأهله! فلما أصبح وصحا ندم وجعل صاحبه يطالبه بذلك! فقال لقمان: أنا أخلصك بشرط أن لا تعود إلى مثله، قل: أشرب الماء الذي كان فيه وقت إفادتي به أو أشرب ماءه الآن؟ فسد أفواهه لأشربه، أو أشرب الماء الذي يأتي به فاصبر حتى يأتي فأمسك صاحبه عنه[٨].

---

(١) في المصدر: ولم يزل باقياً في الأرض.

(٢) مروج الذهب ج١، ص ٥٧.

(٣) الحتف: الموت.

(٤) كناية عن قطع علاقة القلب منها، وعدم الحرص عليها.

(٥) أصول الكافي ج٢، ص ١٣٤ باب ذم الدنيا برقم ٢٠.

(٦) الاختصاص للمفيد ص ٣٣٦ في وصايا لقمان لابنه وقد اختصر المؤلف منه الكثير فمن أراد التفصيل فليراجع.

(٧) خاطر: بمعنى راهن.

(٨) بحار الأنوار ج١٣، ص ٤٣٣ برقم ٢٦.

وأما قصة أشموئيل وطالوت وجالوت

ففي (تفسير) علي بن إبراهيم بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام: إن بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه.

وروي: إنه ارميا النبي، فسلط الله عليهم جالوت وهو من القبط فأذلهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وسلب أموالهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيهم وقالوا اسأل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، لم يجمع الله لهم الملك والنبوة في بيت. فمن ذلك قالوا ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله فقال لهم نبيهم: هل عسيتم أن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا؟ قالوا: وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا.

وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ﴾(١) فغضبوا من ذلك وقالوا: أنى يكون له الملك علينا! ولم يؤت سعة من المال.

وكانت النبوة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف لأمه، لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة. فقال لهم نبيهم إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قوياً وكان أعلمهم، إلا أنه كان فقيراً فعابوه بالفقر! فقالوا: لم يؤت سعة من المال فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة وكان التابوت الذي أنزله الله على أم موسى فوضعته فيه أمه وألقته في اليم، فكان بنو إسرائيل يتبركون به.

فلما حضر موسى عليه السلام الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه، فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عز وشرف ما دام التابوت عندهم، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت، رفعه الله منهم.

فلما سألوا النبي وبعث الله إليهم طالوت ملكاً يقاتل معهم، رد الله عليهم التابوت كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ﴾(٢). قال: البقية ميراث الأنبياء.

قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فإن التابوت كان يوضع بين يدي العدو وبين

(١) سورة البقرة؛ الآيتان: ٢٤٦ و ٢٤٧. (٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٨.

المسلمين، فيخرج منه ريح طيبة لها وجه كوجه الإنسان. وعن الرضا عليه السلام قال: السكينة ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان، وكان التابوت إذا وضع بين يدي المسلمين والكفار، فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام.

فأوحى الله إلى نبيهم: إن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه داود بن آشي[١] راعياً، وكان له عشرة بنين أصغرهم داود. فلما بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى آشي أن احضر واحضر ولدك فلما حضر ودعا واحداً من ولده فألبسه الدرع، درع موسى عليه السلام فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه، فقال آشي: هل خلفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً. فبعث إليه فجاء به، فلمّا دعي أقبل ومعه مقلاع[٢]، فنادته ثلاث صخرات في طريقه فقالت: يا داود خذنا، فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش قوياً.

فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى عليه السلام فاستوت عليه، ففصل طالوت بالجنود، وقال لهم نبيهم: يا بني إسرائيل إن الله مبتليكم بنهر في هذه المفازة فمن شرب منه فليس من الله ومن لم يشرب فهو من الله إلا من اغترف غرفة بيده.

فلما وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغرف كل واحد منهم غرفة، فشربوا منه إلا قليلًا منهم، فالذين شربوا كانوا ستين ألفاً، والقليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا. فلما جاوزوا النهر ونظروا إلى الجنود قال الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[٣] وقال الذين لم يشربوا ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٤].

فجاء داود فوقف بحذاء جالوت، وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه، فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمر في الهواء ووقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا، ورمى جالوت بحجر فصكت الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميتاً. وهو قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾[٥].

وقال أمين الإسلام الطبرسي: في قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ اختلف في ذلك النبي:

---

(١) في نسخة آسي وفي تاريخ اليعقوبي والطبري والعرائس ومجمع البيان والبحار (إيشا).
(٢) مقلاع: آلة يرمى بها الأحجار للصيد ونحوه.
(٣) سورة البقرة؛ الآية: ٢٤٩.
(٤) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٠.
(٥) تفسير القمي ج١، ص ٨١ - ٨٣.

فقيل: اسمه شمعون ابن صفية من ولد لاوي. وقيل: هو يوشع. وقيل: هو اشموئيل، وهو بالعربية إسماعيل، عن أكثر المفسرين. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

وقوله: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ فاختلف في سبب سؤالهم.

فقيل: كان سببه استذلال الجبابرة لهم لما ظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم بعد أن كانت الخطايا كثرت في بني إسرائيل، فبعث لهم اشموئيل نبياً فقالوا له إن كنت صادقاً ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾.

وقيل: أرادوا العمالقة، فسألوا ملكاً يكون أميراً عليهم(١).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: السكينة ريح تخرج من الجنة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة، وهي التي أُنزلت على إبراهيم صلوات الله عليه فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين، وهذه السكينة كانت في التابوت وكانت فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء عليهم السلام. ثم أقبل علينا فقال: فما تابوتكم؟ قلنا السلاح، قال نعم هو تابوتكم(٢).

وعنه عليه السلام قال: كان تابوت موسى عليه السلام ثلاثة أذرع في ذراعين وكان فيه عصى موسى، والسكينة روح الله يتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء، كلمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون(٣).

وروي: أنه لما غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام، فأصبحت أصنامهم منكسة(٤)، فأخرجوه ووضعوه في ناحية من المدينة، فأخذهم وجع في أعناقهم وكل موضع وضعوه ظهر فيه بلاء وموت ووباء، فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فاجتمع رأيهم أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها إلى ثورين ففعلوا ذلك وأرسلوا الثورين، فجاءت الملائكة وساقوا الثورين إلى بني إسرائيل(٥).

وقال ابن الأثير في (الكامل): لما انقطع إلياس عن بني إسرائيل، بعث الله اليسع وكان فيهم، ثم قبض، وعظمت فيه الأحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا انهزم العدو، وكانت السكينة شبيه برأس الهر، فإذا صرخ في التابوت بصراخ الهر، أيقنوا بالنصر.

فلما عظم أحداثهم نزل بهم عدو، فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت، فاقتتلوا فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا! فمات ملكهم تحسراً! ودخل العدو أرضهم ونهب وسبى وعاد فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف. وكان مدة ما بين وفاة يوشع إلى أن رجعت النبوة إلى اشموئيل ستين سنة.

---

(١) مجمع البيان المجلد الأول ص ٦١٠.

(٢) و(٣) بحار الأنوار ج١٣، ص ٤٤٣.

(٤) في المصدر: منكبة.

(٥) مجمع البيان المجلد الأول ص ٦١٥.

وكان من خبر اشموئيل، أن بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم وأخذ التابوت عنهم، فصاروا لا يلقون ملكاً إلا خائفين. فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين، فظفر بهم وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى، فحبسوها في بيت، رهبة أن تلد جارية، فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فولدت غلاماً، سمته اشموئيل، ومعناه سمع الله دعائي.

وسبب تسميته: أنها كانت عاقراً وكان لزوجها امرأة أُخرى قد ولدت له عشرة أولاد، فبغت عليها بكثرة أولادها فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً فرحم الله تعالى انكسارها وحاضت لوقتها وقربت زوجها فحملت، فولدت غلاماً سمته اشموئيل، فأرسلته إلى بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم: فلما بلغ بعثه الله تعالى نبياً إلى قومه فكذبوه تارة وأطاعوه أُخرى، فأقام يدير أمرهم أربعين سنة، وكانت العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت مكانتهم في بني إسرائيل حتى كادوا يهلكوهم. فلما رأى بنو إسرائيل ذلك، قالوا ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فدعوا الله فأرسل لهم طالوت. فلما قتل داود جالوت، أعطاه طالوت ابنته وزوجها[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل - أي كل من وجد التابوت على بابهم - أوتوا النبوة، فمن صار إليه السلاح منا أُوتي الإمامة[٢].

(كنز الفوائد) ذكروا أن الوليد بن عبد الملك احتاج إلى رصاص أيام بناء مسجد دمشق، فقيل إن في الأردن سنارة فيها رصاص، فبعث إليها. فلما أخذ في حفرها ضرب رجل بمعول فأصاب رجلًا في سفط[٣] وناله المعول فسال دمه! فقيل هذا طالوت الملك، فتركه ولم يخرجه[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ ج١، ص ٢١٤. ٢١٨ وللخبر ذيل فمن أراد فليراجع.

(٢) أصول الكافي ج١، ص ٢٣٨ باب أن مثل سلاح رسول الله ﷺ مثل التابوت في بني إسرائيل.

(٣) السفط: وعاء كالقفة أو الجوالق.

(٤) بحار الأنوار ج١٣، ص ٤٥٧.

الباب الرابع عشر
في قصص داود عليه السلام وفيه فصول

الفصل الأول
في عمره ووفاته وفضائله وما آتاه الله تعالى، وفيه قصة أوريا

(الكافي) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مات داود النبي عليه السلام يوم السبت مفجوءاً، فأظلته الطير بأجنحتها(١).

(معاني الأخبار) معنى داود أنه داوى جرحه بود. وقيل: داوى ودّه بالطاعة حتى قيل عبد(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لم يبعث الأنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح: ذو القرنين واسمه عياش وداود وسليمان ويوسف عليهم السلام. فأما عيّاش: فملك ما بين المشرق والمغرب. وأما داود: فملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر. وكذلك كان ملك سليمان، وأما يوسف: فملك مصر وبراريها. لم يجاوزها إلى غيرها(٣).

تفسير علي بن إبراهيم ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي سبحي لله ﴿وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾(٤) قال: كان داود عليه السلام إذا مر في البراري يقرأ الزبور، تسبح الجبال والطير والوحوش معه وألان الله له الحديد مثل الشمع، حتى كان يتخذ منه ما أحب.

وقال الصادق عليه السلام: اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء، فإنه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام: وقوله: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ قال: الدروع، وقدر في السرد المسامير التي في الحلقة(٥).

---

(١) فروع الكافي ج١، ص ١١١ باب علل الموت برقم ٤.
(٢) معاني الأخبار ص ١٩.
(٣) الخصال ص ٢٤٨ أبواب الأربعة برقم ١١٠.
(٤) سورة سبأ؛ الآية: ١٠.
(٥) تفسير القمي ج٢، ص ١٩٩ في تفسيره لسورة سبأ الآية: ١٠.

وقال أمين الإسلام الطبرسي في قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي قلنا للجبال: يا جبال سبحي معه. قالوا: أمر الله الجبال أن تسبح معه إذا سبح، فسبحت معه. ويجوز أن يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزاً له. وأما الطير: فيجوز أن يسبح ويحصل له من التمييز ما سيأتي منه ذلك بأن يزيد في فطنته فيفهم ذلك[١].

وقال بعض المتأخرين، يمكن أن يكون تسبيح الجبال كناية عن تسبيح الملائكة الساكنين بها، أو بأن خلق الله الصوت فيها أو على القول بأن للجمادات شعور[٢].

قال مؤلف الكتاب نعمة الله الموسوي الحسيني أيده الله تعالى: إنا ذكرنا في كثير من مؤلفاتنا القول بأن الطيور والحيوانات لها نفوس ناطقة درّاكة وحكيناه عن كثير من قدماء الحكماء بالبراهين والدلائل والأحاديث المستفيضة، بل المتواترة دالة على إدراكها وأن لها من الإدراك والشعور ما يزيد على كثير من الناس وظاهر الآيات شاهد به. وكذلك في الأحاديث شهادة ودلالة على أن للجمادات نوعاً من الإدراك والشعور تسبح لخالقها وتطيعه بلسان مقالها، مثل لسان حالها.

حتى أن جماعة من محققي المفسرين وأهل الحديث قالوا: إن إعجاز النبي ﷺ كان تسبيح الحصا بيده هو إسماع الحاضرين ذلك التسبيح وإلا فالتسبيح حاصل في الحصا وغيره. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٣]. وقد أطلنا الكلام في هذا المقام في كتاب (زهر الربيع) وفي شرحينا على كتابي (التوحيد، وعيون الأخبار) للصدوق.

(قصص الأنبياء) للفاضل الراوندي، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن داود عليه السلام كان يدعو أن يعلمه[٤] الله القضاء بين الناس بما هو عنده تعالى الحق فأوحى الله إليه: يا داود إن الناس لا يحتملون ذلك وإني سأفعل.

وارتفع إليه رجلان، فاستعداه أحدهما على الآخر، فأمر المستعدى عليه أن يقوم إلى المستعدي فيضرب عنقه ففعل. فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك! وقالت رجل جاء يتظلم من رجل، فأمر الظالم أن يضرب عنقه! فقال صلوات الله عليه: رب أنقذني من هذه الورطة.

قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا داود سألتني أن ألهمك القضاء بين عبادي بما هو عندي الحق، وإن هذا المستعدي قتل أبا هذا المستعدى عليه، فأمرت فضربت عنقه قوداً[٥] بأبيه وهو مدفون في حائط كذا وكذا تحت شجرة كذا فأته فناده باسمه، فإنه سيجيبك فسله.

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع، ص ٥٩٧.

(٢) هذا القول للعلامة المجلسي رحمه الله في البحار ج١٤، ص ٣.

(٣) سورة الإسراء؛ الآية: ٤٤.

(٤) في المصدر: أن يسلمه وفي البحار أن يلهمه.

(٥) القود: القصاص، وقتل القاتل بدل القتيل.

قال: فخرج داود عليه السلام وقد فرح فرحاً شديداً، فقال لبني إسرائيل: قد فرج الله، فمشى ومشوا معه فانتهى إلى شجرة، فنادى: يا فلان! فقال لبيك يا نبي الله، قال من قتلك؟ قال فلان.

قال بنو إسرائيل، لسمعناه يقول يا نبي الله فنحن نقول يا نبي الله كما قال!! فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إن العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي الحكم، فسل المدعي البينة وأضف المدّعى عليه إلى اسمي[١].

(وعن أبي عبد الله عليه السلام) قال: كان على عهد داود عليه السلام سلسلة يتحاكم الناس إليها، وإن رجلًا أودع رجلًا جواهر، فجحده إياها! فدعاه إلى السلسلة، فذهب معه إليها وأدخل الجوهر في قناةٍ، فلما أراد أن يتناول السلسلة قال له: إمسك هذه القناة حتى آخذ السلسلة، فأمسكها ودنا الرجل من السلسلة فتناولها وأخذها وصارت في يده، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: احكم بينهم بالبينات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به، ورفعت السلسلة[٢].

(العياشي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أهبط ظللًا من الملائكة على آدم عليه السلام وهو بوادي الروحاء بين الطائف ومكة، ثم صرخ بذريته وهم ذرّ، فخرجوا كما يخرج النمل من كورها، فاجتمعوا على شفير الوادي فقال الله لآدم: انظر ماذا ترى؟ فقال آدم: ذراً كثيراً، فقال الله: يا آدم هؤلاء ذريتك أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، كما أخذته عليهم في السماء، قال آدم: يا رب وكيف أوسعتهم ظهري؟ قال الله: يا آدم بلطف صنعي، قال آدم عليه السلام فما تريد منهم في الميثاق؟ قال: أن لا يشركوا بي شيئاً فمن أطاعني أسكنه جنتي، ومن عصاني أُسكنه ناري، قال: يا رب لقد عدلت فيهم وليعصينك أكثرهم إن لم تعصمهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: عرض على آدم عليه السلام أسماء الأنبياء عليهم السلام وأعمارهم، فمر باسم داود فإذا عمره أربعون سنة، فقال آدم عليه السلام يا رب وما أقصر عمر داود وأكثر عمري! يا رب إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أتكتب ذلك له؟ قال: نعم، قال: إني زدته من عمري ثلاثين سنة فأثبتها له واطرحها من عمري! فأثبتها الله لداود ومحاها من آدم. فذلك قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

فلما دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت ليقبض روحه فقال: يا ملك الموت قد بقي من عمري ثلاثون سنة، فقال: ألم تجعلها لابنك داود وأنت بوادي الروحاء؟ فقال آدم عليه السلام: يا ملك الموت ما أذكر هذا، فقال: يا آدم لا تجهل، ألم تسأل الله أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك؟ قال آدم: فأحضر الكتاب حتى أعلم ذلك، وكان آدم صادقاً لم يذكر. فمن ذلك اليوم

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٠٠ برقم ٢٥٦.

(٢) قصص الراوندي ص ٢٠٢ برقم ٢٦١.

أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمى، لنسيان آدم عليه السلام وجحود ما جعل على نفسه(١).

أقول: في كثير من الأخبار أنه زاد في عمر داود ستين سنة تمام المائة سنة وهو أوفق بسائر الأخبار.

(من لا يحضره الفقيه) قال أبو جعفر عليه السلام: دخل علي عليه السلام المسجد، فاستقبله شاب وهو يبكي وحوله قوم يسكتونه، فقال له علي عليه السلام: ما أبكاك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن شريحاً قضى عليّ بقضية ما أدري ما هي، إن هؤلاء النفر خرجوا بأبي في سفرهم فرجعوا، ولم يرجع أبي! فسألتهم عنه فقالوا: مات فسألتهم عن ماله، فقالوا: ما ترك مالاً، فقدمتهم إلى شريح فاستحلفهم! وقد علمت يا أمير المؤمنين أن أبي خُرج ومعه مال كثير فقال: ارجعوا فردهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح.

فقال: يا شريح كيف قضيت بين هؤلاء؟ فحكى له، فقال: يا شريح هيهات هكذا تحكم في مثل هذا، والله لأحكمن فيهم بحكم ما حكم به قبلي إلا داود النبي عليه السلام، يا قنبر ادع لي شرطة الخميس فدعاهم، فوكل بكل رجل منهم رجلًا من الشرطة، ثم نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى وجوههم فقال: أتقولون إني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى إني إذاً لجاهل، ثم قال: فرقوهم وغطوا رؤوسهم ففرق بينهم وأقيم كل واحد منهم إلى أسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطاة بثيابهم، ثم دعا بعبيد الله بن أبي رافع كاتبه، فقال: هات صحيفة ودواة وجلس عليه السلام في مجلس القضاء واجتمع الناس إليه، فقال إذا أنا كبّرت فكبروا، ثم قال للناس أفرجوا، ثم دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه فكشف عن وجهه، ثم قال لعبيد الله اكتب قراره وما يقول، ثم أقبل عليه بالسؤال فقال: في أي حين خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم فقال: في يوم كذا وشهر كذا، ثم قال: وإلى أين بلغتم من سفركم حين مات؟ قال: إلى موضع كذا، قال: وفي أي منزل مات؟ قال: في منزل فلان ابن فلان، قال: وما كان مرضه؟ قال: كذا وكذا، قال: كم يوماً مرض؟ قال: كذا وكذا يوماً، قال: فمن كان يمرّضه وفي أي يوم مات ومن غسله ومن كفنه وبما كفنتموه ومن صلى عليه ومن نزل قبره؟

فلما سأله عن جميع ما يريد، كبّر وكبّر الناس معه! فارتاب أولئك الباقون ولم يشكوا أن صاحبهم قد أقر عليهم وعلى نفسه، فأطرق يغطي رأسه.

ثم دعا بآخر، فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه، ثم قال: كلا زعمت أني لا أعلم ما صنعتم، فقال: يا أمير المؤمنين ما أنا إلا واحد من القوم ولقد كنت كارهاً لقتله! فأقر. ثم دعا بواحد بعد واحد، وكلهم يقر بالقتل، وأخذ المال، ثم رد الأول فأقر أيضاً، فألزمهم المال والدية.

---

(١) تفسير العياشي ج٢، ص ٢١٨ برقم ٧٣ في تفسيره لسورة الرعد الآية: ٣٩ وذكره الصدوق في العلل ج٢، ص ٢٧٣ باب ٣٤١ مع اختلاف يسير فراجع إن شئت.

وقال شريح يا أمير المؤمنين وكيف كان حكم داود؟ فقال: إن داود النبي عليه السلام مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم مات الدين! فدعا منهم غلاماً، فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقال: اسمي مات الدين سمتني به أمي.

فانطلق إلى أمه فقال لها من سماه بهذا الاسم؟ قالت: أبوه، قال وكيف ذلك؟ قالت: إن أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبي حمل في بطني، فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي وقالوا: مات! قلت: أين ماله؟ قالوا: لم يخلف مالاً! فقلت: أوصاكم بوصية؟ قالوا: نعم زعم أنك حبلى فما ولدت سميه مات الدين فسميته، فقال: أتعرفين القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك؟ قالت: نعم وهم أحياء، قال: فانطلقي بنا إليهم ثم مضى معها فاستخرجهم من منازلهم، فحكم بينهم بهذا الحكم، فثبت عليهم المال والدم، ثم قال للمرأة: سمي ابنك عاش الدين[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً.

قال: فبكى داود عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى الحديد أن لِن لعبدي داود، فألان الله له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً، فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً، واستغنى عن بيت المال[٢].

(بشارة المصطفى) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمد عليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى[٣].

وقال صاحب (الكامل) كان داود بن ايشا من أولاد يهودا، فلما قتل طالوت أتى بنو إسرائيل داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم.

فلما ملك جعله الله نبياً وملكاً وأنزل عليه الزبور وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح، ولم يعط الله أحداً مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر، فكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف، وكان يأكل من كسب يده[٤].

قيل: أصاب الناس في زمان داود عليه السلام طاعون جارف - يعني عَامّاً - فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٣، ص ١٩ برقم ٣٢٥٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه ج٣، ص ١٠٣ برقم ٣٥٩٤.
(٣) الإرشاد للمفيد، ص ٣٦٥.
(٤) الكامل في التاريخ ج١، ص ٢٢٣.

فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب الله ورفع الطاعون، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً وكان الشروع في بنائه لأحد عشر سنة مضت من ملكه، وتوفي قبل أن يستتم بناؤه وأوصى إلى سليمان بإتمامه.

ثم إن داود عليه السلام توفي، وكانت له جارية تغلقَ الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ويقوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلًا، فقالت: من أدخلك الدار؟ فقال: أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن، فسمع داود قوله فقال: أنت ملك الموت، فهلا أرسلت إليّ فأستعد للموت؟ قال: قد أرسلت إليك كثيراً، قال: من كان رسولك؟ قال: أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك؟ قال: ماتوا، قال: فهم رسلي إليك بأنك تموت كما ماتوا، ثم قبضه.

فلما مات ورث سليمان ملكه، وكان له تسعة عشر ولداً فورثه سليمان دونهم وكان عمر داود عليه السلام مائة سنة ومدة ملكه أربعين سنة[١].

(نهج البلاغة) وإن شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

أقول: في اللغة مزامير داود ما كان يتغنى به من الزبور وقد أعطي من طيب النغم ولذة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه والوحش تسمعه فتدخل بين الناس ولا تنفر لما قد استغرقها من طيب صوته.

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن داود عليه السلام لما وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس وكثرتهم فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلمّا قضى نسكه أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا داود يقول لك ربك: لم صعدت الجبل ظننت أنه يخفى عليّ صوت من صوت ثم مضى به إلى البحر إلى جدة، فرسب به في الماء مسيرة أربعين صباحاً في البر، فإذا صخرة ففلقها فإذا فيها دودة، فقال: يا داود يقول لك ربك أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر، فظننت أنه يخفى عليّ صوت من صوت[٢].

(وعنه عليه السلام) قال: قال داود النبي عليه السلام: لأعبدن الله اليوم عبادة ولأقرأن قراءة لم أفعل مثلها قط، فدخل محرابه ففعل، فلما فرغ من صلاته إذا هو بضفدع في المحراب، فقال له: يا داود أعجبك اليوم ما فعلت من عبادتك وقراءتك؟ فقال: نعم، فقالت: لا يعجبنّك فإني أُسبح الله في كل ليلة ألف تسبيحة يتشعب لي مع كل تسبيحة ثلاثة آلاف تحميدة، وإني لأكون

---

(١) الكامل في التاريخ ج١، ص ٢٢٧ . ٢٢٨.

(٢) فروع الكافي ج٢، ص ٢١٤ كتاب الحج باب حج الأنبياء برقم ١١.

في قعر الماء فيصوّت الطير في الهواء فأحسبه جائعاً، فأطفو له على الماء ليأكلني، وما لي ذنب(١).

وأما قصته عليه السلام مع أوريا

(فروى علي بن إبراهيم في تفسيره) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن داود عليه السلام لما جعله الله خليفة في الأرض وأنزل عليه الزبور وأوحى الله عز وجل إلى الجبال والطير أن يسبحن معه وكان سببه أنه إذا صلّى يقوم وزيره لما يفرغ من الصلاة فيحمد الله ويسبحه ويكبره ويهلله ثم يمدح الأنبياء عليهم السلام نبياً نبياً ويذكر من فضلهم وأفعالهم وشكرهم في عبادتهم لله سبحانه والصبر على بلائه، ولا يذكر داود. فنادى داود عليه السلام ربه فقال: يا رب، قد أنعمت على الأنبياء بما أثنيت عليهم ولم تثن عليّ، فأوحى الله عز وجل إليه: هؤلاء عباد ابتليتهم فصبروا وأنا أثني عليهم بذلك، فقال: يا رب فابتلني حتى أصبر فقال يا داود تختار البلاء على العافية إني ابتليت هؤلاء فلم أعلمهم، وأنا ابتليتك وأعلمك أنه يأتيك بلائي في سنة كذا من شهر كذا في يوم كذا. وكان داود يفرغ نفسه لعبادته يوماً يقعد في محرابه ويوماً يقعد لبني إسرائيل فيحكم بينهم.

فلما كان في اليوم الذي وعده الله عز وجل فيه اشتدت عبادته وخلا في محرابه وحجب الناس عن نفسه، فبينما هو يصلي فإذا طائر قد وقع بين يديه جناحاه من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت أحمر ومنقاره من اللؤلؤ والزبرجد، فأعجبه جداً ونسي ما كان فيه، فقام ليأخذه! فطار الطائر فوقع على حائط بين داود وبين أُوريا وكان داود عليه السلام قد بعث أُوريا في بعث، فصعد داود عليه السلام الحائط ليأخذ الطير، وإذا امرأة جالسة تغتسل فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنها، فنظر إليها داود عليه السلام وافتتن بها ورجع إلى محرابه ونسي ما كان فيه.

وكتب إلى صاحبه في ذلك البعث: أن يصيروا إلى موضع كيت وكيت ويوضع التابوت بينهم وبين عدوهم فإذا رجع عنه إنسان كفر، ولا رجع أحد عنه إلا ويقتل، فكتب داود إلى صاحبه الذي بعثه أن ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم أُوريا بين يدي التابوت فقدمه وقتل.

فلما قتل دخل عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه، ففزع داود منهما، فقالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾(٢).

وكان لداود عليه السلام حينئذ تسعة وتسعون امرأة، ما بين مهيرة(٣) إلى جارية فقال أحدهما

---

(١) بحار الأنوار ج ١٤، ص ١٦ برقم ٢٨.

(٢) سورة ص؛ الآية: ٢٢.

(٣) المهيرة: النساء الغاليات المهر.

لداود عليه السلام ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾[١] - أي ظلمني وقهرني - فقال داود عليه السلام ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ الآية.

فضحك المستعدى عليه من الملائكة وقال حكم الرجل على نفسه، فقال داود عليه السلام تضحك وقد عصيت! لقد هممت أن أهشم[٢] فاك.

قال: فعرجا، فقال الملك المستعدى عليه: لو علم داود أنه أحق بهشم فيه مني، ففهم داود الأمر وذكر الخطيئة. فبقي أربعين يوماً ساجداً يبكي ليله ونهاره ولا يقوم إلا وقت الصلاة، حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه.

فلما كان بعد أربعين يوماً نودي: يا داود ما لك أجائع أنت فنشبعك؟ أو ظمآن فنسقيك؟ أم عريان فنكسوك؟ أم خائف فنؤمنك؟ فقال: إي ورب وكيف لا أخاف وقد علمت وأنت الحكم العدل لا يجوزك ظلم ظالم؟ فأوحى الله عز وجل إليه: تبت يا داود؟ فقال: إي رب وأنى لي بالتوبة؟ قال: سر إلى قبر أوريا حتى أبعثه إليك وأسأله أن يغفر لك، فإن غفر لك غفرت لك، قال: يا رب فإن لم يفعل؟ قال: أستوهبك منه.

فخرج داود عليه السلام يمشي على قدميه ويقرأ الزبور حتى انتهى إلى جبل وعليه نبي عابد يقال له حزقيل، فلما سمع دوي الجبال وصوت السباع تسبّح علم أنه داود فقال: هذا النبي الخاطىء فقال داود: يا حزقيل تأذن لي أن أصعد إليك؟ قال: لا فإنك مذنب، فبكى داود عليه السلام.

فأوحى الله تعالى إلى حزقيل: يا حزقيل لا تعير داود بخطيئته واسألني العافية فنزل حزقيل وأخذ داود وأصعده إليه، فقال داود: يا حزقيل هل هممت بخطيئة قط؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عز وجل؟ قال. لا، قال: فهل ركنت إلى الدنيا وأحببت أن تأخذ من شهواتها ولذاتها؟ قال: بلى ربما عرض ذلك بقلبي، قال: فما تصنع؟ قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه.

فدخل داود عليه السلام الشعب فإذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية وعظام نخرة وإذا لوح من حديد فيه مكتوب فقرأه داود فإذا فيه: أنا أروى بن سلم، ملكت ألف مدينة وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف جارية! فكان آخر أمري أن صار التراب فراشي والحجارة وسادي والحيات والديدان جيراني، فمن رآني فلا يغتر بالدنيا.

ومضى داود حتى أتى قبر أُوريا، فناداه فلم يجبه. ثم ناداه، فلم يجبه. ثم ناداه ثالثة، فقال أُوريا: ما لك يا نبي الله قد شغلتني عن سروري وقرة عيني، قال: يا أُوريا اغفر لي خطيئتي، فأوحى الله عز وجل: يا داود بيِّن له ما كان منك، فناداه داود فأجابه في الثالثة فقال: يا

---

(١) سورة ص؛ الآية: ٢٣.

(٢) هشم الشيء: كسره.

أوريا فعلت كذا وكذا وكيت وكيت، فقال أوريا: أتفعل الأنبياء مثل هذا؟ فناداه فلم يجبه، فوقع داود على الأرض باكياً فأوحى الله عز وجل إلى صاحب الفردوس ليكشف عنه فكشف عنه، فقال أوريا لمن هذا؟ قال لمن غفر لداود خطيئته، فقال يا رب قد وهبت لداود خطيئته.

فرجع داود إلى بني إسرائيل وكان إذا صلى قام وزيره يحمد الله ويثني عليه ويثني على الأنبياء عليهم السلام، ثم يقول كان من فضل نبي الله داود عليه السلام قبل الخطيئة كيت وكيت.

فاغتم داود عليه السلام: فأوحى الله عز وجل إليه: يا داود قد وهبت لك خطيئتك وألزمت عار ذنبك بني إسرائيل، قال: يا رب كيف وأنت الحكم الذي لا يجور؟ قال: لأنه لم يعاجلوك النكير. وتزوج داود عليه السلام بامرأة أوريا بعد ذلك، فولد منها سليمان عليه السلام. ثم قال الله عز وجل: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[1].

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: إن داود كتب إلى صاحبه أن لا تقدم أوريا بين يدي التابوت ورده، فقدم أوريا إلى أهله ومكث ثمانية أيام ثم مات[2].

أقول: هذا الحديث محمول على التقية لموافقته مذاهب العامة ورواياتهم وعدم منافاته لقواعدهم من جواز مثله على الأنبياء. والأخبار الواردة برده كثيرة من طرقنا، فلا مجال لتأويله، إلا الحمل على التقية.

(عيون الأخبار) بإسناده إلى أبي الصلت الهروي قال: سأل الرضا عليه السلام علي بن محمد بن الجهم فقال ما يقول من قبلكم في داود عليه السلام فقال: يقولون إنّ داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير! فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار الطير إلى السطح فصعد في طلبه! فسقط الطير في دار أوريا بن حنّان فاطلع داود في أثره، فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلما نظر إليها هواها، وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام الحرب[3] فقدم أوريا فظفر أوريا بالمشركين. فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقدم، فقتل أوريا، وتزوج بامرأته.

قال: فضرب عليه السلام على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل. فقال: يا ابن رسول الله ما كانت خطيئته فقال: ويحك إن داود ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه. فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسوروا المحراب، فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي

---

(١) سورة ص؛ الآية: ٢٥.

(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٢٢٩ - ٢٣٤.

(٣) في المصدر: أمام التابوت.

ٱلْخِطَابِ﴾ فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، ولم يسأل المدّعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول له ما تقول. فكان هذا خطيئة داود، لا ما ذهبتم إليه. ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[(١)] الآية.

فقال يا ابن رسول الله فما قصته مع أُوريا؟ قال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أُوريا، لما قتل وانقضت عدتها منه. فذلك الذي شق على الناس من قبل أُوريا[(٢)].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول فيما يقول الناس في داود عليه السلام وامرأة أُوريا؟ فقال: ذلك شيء تقوله العامة[(٣)].

وعنه عليه السلام قال: لو أخذت أحداً يزعم أن داود عليه السلام وضع يده عليها لحددته حدين: حداً للنبوة، وحداً لما رماه به[(٤)].

(العياشي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم ويوسف وداود.

أما آدم فبكى حين أُخرج من الجنة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء فبكى حتى تأذى به أهل السماء، فشكوا ذلك إلى الله، فحط من قامته.

وأما داود فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه، وإنه كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه.

وأما يوسف فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن، فتأذى به أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً[(٥)].

وقال الطبرسي: اختلف في استغفار داود من أي شيء كان: فقيل إنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود. كما حكى سبحانه عن إبراهيم بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾.

وأما قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ فالمعنى إنا قبلناه منه وأثبناه عليه، فأخرجه على لفظ الجزاء. وهذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب، من الإمامية وغيرهم. ومن جوز على الأنبياء الصغائر، قال إن استغفاره كان لصغيرة.

---

(١) سورة ص؛ الآية: ٢٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٧١ باب ١٤.

(٣) قصص الراوندي ص ٢٠٢ برقم ٢٦٢.

(٤) قصص الراوندي، ص ٢٠٣ برقم ٢٦٣.

(٥) تفسير العياشي ج٢ ص ١٧٧ في تفسيره لسورة يوسف برقم ٢٨.

ثم إنهم اختلفوا في ذلك على وجوه:

أحدها: إن أُوريا خطب امرأة فأراد أهلها أن يزوجوها له، فبلغ داود جمالها فخطبها أيضاً فزوجوها منه وقدموه على أُوريا، فعوتب داود على الحرص على الدنيا، عن الجبائي.

وثانيها: إنه أخرج أُوريا إلى بعض ثغوره فقتل، فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده، إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته، فعوتب على ذلك بنزول الملكين.

وثالثها: إنه كان في شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأة، فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها، فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها. فلما قتل أُوريا، خطب داود امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته أولياءه أن يخطبوها، فعوتب على ذلك.

ورابعها: إن داود عليه السلام كان متشاغلًا بالعبادة، فأتاه رجل وامرأة متحاكمين إليه، فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها، وذلك مباح. فمالت نفسه ميل الطباع، ففصل بينهما، وعاد إلى عبادة ربه، فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله، فعوتب.

وخامسها: إنه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيه ولا يحكم عليه قبل ذلك، وإنما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في وقت العبادة. انتهى[(١)].

وقال الرازي: بعد الطعن في الرواية المشهورة وإقامة الدلائل على بطلانها، وذكر بعض الوجوه السابقة والكلام عليها.

روي أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو بنفسه ويشتغل بطاعة ربه، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب. فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعونه، فخافوا فوضعوا كذباً، فقالوا ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ﴾ إلى آخر القصة. وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يحتج في لحاق الذنب بداود عليه السلام إلا ألفاظ أربعة:

أحدها ـ قوله ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وثانيها ـ قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾. وثالثها ـ قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾. ورابعها ـ قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾.

ثم نقول: وهذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه. وتقريره من وجوه:

الأول: إنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام دعاه الغضب إلى أن يشغل بالانتقام منهم، إلا أنه مال إلى الصفح عنهم، طلباً لمرضاة الله تعالى، فكانت هذه الواقعة هي الفتنة، لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، ثم إنه استغفر ربه مما همَّ به من الانتقام منهم، وتاب عن ذلك الهم ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ القدر من الهم والعزم.

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٧٣٥ - ٧٣٦.

والثاني: إنه وإن غلب على ظنه أنهم دخلوا عليه ليقتلوه، إلا أنه قدم على ذلك الظن، وقال لما لم تقم دلالة ولا إمارة على أن الأمر كذلك، فبئس ما عملت بهم حتى ظننت بهم هذا. فكان هذا المراد من قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾.

الثالث: إن دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام إلا أنه استغفر لذلك الداخل العازم على قتله. وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي لاحترام داود عليه السلام وتعظيمه، انتهى[(١)].

وقال البيضاوي: وأقصى ما في هذه الإشعار بأنه عليه السلام ود أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله، فنبهه الله بهذه القضية، فاستغفر وأناب عنه، انتهى[(٢)].

واعلم أنه لما ثبت عصمة الأنبياء عليهم بالبراهين والأدلة القاطعة، وجب تأويل ما يكون ظاهره منافياً له. وهذه الوجوه وإن كان يحصل بها الخلاص من القدح في شأن داود عليه السلام إلا أن المعول على ما في الأخبار الخالية من التقية[(٣)].

الفصل الثاني
فيما أوحي إليه وما صدر عنه من الحكم

(أمالي الصدوق) رحمه الله بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله سبحانه إلى داود عليه السلام: يا داود كما لا تضر الطيرة من لا يتطير منها، كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيرون[(٤)].

أقول: هذا الحديث يكون وجهاً للجمع بين ما ورد في الأخبار من قوله عليه السلام: لا طيرة في الإسلام، وبين ما روي من وقوعها ووجودها.

وعنه عليه السلام: إن العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة، فأبيحه جنتي، فقال داود: يا رب وما

(١) تفسير الرازي ج٢٦، ص ١٩٣.
(٢) تفسير البيضاوي ج٤، ص ١٣.
(٣) وقد ذكر هذه الوجوه علم الهدى الشريف المرتضى رضوان الله عليه في كتابه تنزيه الأنبياء ص ٩١ ممن جوز على الأنبياء الصغائر وأضاف: وكل هذه الوجوه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام لأن فيها ما هو معصية وقد بينا أن المعاصي لا تجوز عليهم وفيها ما هو منفر وإن لم يكن معصية مثل أن يخطب امرأة قد خطبها رجل من أصحابه فتقدم عليه وتزوجها ومثل التعريض بالنزول عن المرأة وهو لا يريد الحكم فأما الاشتغال عن النوافل فلا يجوز أن يقع عليه عتاب لأنه ليس بمعصية ولا هو أيضاً منفر، فأما من زعم أنه عرض أوريا للقتل وقدمه أمام التابوت عمداً حتى يقتل فقوله أوضح فساداً من أن يتشاغل برده، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا أُوتى برجل يزعم أن داود عليه السلام تزوج بامرأة أوريا إلا جلدته حدين: حد النبوة وحد الإسلام.
(٤) أمالي الصدوق ص ٢٥١ المجلس ٥٠ برقم ١٢.

تلك الحسنة؟ قال يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة، فقال داود عليه السلام: حق لمن عرفك ألا يقطع رجاءه منك[١].

وعنه عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إن العبد ليأتيني بالحسنة يوم القيامة فأُحكمه بها في الجنة، فقال يا رب وما هذا العبد الذي يأتيك بالحسنة يوم القيامة فتحكمه بها الجنة؟ قال: عبد مؤمن سعى في حاجة أخيه المؤمن أحب قضاها، فقضيت له أو لم تقض[٢].

وقال المسعودي من علمائنا: أنزل الله عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله ثلاثة أثلاث، فثلث في الأول فيه ما يلقون من بخت نصر وما يكون من أمره في المستقبل، وفي الثلث الثاني ما يلقون من أهل الثور[٣]، وفي الثلث الثالث مواعظ وترغيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم[٤].

وقال الله سبحانه لداود عليه السلام: أحببني وحببني إلى خلقي، قال: يا رب أنا أحبك فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكر أياديّ عندهم، فإنك إذا ذكرت ذلك لهم أحبّوني[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا داود عليه السلام جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت، إذ أتاه ملك الموت فسلم عليه وأحدّ ملك الموت النظر إلى الشاب، فقال داود عليه السلام: نظرت إلى هذا فقال: نعم إني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضع، فرحمه داود عليه السلام فقال: يا شاب هل لك امرأة؟ فقال: لا وما تزوجت قط. قال داود: فأت فلاناً - رجلًا كان عظيم القدر في بني إسرائيل - فقل له إن داود عليه السلام يأمرك أن تزوجني ابنتك وتدخل بها في هذه الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها فإذا مضت سبعة أيام فوافني في هذا الموضع.

فمضى الشاب برسالة دواد عليه السلام فزوجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعة أيام. ثم وافى داود عليه السلام يوم الثامن، فقال له داود عليه السلام: يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه؟ قال: ما كنت في نعمة وسرور قط أعظم مما كنت فيه، قال داود عليه السلام: اجلس! فجلس، وداود عليه السلام ينتظر أن يقبض روحه.

فلما طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك، فإذا كان يوم الثامن فوافني ها هنا. فمضى الشاب، ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثم انصرف أسبوعاً آخر، ثم أتاه وجلس. فجاء ملك الموت إلى داود عليه السلام فقال له داود عليه السلام: ألست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح

(١) أمالي الصدوق ص ٤٨٣ المجلس ٨٨ برقم ٣.
(٢) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٣٦.
(٣) في المصدر: أثور.
(٤) مروج الذهب ج١، ص ٥٦.
(٥) قصص الراوندي ص ٢٠٥ برقم ٢٦٦.

هذا الشاب إلى سبعة أيام؟ قال: بلى قال: فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية، قال: يا داود إن الله تعالى رحمه برحمتك له، فأخر في أجله ثلاثين سنة(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن خلادة بنت أوس بشرها بالجنة وأعلمها أنها قرينتك في الجنة.

فانطلق إليها وقرع الباب وخرجت وقالت هل نزل فيّ شيء؟ قال إن الله أوحى إليّ فأخبرني أنك في الجنة وأن أبشرك بالجنة، قالت أو يكون اسم وافق اسمي، قال: إنك لأنت هي، قالت: يا نبي الله ما أكذبك ولا والله ما أعرف من نفسي ما وصفتني به، قال داود عليه السلام: أخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو؟ فقالت: أما هذا فسأخبرك به، أخبرك أنه لم يصبني وجع قط نزل بي كائناً ما كان ولا نزل بي ضرّ وحاجة وجوع كائناً ما كان إلا صبرت عليه، ولم أسأل الله كشفه عني حتى يحوله الله عني إلى العافية والسعة، ولم أطلب بها بدلًا وشكرت الله عليها وحمدته. فقال لها داود عليه السلام: فبهذا بلغت ما بلغت. وقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا دين الله الذي ارتضاه للصالحين(٢).

أقول: هذه المرتبة هي الدرجة العليا من مراتب السالكين وهي الرضا بقضاء الله تعالى.

وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يمتدح بالوصول إليها والإحاطة بها، وكان يقول إن الله سبحانه لو ألقاني بالنار معذباً لما قلت إنها نار بل قلت إنها جنة، لأنه تعالى رضي لي بها وجنتي رضاه، وهو ناظر إلى قوله عز وجل بعد أن ذكر الجنة وما أعد فيها للمتقين ورضوان من الله أكبر فسخطه نارهم ورضاه جنانهم.

وعلى هذا نزل بعض المحققين: المحيا والممات في قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. على معنى أن حياتي ومماتي أريدهما مدة إرادة الله سبحانه لهما، فما دام يريد حياتي فأنا أريدها ولا أريد الموت، وإذا قرب أجلي وأراد موتي كنت أريده أيضاً ولا أريد الحياة.

وروي هذا عن مولانا الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وكذلك ينزل عليه ما ورد في الدعاء عند رؤية الجنازة وهو قوله: الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم، يعني من الهالكين والأموات.

والمراد حمد الله سبحانه على الحياة فإنها أمر مطلوب الداعي، حيث إن الله سبحانه اختارها له، فلا يرغب إلا فيما أعطاه الله سبحانه أو من حيث أن فيها الوصول إلى رضاه، من حيث الطاعات وما يقع منه قبل الموت من العبادات.

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٠٤ برقم ٢٦٥.

(٢) قصص الراوندي ص ٢٠٦ برقم ٢٦٨.

وكثيراً ما ينزل على هذه الدرجة العلمية من الآيات والأخبار وما تخطى إليها أحد غير الأولياء إلا كان كاذباً في دعواه وشواهد الامتحان تكون ناعية عليه كذب ما زعمه.

ومن جملة من انتحلها مشايخ الصوفية وهم عنها بمراحل!

وروي في (الآثار) أن عمرو بن الفارض من أئمة الصوفية ادعاها في أقواله وأشعاره ومن جملتها قوله:

وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا

ثم بعده ابتلي بحصر البول.

فكان يندب ويصيح ويقبض على ذكره ويذهب إلى مكتب الصبيان ويصيح أيها الأولاد ادعوا لعمكم الكذاب.

بقي الكلام في الجمع بين قوله إلا صبرت عليه ولم أسأل الله كشفه عني، وبين ما ورد في الآيات والأخبار من الأمر بالتضرع والدعاء في كشف البلاء وما يورد على الإنسان من المصائب والأوجاع والأسقام.

قلت: ومن درج إلى هذه الدرجة ونال هذه السعادة وخرج من مرارة التصبر على البلاء إلى حلاوة التلذذ به، كان مخيراً بين الدعاء في كشف ما يسمى محنة وبلاء، وبين الاستلذاذ به وتحمله والصبر عليه، ولا نقول هو من باب الصبر، بل هو من باب الشكر.

وذلك أن أولياء الله سبحانه كما ينالون حظاً من العافية، ينالون حلاوة من الأسقام والمصائب، لعلمهم بأن مبدأ الأمرين من الحبيب الحقيقي والعشيق التحقيقي، فهؤلاء من حيث التلذذ به لا يحبون كشفه ولا يطلبون زواله.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام عند الضربة: فزت ورب الكعبة، شاهد عليه.

وكذلك قوله عليه السلام لما قال له ابن عمه وأخوه رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف صبرك إذا ضربت على قرنك واختضب شيبك بدمك وأنت في محراب صلاتك ساجداً لربك؟ فقال عليه السلام: ذلك مقام الشكر لا مقام الصبر.

وقال عليه السلام في وقعة أحد لما فر المسلمون وبقي وحده يضرب بسيفه يميناً وشمالاً: يا رسول الله وعدتني الشهادة وهذا اليوم كان ميقاتها، فما الذي حرمني لذتها؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنك تنالها بعدي إذا قاتلت الناكثين والقاسطين والمارقين.

وكان يقول: والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه.

وقال في مقام آخر لابنه الحسن عليه السلام: ما يبالي أبوك أوقع على الموت أم وقع عليه الموت.

وحكى الشهيد الثاني زين الملة والدين أعلى الله مقامه في دار الإقامة في كتابه (مسكن

الفؤاد): أن رجلًا من العباد مر خارج مصر في طريق فرأى رجلًا مطروحاً على التراب قد أكل الديدان بدنه واحتوى الذباب على جراحاته، فقعد عند رأسه ورَوحه بالمروحة ليطرد الذباب عنه، ففتح عينيه وقال من هذا الذي يدخل بيني وبين ربي، وعزته وجلاله لو قطعني إرباً إرباً لم أزدد له إلا شكراً وفيه إلا حباً.

والحاصل أن درجة الرضا بالقضاء أعلى درجات المتقين، رزقنا الله الوصول إليها والوقوف عليها، بمنّه وكرمه.

(كتاب الحسين بن سعيد بن أبي البلاد) عن سعد الإسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد، فأعجب به داود عليه السلام، فأوحى الله تبارك وتعالى: لا يعجبك من أمره فإنه مراءٍ.

قال: فمات الرجل، فأتي داود عليه السلام فقيل له مات الرجل. فقال: ادفنوا صاحبكم. قال: فأنكرت بنو إسرائيل وقالوا: كيف لم يحضره؟ قال: فلما غسل، قام له خمسون رجلًا فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلا خيراً، فلما صلوا عليه قام خمسون رجلًا فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلا خيراً.

فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: ما منعك أن تشهد فلاناً؟ قال: الذي أطلعتني عليه من أمره، قال: إن كان كذلك ولكن شهد قوم من الأحبار والرهبان فشهدوا له ما يعلمون إلا خيراً، فأجزت شهادتهم عليه وغفرت له علمي فيه[1].

وقال السيد علي بن طاوس في كتاب (سعد السعود): رأيت في زبور داود عليه السلام في السورة الثالثة ما هذا لفظه (يا داود إني جعلتك خليفة في الأرض وسيتخذ عيسى إلهاً من دوني من أجل ما مكنت فيه من القوة وجعلته يحيي الموتى بإذني، يا داود من ذا الذي انقطع إليّ فنحيته[2] ومن ذا الذي أناب إليّ فطردته عن إنابتي، ما لكم لا تقدسون الله وهو مصوركم، ما لكم لا تطردون المعاصي عن قلوبكم، كأنكم لا تموتون وكأن الدنيا باقية لا تزول عنكم».

وفي السورة العاشرة: «أيها الناس لا تغفلوا عن الآخرة، يا بني إسرائيل لو تفكرتم في منقلبكم ومعادكم وذكرتم القيامة وما أعددت فيها للعاصين، قلّ ضحككم وكثر بكاؤكم ولكنكم غفلتم عن الموت، كم تقولون ولا تفعلون، لو تفكرتم في خشونة الثرى ووحشة القبر وظلمته لقل كلامكم وكثر ذكركم، لا تتفكرون في خلق السموات والأرض وما أعددت فيها من الآيات والنذر، وحبست الطير في جو السماء يسبّحن ويسرحن في رزقي، وأنا الغفور الرحيم سبحان خالق النور».

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٤٢ برقم ٣١.

(٢) في المصدر: فخيّبته.

وفي السورة السابعة عشرة: «يا داود اسمع ما أقول ومر سليمان يقول بعدك: إن الأرض أورثها محمداً وأمته، وهم خلافكم ولا تكون صلاتهم بالطنابير ولا يقدسون الأوتار، فازدد من تقديسك، يا داود قل لبني إسرائيل لا تجمعوا المال من الحرام، فإني لا أقبل صلاتهم، واهجر أباك على المعاصي، وأخاك على الحرام، واتل على بني إسرائيل نبأ رجلين كانا على عهد إدريس فجاءت لهما تجارة وقد فرضت عليهما صلاة مكتوبة، فقال أحدهما: أبدأ بأمر الله، وقال الآخر: أبدأ بتجارتي وألحق أمر الله فذهب هذا لتجارته وهذا لصلاته، فأوحيت إلى السماء[1]: فنفحت وأطلقت ناراً وأحاطت واشتغل الرجل بالسحاب والظلمة، فذهبت تجارته وصلاته وكتب على بابه انظروا ما تصنع الدنيا والتكاثر بصاحبه. يا داود إذا رأيت ظالماً قد رفعته الدنيا فلا تغبطه فإنه لا بد له من أحد الأمرين، إما أن أسلط عليه ظالماً أظلم منه فينتقم منه، وإمّا أُلزمه رد التبعات يوم القيامة، يا داود لو رأيت صاحب التبعات قد جعل في عنقه طوق من نار، فحاسبوا أنفسكم وأنصفوا الناس ودعوا الدنيا، ويحكم لو رأيتم الجنة وما أعددت فيها لأوليائي من النعيم لما ذقتم دواها لشهوة، أين المشتاقون إلى لذيذ الطعام والشراب؟ أين الذين جعلوا مع الضحك بكاء؟ أين الذين هجموا على مساجدي في الصيف والشتاء؟ انظروا اليوم ما ترى أعينكم، فطال ما كنتم تسهرون والناس نيام، فاستمتعوا اليوم ما أردتم، فإني قد رضيت عنكم أجمعين ولقد كانت أعمالكم الزاكية تدفع سخطي من أهل الدنيا، يا رضوان أسقهم من الشراب الآن فيشربون وتزداد وجوههم نضرة، فيقول رضوان: هل تدرون لم فعلت هذا؟ لأنه لم تطأ فروجكم فروج الحرام، يا رضوان أظهر لعبادي ما أعددت لهم ثمانية آلاف ضعف، يا داود من تاجرني فهو أربح التاجرين، يا ابن آدم أبوك وأمك يموتان وليس لك عبرة بهما! يا ابن آدم ألا تنظر إلى بهيمة ماتت فانتفخت وصارت جيفة وهي بهيمة وليس لها ذنب ولو وضعت أوزارك على الجبال الراسيات لهدتها، يا داود وعزتي ما شيء أضر إليكم من أموالكم ولا أولادكم ولا أشد في قلوبكم فتنة منها، والعمل الصالح عندي مرفوع وأنا بكل شيء محيط، سبحان خالق النور».

وفي السورة الثالثة والعشرين: «يا بني آدم الطين والماء المهين وبني الغفلة والغرّة، لا تكثروا الالتفات إلى ما حرمت عليكم، فلو رأيتم مجاري الذنوب لاستقذرتموها، ولو رأيتم العطرات قد عوفين من هيجان الطبائع فهن الراضيات فلا يسخطن أبداً، وهن الباقيات فلا يمتن أبداً. كلما افتضها[2] صاحبها رجعت بكراً أرطب من الزبد وأحلى من العسل، بين السرير والفراش أمواج يتلاطم الخمر والعسل كل نهر ينفذ من آخر، ويحك إن هذا لهو الملك الأكبر والنعيم الأطول والحياة والرغد والسرور الدائم، والنعيم الباقي عندي الدهر كله، وأنا العزيز الحكيم، سبحان خالق النور».

---

(١) في المصدر: السحاب.

(٢) أي كلما أزال بكارتها.

وفي السورة الثلاثين: «بني آدم رهائن الموتى اعملوا لآخرتكم واشتروها بالدنيا ولا تكونوا قوماً أخذوا لهواً ولعباً، واعلموا أنه من قارضني نمت بضاعته، ومن قارض الشيطان قرن معه، ما لكم تتنافسون في الدنيا وتعدلون عن الحق غرتكم أحسابكم فما حسب امرىء خلق من الطين، إنما الحسب عندي هو التقوى، سبحان خالق النور».

وفي السادسة والأربعين: «بني آدم لا تستخفوا بحقي فأستخف بكم في النار، إن أكلة الربا تقطع أمعاؤهم وأكبادهم، إذا ناولتم الصدقات فاغسلوها بماء اليقين، فإني أبسط يميني قبل يمين الآخذ، فإذا كانت من حرام قذفت بها في وجه المتصدق، وإن كانت من حلال قلت: ابنوا له قصوراً في الجنة، وليست الرياسة الملك، إنما الرياسة رياسة الآخرة، سبحان خالق النور».

وفي السابعة والأربعين: «أتدري يا داود لم مسخت بني إسرائيل فجعلت منهم القردة والخنازير؟ لأنهم إذا جاء الغني العظيم ساهلوه! وإذا جاء المسكين بأدنى منه انتقموا منه! وجبت لعنتي على كل متسلط في الأرض لا يقيم الفقير والغني بأحكام واحدة، إنكم تتبعون الهوى في الدنيا. أين المفر مني إذا تخلّيت بكم؟ كم قد نهيتكم عن الإلتفات إلى حرم المؤمنين؟ وطالت ألسنتكم في أعراض الناس، سبحان خالق النور».

وفي الخامسة والستين: «أفصحتم في الخطبة وقصّرتم في العمل، فلو أفصحتم في العمل وقصّرتم في الخطبة، لكان أرجى لكم، يا داود اتل على بني إسرائيل رجل دانت له أقطار الأرض حتى استوى وسعى في الأرض فساداً وأخمد الحق وأظهر الباطل وعمر الدنيا وحصن الحصون وحبس الأموال! فبينما هو في غضارة[1] دنياه، إذ أوحيت إلى زنبور يأكل لحم خده ويدخل ويلدغ الملك فدخل الزنبور وبين يديه سمّاره ووزراؤه وأعوانه فضرب صحن خده فتورمت وتفجرت منه أعين دماً وقيحاً فثير عليه ويقطع من لحم وجهه، حتى كان كل من جلس عنده شم منه نتناً عظيماً حتى دفن جثته بلا رأس فلو كان للآدميين عبرة تردعهم لردعتهم! ولكن اشتغلوا بلهو الدنيا! فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يأتيهم أمري ولا أضيع أجر المحسنين، سبحان خالق النور»[2].

انتهت المواعظ الزبورية على طريق التلخيص.

---

(١) الغضارة: السعة والنعمة وطيب العيش.

(٢) سعد السعود ص ٤٧ - ٥١.

الفصل الثالث

في قصة أصحاب السبت

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

(تفسير) علي بن إبراهيم: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾[2] فإنها قرية كانت لبني إسرائيل على البحر وكان الماء يجري في المد والجزر، فيدخل أنهارهم وزروعهم ويخرج السمك من البحر حتى يبلغ آخر زروعهم.

وقد كان الله حرم عليهم الصيد يوم السبت، فكانوا ينصبون الشباك في الأنهار ليلة السبت ويصطادون يوم الأحد، وكان السمك يخرج يوم السبت ويوم الأحد، فنهاهم علماؤهم عن ذلك فمسخوا قردة وخنازير. وكانت العلة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت، أن عيد جميع المسلمين وغيرهم كان يوم الجمعة، فخالف اليهود وقالوا عيدنا السبت فحرم الله عليهم الصيد يوم السبت.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى طائفة منهم: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها، فاصطادوا يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيام، فقالت طائفة منهم الآن نصطادها فعتت وانحازت طائفة أُخرى منهم ذات اليمين فقالوا ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا بخلاف أمره، واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فتنكبت[3] فلم تعظهم، فقالت للطائفة التي وعظتهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[4] فقالت الطائفة التي وعظتهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[5] قال: فقال الله جل وعز ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ يعني لما تركوا ما وعظوا به، مضوا على الخطيئة، فقالت الطائفة التي وعظتهم: لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها قبل أن ينزل بكم البلاء فيعمنا معكم.

قال: فخرجوا منهم من المدينة ونزلوا قريباً منها، فباتوا تحت السماء، فلما أصبح أولياء الله المطيعون غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة، فإذا هو مصمت فدقوه، فلم

(١) سورة البقرة؛ الآيتان: ٦٥ و ٦٦.

(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ١٦٣.

(٣) تنكب عنه: بمعنى عدل، وفي المصدر: فسكتت.

(٤) سورة الأعراف؛ الآية: ١٦٤.

(٥) سورة الأعراف؛ الآية: ١٦٤.

يجابوا ولم يسمعوا منها حس أحد، بل سمعوا أصواتاً كالعواء لا تشبه أصوات الناس، فوضعوا سلماً على سور المدينة، ثم أصعدوا رجلًا منهم، فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتعاوون ولها أذناب! فكسروا الباب، فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟

وقال علي عليه السلام: والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة لا ينكرون ولا يغيرون، بل تركوا ما أُمروا به! فتفرقوا(١).

وقال علي بن طاوس: وجدت في حديث: أنهم كانوا ثلاث فرق، فرقة باشرت المنكر وفرقة أنكرت عليهم، وفرقة داهنت أهل المعاصي فلم ينكروا! ولم تباشر المعصية فنجى الله الذين أنكروا، وجعل الفرقة المداهنة ذرّاً، ومسخ الفرقة المباشرة للمنكر قردة. ثم قال: ولعل مسخ المداهنة ذراً، لتصغيرهم عظمة الله وتوهينهم بحرمة الله، فصغرهم الله(٢).

عن هارون بن عبيد رفعه إلى أحدهم قال: جاء قوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وقالوا يا أمير المؤمنين إن هذه الجراري تباع في أسواقنا فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ضاحكاً ثم قال: قوموا لأريكم عجباً ولا تقولوا في وصيّكم إلّا خيراً، فقاموا معه فأتوا شاطىء الفرات، فتفل فيه تفلة وتكلم بكلمات، فإذا بجريَّة رافعة رأسها فاتحة فاها، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: من أنت الويل لك ولقومك؟ فقالت: نحن من أهل القرية التي كانت حاضرة البحر، فعرض الله علينا ولايتك فقعدنا عنها فمسخنا الله، فبعضنا في البحر وبعضنا في البر، فأما الذين في البحر فنحن الجراري، وأما الذين في البر فالضب واليربوع. ثم قال عليه السلام: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة لتحيض كما تحيض نساؤكم(٣).

وقال علي بن الحسين عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ كانوا يسكنون على شاطىء بحر، فنهاهم الله وأنبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت، فتوصلوا إلى حيلة يحلوا بها ما حرم الله عليهم، فخدّوا أخاديد(٤) وعملوا طرقاً تؤدي إلى حياض يتهيأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيأ لها الخروج إذا همت بالرجوع، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها فدخلت في أخاديد وحصلت في الحياض والغدران(٥).

فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن صائدها، فرامت الرجوع فلم

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٢) سعد السعود، ص ١١٩.

(٣) تفسير العياشي ج٢، ص ٣٥ في تفسيره لسورة الأعراف برقم ٩٦.

(٤) أخاديد جمع الأخدود: شق أو حفرة في الأرض مستطيلة.

(٥) الغدران جمع غدير: مستنقع الماء ماء المطر.

تقدر، وبقيت ليلها في مكان يتهيأ أخذها بلا اصطياد لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع. وكانوا يأخذونها يوم الأحد ويقولون ما اصطدنا يوم السبت. حتى كثر من ذلك مالهم وتنعموا بالنساء، فكانوا في المدينة نيفاً وثمانين إلفاً، فعل هذا منهم سبعون ألفاً، وأنكر عليهم الباقون.

وذلك أن طائفة منهم وعظوهم فأبوا، فاعتزلوهم إلى قرية أُخرى، فمسخهم الله قردة، فجاؤوا إليهم يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم، يقول المطلع لبعضهم أنت فلان؟ فتدمع عيناه ويومي برأسه أن نعم. فما زالوا كذلك ثلاثة أيام، ثم بعث الله عليهم مطراً وريحاً، فجرفهم إلى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام. وأما الذين ترون من هذه من المصورات بصورها، فإنما هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها.

ثم قال عليه السلام: إن الله مسخ هؤلاء لاصطياد السمك، فكيف ترى عند الله عز وجل حال من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وهتك حرمته، إن الله تعالى لم يمسخهم في الدنيا، فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ.

ثم قال عليه السلام: أما إن هؤلاء الذين اعتدوا في السبت لو كانوا حين هموا بقبيح فعالهم سألوا ربهم بجاه محمد وآله الطيبين أن يعصمهم من ذلك لعصمهم، كذلك الناهون لو سألوا الله عز وجل أن يعصمهم بجاه محمد وآله الطيبين لعصمهم. ولكن الله عز وجل لم يلهمهم ذلك ولم يوفقهم له، فجرت معلومات الله فيهم على ما كان سطر في اللوح المحفوظ[١].

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾[٢]. قال: الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى[٣].

أقول: المشهور في الحديث والتفاسير هو العكس.

وقال البيضاوي: قيل أهل ابلة[٤] لما اعتدوا في السبت، لعنهم الله على لسان داود، فمسخهم قردة وخنازير. وأصحاب المائدة لما كفروا، دعا عيسى عليهم ولعنهم، فأصبحوا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل[٥].

أقول: الأبلة[٦] - بضم الهمزة والباء المشددة - موضع بالبصرة، وهي إحدى الجنات الأربع.

---

(١) تفسير الإمام العسكري ٥ ص ١٠٦ - ١٠٨.

(٢) سورة المائدة؛ الآية: ٧٨.

(٣) روضة الكافي ص ٢٠٠ برقم ٢٤٠.

(٤) في المصدر: أيلة.

(٥) تفسير البيضاوي ج١، ص ٤٥٠.

(٦) لقد وجدت في أكثر المصادر وكتب التفسير (أيلة) ولعله الأصح.

الباب الخامس عشر

في قصص سليمان عليه السلام وفيه فصول

الفصل الأول

في فضله ومكارم أخلاقه وجمل من أحواله

(إكمال الدين) للصدوق رحمه الله تعالى: عن الصادق عليه السلام: إن داود عليه السلام أراد أن يستخلف ابنه عليه السلام، لأن الله تعالى أمره بذلك، فقال بنو إسرائيل يستخلف علينا حدثاً[1]، فدعا أسباط بني إسرائيل فقال لهم: قد بلغني مقالتكم، فأروني عصيّكم فأيّ عصا أثمرت، فصاحبها ولي الأمر بعدي، فرضوا بذلك، وأدخلوا عصيهم بيتاً، فأصبحوا وقد أورقت عصا سليمان وأثمرت فسلموا ذلك لداود. ثم إن سليمان أخفى أمره واستتر من شيعته ما شاء الله.

ثم إن امرأته قالت له ذات يوم: بأبي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب ريحك ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلا في مؤنة أبي، فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله رجوت أن لا يخيبك، فقال لها سليمان عليه السلام: ما عملت عملاً قط ولا أحسنه. فدخل السوق، فجال يومه ذلك، ثم رجع فلم يصب شيئاً، فقال لها: ما أصبت شيئاً قالت: لا عليك إن لم يكن اليوم كان غداً.

فلما كان من الغد رجع إلى السوق وجال فيه، فلم يقدر على شيء، فرجع وأخبرها فقالت: يكون غداً إن شاء الله. فلما كان في اليوم الثالث مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر، فإذا هو بصياد فقال له: هل لك أن أعينك وتعطيني شيئاً؟ قال: نعم، فأعانه.

فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين، فأخذهما وشق بطن إحداهما، فإذا هو بخاتم في بطنها، فجاء إلى منزله وهو واضع الخاتم في ثوبه، فقالت له امرأته: إني أريد أن تدعو أبوي حتى يعلما أنك قد كسبت، فدعاهما فأكلا معه. فلما فرغوا أخرج خاتمه فلبسه، فخر عليه الطير والريح وغشيه الملك وحمل الجارية وأبواها إلى بلاد اصطخر واجتمعت الشيعة واستبشروا به ففرج الله عنهم مما كانوا فيه من حيرة غيبته.

---

(١) أي شاباً.

فلما حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا، فلم يزل بين الشيعة يأخذون عنه. ثم غيب الله آصف غيبة طال أمدها، ثم ظهر لهم، فبقي بين قومه ما شاء الله، ثم إنه ودعهم، فقالوا له: أين الملتقى؟ قال: على الصراط. وغاب عنهم ما شاء الله. واشتدت البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلط عليهم بخت نصر... الحديث[(١)].

أقول: ورد في حديث آخر، أن وقوعه على الخاتم في بطن السمكة كان بعد أن سلب منه الملك أخذ الشياطين خاتمه وألقوه في البحر.

(الاحتجاج) في حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل وكان فيما سأله كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم قال عليه السلام: غلظوا لسليمان كما سخروا، وهم خلق رقيق غذاؤهم النسيم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء، لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها لا بسلّم ولا بسبب[(٢)].

(الكافي) عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان لسليمان بن داود عليه السلام ألف امرأة في قصر واحد، وثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سريّة، ويطيف بهن في كل يوم وليلة[(٣)].

أقول: يحتمل طواف الزيارة، والأظهر أنه طواف الجماع.

وقال عليه السلام: كان ملك سليمان ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر، وكان عليه السلام يطعم أضيافه اللحم بالحوارى، ويطعم عياله الخشكار، ويأكل هو الشعير غير المسحول[(٤)].

أقول: الحوارى الخبز الأبيض، كما أن الخشكار الخبز الأسود.

(قصص) الراوندي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾. قال: كانوا ثمانين رجلاً وسبعين امرأة، ملازمين للمحراب.

فلما قبض داود ولي سليمان، وعلم منطق الطير وسُخر له الجن والإنس، وكان لا يسمع بملك في ناحية الأرض إلا أتاه حتى يذله ويدخله في دينه، وسخر له الريح، فكان إذا خرج إلى مجلسه عكف عليه الطير وقام الجن والإنس، وكان إذا أراد أن يغزو أمر بمعسكره، فضرب له من الخشب وجعل عليه الدواب والناس وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت الخشب فحملته، حتى تنتهي به إلى حيث يريد، وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً[(٥)].

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٦٧ - ٦٩ نقلاً عن كمال الدين للصدوق.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٣٩.

(٣) و(٤) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٧٠ والمسحول أي غير المنخول.

(٥) قصص الراوندي ص ٢٠٨ برقم ٢٧١.

وفيه عن الأصبغ قال: خرج سليمان بن داود عليه السلام من بيت المقدس، ومعه ثلاثمائة ألف كرسي عن يمينه عليها الإنس وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره عليها الجن، وأمر الطير فأظلتهم وأمر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن، ثم رجع وبات في اصطخر.

ثم غدا فانتهى إلى جزيرة بركاوان[١]، ثم أمر الريح فخفضتهم حتى كادت أقدامهم تصيب الماء، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة أعظم مما رأيتم[٢].

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان لسليمان حصن بناه الشياطين له، فيه ألف بيت في كل بيت منكوحة[٣]، منهن سبعمائة أمة قبطية وثلاثمائة حرة مهيرة. فأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلًا في مباضعة[٤] النساء، وكان يطوف بهن جميعاً ويسعفهن.

وكان سليمان يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضع، فقال لهم إبليس: كيف أنتم؟ قالوا: ما لنا طاقة بما نحن فيه، فقال إبليس: أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً؟ قالوا: نعم، قال: فأنتم في راحة. فأبلغت الريح سليمان ما قال إبليس للشياطين، فأمرهم يحملون الحجارة ذاهبين ويحملون الطين راجعين إلى موضعها فتراءى لهم إبليس فقال: كيف أنتم؟ فشكوا إليه! فقال: ألستم تنامون بالليل؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم في راحة. فأبلغت الريح ما قالت الشياطين وإبليس، فأمرهم أن يعملوهم بالليل والنهار، فما لبثوا يسيراً حتى مات سليمان عليه السلام.

قال: وخرج سليمان ومعه الجن والإنس يستسقي، فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحها رافعة أيديها وهي تقول: اللهم إنّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك، فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا، فقال سليمان عليه السلام لمن كان معه: ارجعوا فقد شفع فيكم غيركم[٥].

عن أبي الحسن عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً قط إلا عاقلًا، وبعض النبيين أرجح من بعض، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله، واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومكث في ملكه أربعين سنة، وملك ذو القرنين وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومكث في ملكه ثلاثين سنة[٦].

(المحاسن) للبرقي عن أبي الحسن عليه السلام قال: إن سليمان بن داود عليه السلام أتته امرأة عجوز مستعدية على الريح فدعا سليمان الريح فقال لها: ما دعاك إلى ما صنعت بهذه المرأة قالت: إن رب العزة بعثني إلى سفينة بني فلان لأنقذها من الغرق وكانت قد أشرفت على الغرق

---

(١) بركاوان بالفتح والسكون: ناحية بفارس (معجم البلدان).
(٢) قصص الراوندي ص ٢٠٨ برقم ٢٧٢.
(٣) في المصدر: طروقة.
(٤) مباضعة: مجامعة.
(٥) قصص الراوندي ص ٢٠٩ برقم ٢٧٤.
(٦) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٧٣.

فخرجت في عجلتي إلى ما أمرني الله به، ومررت بهذه المرأة وهي على سطحها فعثرت بها ولم أردها فسقطت فانكسرت يدها فقال سليمان عليه السلام: يا رب بما أحكم على الريح فأوحى الله إليه: يا سليمان أحكم بأرش كسر هذه المرأة على أرباب السفينة التي أنقذتها الريح من الغرق، فإنه لا يظلم لديّ أحد من العالمين[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: آخر نبي يدخل الجنة سليمان بن داود عليه السلام وذلك لما أُعطي في الدنيا[(٢)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن سليمان قد حج البيت في الجن والإنس والطير والرياح وكسى البيت القباطي، وهو أول من كسى البيت الثياب[(٣)].

وروي أن الريح كانت تغدو من دمشق فتقبل بإصطخر من أرض أصفهان، وبينهما مسيرة شهر للمسرع، وتروح من اصطخر فتبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر، تحمله الريح مع جنوده، أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد.

وروي أن داود عليه السلام لما شرع في بناء بيت المقدس لم يتمه، فأحب سليمان أن يتمه بعده. فجمع الجن والشياطين فقسم عليهم الأعمال، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها[(٤)] الأبيض الصافي من معادنه، وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح[(٥)] وجعلها اثني عشر ربضاً[(٦)]، وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط.

فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد، فوجّه الشياطين فرقة فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها، وفرقة يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب، وفرقة يأتونه بالدر من البحار فأُتي بشيء من ذلك لا يحصيه إلا الله. ثم أحضر الصّناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيّروها ألواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللآلىء.

وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفصص سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن في الأرض بيت أبهى ولا أنور منه، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر. فلما فرغ منه جمع إليه خيار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله تعالى، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً.

فلم يزل بيت المقدس على ما بنى سليمان، حتى غزا بختِ نصر بني إسرائيل، فخرب

---

(١) و(٢) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٧٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٢، ص ١٥٦ . ١٥٧ برقم ٢٢٨٥ و ٢٢٨٦ والقباطي جمع القبطي: يعني ثوب ينسب إلى مصر.

(٤) المها جمع المهاة بالفتح وهي: البلور.

(٥) الصفاح: الحجارة العريضة الرقيقة.

(٦) الربض: سور المدينة، الناحية كل ما يؤوى إليه ويستراح لديه من مال وبيت ونحوه.

المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والدر والياقوت والجوهر! فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق.

وروي أنهم كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسيه ليكون أهيب له فذكر أنهم صوروا أسدين من أسفل كرسيه ونسرين فوق عمود كرسيه، فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما، وإذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظللاه من الشمس. ويقال: إن ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس.

فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان في حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان! فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدها، فخر مغشياً عليه، فما جسر بعده أحد أن يصعد ذلك الكرسي[١].

وعن الرضا عليه السلام: كان نقش خاتم سليمان: سبحان من ألجم الجن بكلماته[٢].

وقد أوحى الله تعالى إليه وهو يسير ما بين السماء والأرض: إني قد زدت في ملكك، إنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك به. ونسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في ابريسم وكان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس[٣].

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد العتمة وهو يقول: همهمة وليلة مظلمة، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام[٤].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: القنزعة[٥] التي على رأس القنبرة[٦] من مسحة سليمان بن داود عليه السلام.

وذلك أن الذكر أراد أن يسفد[٧] أنثاه، فامتنعت عليه! فقال لها لا تمنعيني! ما أريد إلا أن يخرج الله عز وجل مني نسمة تذكر به، فأجابته إلى طلبه. فلما أرادت أن تبيض قال لها: تريدين أن تبيضي؟ فقالت: لا أدري أنحيه عن الطريق قال لها: إني أخاف أن يمر بك مار الطريق،

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٥٩٨ . ٦٠٠ في تفسيره لسورة سبأ؛ الآية: ١٢.

(٢) عيون الأخبار الرضا ج٢، ص ٦٠ باب ٣٠ برقم ٢٠٦.

(٣) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٣٣٥ في تفسيرة لسورة النمل الآية: ١٧.

(٤) أصول الكافي ج١، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٥) القنزعة: خصلة من الشعر تترك على الرأس.

(٦) القنبرة: نوع من أنواع الطيور. (٧) أي يجامع.

ولكني أرى لك أن تبيضي قرب الطريق فمن يراك قربه توهم أنت تتعرضين للقط الحب من الطريق فأجابته إلى ذلك، وباضت وحضنت حتى أشرفت على النقاب[١].

فبينا هما كذلك إذ طلع سليمان في جنوده والطير تظله، فقالت له: هذا سليمان قد طلع علينا بجنوده ولا آمن أن يحطمنا ويحطم بيضنا، فقال لها: إن سليمان عليه السلام لرجل رحيم فهل عندك شيء خبيته لفراخك إذا نقبن؟ قالت: نعم عندي جرادة خبأتها منك أنتظر بها فراخي إذا نقبن، فهل عندك أنت شيء؟ قال: نعم عندي تمرة خبأتها منك لفراخي، قالت: فخذ أنت تمرتك وآخذ أنا جرادتي ونعرض لسليمان عليه السلام فنهديها له فإنه رجل يحب الهدية. فأخذ التمرة في منقاره وأخذت هي الجرادة في رجليها ثم تعرضوا لسليمان عليه السلام.

فلما رآهما وهو على عرشه بسط يده لهما، فأقبلا فوقع الذكر على اليمين ووقعت الأنثى على اليسار، وسألهما عن حالهما فأخبراه، فقبل هديتهما وجنب جنده عنهما وعن بيضهما ومسح على رأسيهما ودعا لهما بالبركة، فحدثت القنزعة على رأسيهما من مسحة سليمان عليه السلام[٢].

وروي أن سليمان عليه السلام مر في موكبه بعابد من عباد بني إسرائيل، فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً، فسمعه سليمان فقال: لتسبيحة في صحيفة المؤمن خير مما أُعطي ابن داود ما أُعطي، ابن داود يذهب وإن التسبيحة تبقى[٣].

وكان سليمان إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف، حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم، ويقول مسكين مع المساكين[٤]، وكان مع ما فيه من الملك يلبس الشعر وإذا جنه الليل شد يديه إلى عنقه، فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً، وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده، وإنما سأل الله الملك ليقهر ملوك الكفر[٥].

وكان إذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتّابه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام يسع كل قدر عشرة جزائر، وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوي بهم.

فسار من اصطخر إلى اليمن، فسلك المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فقال سليمان عليه السلام: هذا دار هجرة نبي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه، ورأى حول البيت أصناماً تعبد من دون الله[٦]!

---

(١) النقاب: شق البيضة عن الفرخ.

(٢) فروع الكافي ج٦، ص ٢٢٥ كتاب الصيد باب القنبرة برقم ٤.

(٣) تنبيه الخواطر ج١، ص ١٢٩.

(٤) تنبيه الخواطر ج١؛ ص ٢٠٣.

(٥) إرشاد القلوب ص ١٥٧ الباب ٤٨.

(٦) في حاشية البحار ج١٤، ص ٨٣: المقصود بالبيت هو البيت الحرام ولعل في العبارة سقطاً وهو: ثم سار إلى مكة ورأى حول البيت أصناماً.

فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت، فأوحى الله إليه: ما يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا بي فلم يهبطوا فيّ ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي، والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله تعالى إليه: لا تبك فإني سوف أملأك وجوهاً سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إليّ وأجعل فيك عماراً في خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يدفون إليك دفوف النسور إلى وكورها ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها وأُطهرك من الأوثان.

وروي أن سليمان عليه السلام لما ملك بعد أبيه، أمر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء، وأمر أن يعمل مهولًا بديعاً بحيث لو رآه مبطل ارتدع فعمل له كرسي من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الأُخريين نسران من ذهب بعضها مقابلًا لبعض، وجعلوا من جنبي الكرسي أسدين من الذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر، وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر واتخذوا عناقيد من الياقوت الأحمر، بحيث يظل عريش الكرم والنخل والكرسي.

وكان سليمان إذا أراد الصعود وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما فيضربان الأرض بأذنابهما وكذلك كل درجة يصعدها سليمان عليه السلام فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان عليه السلام فوضعاه على رأس سليمان، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والأسدان مائلات برؤوسهما إلى سليمان ينفحن عليه من أجوافهما المسك والعنبر، ثم تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة، فيفتحها سليمان ويقرأها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء، ويجلس علماء بني إسرائيل على الكراسي من الذهب المفصصة بالجوهر وهي ألف كرسي عن يمينه وتجيء عظماء الجن وتجلس على كراسي الفضة على يساره وهي ألف كرسي حافين جميعاً به، ثم تحف به الطير فتظلهم، وتقدم إليه الناس للقضاء، فإذا دعا البينات والشهود، لإقامة الشهادات، دار الكرسي بما فيه مع جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما، فتفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلا بالحق[١].

---

(١) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٨٣ ـ ٨٥ نقلاً عن الثعلبي في تفسيره المسمى (الكشف والبيان) والحديث مروي عن وهب بن منبه العامي، وفي أخباره شواذ وغرائب.

الفصل الثاني

في معنى قول سليمان: ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ وفي قصة مروره بوادي النمل وفي قوله تعالى: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾

(معاني الأخبار وعلل الشرائع) بإسناده إلى علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أيجوز أن يكون نبي الله بخيلًا؟ فقال: لا، قلت له فقول سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[1] ما وجهه ومعناه؟ فقال: الملك ملكان، ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره، كملك آل إبراهيم وملك طالوت وملك ذي القرنين فقال سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ إنه يقول: إنه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، فسخر الله عز وجل له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وجعل غدوها شهراً ورواحها شهراً، وسخر الله عز وجل له الشياطين كل بنّاء وغوّاص، وعلّم منطق الطير ومكّن في الأرض فعلم الناس في وقته وبعده أن ملكه لا يشبه ملك الملوك المختارين من قبل الناس والمالكين بالغلبة والجور. فقلت له: لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله أخي ما كان أبخله فقال: بقوله عليه السلام وجهان:

أحدهما: ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه.

والوجه الآخر: يقول ما كان أبخله، إن كان أراد ما يذهب إليه الجهال.

ثم قال عليه السلام: قد والله أوتينا ما أُوتي سليمان وما لم يؤت أحد من الأنبياء.

قال الله عز وجل في قصة سليمان: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2] وقال عليه السلام في قصة محمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[3].

أقول: تأويله عليه السلام لما روي من قوله صلى الله عليه وآله: رحم الله أخي سليمان ما كان أبخله، يجوز أن تكون إشارة إلى أن الحديث من الموضوعات والتأويل لحمل الخبر على التقية. لأن إنكار الحديث إذا لم يمكن يطلبون عليهم السلام الوجوه البعيدة. ونحو ذلك ورد في الأخبار كثيراً، والله العالم.

---

(١) سورة ص ؛ الآية: ٣٥.

(٢) سورة ص؛ الآية: ٣٩.

(٣) علل الشرائع ج١، ص ٩٠ باب ٦٢ والآية من سورة الحشر؛ الآية: ٧.

وأما مروره عليه السلام بوادي النمل

فقال الله سبحانه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

وادي النمل: هو واد بالطائف. وقيل: بالشام، وتلك النملة كانت رئيسة النمل. وقولها: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يدل على أن سليمان وجنوده كانا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح، لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض لما خافت النملة أن يطأوها بأرجلهم. ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان[٢].

(عيون الأخبار وعلل الشرائع) بإسناده إلى داود بن سليمان الغازي قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾. لما قالت النملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ الآية. حملت الريح صوت النملة إلى سليمان وهو مار في الهواء والريح قد حملته، فوقف وقال: عليَّ بالنملة.

فلما أُتي بها، قال سليمان: يا أيتها النملة أما علمت أني نبي؟ وأني لا أظلم أحداً؟ قالت النملة: بلى، قال سليمان عليه السلام: فلم حذرتهم ظلمي؟ قالت: خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن ذكر الله تعالى ذكره.

ثم قالت النملة: أنت أكبر أم أبوك داود؟ قال سليمان: بل أبي داود، قالت النملة: فلم زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم أبيك داود؟ قال: ما لي بهذا علم. قالت النملة: لأن أباك داود داوى جرحه بودّ، فسمي داود وأنت يا ابن داود أرجو أن تلحق بأبيك. ثم قالت النملة: هل تدري لم سخرت لك الريح من بين سائر المملكة؟ قال سليمان: ما لي بهذا علم، قالت النملة: يعني عز وجل بذلك لو سخرت لك جميع المملكة كما سخرت لك هذه الريح لكان زوالها من يدك كزوال الريح. فحينئذ تبسم ضاحكاً من قولها[٣].

وفي (تفسير الثعلبي) قالت النملة: هل علمت لم سمي أبوك داود؟ فقال: لا، فقالت: لأنه داوى جرحه بودّ، هل تدري لَمَ سميت سليمان؟ قال: لا، قالت: لأنك سليم ركنت إلى ما أُوتيت لسلامة صدرك، وآن لك أن تلحق بأبيك[٤].

---

(١) سورة النمل؛ الآيات: ١٧ . ١٩.

(٢) مجمع البيان المجلد الرابع، ص ٣٣٦.

(٣) علل الشرائع ج١، ص ٩١ باب ٦٣.

(٤) بحار الأنوار ج١٤، ص ٩٣ نقلاً عن كتاب الكشف والبيان للثعلبي.

أقول: هذا الحديث عدوه من مشكلات الأخبار وأطالوا الكلام في تأويله على وجوه كثيرة:

منها: إن معناه أن أباك لما ارتكب ترك الأولى وصار قلبه مجروحاً، فداواه بودّ الله تعالى ومحبته، فلذا سمّي داود، اشتقاقاً من الدواء بالود، وأنت لما لم تركب بعد وأنت سليم منه، سميت سليمان. فخصوص العلتين للتسميتين صارتا علة، علة لزيادة اسمك على اسم أبيك.

ثم لما كان كلاهما موهماً لكونه من جهة السلامة أفضل من أبيه، استدركت ذلك بأن ما صدر عنه، لم يصر سبباً لنقصه، بل صار سبباً لكمال محبته وتمام مودّته وأرجو أن تلحق أيضاً بأبيك، في ذلك ليكمل محبتك.

الثاني: أن المعنى هو أن أصل الاسم كان داوى جرحه بودّ، وهو أكثر من اسمك وإنما صار بكثرة الاستعمال داود، ثم دعا له ورجّاه بقوله أرجو أن تلحق بأبيك، يعني في الكمال والفضل.

الثالث: المراد أن هذا الاسم مشتمل على سليم أو مأخوذ منه والسليم قد يستعمل في الجريح، كاللدّيغ، تفؤّلاً بصحته وسلامته، أو أنت سليم من المداواة التي حصلت لأبيك، فلهذا سميت سليمان. فالحرف الزائد للدلالة على وجود الجرح، فكما أن الجرح زائد في البدن أو النفس عن أصل الخلقة، كان في الاسم حرف زائد للدلالة على ذلك. وفيه معنى لطيف وهو: أن هذه الزيادة في الاسم الدالة على الزيادة في المسمى ليست مما يزيد به الاسم والمسمى كمالاً، بل قد تكون الزيادة لغير ذلك.

الرابع: وهو المفهوم مما عنون الصدوق رحمه الله الباب الذي أورد الخبر فيه[١] حيث قال: باب العلة التي من أجلها زيد في حروف اسم سليمان حرف من حروف اسم أبيه داود عليه السلام، فلعله رحمه الله كما قيل: حمل الخبر على أن المعنى أنك لما كنت سليماً أُريد أن يشتق لك اسم يشتمل على السلامة، ولما كان أبوك داود داوى جرحه الود وصار كاملًا بذلك أراد الله تعالى أن يكون في اسمك حرف من حروف اسمه لتلحق به في الكمال، فزيد فيه الألف وما يلزمه لتمام التركيب وصحته من النون فصار سليمان، وإلا لكان السليم كافياً للدلالة على السلامة.

فلذا زيد حروف اسمك على حروف اسم أبيك، ولو كان في الخبر من حروف اسم أبيك، كما هو الموجود في بعض النسخ كان ألصق بهذا المعنى وقوفها، أرجو أن تلحق بأبيك - أي لتلك الزيادة -، فيدل ضمناً وكتابة على أنه إنما زيد لذلك[٢].

---

(١) في كتابه علل الشرائع ج١، ص ٩١ باب ٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج١٤ ص٩٣.

أقول: ويحتمل فيه وجوه أُخر لا نطول المقام بها.

وروى البرسي في مشارق الأنوار: إن سليمان عليه السلام كان سماطه كل يوم سبعة أكرار، فخرجت دابة من دواب البحر يوماً وقالت: يا سليمان أضفني اليوم فأمر أن يجمع لها مقدار سماطه شهراً، فاجتمع على ساحل البحر كالجبل العظيم، فأخرجت الحوت رأسها وابتلعته وقالت: يا سليمان أين تمام قوتي اليوم؟ هذا بعض قوتي، فتعجب سليمان وقال لها: هل في البحر دابة مثلك؟ فقالت: ألف أمة فقال سليمان: سبحان الله الملك العظيم[١].

وروى غيره: إن سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورته: لم تمنعين نفسك مني؟ ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيها في البحر! فتبسم سليمان عليه السلام من كلامه. ثم دعاهما وقال للعصفور: أتطيق أن تفعل ذلك؟ فقال: لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته والمحب لا يلام على ما يقول، فقال للعصفورة: لم تمنعيه من نفسك وهو يحبك؟ فقالت: يا نبي الله إنه ليس محباً ولكنه مدعٍ، يحب معي غيري. فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاءً شديداً واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبة الله وأن لا يخالطها بمحبة غيره.

وروي أنه عليه السلام سمع يوماً عصفوراً يقول لزوجته ادني مني أجامعك لعل الله يرزقنا ولداً ذكراً يذكر الله تعالى فإنّا كبرنا. فتعجب سليمان من كلامه وقال: هذه النية خير من ملكي. ومر سليمان عليه السلام على بلبل يتصوت ويترقص، فقال: يقول إذا أكلت نصف التمرة فعلى الدنيا العفى. وصاحت فاختة. فقال: إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا[٢].

وروى الزمخشري أن قتادة دخل الكوفة والتف عليه الناس، فقال سلوا عما شئتم! وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه فأفحم! فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعه على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أُنثى، انتهى[٣].

وقال الفاضل ابن الحاجب في بعض مصنفاته: والظاهر أنه الأمالي مثل الشاة والنملة والحمامة من الحيوانات تأنيث لفظي. ولذلك كان قول من زعم أن النملة في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ أُنثى لورود تاء التأنيث في قالت، وهماً لجواز أن يكون مذكراً في الحقيقة وورود تاء التأنيث كورودها في فعل المؤنث اللفظي. ولذا قيل: إفحام قتادة خير من جواب أبي حنيفة.

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص ٤١.

(٢) تفسير البيضاوي ج٣، ص ٢٧٤.

(٣) تفسير الكشاف ج٣، ص ١٣٧ في تفسيره لسورة النمل.

أقول: وهذا هو الصواب كما حققه نجم الأئمة الشيخ الرضي نور الله ضريحه وقد فضح الله الرجلين، قتادة حيث ادعى شيئاً لم يدعه غير أمير المؤمنين عليه السلام إلا كان كاذباً، وهو قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عما شئتم» نص عليه الفريقان. وأما أبو حنيفة فقد أجاب وهو حدث وافتخر أصحابه بجوابه! فظهر جوابه غلطاً! كما قاله أهل مذهبه وغيرهم.

وقال الثعلبي في تفسيره: قال مقاتل كان سليمان عليه السلام جالساً، إذ مر به طائر يطوف فقال: هذا الطائر يقول السلام عليك أيها الملك المتسلط على بني إسرائيل أعطاك الله سبحانه وتعالى الكرامة وأظهرك على عدوك، إني منطلق إلى فروخي، ثم أمر بك الثانية، وإنه سيرجع إلينا. فنظر القوم طويلًا، فمر بهم، فقال: السلام عليك أيها الملك إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على فروخي حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بي ما شئت فأذن له.

وقال: صاح ورشان[1] عند سليمان عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا.

وصاح طاووس. فقال: إنه يقول كما تدين تدان.

وصاح هدهد. فقال: إنه يقول من لا يرحم لا يُرحم.

وصاح صرد[2] عنده. فقال إنه يقول استغفروا الله يا مذنبين.

وصاح طوطي. فقال: إنه يقول كل حي ميت وكل جديد بال.

وصاح خطاف. فقال: قدموا خيراً تجدوه.

وهدرت حمامة. فقال: تقول سبحان ربي الأعلى ملء سماواته وأرضه.

وصاح قمري، فقال: تقول سبحان ربي الأعلى.

قال: والغراب يدعو على العشارين.

والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجهه.

والقطا تقول: من سكت سلم.

والببغاء وهو طائر يقول: ويل لمن الدنيا همه.

والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس.

والباز يقول: سبحان ربي وبحمده.

والضفدعة تقول: سبحان المذكور بكل مكان.

---

(١) ورشان: نوع من الحمام البري وقال الدميري في كتابه حياة الحيوان: هو ساق حر وهو ذكر القماري.

(٢) صرد: طائر ضخم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر.

وصاح دراج فقال: إنها تقول: الرحمن على العرش استوى(١).

(دعوات الراوندي): ذكروا أن سليمان كان جالساً على شاطىء بحر، فبصر بنملة تحمل حبة قمح تذهب بها نحو البحر، فجعل سليمان ينظر إليها حتى بلغت الماء فإذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاها، فدخلت النملة وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة وسليمان عليه السلام يتفكر في ذلك متعجباً. ثم إنها خرجت من الماء وفتحت فاها، فخرجت النملة ولم يكن معها الحبة.

فدعاها سليمان عليه السلام وسألها وشأنها وأين كانت؟ فقالت: يا نبي الله إن في البحر الذي تراه صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء وقد خلقها الله تعالى هنالك، فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكلني الله برزقها فأنا أحمل رزقها وسخر الله تعالى هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرني الماء في فيها، وتضع فاها على ثقب الصخرة وأدخلها، ثم إذا أوصلت رزقها إليها وخرجت من ثقب الصخرة إلى فيها فتخرجني من البحر.

قال سليمان عليه السلام: وهل سمعت لها من تسبيحة؟ قالت: نعم، تقول يا من لا ينساني في جوف هذه اللّجة برزقك، لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك(٢).

وأما حكاية الخيل

فقال الله سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾(٣).

(تفسير) علي بن إبراهيم: وذلك أن سليمان عليه السلام كان يحب الخيل ويستعرضها فعرضت عليه يوماً إلى أن غابت الشمس وفاتته صلاة العصر، فاغتم من ذلك ودعا الله أن يرد عليه الشمس حتى يصلي العصر، فردها عليه إلى وقت العصر فصلاها، وأقبل يضرب أعناق الخيل وسوقها بالسيف حتى قتلها كلها.

وهو قوله عز اسمه: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ وذلك أن سليمان عليه السلام لما تزوج باليمانية ولد له منها ابن، وكان يحبه فنزل ملك الموت على سليمان، وكان كثيراً ما ينزل عليه، فنظر إلى ابنه نظراً حديداً، ففزع سليمان من ذلك وقال لأمه: إن ملك الموت نظر إلى ابني نظرة أظنه أمر بقبض روحه.

فقال للجن والشياطين: هل لكم أن تفروه من الموت؟ فقال واحد: أنا أضعه تحت عين

---

(١) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٩٥ نقلاً عن الثعلبي.

(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ٩٥ نقلاً عن دعوات الراوندي.

(٣) سورة ص؛ الآيات: ٣٠ - ٣٤.

الشمس في المشرق! فقال سليمان عليه السلام: إن ملك الموت يخرج ما بين المشرق والمغرب، فقال واحد منهم: أنا أضعه في الأرضين السابعة! فقال: إن ملك الموت يبلغ، فقال آخر: أنا أضعه في السحاب والهواء، فرفعه ووضعه في السحاب. فجاء ملك الموت فقبض روحه في السحاب، فوقع ميتاً على كرسي سليمان، فعلم أنه قد أخطأ. فحكى الله ذلك في قوله: ﴿**وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب...**﴾ الآيات.

وقال الصادق عليه السلام: جعل الله عز وجل ملك سليمان في خاتمه فكان إذا لبسه حضرته الجن والإنس والشياطين وجميع الطير والوحوش، فأطاعوه، فيقعد على كرسيه، ويبعث الله عز وجل ريحاً تحمل الكرسي بجميع ما عليه من الشياطين والطير والدواب والإنس والخيل، فتمر بها في الهواء إلى موضع يريده سليمان، وكان يصلي الغداة بالشام والظهر بفارس، وكان يأمر الشياطين أن يحملوا الحجارة من فارس ويبنوها بالشام. فلما قتل الخيل سلبه الله ملكه، وكان إذا دخل الخلاء دفع خاتمه إلى بعض من يخدمه.

فجاء شيطان فخدع خادمه وأخذ منه الخاتم ولبسه، فحشرت[1] عليه الشياطين والجن والإنس والطير والوحوش، وخرج سليمان في طلب الخاتم فلم يجده، فهرب ومر على ساحل البحر. وأنكرت بنو إسرائيل الشياطين الذين تصوروا في صورة سليمان، وصاروا إلى أمه، فقالوا لها: أتنكرين من سليمان شيئاً؟ فقالت: كان أبر الناس بي وهو اليوم يعصيني[2]، وصاروا إلى جواريه ونسائه وقالوا: أتنكرون من سليمان شيئاً؟ قلن: لم يكن يأتينا في الحيض وهو يأتينا في الحيض. فلما خاف الشيطان أن يفطنوا به ألقى الخاتم في البحر، فبعث الله سمكة فالتقمته وهرب الشيطان. فبقي بنو إسرائيل يطلبون سليمان أربعين يوماً. وكان سليمان يمر على ساحل البحر تائباً إلى الله مما كان منه.

فلما كان بعد أربعين يوماً مر بصياد يصيد السمكة، فقال له: أعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً؟ قال: نعم، فأعانه سليمان. فلما اصطاد دفع إلى سليمان سمكة فأخذها وشق بطنها، فوجد الخاتم في بطنها فلبسه، وخرت عليه الشياطين والجن والإنس ورجع إلى مكانه، وطلب ذلك الشيطان وجنوده فقيدهم وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخر بأسامي الله فهم محبوسون معذبون إلى يوم القيامة.

فلما رجع سليمان إلى ملكه قال لآصف، وكان آصف كاتب سليمان وهو الذي كان عنده علم من الكتاب: قد عذرت الناس بجهالتهم، فكيف أعذرك؟ قال: لا تعذرني فلقد عرفت الشيطان الذي أخذ خاتمك وأباه وأمه وعمه وخاله، ولقد قال لي: اكتب لي، فقلت له: إن

---

(١) في المصدر: فخرت.

(٢) في المصدر: يبغضني.

العلم لا يجري بالجور، فقال: اجلس ولا تكتب، فكنت أجلس ولا أكتب شيئاً، ولكن أخبرني عنك صرت تحب الهدهد وهو أخسّ الطير متناً وأخبثه ريحاً، قال: إنه يبصر الماء وراء الصفا الأصمّ، فقال: وكيف يبصر الماء من وراء الصفا وإنما يوارى عنه القمح[١] بكف من التراب يأخذ رقبته، فقال سليمان: قف يا وقاف[٢] فإن جاء القدر حال دون البصر[٣].

أقول: هذه الرواية موفقة للعامة، فهي محمولة على التقية.

والصحيح الوارد في الأخبار عن الصادق عليه السلام: إنها لما عرضت على سليمان عليه السلام الخيل وفاته وقت الصلاة ردت عليه الشمس وشرع يتوضأ ويمسح بساقه وعنقه - يعني يتوضأ للصلاة هو ومن معه - وإلا فالخيل لا ذنب لها، حتى يمسح سوقها وأعناقها بالسيف[٤].

---

(١) في المصدر: وإنما يوارى عنه الفخ بكف من تراب حتى يؤخذ بعنقه.

(٢) الوقّاف: من الواقفة: فرقة من النواصب.

(٣) تفسير القمي ج٢، ص ٢٣٤ . ٢٤٨ في تفسيره لسورة ص.

(٤) إن الروايات في باب سليمان محمولة على التقية لموافقتها لما كان مشهوراً على ألسنة العامة وقد ورد في قصة الجياد وسليمان كثيراً ونذكر من وجوه التأويل في تلك الآيات ما قاله السيد المرتضى قدس سره في كتابه تنزيه الأنبياء ص ٩٣: ظاهر الآية لا يدل على إضافة قبيح إلى النبي، والرواية إذا كانت مخالفة لما تقتضيه الأدلة لا يلتفت إليها لو كانت قوية ظاهرة، فكيف إذا كانت ضعيفة وواهية، والذي يدل على ما ذكرناه على سبيل الجملة أن الله تعالى ابتدأ الآية بمدحه والثناء عليه فقال ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ وليس يجوز أن يثني عليه بهذا الثناء ثم يتبعه من غير فصل بإضافة القبيح إليه، وأنه تلهى، بعرض الخيل عن فعل المفروض عليه من الصلاة والذي يقتضيه الظاهر أن حبه للخيل وشغفه بها كان عن إذن ربه وأمره وبتذكيره إياه، لأن الله تعالى قد أمرنا بارتباط الخيل وإعدادها لمحاربة الأعداء، فلا ينكر أن يكون سليمان عليه السلام مأموراً بمثل ذلك انتهى.

وكذا قال الفيلسوف الطباطبائي في سفره القيم الميزان في تفسيره للآية وقال الطبرسي في مجمع البيان في المجلد الرابع ص ٧٤١: سأل ابن عباس علياً عليه السلام عن هذه الآية فقال علي عليه السلام: ما بلغك فيها يا ابن عباس، قال ابن عباس: سمعت كعباً يقول اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة فقال ردّوها عليّ يعني الأفراس كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل بقتلها، فقال علي عليه السلام: كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردّوها عليّ فردت فصلى العصر في وقتها وإن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون.
وأضاف السيد المرتضى قدس سره في قوله تعالى: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ فقد قيل فيه وجوه فمنها: لما كانت الخيل أعز ماله عليه أراد أن يكفر عن تفريطه في النافلة بذبحها والتصدق بلحمها على المساكين قالوا: فلما رأى حسن الخيل وراقته وأعجبته أراد أن يتقرب إلى الله تعالى بالمعجب له الرائق في عينه ويشهد بصحة هذا المذهب قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ انتهى للتفصيل راجع تنزيه الأنبياء باب تنزيه سليمان عن المعصية.

الفصل الثالث

في قصته مع بلقيس وفيه نفش الغنم ووفاته عليه السلام

(تفسير علي بن إبراهيم): كان سليمان عليه السلام إذا قعد على كرسيه جاءت جميع الطير، فتظل الكرسي بجميع من عليه من الشمس، فغاب عنه الهدهد من بين الطير، فوقع الشمس من موضعه في حجر سليمان، فرفع رأسه وقال ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾(١) الآيات.

فلم يمكث إلا قليلًا إذ جاء الهدهد، فقال له سليمان: أين كنت قال أحطت بما لم تحط به وحكى له قصة سبأ، فقال له سليمان: خذ الكتاب إليها. فجاء به ووضعه في حجرها، فارتاعت من ذلك، وجمعت جموعها وقالت لهم ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ. أي مختوم - إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾(٢) الآيات.

وذكر الكتاب إلى قولها إن كان نبياً من عند الله كما يدعي، فلا طاقة لنا به، ولكن سأبعث إليه بهدية، فإن كان ملكاً يميل إلى الدنيا فيقبلها! وعلمنا أنه لا يقدر علينا. فبعثت إليه حقة فيها جوهرة عظيمة، وقالت للرسول: قل له تثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار.

فأتاه الرسول بذلك، فأمر سليمان عليه السلام بعض جنوده، فأخذ خيطاً في فمه ثم ثقبها وأخرج الخيط من الجانب الآخر، وقال سليمان عليه السلام لرسولها: ما آتاني الله خير مما آتاكم ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾(٣). فرجع إليها الرسول فأخبرها بقوة سليمان، فعلمت أنه لا محيص لها، فارتحلت وخرجت نحو سليمان.

فلما أخبره الله بإقبالها نحوه، قال للجن والشياطين: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾(٤) قال سليمان عليه السلام أريد أسرع فقال آصف: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٥) فدعا الله بالاسم الأعظم.

فخرج السرير من تحت كرسي سليمان، فقال سليمان: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾. أي غيروه - ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾(٦).

فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو، وكان سليمان قد أمر أن يتخذ لها بيت من قوارير، ووضعه على الماء، ثم قيل لها: ادخلي الصرح فظنت أنه ماء، فرفعت ثوبها وأبدت

---

(١) سورة النمل؛ الآية: ٢٠.
(٢) سورة النمل؛ الآيات: ٢٩ - ٣١.
(٣) سورة النمل؛ الآية: ٣٧.
(٤) سورة النمل؛ الآية: ٤١.
(٥) سورة النمل؛ الآية: ٤٢.
(٦) سورة النمل؛ الآية: ٤٣.

ساقيها، فإذا عليها شعر كثير، فقيل لها إنه ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

فتزوجها سليمان عليه السلام [٢] وقال للشياطين اتخذوا لها شيئاً يذهب عنها هذا الشعر فعملوا الحمامات وطبخوا النورة. فالحمّامات والنورة مما أحدثه الشياطين لبلقيس، وكذا الأرحية التي تدور على الماء[٣].

وفي (الكافي) عن أبي الحسن الأول عليه السلام: إن الله ما بعث نبياً إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه.

ثم قال: إن سليمان بن داود عليه السلام قال للهدهد حين فقده: ﴿مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ فغضب لفقده، لأنه كان يدله على الماء، فهذا وهو طائر أعطي ما لم يعط سليمان فلم يكن سليمان عليه السلام يعرف الماء تحت الهواء - أي الأرض - وكان الطير يعرفه، وإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾[٤] وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان ويحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء - يعني الأرض -[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٦].

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام: من أراد الاطلاء بالنورة فأخذ من النورة بإصبعه فشمّه وجعله على طرف أنفه وقال: صلى الله على سليمان بن داود كما أمرنا بالنورة، لم تحرقه النورة[٧].

وروى العياشي بالإسناد قال: قال أبو حنيفة لأبي عبد الله عليه السلام: كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال: لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة.

فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك! فقال أبو عبد الله عليه السلام ما يضحكك؟ قال ظفرت

---

(١) سورة النمل؛ الآية: ٤٤.
(٢) وذكر في المصدر أنها بلقيس بنت الشرح الحميرية.
(٣) تفسير القمي ج٢، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.
(٤) سورة الرعد؛ الآية: ٣١.
(٥) أصول الكافي ج١، ص ٢٢٦.
(٦) أصول الكافي ج١، ص ٢٣٠.
(٧) بحار الأنوار ج١٤، ص ١١٥.

بك جعلت فداك، قال وكيف ذلك؟ قال الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يأخذ بعنقه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا نعمان أما علمت أنه إذا نزل القدر أغشى البصر، وفي قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي أنتف ريشه وألقيه في الشمس. وعن ابن عباس: وقيل بأن أجعله بين أضداده[١].

أقول: ورد أنه أمر بحبسه مع الحدأة في قفص واحد. فلما أشكل الأمر على الهدهد، لأن فيه عذاباً روحانياً طلب من سليمان عليه السلام أن يعذبه بأشد عذاب الطيور ويخرجه من قفص الحدأة. فسأل الطيور فقالوا العذاب الشديد عندنا أن ينتف ريشه الطيور بمناقيرها ويبقى لحمه ملقاة حتى ينبت له الريش، فصبر على هذا العذاب واختاره على ذلك، لأنه عذاب جسماني وذاك عذاب روحاني.

قال أمين الإسلام الطبرسي: اختلف في الهديّة: فقيل: أهدت إليه وصيفاً ووصائف ألبستهم لباساً واحداً، حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، عن ابن عباس: وقيل أهدت مائتي غلام ومائتي جارية، ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغلمان. عن مجاهد، وقيل أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج.

فلما بلغ ذلك سليمان عليه السلام أمر الجن فزوقوا[٢] له الآجر بالذهب، ثم أمر به فأُلقي في الطريق في كل مكان حتى صغر في أعينهم ما جاؤوا به.

ولما كتبت نسخة الهدية كتبت فيها: إن كنت نبياً فميّز بين الوصيف[٣] والوصائف وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها، وقالت للرسول: انظر إذا دخلت إليه فإن نظر إليك نظر غضب، فاعلم أنه ملك! فلا يهولنك أمره، وإن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنه نبي مرسل. فانطلق الرسول بالهدايا وأتى الهدهد إلى سليمان مسرعاً مخبراً له.

ثم إن سليمان عليه السلام جمع الجن والإنس والطيور، ووضع ميداناً، وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الجن أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات من الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة ففعلوا.

ثم قال للجن: عليّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير، فأقامهم عن يمين الميدان ويساره، ثم قعد سليمان في محبسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه، ومثلها عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان عليه السلام تقاصرت[٤] إليهم أنفسهم ورموا بما عندهم من الهدايا.

فلما وقفوا بين يدي سليمان، نظر إليهم نظراً حسناً بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٣٤٠.
(٢) في المصدر: فموهوا.
(٣) في المصدر: الوصفاء.
(٤) أي تضاءلت وقصرت.

رئيس القوم بما جاؤوا به وأعطاه كتاب الملكة فنظر إليه وقال أين الحقة؟ فأتى بها وحركها وأخبره جبرائيل بما فيها، وقال إن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب. فقال الرسول: صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان إلى الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها، فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر.

ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا رسول الله فثقبتها، ثم ميّز بين الجواري والغلمان، بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه، والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه، وكانت الجارية على باطن ساعدها، والغلام على ظاهر الساعد، وكانت الجارية تصب الماء صباً، وكان الماء يحدر على يده حدراً، فميّز بينهم بذلك.

وقيل: إنها أنفذت مع هداياها عصاً كانت تتوارثها ملوك حمير وقالت أُريد أن تعرفني رأسها من أسفلها وبقدح قالت: تملأه ماء ليس من الأرض ولا من السماء فأرسل سليمان العصا إلى الهواء، وقال: أي الرأسين سبق إلى الأرض فهو أصلها وأمر الخيل فأُجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها، وقال: هذا ليس من ماء الأرض ولا من ماء السماء.

فلما رجع الرسول وعلمت أنه نبي، تأهبت للمسير إليه، وأخبره جبرائيل عليه السلام فعند ذلك قال سليمان عليه السلام: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فيحرم عليه أخذ مالها، وقيل: أراد أن يجعل دليلاً ومعجزة على صدقه ونبوته؛ لأنها خلّفته في دارها ووكلت به ثقات قومها يحفظونه ويحرسونه. وأما كيفية الإتيان به فذكر العلماء في ذلك وجوهاً.

أحدها: إن الملائكة حملته بأمر الله تعالى.

والثاني: إن الريح حملته.

والثالث: إن الله تعالى خلق فيه حركات متوالية.

والرابع: إنما انحرف مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان عليه السلام.

والخامس: إن الأرض طويت له، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام.

والسادس: إنه أعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان عليه السلام (١).

وفي تفسير العياشي عن الحسن العسكري عليه السلام أنه سئل أكان سليمان عليه السلام محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا، يعني حتى أحضر له عرش بلقيس فقال عليه السلام: إن سليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف، لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أُمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه آصف بأمر الله، ففهمه الله ذلك، لئلا

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام، لنعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق[١].

وفي (تفسير العسكري عليه السلام): إن سليمان لما سار من مكة ونزل باليمن قال الهدهد: إن سليمان عليه السلام قد اشتغل بالنزول، فأرتفع نحو السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك ونظر يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيه، فإذا هو بهدهد فهبط عليه، وكان اسم هدهد سليمان عليه السلام يعفور واسم هدهد اليمن عنقير، فقال عنقير ليعفور: من أين أقبلت؟ وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام، قال: ومن سليمان بن داود؟ قال: ملك الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين والرياح، فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها: بلقيس وإن لصاحبكم سليمان ملكاً عظيماً، وليس ملك بلقيس دونه، فإنها ملكة اليمن، وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد! فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة.

فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وما رجع إلى سليمان إلا وقت العصر. فلما طلبه سليمان فلم يجده دعا عريف الطيور وهو النسر فسأله عنه فقال: ما أدري أين هو، وما أرسلته مكاناً، ثم دعا بالعقاب فقال: عليّ بالهدهد فارتفع فإذا هو بالهدهد مقبلاً، فانقض نحوه فناشده الهدهد: بحق الله الذي قوّاك وغلبك عليّ، إلا ما رحمتني ولم تعرض لي بسوء فولى عنه العقاب وقال له: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله حلف أن يعذبك أو يذبحك. ثم طارا متوجهين إلى سليمان عليه السلام.

فلما انتهى إلى المعسكر تلقته النسر والطير، فقالوا: توعدك نبي الله، فقال الهدهد: أوما استثنى نبي الله؟ فقالوا: بلى ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾. فلما أتيا سليمان وهو قاعد على كرسيه، قال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان عليه السلام، فأخذ برأسه فمده إليه، فقال أين كنت؟ فقال يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفى عنه[٢].

(التهذيب) عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾[٣] فقال: لا يكون النفش إلا بالليل، إن على صاحب الحرث أن يحفظ الحرث بالنهار، وليس على صاحب الماشية حفظها بالنهار، إنما رعيها

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ١٢٧.

(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ١٢٨ نقلاً عن الثعلبي من كتابه الكشف والبيان.

(٣) سورة الأنبياء؛ الآية: ٧٨.

وإرزاقها بالنهار، فما أفسدت فليس عليها، وعلى صاحب الماشية حفظ الماشية بالليل عن حرث النهار فما أفسدت بالليل فقد ضمنوا وهو النفش، وإن داود عليه السلام حكم للذي أصاب زرعه رقاب الغنم، وحكم سليمان اللبن والصوف في ذلك العام[١].

وفيه عنه عليه السلام قال له أبو بصير: قول الله عز وجل: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ قلت حين حكما في الحرث كانت قضية واحدة فقال: إنه كان أوحى الله عز وجل إلى النبيين قبل داود عليه السلام، إلى أن بعث داود عليه السلام أي غنم فنفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم، ولا يكون النفش إلا بالليل، وإن على صاحب الزرع أن يحفظ بالنهار، وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل. فحكم داود عليه السلام بما حكمت به الأنبياء عليهم السلام من قبله. وأوحى الله تعالى إلى سليمان: أي غنم نفشت في الزرع فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السنة بعد سليمان عليه السلام، وهو قول الله عز وجل ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فحكم كل واحد منهما بحكم الله عز وجل[٢].

(تفسير علي بن إبراهيم) عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم ونفشت[٣] فيه غنم لرجل بالليل وقضمته وأفسدته فجاء صاحب الكرم إلى داود عليه السلام فاستعدى على صاحب الغنم فقال داود عليه السلام اذهب إلى سليمان عليه السلام ليحكم بينكما. فقال سليمان عليه السلام: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم. وكان هذا حكم داود، وإنما أراد أن يعرّف بني إسرائيل أن سليمان عليه السلام وصيه بعده ولم يختلفا في الحكم، ولو اختلف حكمهما لقال[٤] ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[٥].

(الكافي) عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود لرجال مسمّين، ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن اتخذ وصياً من أهلك فإنه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبياً إلا وله وصي من أهله.

وكان لداود عليه السلام عدة أولاد فيهم غلام كانت أُمه عند داود عليه السلام وكان لها محباً، فدخل داود عليه السلام عليها حين أتاه الوحي، فقال لها: إن الله عز وجل أوحى إليّ أن أتخذ وصياً

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ١٣٢.

(٣) نفشت الغنم: أي رعت ليلاً بلا راع.

(٤) لعل الصواب: كما قال.

(٥) تفسير القمي ج٢، ص ٧٤ في تفسيره لسورة الأنبياء الآية: ٧٨.

من أهلي فقالت له امرأته: فليكن ابني، قال: ذاك أريد، وكان السابق في علم الله المحتوم أنه سليمان عليه السلام. فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن لا تعجل، دون أن يأتيك أمري.

فلم يلبث أن ورد عليه رجلان يختصمان في الغنم والكرم فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضية فأصاب، فهو وصيك من بعدك. فجمع داود عليه السلام ولده، فلما أن قصّ[1] الخصمان قال سليمان عليه السلام: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلًا، قال: قد قضيت عليه يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك.

ثم قال له داود عليه السلام: فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بني إسرائيل؟ فكان ثمن الكرم قيمة الغنم، فقال سليمان: إن الكرم لم يجتث[2] من أصله وإنما أكل حمله[3] وهو عائد في قابل.

فأوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: إن القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به، يا داود أردت أمراً وأردنا غيره. فدخل داود عليه السلام على امرأته فقال لها: أردنا أمراً وأراد الله غيره، ولم يكن إلا ما أراد الله عز وجل، وسلمنا. وكذلك الأوصياء عليهم السلام ليس لهم أن يتعدوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره[4].

يقول مؤلف هذا الكتاب أيده الله تعالى: الأخبار الواردة في هذه القضية من التعارض وذلك أن بعضها دال على اختلاف حكمي داود وسليمان عليهما السلام وبعضهم دال على اتحاد الحكم، ويمكن الجمع بوجوه:

الأول: حمل ما دل على الاختلاف في الحكم على التقية، كما قاله بعض أهل الحديث، لانطباقه على أقوال العامة من جواز الاجتهاد على الأنبياء عليهم السلام وبطلانه لا يحتاج إلى البيان.

الثاني: حمل الحكم الذي تكلم به سليمان، على أنه ناسخ لحكم داود، كما تقدم في الحديث، وبه قال جماعة من علمائنا وكثير من المعتزلة. وما يرد عليه من النسخ إنما يكون في شرائع أولي العزم لمن تقدم عليهم.

فجوابه: إن مثل هذه الأمور الجزئية يجوز وقوع النسخ فيها في كل الشرائع كما قاله بعض علمائنا رضوان الله عليهم.

الثالث: إن الحكم الذي كان عند داود عليه السلام هو حكم من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام، ولهذا أحاله على الأنبياء والعلماء. وأما داود فلم تقع له هذه المسألة إلى ذلك الوقت، ولما فهمها الله سبحانه سليمان كان ذلك الوحي بذلك الحكم لداود وسليمان عليهما السلام فحكمهما

---

(١) أي روى الخصمان الحادث.
(٢) اجتثه: قلعه من أصله.
(٣) الحمل: ما يحمله الشجر من الثمر.
(٤) أصول الكافي ج١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

واحد، ولكنه مغاير لما أوحى الله سبحانه إلى الأنبياء المتقدمين، وعليه كان عمل الأنبياء والعلماء إلى عصر داود عليه السلام.

والوجه الرابع: يستفاد من الحديث الذي رواه الثقة علي بن إبراهيم، وقد تقدم.

(علل الشرائع وعيون الأخبار) مسنداً إلى الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: إن الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي: سخر لي الريح والجن والإنس والطير والوحوش وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تم لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي، فلا تأذنوا لأحد عليّ، لئلا ينغص[1] عليّ يومي! قالوا: نعم.

فلما كان من الغد، أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي فرحاً بما أعطي، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس خرج عليه من زوايا قصره، فلما أبصر به سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك هذا القصر؟ وقد أردت أن أخلو فيه اليوم، فبإذن من دخلت؟ فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربه وبإذنه دخلت فقال: ربه أحق به مني، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: وفيم جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك، فقال: امض لما أمرت به، فهذا يوم سروري، وأبى الله عز وجل أن يكون لي سرور دون لقائه. فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه.

فبقي سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه وهو ميت ما شاء الله، والناس ينظرون إليه وهم يقدرون أنه حي، فافتتنوا فيه واختلفوا.

فمنهم من قال: إن سليمان عليه السلام قد بقي متكئاً على عصاه، هذه المدة الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب، إنه لربنا الذي يجب أن نعبده!

وقال قوم: إن سليمان عليه السلام ساحر وإنه يرينا أنه واقف متكىء على عصاه يسحر أعيننا! وليس كذلك.

وقال المؤمنون: إن سليمان عليه السلام هو عبد الله ونبيه، يدبر الله أمره بما شاء.

فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة[2] في عصاه، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان عليه السلام من قصره على وجهه، فشكرت الجن للأرضة صنيعها، لأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلا وعندها ماء وطين. وذلك قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ - يعني عصاه - فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا

---

(١) نغص عليه: قطع عليه ما كان أحب الاستكثار منه، تنغص العيش: تكدر.
(٢) الأرضة: دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره.

﴿يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾[(١)]. ثم قال الصادق عليه السلام: والله ما نزلت هذه الآية هكذا، وإنما نزلت: فلما خرّ تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين[(٢)].

أقول: هذه القراءة نسبها صاحب الكشاف إلى أنها قراءة ابن مسعود.

(علل الشرائع) بإسناده إلى أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمر سليمان بن داود الجن، فصنعوا له قبة من قوارير فبينما هو متكىء على عصاه في القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون وهو ينظر، إذ حانت منه التفاتة، فإذا رجل معه في القبة، قال: من أنت؟ قال: الذي لا أقبل الرشا ولا أهاب الملوك أنا ملك الموت. فقبضه وهو قائم متكىء على عصاه في القبة والجن ينظرون إليه، فمكثوا سنة يدأبون حوله حتى بعث الله الأرضة... الحديث[(٣)].

وعنه عليه السلام: أنه لما هلك سليمان عليه السلام وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ومن أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا! ثم دفنه تحت السرير، ثم أخرجه لهم فقرأه. فقال الكافرون ما كان سليمان يغلبنا إلا بهذا! وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيه[(٤)].

فقال جل ذكره: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[(٥)].

أقول: وروي في السبب الذي لأجله أضافت الكفار من اليهود وغيرهم السحر إلى سليمان عليه السلام، وذلك أنه قد جمع كتب السحر ووضعها في خزائنه.

وقيل: كتمها تحت كرسي لئلا يطلع الناس عليها ولا يعلمون بها. فلما مات سليمان عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب، وقالوا: إنما تم ملك سليمان عليه السلام بالسحر، وزينوا السحر في أعين الناس بالنسبة إلى سليمان وشاع ذلك في اليهود فقبلوه، لعداوتهم لسليمان وعلموه الناس وجرى بينهم.

(القصص) للراوندي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام: إن آية موتك أن شجرة تخرج في بيت المقدس يقال لها: الخرنوبة[(٦)]، فنظر

---

(١) سورة سبأ؛ الآية: ١٤.
(٢) علل الشرائع ج١، ص ٩٢ باب ٦٤ وعيون أخبار الرضا ج١، ص ٢٣٥ باب ٢٦ برقم ٢٤.
(٣) علل الشرائع ج١، ص ٩٤ باب ٦٤ برقم ٣.
(٤) تفسير القمي ج٢، ص ٢٠٠ في تفسيره لسورة سبأ الآية: ١٤.
(٥) سورة البقرة؛ الآية: ١٠٢.
(٦) الخرنوب والخروب: شجرة شوك برية ذات حمل كالتفاح لكنه بشع.

سليمان عليه السلام يوماً إلى الخرنوبة قد طلعت في بيت المقدس، فقال سليمان عليه السلام: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة، فولى مدبراً إلى محرابه، حتى قام متكئاً على عصاه، فقبضه الله من ساعته(١).

وفي حديث آخر: إنه عليه السلام سأل الشجرة ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة قال: لأي شيء أنت؟ قالت: للخراب، فعلم أنه سيموت، فقال: اللهم أعم على الجن موتي ليعلم الإنس أنهم لا يعلمون الغيب، وقد كان قد بقي من بناء بيت المقدس سنة وقال لأهله: لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات، وبقي سنة، وتم البناء ثم سلط الله على منسأته الأرضة. وكان آصف يدبر أمره في تلك المدة(٢).

وعنه عليه السلام قال: قالت بنو إسرائيل لسليمان عليه السلام: استخلف علينا ابنك، فقال: لا يصلح لذلك، فألحوا عليه، فقال: إني أسأله عن مسائل فإن أحسن الجواب فيها أستخلفه، ثم سأله فقال: يا بني ما طعم الماء؟ وطعم الخبز؟ وبأي شيء ضعف الصوت وشدته؟ وأين موضع العقل من البدن؟ ومن أي شيء القساوة والرقة؟ ومم تعب البدن ودعته؟ ومم تكسب البدن وحرمانه؟ فلم يجبه بشيء منها.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: طعم الماء الحياة وطعم الخبز القوة وضعف الصوت وشدته من لحم الكليتين وموضع العقل الدماغ، ألا ترى أن الرجل إذا كان قليل العقل قيل له ما أخف دماغه، والقسوة والرقة من القلب وهو قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٣) وتعب البدن ودعته من القدمين إذا تعبا في المشي يتعب البدن وإذا أودعا أودع البدن وكسب البدن وحرمانه من اليدين إذا عمل بهما ردتا على البدن وإذا لم يعمل بهما لم يردا على البدن شيئاً(٤).

(١) قصص الراوندي ص ٢٠٩ بزقم ٢٧٣.
(٢) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٦٠٠.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٤) تفسير القمي ج٢، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ في تفسيره لسورة ص؛ الآية: ٤٠.

الباب السادس عشر
في قصة قوم سبأ وأهل الثرثار وقصة أصحاب الرس وحنظلة وقصة شعيا وحبقوق

(المحاسن) بإسناده إلى عمرو بن شمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لألحسنّ[(١)] أصابعي من المأدم حتى أخاف أن يرى خادمي أن ذلك من جشع، وليس كذلك. إن قوماً ما أفرغت عليهم النعمة وهم أهل الثرثار، فعمدوا إلى مخ الحنطة فجعلوه خبزاً ينجون به صبيانهم، حتى اجتمع من ذلك جبل.

قال: فمر رجل صالح على امرأة وهي تفعل ذلك بصبي لها فقال: ويحكم اتقوا الله لا يغير ما بكم من نعمة، فقالت: كأنك تخوفنا بالجوع أما ما دام ثرثارنا يجري فإنا لا نخاف الجوع. قال: فأسف الله عز وجل وضعف لهم الثرثار وحبس عنهم قطر السماء ونبت الأرض. قال: فاحتاجوا إلى ما في أيديهم فأكلوه، فاحتاجوا إلى ذلك الجبل. قال: كان ليقسم بينهم بالميزان[(٢)].

(الكافي) عن سدير قال: سأل رجل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[(٣)] فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض وأنهار جارية وأموال ظاهرة، فكفروا بأنعم الله وغيروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم العرم[(٤)]، فغرق قراهم وخرب ديارهم وأبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي أُكل خمط[(٥)] وأثل وشيء من سدر قليل، جزاء بكفرهم[(٦)].

أقول: هؤلاء هم أهل سبأ الذين قص الله سبحانه قصتهم في القرآن وكان يجر إلى اليمن، ثم أمر سليمان جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب، ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدة

---

(١) في البحار لألعق ولعق العسل أو نحوه: لحسه وتناوله بلسانه أو إصبعه.
(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ١٤٤.
(٣) سورة سبأ، الآية: ١٩.
(٤) العرم: المطر الشديد، أو الجرذ الكبير وقيل هو اسم واد.
(٥) أي الثمر المر وقيل: الاراك.
(٦) روضة الكافي ص ٣٩٥ برقم ٥٩٦.

عظيمة من الصخر والكلس حتى يفيض على بلادهم وجعلوا للخليج مجاري، وكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه وكانت جنات مسيرة عشرة أيام فمن يمر لا تقع عليه الشمس من التفاف أغصانها[١]، وكان من كثرة النعم أن المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها، فيمتلىء بالفواكه من غير أن تمس يدها شيئاً، ولم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكانت قراهم ثلاث عشرة قرية، في كل قرية نبي يدعوهم إلى الله فلم يقبلوا دعاء الأنبياء إلى الله. فأرسل الله عليهم سيل العرم، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما، فسدوا ما بين الجبلين، فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر فيسقون زروعهم وبساتينهم. فلما كذّبوا الرسل بعث الله جرذاً نقب ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم[٢].

وقيل: إن ذلك السد ضربته لهم بلقيس، ثم بدل الله جناتهم بجنات فيها أم غيلان وأثل - وهو نوع من الطرفاء وشيء من السدر -.

(وروى الكلبي) عن أبي صالح قال: ألقت طريفة الكاهنة إلى أبي عامر[٣] الذي يقال له ابن ماء السماء، وكانت قد رأت في كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنات.

فباع ابن عامر أمواله وسار هو وقومه إلى مكة، فأقاموا بها وما حولها فأصابهم الحمى، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة وشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا. فقالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: من كان منهم ذا هم بعيد وجمل شديد وزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت أزد عمان، ومن كان منكم ذا جلد وقسر[٤] وصبر على أزمات الدهر، فعليه بالأراك من بطن مرّ، فكانت خزاعة، ومن منكم يريد الراسيات الرحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج، ومن كان يريد الخمر والخمير والملك والتأمير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وعوير - وهما من أرض الشام - وكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسان، ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدم المراق فليلحق بأرض العراق، وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة وآل محرق[٥].

---

(١) تفسير القمي ج٢، ص ٢٠٠ في تفسيره لسورة سبأ الآية: ١٥.
(٢) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٦٠٤ - ٦٠٥.
(٣) إلى عمرو بن عامر كذا في المصدر.
(٤) جلد وقسر: أي قوة وقهر.
(٥) مجمع البيان المجلد الرابع ص ٦٠٦.

وأما قصة أصحاب الرس الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن

فروي في (علل الشرائع، وعيون الأخبار) بإسناده إلى الهروي عن الرضا عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سأل أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف تميم يقال له عمرو: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله عز وجل إليهم رسولاً؟ وبماذا أهلكوا؟ فقال عليه السلام: لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك أحد بعدي إلا عني، وما في كتاب الله عز وجل آية إلا وأنا أعرف بتفسيرها وفي أي مكان نزلت من سهل أو جبل وفي أي وقت من ليل أو نهار، وإن ها هنا لعلماً جماً - وأشار إلى صدره - ولكن طلابه قليل، وعن قليل يندمون لو فقدوني.

كان من قصتهم يا أخا تميم، أنهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر، يقال لها (شاهدرخت) كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها (روشنا آب)[١].

وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض، وذلك بعد سليمان عليه السلام وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطىء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق، وبهم سمي النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر ولا أعذب منه ولا قرى أكثر ولا أعمر منها. وذكر عليه السلام أسماءها، وكان أعظم مدائنهم إسفندار وهي التي ينزلها ملكهم، وكان يسمى تركوذ بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام، وبها العين الصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة وأجروا إليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة، فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة وحرموا ماء العين والأنهار، فلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه، ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها فيضربون على الشجرة التي بها كلة[٢] من حرير فيها من أنواع الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها[٣] في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا سجداً يبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم.

فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي أن قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقروا عيناً. فيرفعون رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف

---

(١) في العلل والبحار (روشاب).
(٢) الكلة بالكسر: الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البعوض ويعرف بالناموسية.
(٣) القتار: دخان الطبخ.

ويأخذون الدستبند - يعني الصنج - فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون. وسميت العجم شهورها اشتقاقاً من تلك القرى.

حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور وجعلوا له اثني عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم. فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً ويعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلها فيحركون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلمون من الشرب والعزف فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون.

فلما طال كفرهم بالله عز وجل وعبادتهم غيره، بعث الله نبياً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ومعرفة ربوبيته، فلا يتبعونه. فلما رأى شدة تماديهم في الغي وحضر عيد قريتهم العظمى، قال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي وغدوا يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع، فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك.

فأصبح القوم وقد ايبس شجرهم كلها، فهالهم ذلك، فصاروا فرقتين، فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلٓهه. وفرقه قالت: لا، بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاؤها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه. وأجمع رأيهم على قتله، فاتخذوا أنابيب طوالاً مثل البرابخ[1] ونزحوا ما فيها من الماء، ثم حفروا في قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيهم، وألقموا فاها صخرة عظيمة، ثم أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذا رأت أنا قد قتلنا من يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان.

فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم عليه السلام وهو يقول: سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي، فارحم ضعف ركني، وقلة حيلتي، وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي، حتى مات.

فقال الله جل جلاله لجبرائيل عليه السلام: أيظن عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني كيف وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي، وإني حلفت بعزتي لأجعلنهم نكالاً وعبرة للعالمين. فلم يرعهم

---

(١) البربخ: ما يعمل من الخزف للبشر ومجاري الماء.

وهم في عيدهم ذلك إلا بريح عاصف شديد الحمرة، فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم إلى بعض، ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد وأظلتهم سحابة سوداء، فألقت عليهم كالقبة جمراً يلتهب، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص بالنار. فنعوذ بالله تعالى من غضبه ونزول نقمته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

(تفسير علي بن إبراهيم): أصحاب الرس هم الذين هلكوا، لأنهم استغنوا الرجال بالرجال والنساء بالنساء(٢).

(قصص الراوندي) بإسناده إلى يعقوب بن إبراهيم قال: سأل رجل أبا الحسن عليه السلام عن أصحاب الرس الذين ذكرهم الله من هم؟ وأي قوم كانوا؟ فقال: كانا رسولين(٣)، أما أحدهما فليس الذي ذكره الله في كتابه. كان أهله أهل بدو وأصحاب شاء وغنم، فبعث الله إليهم صالح النبي رسولًا، فقتلوه، وبعث إليهم رسولًا آخر وعضده بولي، فقتلوا الرسول وجاهدوا الولي حتى أفحمهم. وكانوا يقولون إلَهنا في البحر وكانوا على شفيره، وكان لهم عيد في السنة، يخرج حوت عظيم من البحر في ذلك اليوم فيسجدون له. فقال وليّ صالح: لا أريد أن تجعلوني رباً، ولكن هل تجيبوني إلى ما دعوتكم إن أطاعني ذلك الحوت؟ فقالوا: نعم وأعطوه عهوداً ومواثيق.

فخرج حوت راكب على أربعة أحوات، فلما نظروا إليه خروا سجداً فخرج ولي صالح النبي إليه وقال له: ائتني طوعاً أو كرهاً بسم الله الكريم، فنزل عن أحواته فقال الولي: ائتني عليهن لئلا يكون من القوم في أمري شك، فأتى الحوت إلى البر يجرها وتجره إلى عند ولي صالح، فكذبوه بعد ذلك. فأرسل الله عليهم ريحاً فقذفتهم في البحر ومواشيهم. فأتى الوحي إلى ولي صالح بموضع ذلك البئر وفيها الذهب والفضة فانطلق فأخذه فقسمه على أصحابه بالسوية.

وأما الذين ذكرهم الله في كتابه فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس، وكان فيهم أنبياء كثيرة، وكانوا يعبدون الصلبان فبعث الله إليهم ثلاثين نبياً في مشهد واحد فقتلوهم جميعاً. ثم ذكر القصة السابعة(٤).

وفي كتاب (العرائس): أهل الرس كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعداً في السماء ميلًا، وكانت العنقاء تبيت به وهي أعظم ما يكون من الطير

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٨٣ باب ١٦ وعلل الشرائع ج١، ص ٥٥ باب ٣٨.
أقول: وقد ذكر الثعلبي في العرائس ص ١٣٣ هذه الرواية مسنداً إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام.
(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٣٢٣ في تفسيره لسورة ق، الآية: ١٢ وأضاف «الرس: نهر بناحية أذربيجان».
(٣) في المصدر: كانا رسّين.
(٤) قصص الراوندي ص ٩٦ برقم ٨٩.

وفيها من كل لون. وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكله، فجاعت ذات يوم، فأعوزها الطير، فانقضت على صبي فذهبت به، ثم إنها انقضت على جارية فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا إلى نبيهم، فقال: اللهم خذها واقطع نسلها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر، فضربتها العرب مثلًا في أشعارها وحكمها وأمثالها.

ثم إن أصحاب الرس قتلوا نبيهم، فأهلكهم الله تعالى، وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد. ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها، وكانوا صالحين سنين، ثم أحدثوا فاحشة جعل الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فيعطيها جاره وأخاه وصديقه يلتمس بذلك البر والصلة. ثم ارتفعوا من ذلك إلى نوع أخزى، ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنوا بالرجال، فجاءت شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهات[(١)] وكانا في بيضة واحدة فشهت إلى النساء ركوب بعضهن بعضاً وعلمتهن كيف يصنعن، فأصل ركوب النساء بعضهن بعضاً من الدلهات. فسلط الله على هؤلاء القوم صاعقة في أول الليل وخسفاً في آخر الليل وخسفاً مع الشمس، فلم يبق منهم باقية وبادت مساكنهم، ولا أحسبها اليوم تسكن[(٢)].

وأما قصة شعيا

ففي (قصص الراوندي) طاب ثراه بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال: قال علي عليه السلام: أوحى الله تعالى جلت قدرته إلى شعيا عليه السلام: إني مهلك من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم. فقال عليه السلام: هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فقال: داهنوا أهل المعاصي، فلم يغضبوا لغضبي[(٣)].

وفيه عن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل ملك في زمان شعيا وهم تابعون مطيعون لله، ثم إنهم ابتدعوا البدع فأتاهم ملك بابل، وكان نبيهم يخبرهم بغضب الله عليهم. فلما نظروا إلى ما لا قبل به من الجنود، تابوا وتضرعوا، فأوحى الله تعالى إلى شعيا عليه السلام: إني قبلت توبتهم لصلاح آبائهم! وملكهم كانت له قرحة بساقه وكان عبداً صالحاً.

فأوحى الله تعالى إلى شعيا عليه السلام: إن مر ملك بني إسرائيل فليوص وصيه وليستخلف على بني إسرائيل من أهل بيته فإني قابضه يوم كذا فليعهد عهده. فأخبره شعيا عليه السلام برسالته تعالى عز وعلا. فلما قال له ذلك، أقبل على التضرع والدعاء والبكاء فقال: اللهم ابتدأتني بالخير من أول يوم وسببته لي، وأنت فيما استقبل رجائي وثقتي، فلك الحمد بلا عمل صالح

---

(١) في المصدر: الدلهان بنت إبليس وهي أخت الشيطان.
(٢) عرائس المجالس ص ١٣١ ـ ١٣٣ وقد اختصر المصنف رحمه الله وأسقط منه الكثير فمن أراد فليراجع.
(٣) قصص الراوندي ص ٢٤٤ برقم ٢٨٦.

سلف مني، وأنت أعلم مني بنفسي أسألك أن تؤخر عني الموت وتنسىء[١] لي عمري وتستعملني بما تحب وترضى.

فأوحى الله تعالى إلى شعيا عليه السلام: إني رحمت تضرعه واستجبت دعوته وقد زدت في عمره خمس عشرة سنة، فمره فليداوِ قرحته بماء الطين، فإني قد جعلته شفاء مما هو فيه، وإني قد كفيته وبني إسرائيل مؤنة عدوهم.

فلما أصبحوا وجدوا جنود ملك بابل مصروعين في عسكرهم موتى لم يفلت منهم أحد إلا ملكهم وخمسة نفر[٢]. فلما نظروا إلى أصحابهم وما أصابهم، كروا منهزمين إلى أرض بابل، وثبت بنو إسرائيل متوازرين على الخير. فلما مات ملكهم ابتدعوا البدع ودعا كل إلى نفسه، وشعيا يأمرهم وينهاهم فلا يقبلون! حتى أهلكهم الله[٣].

وقال صاحب (الكامل) قيل: إن شعيا أوحى الله إليه ليقوم في بني إسرائيل يذكرهم بما يوحى على لسانه لما كثرت فيهم الأحداث ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم، فلقيته شجرة عظيمة فانفلقت له فدخلها، وأخذ الشيطان بهُدب ثوبه وأراه بني إسرائيل، فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها، حتى قطعوها في وسطها[٤].

(كتاب التوحيد) عن الحسن بن محمد النوفلي عن الرضا عليه السلام فيما احتج على أرباب الملل، قال عليه السلام للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً، فقال له ولرأس الجالوت: أتعرفانِ هذا من كلامه يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوئه مثل ضوء القمر، فقالا: قد قال ذلك شعيا.

ثم قال عليه السلام: وقال شعيا النبي عليه السلام ـ فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة ـ: رأيت راكبين أضاء لهما الأرض، أحدهما على حمار والآخر على جمل، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟ قال رأس الجالوت: لا أعرفهما، فخبرني بهما قال: أما راكب الحمار فعيسى عليه السلام وأما راكب الجمل فمحمد صلى الله عليه وآله أتنكر هذا من التوراة؟ قال لا ما أنكره. ثم قال الرضا عليه السلام: هل تعرف حيقوق النبي عليه السلام؟ قال: نعم إني به لعارف، قال: فإنه قال ـ وكتابكم ينطق به ـ: جاء الله بالبيان من جبل فاران وامتلأ السموات من تسبيح أحمد صلى الله عليه وآله وأمته يحمل خيله في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس - يعني بالكتاب القرآن - أتعرف هذا وتؤمن به؟ قال رأس الجالوت قد قال ذلك حيقوق ولا ننكره[٥].

---

(١) أي تؤخر.

(٢) قال الثعلبي في العرائس ص ٢٩٤: كان أحدهم بخت نصر.

(٣) قصص الراوندي ص ٢٤٤ برقم ٢٨٧.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ص ٢٥٧.

(٥) التوحيد للصدوق ص ٤٢٤ و٤٢٨ في ذكر مجلس الرضا وفي الاحتجاج للطبرسي ص ٤٢٠ والحديث طويل في باب احتجاجات الإمام الرضا عليه السلام مع رأس الجالوت.

الباب السابع عشر

في قصص زكريا ويحيى عليهما السلام

(عيون الأخبار) عن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال: يا ابن شبيب أصائم أنت؟ فقلت: لا، فقال: إن هذا اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(١) فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾(٢) فمن صام هذا اليوم ودعا الله عز وجل، استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام(٣).

(الكافي) عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت ما عنى الله تعالى بقوله في يحيى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ قال: فما بلغ من تحنن الله عليه؟ قال: إذا قال: يا رب، قال الله عز وجل: لبيك يا يحيى(٤).

(الأمالي) بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: كان من زهد يحيى بن زكريا عليه السلام أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف وإذا هم خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها إلى سواري المسجد.

فلما نظر إلى ذلك، أتى إلى أمه، فقال: يا أماه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنساً من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان فقالت له أمه: حتى يأذن نبي الله وأؤامره في ذلك، فدخل فأخبرته بمقالة يحيى، فقال زكريا: يا بني ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت صبي صغير؟ فقال له يا أبتِ أما رأيت من هو أصغر سناً مني قد ذاق الموت؟ قال بلى، ثم قال لأمه انسجي له مدرعة من شعر وبرنساً من صوف، ففعلت. فتدرع المدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله عز وجل مع الأحبار، حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه.

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٩.

(٣) عيون أخبار الرضا ج١، ص ٢٦٨ باب ٢٦ برقم ٥٨.

(٤) أصول الكافي ج٢، ص ٥٣٥ كتاب الدعاء وللحديث صدر اختصره المصنف لعدم ارتباطه بقصة زكريا عليه السلام

فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه، فبكى، فأوحى الله تعالى: يا يحيى أتبكي مما قد نحل من جسمك، وعزتي وجلالي لو اطلعت على النار إطلاعة، لتدرعت مدرعة الحديد فضلًا عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه، وبدا للناظرين أضراسه.

فبلغ ذلك أمه، فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه، فقال: ما شعرت بذلك، فقال زكريا: يا بني ما يدعوك إلى هذا إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقرّ بك عيني! قال: أنت أمرتني بذلك يا أبة، قال: ومتى ذلك يا بني؟ قال: ألست القائل: إن بين الجنة والنار لعقبة لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله؟ قال بلى، فجد واجتهد، وشأنك غير شأني.

فقام يحيى فنفض مدرعته، فأخذته أمه فقالت: أتأذن لي يا بني أن أتخذ لك قطعتي لبود يواريان أضراسك وينشفان دموعك؟ فقال لها: شأنك. فاتخذت له قطعتي لبود يواريان أضراسه وتنشفان دموعه، حتى ابتلتا من دموع عينيه، فحسر عن ذراعيه، ثم أخذهما فعصرهما فتحدر الدموع بين أصابعه. فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموع عينيه، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين.

وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى يحيى لم يذكر جنة ولا ناراً. فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل، وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة، فجلس في غمار الناس، والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم ير يحيى، فأنشأ يقول: حدثني حبيبي جبرائيل عن الله تبارك وتعالى أن في جهنم جبلًا يقال له السكران في أصل ذلك الجبل وادياً يقال له الغضبان، يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار.

فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال: واغفلتاه من السكران، ثم أقبل هائماً على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها: يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فإني قد تخوفت أن لا نراه إلا وقد ذاق الموت، فقامت فخرجت في طلبه حتى مرت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها: يا أم يحيى أين تريدين؟ قالت: أريد أن أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه، فهام على وجهه.

فمضت أم يحيى والفتية معها، حتى مرت براعي غنم، فقالت له: يا راعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا؟ فقال لها: لعلك تطلبين يحيى بن زكريا؟ قالت: نعم ذاك ولدي، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فقال: إني تركته الساعة على عقبة ثنية كذا وكذا ناقعاً قدميه في الماء رافعاً بصره إلى السماء يقول: وعزتك يا مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك.

وأقبلت أمه، فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل، فانطلق معها إلى المنزل. فقالت: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر؟ وتلبس مدرعة الصوف فإنه ألين، ففعل، وطبخ له عدس فأكل واستوفى، فنام فذهب في النوم فلم يقم لصلاته. فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري، فاستيقظ فقام فقال: يا رب أقلني عثرتي إلهي فوعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس، وقال لأمه: ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك، فدفعت إليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا: يا أم يحيى دعيه فإن ولدي قد كشف عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش. فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من أمره ما كان[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليه السلام[٢].

وقد اختلف فيه، لم سمي يحيى. فقيل: لأن الله أحيى به عُقر أُمه، عن ابن عباس وقيل: لأن الله سبحانه أحياه بالإيمان. أو إن الله سبحانه أحيى قلبه بالنبوة، ولم يسم أحد قبله بيحيى[٣].

(عيون الأخبار) عن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يلد فيخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلم الله يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن، وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾. وقد سلم عيسى ابن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[٤].

(الأمالي) عن الرضا عليه السلام: إن إبليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله المسيح عليه السلام يتحدث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحد منهم أشد بأساً منه بيحيى بن زكريا عليه السلام. فقال له يحيى عليه السلام: يا أبا مرة إن لي إليك حاجة فقال أنت أعظم قدراً من أن أردك بمسألة فسلني ما شئت فإني غير مخالفك فيما تريده فقال له يحيى عليه السلام: يا أبا مرة أريد أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حباً وكرامة وواعده لغد.

---

(١) أمالي الصدوق ص ٣٣ المجلس الثامن برقم ٣.

(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٢٩١ في تفسيره لسورة الدخان الآية: ٢٩.

(٣) مجمع البيان المجلد الأول ص ٧٤٠ في تفسيره لسورة آل عمران الآية: ٣٩.

(٤) عيون أخبار الرضا ج١، ص ٢٣٣ باب ٢٦ برقم ١١ والآيتان من سورة مريم: ١٥ و ٣٣.

فلما أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته يتنظر الموعد وأغلق عليه الباب إغلاقاً فما شعر حتى ساواه من خوخة[١] كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القرد وجسده على صورة الخنزير وإذا عيناه مشقوقتان طولاً وأسنانه عظم واحد بلا ذقن ولا لحية وله أربعة أيد يدان في صدره ويدان في منكبه وإذا عراقيبه قوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان وإذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاليب[٢].

فلما تأمله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال هذه المجوسية أنا الذي سننتها لهم، فقال له: وما هذه الخيوط الألوان؟ قال له: هذه جميع أصباغ النساء لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى تقع مع لونها، فافتتن الناس بها فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال: هذا كل لذة من طنبور وبربط وطبل وناي وصرناي[٣]، وإن القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوا استخفهم الطرب فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع بأصابعه ومن بين من يشق ثيابه، فقال: له: وأي الأشياء أقر لعينك؟ فقال: النساء هن فخوخي ومصائدي فإني إذا اجتمعت علي دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن فقال له يحيى عليه السلام: فما هذه البيضة التي على رأسك؟ قال: بها أتوقى دعوة المؤمنين قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها الكلاليب؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصالحين، قال يحيى عليه السلام: فهل ظفرت بي ساعة قط؟ قال: لا ولكن فيك خصلة تعجبني بها، قال يحيى عليه السلام: فما هي قال: أنت رجل أكول فإذا أفطرت وأكلت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل قال يحيى عليه السلام: فإني أعطي الله عهداً لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً ألا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك[٤].

(تفسير علي بن إبراهيم) كانت امرأة زكريا أخت مريم بنت عمران بن ماثان ويعقوب بن ماثان[٥] وبنو ماثان إذ ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم من ولد سليمان بن داود عليه السلام فطلب من الله سبحانه ولداً وارثاً[٦].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل

---

(١) الخوخة: كوة تؤدي الضوء إلى البيت.
(٢) كلاليب جمع كلاّب: حديدة معطوفة يعلق بها اللحم وغيره.
(٣) صرناي كالناي: آله من آلات الطرب ينفخ فيها.
(٤) بحار الأنوار ج ١٤، ص ١٧٢ نقلاً عن أمالي الطوسي.
(٥) في المصدر العبارة خالية عن قوله: يعقوب بن ماثان.
(٦) تفسير القمي ج٢، ص ٤٨ في تفسيره لسورة مريم الآية: ٥.

منه إلا وذكر يحيى بن زكريا عليه السلام. وقال يوماً: إن من هوان الدنيا على الله عز وجل أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل(١).

(كتاب الاحتجاج) سأل سعد بن عبد الله القائم عليه السلام: عن تأويل ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فقال عليه السلام: هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عليها عبده ثم قصها على محمد صلى الله عليه وآله.

وذلك أن زكريا عليه السلام سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فأهبط الله عليه جبرائيل فعلمه إياها. فكان زكريا عليه السلام إذا ذكر محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن عليهما السلام انكشف عنه همه وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة - يعني الزفير وتتابع النفس -، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي، فأنبأه الله تعالى عن قصته فقال: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فالكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد وهو ظالم الحسين عليه السلام والعين عطشه والصاد صبره.

فلما سمع ذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب. وكان يرثيه ويقول: إلهي أتفجع خير خلقك بولده؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه؟ إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحل كربة هذه المصيبة بساحتهما.

ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر، فإذا رزقتنيه فأفتني بحبه، ثم افجعني به، كما تفجع محمداً حبيبك بولده. فرزقه الله يحيى عليه السلام وفجعه به. وكان حمل يحيى عليه السلام ستة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك(٢).

(علل الشرائع) بالإسناد إلى وهب قال: انطلق إبليس يستقري مجالس بني إسرائيل أجمع ويقول في مريم ! ويقذفها بزكريا! حتى التحم الشر وشاعت الفاحشة على زكريا عليه السلام!

فلما رأى زكريا ذلك هرب، واتبعه سفهاؤهم وشرارهم! وسلك في واد، حتى إذا توسطه انفرج له جذع شجرة فدخل فيه وانطبقت عليه الشجرة، وأقبل إبليس يطلبه معهم حتى انتهى إلى الشجرة التي دخل فيها زكريا عليه السلام فقاس لهم إبليس الشجرة من أسفلها إلى أعلاها، حتى إذا وضع يده على موضع القلب من زكريا عليه السلام أمرهم فنشروا بمنشارهم وقطعوا الشجرة وقطعوه في وسطها! ثم تفرقوا عنه وتركوه وغاب عنهم إبليس حتى فرغ مما أراد. فكان آخر العهد منهم به ولم يصب زكريا عليه السلام من ألم المنشار شيء. ثم بعث الله عز وجل الملائكة فغسلوا زكريا

---

(١) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٧٧٩ في تفسيره لسورة مريم، الآية: ٧.

(٢) الاحتجاج، ص ٤٦٣ في أجوبة الإمام المنتظر (عج) على مسائل سعد بن عبد الله.

وصلوا عليه ثلاثة أيام من قبل أن يدفن. وكذلك الأنبياء عليهم السلام لا يتغيرون ولا يأكلهم التراب ويصلى عليهم ثلاثة أيام، ثم يدفنون(١).

(إكمال الدين) عن الصادق عليه السلام قال: أفضى الأمر بعد دانيال إلى عزير وكانوا يجتمعون إليه ويأخذون عنه معالم دينهم. فغيب الله عنهم شخصه مائة عام، ثم بعثه، وغابت الحجج بعده، واشتدت البلوى على بني إسرائيل، حتى ولد يحيى بن زكريا عليه السلام وترعرع.

فظهر وله سبع سنين، فقام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم أن محن الصالحين إنما كانت لذنوب بني إسرائيل، ووعدهم الفرج بقيام المسيح عليه السلام بعد نيف وعشرين سنة من هذا القول(٢).

(قصص) الراوندي عنه عليه السلام قال: إن ملكاً كان على عهد يحيى بن زكريا عليه السلام، لم يكفه ما كان عليه من الطروقة، حتى تناول امرأة بغيّاً، فكانت تأتيه حتى أسنت! فلما أسنت هيأت ابنتها ثم قالت لها: إني أريد أن آتي بك الملك، فإذا واقعك فيسأل ما حاجتك فقولي حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا. فلما واقعها، سألها عن حاجتها فقالت قتل يحيى بن زكريا.

فبعث إلى يحيى عليه السلام فجاؤوا به، فدعا بطشت فذبحه فيها، وصبوه على الأرض، فيرتفع الدم ويعلو، فأقبل الناس يطرحون عليه التراب، فيعلو عليه الدم حتى صار تلّاً عظيماً، ومضى ذلك القرن.

فلما كان من أمر بخت نصر ما كان رأى ذلك الدم فسأل عنه فلم يجد أحداً يعرفه حتى دل على شيخ كبير فسأله فقال: أخبرني أبي عن جدي أنه كان من قصة يحيى بن زكريا عليه السلام كذا وكذا، وقص عليه القصة والدم معه، فقال بخت نصر: لا جرم لأقتلن عليه حتى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً. فلما وفى عليه سكن الدم(٣).

وفيه، عن أبي عبد الله أن الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه، انتصر لهم بشرار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه، انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى بن زكريا ببخت نصر(٤).

وفي خبر آخر: إن عيسى ابن مريم عليه السلام بعث يحيى بن زكريا عليه السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وينهوهم عن نكاح ابنة الأخت، قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه! وكان يريد أن يتزوجها.

فلما بلغ أمها أن يحيى نهى عن مثل هذا النكاح، أدخلت ابنتها على الملك مزينة، فلما رآها سألها عن حاجتها قالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال: سليني غير هذا. فقالت:

---

(١) علل الشرائع ج١، ص ١٠٠ باب ٧١.
(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ١٧٩ - ١٨٠.
(٣) و(٤) قصص الراوندي ص ٢١٧ - ٢١٩ برقم ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٨.

لا أسألك غير هذا. فلما أبت دعا بطشت ودعا يحيى فذبحه! فبدرت قطرة من دمه فوقعت على الأرض، فلم تزل تعلو، حتى بعث الله بخت نصر عليهم، فقتل منهم سبعين ألفاً حتى سكن[١].

(قصص الراوندي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغيّ، وإن قاتل يحيى بن زكريا ابن بغي، وإن قاتل علي عليه السلام ابن بغي. وكانت مراد تقول: ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً، وإن قاتل الحسين بن علي عليه السلام ابن بغي، وإنه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغايا.

وقال: في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال يحيى بن زكريا عليه السلام: لم يكن له سميٌّ قبله، والحسين بن علي لم يكن له سمي قبله، وبكت السماء عليهما أربعين صباحاً، وكذلك بكت الشمس عليهما وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء. وقيل: أي بكاء أهل السماء وهم الملائكة[٢].

أقول: ذكرنا الأخبار الواردة في بكاء السموات والأرضين والشمس والقمر على الحسين عليه السلام في المجلدة الثانية من كتابنا الموسوم بـ (رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار). وورد أن البكاء كان بأنواع مختلفة، وكلها حق.

(الكافي) عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: كان يحيى بن زكريا يبكي ولا يضحك وكان عيسى ابن مريم يضحك ويبكي وكان الذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الذي كان يصنع يحيى[٣].

وفي (الكامل) أن يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وذلك أن أمه كانت حاملاً به، فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها: يا مريم أحامل أنت؟ قالت: لماذا تسأليني؟ قالت إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك تصديقه. وقيل: صدّق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين. وقيل: ستة أشهر، وكان يأكل العشب وأوراق الشجر.

وقيل: كان يأكل خبز الشعير، فمر به إبليس ومعه رغيف شعير، فقال أنت تزعم أنك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير؟ فقال يحيى: يا ملعون هو القوت، فقال إبليس: إن أقل من القوت يكفي لمن يموت، فأوحى الله إليه: اعقل ما يقول لك[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قصص الراوندي ص ٢١٩ برقم ٢٩٠.

(٣) أصول الكافي ج٢، ص ٦٦٥ كتاب العشرة.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ص ٢٩٩ - ٣٠١.

الباب الثامن عشر
في قصص عيسى وأمه عليهما السلام وفيه فصول

الفصل الأول
في ولادة مريم وبعض أحوالها

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها فتقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم، فيقال: أنتِ أحسن أم هذه قد حسناها فلم تفتتن. . . الحديث[1].

(العياشي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت[2]، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام. فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت: والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلّا شيء آثرتك به، قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألي ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء عفواً، وإلا فلا تسأليه.

قال: فخرج عليه السلام فلقي رجلًا فاستقرض منه ديناراً، ثم أقبل به، وقد أمسى، فلقيه المقداد بن الأسود الكندي، فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجوع والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين، قال: هو الذي أخرجني وقد استقرضت ديناراً وسأآثرك به فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وفاطمة تصلي وبينهما شيء مغطى.

فلما فرغت أحضرت ذلك الشيء فإذا جفنة من خبز ولحم، قال: يا فاطمة أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أحدثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريا إذ دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقاً ﴿قَالَ

---

(١) روضة الكافي ص ٢٢٨ برقم ٢٩١.

(٢) قم البيت: كنس البيت أو تنظيفه.

﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[١]. فأكلوا منها شهراً، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام وهي عنده[٢].

تفسير علي بن إبراهيم: أوحى الله إلى عمران: إني واهب لك ولداً يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله فبشر عمران زوجته بذلك، فحملت فقالت رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً للمحراب، وكانوا إذا نذروا نذراً محرراً جعلوا ولدهم للمحراب.. ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ الآية[٣]. فوهب الله عيسى.

وقال الصادق عليه السلام: إن قلنا لكم في الرجل منا قولًا فلم يكن فيه، وكان في ولده وولد ولده، فلا تنكروا ذلك، إن الله أوحى إلى عمران: إني واهب لك ذكراً مباركاً يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذني وجاعله رسولًا إلى بني إسرائيل فحدث امرأته عنه بذلك. فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فلما وضعتها أنثى قالت رب إني وضعتها أنثى. فلما وهب الله لمريم عيسى عليه السلام كان هو الذي بشر الله به عمران ووعده إياه. ولما ولدت مريم كفل زكريا تربيتها[٤].

(قصص الراوندي) بإسناده إلى محمد بن أبي طلحة قال: قلت للرضا عليه السلام أيأتي الرسل عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه؟ قال: نعم إن شئت حدثتك به وإن شئت أتيت به من كتاب الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ الآية[٥] فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم، وقال عمران: إن الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبياً في سنتي هذه وشهري هذا ثم غاب، وولدت امرأته مريم وكفلها زكريا، فقالت طائفة صدق نبي الله، وقال الآخرون: كذب. فلما ولدت مريم عيسى قالت الطائفة التي أقامت على صدق عمران هذا الذي وعدنا الله[٦].

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٧.

(٢) تفسير العياشي ج١، ص ١٧١ في تفسيره لسورة آل عمران برقم ٤١.

(٣) سورة آل عمران؛ الآية: ٣٦.

(٤) تفسير القمي ج١، ص ١٠٠ في تفسيره لسورة آل عمران الآية: ٣٦.

(٥) سورة المائدة؛ الآية: ٢١.

(٦) قصص الراوندي ص ٢١٤ برقم ٢٨٠.

الفصل الثاني
في ولادة عيسى عليه السلام وفي معجزاته ونقش خاتمه وطرف مما يلائم ذلك

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يعش مولود قط لستة أشهر غير الحسين وعيسى ابن مريم عليهما السلام [(١)].

وفيه، عن حفص بن غياث قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يتخلل بساتين الكوفة فانتهى إلى نخلة، فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمسمائة تسبيحة، ثم استند إلى نخلة فدعا بدعوات ثم قال يا حفص إنها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[(٢)].

تفسير علي بن إبراهيم ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[(٣)]. قال: خرجت إلى النخلة اليابسة ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[(٤)] قال: في محرابها ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبرئيل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فقال جبرائيل ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[(٥)] فأنكرت ذلك، لأنه لم يكن في العادة أن تحمل المرأة من غير فحل، فـ ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[(٦)] ولم يعلم جبرائيل عليه السلام أيضاً كيفية القدرة فقال لها: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾[(٧)].

قال: فنفخ في جيبها فحملت بعيسى في الليل فوضعته في الغداة، وكان حملها تسع ساعات[(٨)] جعل الله لها الشهور ساعات، ثم ناداها جبرائيل عليه السلام: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ ـ أي هزي النخلة اليابسة ـ وكان ذلك اليوم سوقاً فاستقبلها الحاكة، وكانت الحياكة أنبل – أي أنفع – صناعة في ذلك الزمان فأقبلوا على بغال شهب فقالت لهم مريم: أين النخلة اليابسة؟

---

(١) أصول الكافي ج١، ص ٤٦٥ كتاب الحجة.

(٢) روضة الكافي ص ١٤٣ برقم ١١١ والآية من سورة مريم الآية: ٢٥.

(٣) و(٤) سورة مريم؛ الآيتان: ١٦ و١٧.

(٥-٧) سورة مريم؛ الآيات: ١٧-٢١.

(٨) هذا ينافي ما تقدم من أنه لم يولد لستة أشهر إلا عيسى ابن مريم، ولم يسند القمي ذلك إلى حديث (عن البحار).

فاستهزؤوا بها وزجروها! فقالت لهم: جعل الله كسبكم نزراً - أي قليل النفع - وجعلكم في الناس عاراً، فاستقبلها قوم من التجار فدلوها على النخلة اليابسة، فقالت لهم: جعل الله البركة في كسبكم وأحوج الناس إليكم. فلما بلغت النخلة أخذها المخاض فوضعت بعيسى عليه السلام.

فلما نظرت إليه قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[1] ماذا أقول لخالي وماذا أقول لبني إسرائيل؟ فناداها عيسى من تحتها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[2]. أي نهراً - وحركي النخلة تساقط عليك رطباً جنياً. وكانت النخلة قد يبست منذ دهر، فمدت يدها إلى النخلة فأورقت وأثمرت وسقط عليها الرطب الطري فطابت نفسها.

وقال لها عيسى: قمّطيني ثم افعلي كذا وكذا، فقمّطته وسوّته وقال لها عيسى ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ - وصمتاً، كذا نزلت - ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[3].

ففقدوها في المحراب، فخرجوا في طلبها، وخرج زكريا فأقبلت وهو في صدرها، وأقبلن مؤمنات بني إسرائيل يبسرن[4] في وجهها، فلم تكلمهن، حتى دخلت في محرابها، فجاء إليها بنو إسرائيل وزكريا فقالوا لها يا مريم ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[5].

ومعنى قوله: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ إن هارون كان رجلاً زانياً فاسقاً، فشبهوها به، من أين هذا البلاء الذي جئت به ﴿فَأَشَارَتْ﴾ إلى عيسى في المهد فقالوا ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[6] فأنطق الله عيسى عليه السلام: فـ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ الآية[7].

(الأمالي) بإسناده إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج، اجتاز بالزوراء[8]، فقال للناس: إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة.

فلما أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له، فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك! قال ولم؟ قال: لأنها لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي يقاتل في سبيل الله عز وجل، هكذا نجد في كتبنا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وصي سيد الأنبياء وسيد الأوصياء، فقال له الراهب: فأنت إذن أصلح قريش ووصي محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له أمير المؤمنين: أنا ذلك فنزل

(١-٣) سورة مريم؛ الآيات: ١٧-٢١.

(٤) في نسخة والمصدر: يبزقن.

(٥-٦) سورة مريم؛ الآيات: ٢٧ - ٢٩.

(٧) تفسير القمي ج٢، ص ٤٨ - ٥٠.

(٨) الزوراء: دجلة بغداد وقيل إنها مدينة أبي جعفر المنصور وهي في الجانب الغربي ببغداد.

الراهب إليه فقال له: خذ عليّ شرائع الإسلام، إني وجدت في الإنجيل نعتك، وأنك تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام.

فأتى أمير المؤمنين موضعاً، فلكزه برجله فانبجست عين خرّارة(١)، فقال: هذه عين مريم التي أُنبعت لها، ثم قال: اكشفوا ها هنا على سبعة عشر ذراعاً فكشف، فإذا هو بصخرة بيضاء، فقال علي عليه السلام: على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها، وصلت ها هنا. ثم قال: أرض براثا هذه بيت مريم عليها السلام(٢).

(التهذيب) عن علي بن الحسين عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾. قال: خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء، فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها(٣).

(علل الشرائع) عن وهب قال: لما ألجاء المخاض مريم عليها السلام إلى جذع النخلة، اشتد عليها البرد، فعمد يوسف النجار إلى حطب فجعله حولها كالحظيرة ثم أشعل فيه النار، فأصابتها سخونة الوقود من كل ناحية حتى دفئت وكسر لها سبع جوزات وجدهن في خرجه فأطعمها. فمن أجل ذلك توقد النصارى النار في ليلة الميلاد وتلعب بالجوز(٤).

(وعن) الباقر عليه السلام: إن إبليس أتى ليلة ميلاد عيسى عليه السلام فقيل له: قد ولد الليلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلا خر لوجهه، وأتى المشرق والمغرب يطلبه فوجده في بيت دير قد حفت به الملائكة، فذهب يدنو! فصاحت الملائكة: تنحّ، فقال لهم: من أبوه؟ فقالت الملائكة: فمثله كمثل آدم، فقال إبليس: لأضلّن به أربعة أخماس الناس(٥).

(وعنه) عليه السلام: لما قالت العواتق الفرية على مريم وهن سبعون ﴿لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ أنطق الله عيسى عليه السلام عند ذلك فقال لهن: ويلكن تفترين على أمي أنا عبد الله آتاني الكتاب وأقسم بالله لأضربن كل امرأة منكنّ حدّاً بافترائكنّ على أمي. قال الحكم: فقلت للباقر عليه السلام: أفضر بهنّ عيسى بعد ذلك؟ قال: نعم ولله الحمد والمنّة(٦).

(علل الشرائع) بإسناده عن وهب اليماني قال: إن يهودياً سأل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد كنت في أم الكتاب نبياً قبل أن تخلق؟ قال: نعم، قال: وهؤلاء أصحابك مثبتون معك

---

(١) أي يسمع صوت الماء منها.
(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ٢١١ نقلاً عن أمالي الطوسي.
(٣) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٢١٢.
(٤) علل الشرائع ج١، ص ٩٩ باب ٦٩ والحديث من مرويات العامة.
(٥) قصص الراوندي ص ٢٦٥ برقم ٣٠٣.
(٦) قصص الراوندي ص ٢٦٥ برقم ٣٠٤.

قبل أن يخلقوا؟ قال: نعم، قال: فما شأنك لِمَ لم تتكلم بالحكمة حين خرجت من بطن أمك كما تكلم عيسى ابن مريم على زعمك وكنت قبل ذلك نبياً؟ فقال النبي ﷺ: إنه ليس أمري كأمر عيسى ابن مريم، خلقه الله عز وجل من أم ليس له أب، كما خلق آدم من غير أب ولا من أم، ولو أن عيسى خرج من بطنها ولم ينطق بالحكمة لم يكن لأُمّه عذر عند الناس وقد أتت به من غير أب وكانوا يأخذونها كما يؤخذ به مثلها من المحصنات، فجعل الله منطقه عذراً لأُمّه(١).

(وعن الرضا عليه السلام) قال: كانت نخلة مريم العجوة ونزلت في كانون.

أقول: اختلف في أنه لم سمي بالمسيح: فقيل لأنه مُسح باليمن والبركة. وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب. وقيل إنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا أبرأه. وقيل: لأنه مسحه جبرائيل عليه السلام بجناحه وقت ولادته، لتكون عوذة من الشيطان.

وفي (تفسير العياشي) إن أصحاب عيسى سألوه أن يحيي لهم ميتاً. قال: فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح فقال له: قم بإذن الله يا سام بن نوح، فانشق القبر، ثم أعاد الكلام فخرج سام بن نوح، فقال له عيسى: أيما أحب إليك تبقى أو تعود؟ فقال: يا روح الله بل أعود إني لأجد حرقة الموت أو قال لدغة الموت في جوفي إلى يومي هذا(٢).

وفيه عن أبان بن تغلب قال سئل أبو عبد الله: هل كان عيسى ابن مريم أحيى أحداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدّة وولد؟. قال: فقال: نعم إنه كان له صديق مؤاخ له في الله، وكان عيسى يمر به فينزل عليه، وإن عيسى غاب عنه حيناً، ثم مر به ليسلم عليه فخرجت إليه أمه فقالت: مات يا رسول الله، فقال لها: أتحبين أن تريه؟ قالت: نعم، قال: إذا كان غداً أتيتك حتى أحييه بإذن الله. فلما كان من الغد أتاها فقال: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا إلى قبره فوقف عيسى ثم دعا الله، فانفرج القبر وخرج ابنها حياً.

فلما رأته أمه ورآها بكيا، فرحمهما عيسى، فقال له أتحب أن تبقى مع أمك في الدنيا؟ قال: يا رسول الله بأكل ورزق ومَدة أو بغير مدة ولا رزق ولا أكل؟ فقال له عيسى: بل بأكل ورزق ومدة تعمر عشرين سنة وتزوج ويولد لك؟ قال: فنعم إذاً. قال: فدفعه عيسى عليه السلام إلى أمه فعاش عشرين سنة وتزوج وولد له(٣).

وفي تفسير الحسن العسكري عليه السلام قال رسول الله ﷺ: يا عباد الله إن قوم عيسى عليه السلام لما سألوه أن ينزل مائدة من السماء ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ

(١) علل الشرائع ج١، ص ١٠٠ باب ٧٠.
(٢) و(٣) تفسير العياشي ج١، ص ١٧٤ - ١٧٥ برقم ٥٠ - ٥١ في تفسيره لسورة آل عمران.

﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] فأنزلها عليهم فمن كفر منهم بعد، مسخه الله إمّا خنزيراً وإمّا قرداً وإمّا دباً وإمّا هراً وإمّا على صورة بعض الطيور والدواب التي في البرّ والبحر، حتى مسخوا على أربعمائة نوع من المسخ[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: المائدة التي نزلت على بني إسرائيل مدلاة بسلاسل من ذهب عليها تسعة ألوان وتسعة أرغفة[٣].

وقيل لعيسى: ما لك لا تتزوج؟ قال: وما أصنع بالتزويج؟ قيل يولد لك، قال: وما أصنع بأولاد إن عاشوا فتنوا وإن ماتوا أحزنوا[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: وإن شئت قلت في عيسى ابن مريم فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان إدامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها وفاكهته ريحانة ما أنبتت الأرض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يتلفه ولا طمع يذله ودابته رجلاه وخادمه يداه[٥].

وفي (إرشاد القلوب) قال عيسى: خادمي يداي ودابتي رجلاي وفراشي الأرض ووسادي الحجر ودفئي في الشتاء مشارق الأرض وسراجي بالليل القمر وإدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على وجه الأرض أحد أغنى مني[٦].

أقول: معنى قوله: وإدامي الجوع، إني لا آكل شيئاً إلا بعد شدة الجوع والاشتياق إليه ولا آكل إلا إذا كان هكذا يكون مستلذاً، ويكون كأنه مع الإدام. والمراد بقوله: أغنى مني، غنى النفس وعدم الحاجة إلى الناس.

وروى المفضل عن الصادق عليه السلام: أنَّ بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على البقعة بكربلا، فأوحى الله إليها اسكني ولا تفخري عليها، فإنها البقعة المباركة التي نودي منها موسى من الشجرة، وإنها الربوة التي آويت إليها مريم والمسيح عليه السلام وإن الدالية التي غسل فيها رأس الحسين عليه السلام فيها، وفيها غسلت مريم عيسى واغتسلت لولادتها[٧].

(كتاب التمحيص) عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: هل يبتلي الله المؤمن؟

(١) سورة المائدة؛ الآية: ١١٥.
(٢) تفسير الإمام العسكري ص ٢٣٤.
(٣) تفسير العياشي ج١، ص ٣٥٠ في تفسيره لسورة المائدة برقم ٢٢٣.
(٤) من لا يحضره الفقيه ج٣، ص ٣٧٠ برقم ٤٩١٦ باب نوادر النكاح.
(٥) بحار الأنوار ج١٤، ص ٢٣٨.
(٦) إرشاد القلوب ص ١٥٦ باب ٤٨.
(٧) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٢٤٠.

فقال: وهل يبتلي إلا المؤمن؟ حتى إن صاحب يس قال: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ كان مكنعاً، قلت وما المكنع؟ قال: كان به الجذام[1].

(الأمالي) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عيسى روح الله مر بقوم مجلبين فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: يا روح الله إن فلانة بنت فلان تهدى إلى فلان ابن فلان في ليلتها هذه، قال: يجلبون اليوم ويبكون غداً، فقال قائل منهم: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه، فقال القائلون بمقالته: صدق الله وصدق رسوله، وقال أهل النفاق: وما أقرب غداً. فلما أصبحوا جاؤوا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء، فقالوا: يا روح الله إن التي أخبرتنا أمس أنها ميتة لم تمت، فقال عيسى: يفعل الله ما يشاء، فاذهبوا بنا إليها فذهبوا يتسابقون حتى قرعوا الباب، فخرج زوجها، فقال له عيسى: استأذن لي على صاحبتك، فدخل عليها فأخبرها أن روح الله وكلمته بالباب مع عدة.

قال: فتخدرت، فدخل عليها فقال لها: ما صنعت ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلا وقد كنت أصنعه فيما مضى، إنه كان يعترينا سائل في كل ليلة جمعة فنعطيه ما يقوته إلى مثلها، وإنه جاءني في ليلتي هذه وأنا مشغولة بأمري وأهلي في مشاغيل وهتف فلم يجبه أحد، ثم هتف فلم يجب، حتى هتف مراراً. فلما سمعت مقالته قمت متنكرة حتى أنلته كما كنا ننيله، فقال لها: تنحي عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعى مثل الجذع عاض على ذنبه، فقال عليه السلام: بما صنعت، صرف عنك هذا[2].

أقول: ورد في الأخبار عن السادة الأئمة الأطهار أن العلم الذي يخبر به الأنبياء عليهم السلام عن الله تعالى لا بد من وقوعه لئلا يلزم تكذيب الأنبياء عليهم السلام وهذا الحديث ينافيه ظاهراً، ويمكن الجواب أن هذا وأمثاله مما ترتب عليه وظهر منه إعجاز عيسى ورفع الكذب عنه، وقد وقع مثل هذا في أخبار النبي صلى الله عليه وآله، والجواب واحد.

(البصائر) بإسناده إلى أبي عبد الله بن الوليد قال: قال أبو عبد الله ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين عليه السلام وعيسى وموسى عليهما السلام أيهم أعلم؟ قال: قلت ما يقدّمون على أولي العزم أحداً، قال: أما إنك لو خاصمتهم بكتاب الله لحججتهم قال: قلت وأين هذا في كتاب الله؟ قال: إن الله قال لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً﴾[3] ولم يقل كل شيء، وقال في عيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[4] ولم يقل كل شيء. وقال في صاحبكم: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[5].

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٢٤٤.
(٢) أمالي الصدوق ص ٤٠٤ المجلس ٧٥ برقم ١٣.
(٣) سورة الأعراف؛ الآية: ١٤٥.
(٤) سورة الزخرف؛ الآية: ٦٣.
(٥) سورة الرعد؛ الآية: ٤٣.

(تفسير علي بن إبراهيم) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحسن فيما ناظر به ملك الروم: كان عمر عيسى في الدنيا ثلاثاً وثلاثين سنة، ثم رفعه الله إلى السماء ويهبط إلى الأرض بدمشق وهو الذي يقتل الدجال[١].

(عيون الأخبار) بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال: كان نقش خاتم عيسى حرفين اشتقهما من الإنجيل: طوبى لعبد ذكر الله من أجله وويل لعبد نسي الله من أجله[٢].

(إكمال الدين) عن الباقر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أرسل عيسى إلى بني إسرائيل خاصة، وكانت نبوته ببيت المقدس، وكان من بعده من الحواريين اثني عشر[٣].

يقول مؤلف الكتاب أيده الله تعالى: قد تعارضت الأخبار في عموم رسالة أولي العزم إلى كافة الناس خصوصاً موسى وعيسى. ففي بعض الأخبار أن رسالتهما عامة، والأنبياء الذين كانوا في عصرهم أمروا بتبليغ شرائعهم. وفي بعضها كما في الخبر ولعل الأقوى هو الأول. ويؤول هذا الحديث وما بمعناه على إرادة إرساله بالذات إلى بني إسرائيل. كما يقال في نبينا صلى الله عليه وآله إنه رسول العرب ورسول أهل مكة إذ لا خلاف في عموم رسالته إلى كافة المخلوقات.

(قصص الراوندي) بإسناده إلى أبي عبد الله بن سنان قال: سأل أبي أبا عبد الله عليه السلام هل كان عيسى يصيبه ما يصيب ولد آدم؟ قال: نعم، ولقد كان يصيبه وجع الكبار في صغره، ويصيبه وجع الصغار في كبره ويصيبه المرض، وكان إذا مسه وجع الخاصرة في صغره - وهو من علل الكبار - قال لأمه: إبغي لي عسلًا وشونيزاً وزيتاً فتعجنين به ثم ائتيني به، فأتته به فكرهه، فتقول لم تكرهه وقد طلبته؟ فيقول: هاتيه وصفته لك بعلم النبوة، وأكرهته لجزع الصبي، ويشم الدواء ثم يشربه بعد ذلك[٤].

(وعنه عليه السلام) إن عيسى كان يبكي بكاءً شديداً، فلمّا أعيت مريم بشدة بكائه، قال لها: خذي من لحا هذه الشجرة فاجعلي وجوراً ثم اسقينيه فإذا سقي بكى بكاءً شديداً، فتقول مريم: ماذا أمرتني؟ فيقول: يا أماه علم النبوة وضعف الصّبا[٥].

(عيون الأخبار) عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعدس فإنه مقدس مبارك يرقق القلب ويكثر الدمعة، وقد بارك فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى ابن مريم عليه السلام[٦].

---

(١) تفسير القمي ج٢، ص ٢٧٠ في تفسيره لسورة الشورى.
(٢) عيون أخبار الرضا ج٢، ص ٦٠ باب ٣١ برقم ٢٠٦.
(٣) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٢٥٠.
(٤) و(٥) قصص الراوندي ص ٢٧٠ برقم ٣١٥ و ٣١٦.
(٦) عيون أخبار الرضا ج٢، ص ٤٥ باب ٣١ برقم ١٣٦.

(الكافي) عن داود الرقي قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إن عيسى ابن مريم كان في شرائعه السيح[١] في البلاد. فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى ابن مريم عليه السلام. فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى جازه بسم الله بصحة يقين منه، فمشى على الماء فلحق بعيسى، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ.

قال فرمس في الماء، فاستغاث بعيسى، فتناوله من الماء فأخرجه، ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء! فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله به، فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عز وجل. قال: فتاب الرجل ورجع إلى مرتبته التي وضعه الله، فاتقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً[٢].

وعنه عليه السلام إن عيسى عليه السلام لما أن مر على شاطىء البحر رمى بقرص من قوته في البحر، فقال له بعض الحواريّين: يا روح الله وكلمته لم فعلت هذا وإنما هو من قوتك؟ قال: فعلت هذا لدابّة تأكله من دواب الماء وثوابه عند الله عظيم[٣].

الفصل الثالث

فيما جرى بينه وبين إبليس وفي حوارييه وأصحابه وفي مواعظه وحكمه عليه الصلاة والسلام

(الأمالي) عن ابن عباس: خرجت امرأة من الجن تمشي على شاطىء البحر فإذا هي بإبليس ساجداً على صخرة صماء تسيل دموعه على خديه! فقامت تنظر إليه تعجباً، ثم قالت له: ويحك يا إبليس ما ترجو بطول السجود؟ فقال لها: أيتها المرأة الصالحة ابنة الرجل الصالح أرجو إذا أبرَّ ربي عز وجل قسمه وأدخلني نار جهنم أن يخرجني من النار برحمته، ووقوع إبليس في البحر إنما كان من سماعه دعاء عيسى[٤].

(وعن) أبي عبد الله عليه السلام: إن عيسى عليه السلام صعد جبلًا بالشام اسمه أريحا فأتاه إبليس

---

(١) السيح بالكسر: الذهاب في الأرض للعبادة.

(٢) أصول الكافي ج٢، ص ٣٠٦ باب الحسد برقم ٣.

(٣) بحار الأنوار ج١٤، ص ٢٥٧.

(٤) أمالي الصدوق ص ١٧١ المجلس ٣٧ برقم ١ وللحديث صدر فيه مكالمة إبليس مع عيسى عليه السلام.

في صورة ملك فلسطين! فقال: يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص فاطرح نفسك عن الجبل، فقال عيسى عليه السلام: إن ذلك أذن لي فيه، وهذ لم يؤذن لي فيه(١).

وفي حديث آخر، عنه عليه السلام: إنه قال إبليس لعيسى عليه السلام أليس تزعم أنك تحيي الموتى؟ قال عيسى: بلى، قال فاطرح نفسك من فوق الحائط قال عيسى: ويلك إن العبد لا يجرب ربه. وقال إبليس: يا عيسى هل يقدر ربك أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟ فقال: إن الله لا يوصف بالعجز، والذي قلت لا يكون هو مستحيل بنفسه كجمع الضدين(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لقي إبليس عيسى ابن مريم فقال هل نالك من حبائلك شيء؟ قال: جدتك التي قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(٣).

أقول: معناه إن جدتك لما قالت حين وضعت وضعها أمك: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ لم يكن فيك نصيب.

(عيون الأخبار) عن علي بن الحسين بن فضال قال: قلت للرضا عليه السلام: لم سمي الحواريّون الحواريّين؟ قال: أما عند الناس فإنهم سموا حواريين، لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز الحوار، وأما عندنا: فسمي الحواريون حواريين، لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير. قال: قلت له فلم سمي النصارى نصارى؟ قال: لأنهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى بعد رجوعهما من مصر(٤).

وعنه عليه السلام: سباق الأمم ثلاث، لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب يس ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم(٥).

(الكافي) قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله، فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم. ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل(٦).

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٦٩ برقم ٣١١.
(٢) قصص الراوندي ص ٢٦٩ برقم ٣١٢.
(٣) تفسير العياشي ج١، ص ١٧١ في تفسيره لسورة آل عمران برقم ٤٠.
(٤) عيون أخبار الرضا ج٢، ص ٨٥ باب ٣٢ برقم ١٠ وعلل الشرائع ج١، ص ١٠٠ باب ٧٢.
(٥) الخصال ص ١٧٤ و ١٨٤ باب الثلاثة برقم ٢٣٠ و ٢٥٤.
(٦) أصول الكافي ج١، ص ٣٧ باب صفة العلماء برقم ٦.

وفيه، إنه سئل أبو عبد الله عليه السلام: ما بال أصحاب عيسى عليه السلام كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قال: إن أصحاب عيسى كفوا عن المعاش، وإن هؤلاء ابتلوا بالمعاش(١).

وفيه، عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحق فهل ينفعه ذلك شيئاً؟ فقال: يا محمد إنما مثل أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلا دعا فأُجيب، وإن رجلًا منهم اجتهد أربعين ليلة ثم دعا فلم يستجب له، فأتى عيسى ابن مريم عليه السلام ليشكو إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء.

قال: فتطهر عيسى وصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجلّ فأوحى عز وجل إليه: يا عيسى إن عبدي أتاني من غير الباب الذي أُوتى منه، إنه دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتى ينقطع عنقه وتنتثر أنامله ما استجبت له. قال: فالتفت إليه عيسى عليه السلام فقال: تدعو ربك وأنت في شك من نبيه؟ فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت! فادع الله أن يذهب به عني. قال: فدعى له عيسى، فتاب الله عليه وقبل منه، وصار في حدّ أهل بيته(٢).

وفي كتاب (بحار الأنوار) إن عيسى عليه السلام جمع بعض الحواريين في بعض سياحته، فمروا على بلد، فلما قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق، فقال من معه: ائذن لنا يا روح الله أن نقيم ها هنا ونحوز هذا الكنز لئلا يضيع؟ فقال لهم: أقيموا ها هنا وأنا أدخل البلد ولي كنز أطلبه.

فلما دخل البلد وجال فيه، رأى داراً خربة فدخلها، فوجد فيها عجوزاً فقال لها: أنا ضيفك في هذه الليلة وهل في الدار أحد غيرك، قالت: نعم لي ابن صغير مات أبوه وبقي يتيماً في حجري وهو يذهب إلى الصحارى ويجمع الشوك ويبيعه ونتعيش به. فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفاً صالحاً يسطع من جبينه أنوار الهدى والصلاح، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن على عيسى عليه السلام وأكرمه.

فلما كان في بعض الليل سأل عيسى عليه السلام الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها وتفرس فيه آثار العقل والاستعداد للترقي على مدارج الكمال، لكن وجد فيه أن قلبه مشغول بهمّ عظيم، فقال: يا غلام أرى قلبك مشغولاً بهمّ عظيم فأخبرني لعله يكون عندي دواء دائك.

فلما بالغ عيسى عليه السلام قال: نعم في قلبي هم لا يقدر على دوائه إلا الله تعالى فقال: أخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال الغلام: إني كنت يوماً أحمل الشوك إلى البلد،

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٢٧٨.

(٢) أصول الكافي ج٢، ص ٤٠٠ باب الشك برقم ٩.

فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت إلى القصر فوقع نظري عليها فدخل حبها شغاف قلبي وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء إلا الموت، فقال عيسى عليه السلام: إن كنت تريدها أنا أحتال حتى تتزوجها. فجاء الغلام إلى أمه وأخبرها بقوله فقالت أمه: يا ولدي إني لا أظن أن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به فاسمع له وأطعه في كل ما يقول.

فلما أصبحوا قال عيسى عليه السلام للغلام: اذهب إلى باب الملك فإذا أتى خواص الملك ليدخلوا عليه، قل لهم: أبلغوا الملك عني أني جئته خاطباً كريمته ثم ائتني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك.

فأتى الغلام باب الملك، فلما قال ذلك لخاصته ضحكوا وتعجبوا من قوله ودخلوا على الملك وأخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك. فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئاً به: لا أعطيك ابنتي إلا أن تأتيني من اللآلىء واليواقيت والجواهر كذا وكذا ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا، فقال الغلام: أنا أذهب وآتيك بجواب هذا الكلام فرجع إلى عيسى عليه السلام فأخبره بما جرى فذهب به عيسى عليه السلام إلى خربة فيها أحجار ومدر كبار فدعا الله تعالى فصيرها كلها من جنس ما طلب الملك وأحسن منها فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به إلى الملك فلما أتى الملك بها تحير الملك وأهل مجلسه في أمره وقالوا: لا يكفينا هذا فرجع إلى عيسى عليه السلام فأخبره فقال: اذهب إلى الخربة وخذ منها ما تريد واذهب بها إليهم فلما رجع بأضعاف ما أتى به أولاً زادت حيرتهم وقال الملك: إن لهذا شأناً غريباً فخلا بالغلام واستخبره عن الحال فأخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى وما كان من عشقه لابنته فعلم الملك أن الضيف هو عيسى عليه السلام فقال: قل لضيفك يأتيني ويزوجك ابنتي، فحضر عيسى عليه السلام وزوجها منه وبعث الملك ثياباً فاخرة إلى الغلام فألبسها إياه وجمع بينه وبين ابنته تلك الليلة فلما أصبح طلب الغلام وكلمه فوجده عاقلاً فهماً فلم يكن للملك ولد غير هذه الابنة فجعله الملك ولي عهده ووارث ملكه وأمر خواصه وأعيان مملكته ببيعته وطاعته.

فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فأجلسوا الغلام على سرير الملك وأطاعوه وسلموا إليه خزائنه فأتاه عيسى عليه السلام في اليوم الثالث ليودعه فقال الغلام: أيها الحكيم إن لك عليَّ حقوقاً لا أقوم بشكر واحد منها ولكن عرض في قلبي البارحة أمر لو لم تجبني عنه لم أنتفع بشيء مما حصلتها لي، فقال: ما هو؟ قال الغلام: إنك قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى تلك الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك وأراك في تلك الحالة؟ فلما أحفى في السؤال قال له عيسى: إن العالم بالله وبدار ثوابه وكرامته والبصير بفناء الدنيا وخستها لا يرغب إلى هذا الملك الزائل وإن لنا في قربه تعالى ومعرفته ومحبته لذات روحانية لا تعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً فلما أخبره بعيوب الدنيا وآفاتها ونعيم الآخرة ودرجاتها. قال له الغلام: فلي عليك حجة أُخرى لم اخترت لنفسك ما هو أولى وأحرى وأوقعتني في هذه البلية الكبرى فقال عيسى عليه السلام: إنما اخترت لك ذلك لأمتحنك في عقلك وذكائك وليكون لك الثواب في ترك

هذه الأمور الميسرة لك أكثر وأوفى وتكون حجة على غيرك. فترك الغلام الملك ولبس أثوابه البالية وتبع عيسى عليه السلام فلما رجع إلى الحواريين قال: هذا كنزي الذي كنت أظنه في هذا البلد فوجدته والحمد لله(١).

(الأمالي) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام توجه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فمرّ بلبنات ثلاث من ذهب على ظهر الطريق فقال لأصحابه: إن هذا يقتل الناس ثم مضى، فقال أحدهم: إن لي حاجة قال: فانصرف ثم قال الآخر: إن لي حاجة فانصرف ثم قال الآخر: إن لي حاجة فانصرف فوافوا عند الذهب ثلاثتهم فقال اثنان لواحد: اشتر لنا طعاماً فذهب يشتري لهما طعاماً فجعل فيه سماً ليقتلهما كي لا يشاركاه في الذهب وقال الاثنان: إذا جاء قتلناه كي لا يشاركنا فلما جاء قاما إليه فقتلاه ثم تغديا فماتا فرجع إليهم عيسى عليه السلام وهم موتى حوله فأحياهم بإذن الله تعالى ذكره ثم قال: ألم أقل لكم إن هذا يقتل الناس(٢).

(التوحيد) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: لما ولد عيسى ابن مريم كان ابن شهرين فلما كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتاب وأقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب: قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال المؤدب: قل أبجد فرفع عيسى رأسه فقال: وهل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدّرة ليضربه فقال: يا مؤدب لا تضربني إن كنت تدري وإلا فاسألني حتى أفسر لك قال: فسر لي فقال عيسى عليه السلام: أما الألف فآلاء الله والباء بهجة الله والجيم جمال الله والدال دين الله، هوز الهاء هول جهنم والواو ويل أهل النار والزاء زفير جهنم، حطي حطت الخطايا عن المستغفرين، كلمن كلام الله لا مبدل لكلماته، سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء، قرشت قرشهم فحشرهم. فقال المؤدب: أيتها المرأة خذي بيد ابنك فقد علم ولا حاجة له في المؤدّب(٣).

(الأمالي) مسنداً إلى الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه ثم مرّ به من القابل فإذا هو ليس يعذب فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب فأوحى الله عز وجل إليه يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه قال: فقال عيسى ابن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا عليه السلام إذا قيل فيك ما فيك فاعلم أنه ذنب ذكرته فاستغفر الله منه وإن قيل فيك ما ليس فيك فاعلم أنها حسنة كتبت لك لم تتعب فيها(٤).

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٢٨٠ - ٢٨٢.
(٢) أمالي الصدوق ص ١٥٢ المجلس ٣٤ برقم ٥.
(٣) التوحيد ص ٢٣٦ باب ٣٣ وأمالي الصدوق المجلس ٥٢ برقم ١.
(٤) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٢٨٧.

وفي مواعظ المسيح عليه السلام يا علماء السوء ليس أمر الله على ما تتمنون وتتخيرون بل للموت تتوالدون وللخراب تبنون وتعمرون وللوارثين تمهدون وبحق أقول لكم إن موسى عليه السلام كان يأمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين وأنا أقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولكن قولوا لا ونعم. يا بني إسرائيل عليكم بالبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإني أخاف أن لا تقوموا بشكره[(١)].

(علل الشرائع) عن أمير المؤمنين عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله قال مرّ أخي عيسى ابن مريم عليه السلام بمدينة وفيها رجل وامرأة صالحان فقال: وما شأنكما؟ قال: يا نبي الله إن هذه امرأتي وليس بها بأس صالحة ولكني أحب فراقها قال فما شأنها؟ قال: هي خلقة الوجه من غير كبر، قال لها: إذا أكلت فإياك أن تشبعين لأن الطعام إذا تكاثر على الصدر فزاد في القدر ذهب ماء الوجه ففعلت ذلك فعاد وجهها طرياً[(٢)].

وقال عليه السلام مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا في ثمارها الدودة فشكوا إليه ما بهم فقال: دواء هذا معكم وليس تعلمون أنتم قوم إذا غرستم الأشجار صببتم التراب ثم صببتم الماء وليس هكذا يجب بل ينبغي أن تصبوا الماء في أصول الشجرة ثم تصبوا التراب لكيلا يقع فيه الدود فاستأنفوا كما وصف فذهب ذلك عنهم[(٣)].

وقال عليه السلام: مرّ أخي عيسى عليه السلام بمدينة فإذا وجوههم صفر وعيونهم زرق فصاحوا إليه وشكوا ما بهم من العلل فقال دواؤه معكم أنتم إذا أكلتم اللحم طبختموه غير مغسول وليس شيء يخرج من الدنيا إلا بجنابة فغسلوا بعد ذلك لحومهم فذهبت أمراضهم.

وقال عليه السلام: مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة وإذا أهلها أسنانهم منتثرة ووجوههم منتفخة فشكوا إليه فقال أنتم إذا نمتم تطبقون أفواهكم فتغلي الريح في الصدور حتى تبلغ إلى الفم فلا يكون لها مخرج إلى أصول الأسنان فيفسد الوجه فإذا نمتم فافتحوا شفاهكم وصيروه لكم خلقاً ففعلوا، فذهب ذلك عنهم[(٤)].

(الاختصاص) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله تعالى وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه فقيل يا روح الله وما

---

(١) تحف العقول ص ٣٨٠ في باب مواعظ المسيح عليه السلام.
(٢) علل الشرائع ج٢، ص ٢١١ باب ٢٥٢.
(٣) علل الشرائع ج٢، ص ٢٩٧ باب ٣٧٦.
(٤) علل الشرائع ج٢، ص ٢٩٨ باب ٣٧٧.

الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له، لا عليه! ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته(١).

(وروي) أن عيسى عليه السلام مرّ مع الحواريين على جيفة، فقال الحواريون: ما أنتن ريح الكلب! فقال عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه(٢). وقيل له: لو اتخذت بيتاً، فقال: يكفينا خلقان من كان قبلنا(٣).

(وروي) أن عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد يوماً، فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه، فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها، فإذا فيها امرأة، فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه، فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: إلهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله تعالى إليه: مأواك في مستقر رحمتي، وعزتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حورية، خلقتها بيدي، ولأطعم في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادي: أين الزهاد في الدنيا، احضروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم(٤).

(وروي) أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا، فرآها في صورة عجوز هتماء(٥)، - يعني منكسرة الثنايا - عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت فقالت: لا أحصيهم قال: وكلهم مات عنك أو كلهم طلقك، فقالت: بل كلهم قتلت؟ فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحداً واحداً، ولا يكونون منك على حذر(٦).

وقيل: بينما عيسى ابن مريم جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير به الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام: اللهم اردد إليه الأمل، فقام يعمل بمسحاته، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي(٧).

---

(١) الاختصاص، ص ٢٢١.
(٢) تنبيه الخواطر ج١، ص ١١٧ باب الغيبة.
(٣) تنبيه الخواطر ج١، ص ١٣١ باب ذم الدنيا.
(٤) تنبيه الخواطر ج١، ص ١٣٢ باب ذم الدنيا.
(٥) الهتماء: مؤنث الأهتم وهو الذي سقط مقدم أسنانه.
(٦) تنبيه الخواطر ج١، ص ١٤٦ باب ذم الدنيا.
(٧) تنبيه الخواطر ج١، ص ٢٧٢ بيان ذكر طول الأمل وهناك الكثير من المواعظ لسيدنا المسيح عليه السلام فمن أراد فليراجع كتاب تحف العقول وتنبيه الخواطر.

الفصل الرابع
في تفسير ما يقوله الناقوس وفي رفعه عليه السلام إلى السماء

(الأمالي ومعاني الأخبار) بالإسناد إلى الحارث الأعور قال: بينا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة، إذ نحن بديراني يضرب الناقوس، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: يا حارث أتدري ما يقول الناقوس؟ قلت: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم، قال: إنه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول لا إله إلا الله حقاً حقاً صدقاً صدقاً، إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستقوتنا، يا ابن الدنيا مهلًا مهلًا يا ابن الدنيا دقاً دقاً يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنا إلا أوهى منا ركناً قد ضيعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا.

فقال الحارث: يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلهاً من دون الله عز وجل. قال: فذهبت إلى الديراني. فقلت له: بحق المسيح عليك لما ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها قال: فأخذ يضرب وأنا أقول حرفاً حرفاً، حتى بلغ إلى قوله إلا لو قد متنا، فقال بحق نبيكم من أخبركم بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس، قال: وهل بينه وبين النبي من قرابة؟ قلت هو ابن عمه، قال بحق نبيكم أسمع هذا من نبيكم؟ قال: قلت نعم، فأسلم. ثم قال لي: والله، إني وجدت في التوراة: إنه يكون في آخر الأنبياء[١].

(إكمال الدين) عنه عليه السلام قال: لما ملك اسيخ بن اشكان وملك مائتين وستاً وستين سنة، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام واستودعه النور والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى الإيمان بالله فمكث ثلاثاً وثلاثين سنة، حتى طلبته اليهود وادعت أنها قتلته! وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه وإنما شبه لهم... الحديث[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام: لما كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون، وكذلك كانت الليلة التي رفع فيها عيسى ابن مريم، وكذلك الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر، إلا وجد تحته دم عبيط، حتى طلع الفجر، وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين صلوات الله عليه[٣].

(تفسير علي بن إبراهيم) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا عند المساء وهم اثنا عشر رجلًا فأدخلهم بيتاً، ثم خرج عليهم من عين

---

(١) أمالي الصدوق ص ١٨٧ المجلس ٤٠ برقم ٣.

(٢) و(٣) بحار الأنوار ج١٤، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إن الله رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود، فأيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ قال شاب منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هو ذا فقال عيسى: إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة؟ فقال له رجل: أنا منهم؟ فقال عيسى عليه السلام: أتحس بذلك في نفسك فلتكن هو.

ثم قال لهم عيسى عليه السلام: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق، فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم رفع الله عيسى من زاوية البيت وهم ينظرون إليه. ثم قال: إن اليهود جاءت في طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إن منكم لمن يكفر بي من قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشاب الذي ألقي عليه شبح عيسى عليه السلام فقتل وصلب وكفر الذي قال له: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة(١).

(قصص الراوندي) عنه عليه السلام قال: لما اجتمعت اليهود على عيسى عليه السلام ليقتلوه بزعمهم! أتاه جبرائيل عليه السلام فغشاه بجناحه ونظر عيسى فإذا هو بكتاب في جناح جبرائيل: اللهم إني أدعوك باسمك الواحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ثبت به أركانك كلها أن تكشف عني ما أصبحت وأمسيت فيه. فلما دعا به عيسى عليه السلام، أوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه السلام ارفعه إلى عندي.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا بني عبد المطلب سلوا ربكم بهذه الكلمات فوالذي نفسي بيده ما دعا بهن عبد بإخلاص إلا اهتز له العرش، وإلا قال الله للملائكة اشهدوا أني قد استجبت له بهن وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته. ثم قال لأصحابه: سلوا بها ولا تستبطئوا الإجابة(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: رفع عيسى ابن مريم عليه السلام بمدرعة من صوف من غزل مريم ومن خياطة مريم. فلما انتهى إلى السماء نودي يا عيسى ابن مريم ألق عنك زينة الدنيا(٣).

(عيون الأخبار) عن الرضا عليه السلام قال: ما شبه أمر أحد من أنبياء الله وحججه عليهم السلام للناس إلا أمر عيسى ابن مريم عليه السلام وحده، لأنه رفع من الأرض حياً وقبض روحه بين السماء والأرض، ثم رفع إلى السماء ورد إليه روحه. وذلك قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(٤).

وروي أنه مرّ عيسى عليه السلام برهط من اليهود، فقال بعضهم: قد جاءكم الساحر ابن الساحرة! والفاعل ابن الفاعلة: فقذفوه بأمه، فسمع ذلك عيسى عليه السلام فقال: اللهم أنت ربي

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ١٠٣ في تفسيره لسورة آل عمران الآية: ٥٥.
(٢) قصص الراوندي ص ٢٧٦ برقم ٣٣٣.
(٣) تفسير العياشي ج١، ص ١٧٥ في تفسيره لسورة آل عمران برقم ٥٣.
(٤) عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٩٣ باب ١٩ برقم ٢ وللحديث صدر وذيل في علامات الامام.

خلقتني ولم أُتهم من تلقاء نفسي، اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم قردة وخنازير.

وبلغ خبرهم يهودا وهو رأس اليهود، فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود واتفقوا على قتله! فبعث الله جبرائيل عليه السلام يمنعه منهم. فاجتمع اليهود حول عيسى عليه السلام فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود إن الله تعالى يبغضكم، فثاروا عليه ليقتلوه! فأدخله جبرائيل عليه السلام في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها، فرفعه جبرائيل عليه السلام إلى السماء. فبعث يهودا ـ رأس اليهود ـ رجلًا من أصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة ليقتله! فدخل فلم يره، فأبطأ عليهم، فظنوا أنه يقاتل في الخوخة، فألقي عليه شبه عيسى عليه السلام. فلما خرج على أصحابه قتلوه وصلبوه.

وقيل: ألقي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده. فقال بعض القوم إن الوجه وجه عيسى والجسد جسد طيطانوس. وقال بعضهم إن كان هذا عيسى عليه السلام فأين طيطانوس، فاشتبه الأمر عليهم[١].

وأما قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فذكر المفسرون فيه أقوالاً:

منها: إني قابضك إليّ ورافعك إلى السماء من غير وفاة بموت، ومعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ إني رافعك إليّ وافياً، لم ينالوا منك شيئاً من قولهم: توفيت منك كذا وكذا أي تسلمته.

ومنها: إني متوفيك وفاة نوم ورافعك إليّ في النوم من قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾.

ومنها: ما قاله ابن عباس من أن المراد: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وفاة موت كما تقدم في الحديث. وقال ابن عباس: إنه توفاه، أي أماته ثلاث ساعات.

وأما النحويون فيقولون: هو على التقديم والتأخير أي «رافعك ومتوفيك» لأن الواو لا توجب الترتيب. ويدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: عيسى عليه السلام لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة. فيكون تقديره: «إني قابضك» بالموت بعد نزولك من السماء[٢].

(الاحتجاج) سأل نافع مولى ابن عمر أبا جعفر عليه السلام: كم بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله من سنة؟ قال: أجيبك بقولك أم بقولي؟ قال: أجبني بالقولين قال: أما بقولي فخمسمائة سنة، وأما بقولك فستمائة سنة[٣].

(تفسير) علي بن إبراهيم مسنداً إلى شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج: يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني، فقلت: أيها الأمير أي آية هي؟ فقال قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا

(١) مجمعَ البيان المجلد الثاني ص ٢٠٨ في تفسيره لسورة النساء، الآية: ١٥٧.
(٢) مجمع البيان المجلد الأول ص ٧٥٩ في تفسيره لسورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٣) الاحتجاج، ص ٣٢٥ في احتجاجات الامام الباقر.

﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[١] والله إني لآمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى على نبينا وآله وعليه الصلاة ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة، يهودي وغيره إلا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي عليه السلام، قال: ويحك أنّى لك هذا ومن أين جئت به؟ قلت: حدثني محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: جئت والله بها من عين صافية[٢].

(١) سورة النساء ؛ الآية: ١٥٩.

(٢) تفسير القمي ج١، ص ١٥٨ في تفسيره للآية المذكورة.

الباب التاسع عشر

في قصص أرميا ودانيال وعزير وبخت نصر

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وفي سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾(٢).

﴿وَقَضَيْنَا﴾ أي وأوحينا إليهم في التوراة قضاء مقضياً.

﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أي إفسادين، أولهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا وقتل أرميا وثانيهما قتل يحيى وزكريا وقصد قتل عيسى.

وقوله: ﴿وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي وعد عقاب أولهما.

وقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ أي بخت نصر عامل لهراسف إلى بابل وجنوده، ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي ترددوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي وسطها، للقتل والغارة و﴿الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على الذين بعثوا عليكم.

وذلك بأن ألقى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسب شفقة عليهم، فرد أسراهم إلى الشام وملك دانيال عليهم، فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٥٩.

(٢) سورة الإسراء؛ الآيات: ٤ - ٧.

نصر. و ﴿نَفِيرًا﴾ من ينفر مع الرجل من قومه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ عقوبة ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾ بعثناهم ليجعلوا وجوههم بادية آثاراً لمساءة فيها، ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ أي ليهلكوا ﴿مَا عَلَوْاْ﴾ أي ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم.

وذلك بأن سلط الله عليهم الفرس مرة أُخرى، فغزاهم ملك بابل ودخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم، فوجد فيه دماً يغلي، فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يقبل منا فقال: ما صدقوني، فقتل عليه ألوفاً منهم، فلم يسكن الدم، ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا: إنه دم يحيى، فقال: لمثل هذا ينتقم منكم ربكم[1].

(روي) أن بخت نصر ملك بابل وكان من جيش نمرود؛ وكان لزانية لا أب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد! وأحرق التوراة! وألقى الجيف في المسجد! وقتل على دم يحيى عليه السلام سبعين ألفاً وسبى ذراريهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين ألفاً وذهب بهم إلى بابل وبقوا في مدة مائة سنة تستعبدهم المجوس.

ثم تفضل الله عليهم بالرحمة، فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه فردهم إلى بيت المقدس، فأقامهم به مائة سنة على الطريقة المستقيمة. ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي! فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله[2].

(تفسير علي بن إبراهيم) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي وعتوا عن أمر ربهم، أراد الله أن يسلط عليهم من يذلهم ويقتلهم فأوحى الله إلى أرميا: يا أرميا ما بلد انتخبته من بين البلدان وغرست فيه من كرائم الشجر فأخلف، فأنبت خرنوباً. فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا له: راجع ربك ليخبرنا ما معنى هذا المثل فصام أرميا سبعاً، فأوحى الله إليه: يا أرميا أما البلد فبيت المقدس، وأما ما أنبت فيها فبنو إسرائيل الذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصي وغيروا ديني وبدلوا نعمتي كفراً، فبي حلفت لأمتحننهم بفتنة يظل الحكيم فيها حيراناً ولأسلطن عليهم شر عبادي ولادة وشرهم طعاماً، فليتسلطن عليهم فيقتل مقاتليهم ويسبي حريمهم ويخرب بيتهم الذي يغترون به ويلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة، فأخبر إرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا: راجع ربك فقل له: ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام أرميا سبعاً ثم أكل أكلة، فلم يوح إليه شيء، ثم صام سبعاً وأكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثم صام سبعاً، فأوحى الله إليه يا أرميا لتكفَّنّ عن هذا أو لأردَّنّ وجهك إلى وراك[3].

---

(١) تفسير البيضاوي ج٢، ص ٤٣٦.

(٢) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٦١٦ في تفسيره للآيات المذكورة آنفاً.

(٣) في المصدر: إلى قفاك.

ثم أوحى الله إليه: قل لهم لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فقال أرميا: يا رب أعلمني من هو حتى آتيه وآخذ لنفسي وأهل بيتي منه أماناً قال: ائت موضع كذا وكذا فانظر إلى غلام أشدهم زمانة وأخبثهم ولادة وأضعفهم جسماً وأشرهم غذاءً فهو ذاك. فأتى أرميا إلى ذلك البلد، فإذا هو بغلام في خان زمن[1] ملقى على وسط مزبلة وإذا له أم تزّبي[2] بالكسر وتفتّ الكسر في القصعة وتحلب عليه خنزيرة لها ثم تدنيه من ذلك الغلام فيأكله.

فقال أرميا: إن كان في الدنيا الذي وصفه الله فهو هذا، فدنا منه وقال: ما اسمك؟ قال بخت نصر، فعرف أنه هو، فعالجه حتى برىء. ثم قال: تعرفني؟ قال: لا، أنت رجل صالح، فقال: أنا أرميا نبي بني إسرائيل أخبرني الله أنه سيسلطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم وتفعل بهم السوء. قال: فتاه في نفسه في ذلك الوقت، ثم قال أرميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك فكتب له كتاباً.

وكان يخرج بالجبل ويحتطب ويدخله المدينة ويبيعه، فدعا إلى حرب بني إسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس، وأقبل بخت نصر فيمن أجابه نحو بيت المقدس، وقد اجتمع إليه بشر كثير.

فلما بلغ أرميا إقباله نحو بيت المقدس، استقبله على حمار له ومعه الأمان الذي كتبه بخت نصر، فلم يصل إليه أرميا من كثرة جنوده، فصير الأمان على خشبة ورفعها، فقال من أنت؟ فقال: أنا أرميا النبي الذي بشرتك بأنك متسلط على بني إسرائيل وهذا أمانك لي، قال أما أنت فقد أمنتك وأما أهل بيتك فإني أرمي من هاهنا إلى بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي وإن لم تصل فهم آمنون، وانتزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس، فحملت الريح النشابة حتى علقتها في بيت المقدس فقال: لا أمان لهم عندي.

فلما وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة، وإذا دم يغلي وسطه، كلما ألقي عليه التراب خرج وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا نبي قتله ملوك بني إسرائيل ودمه يغلي كلما ألقي التراب خرج يغلي، فقال بخت نصر: لأقتلن بني إسرائيل أبداً حتى يسكن هذا الدم.

وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريا عليه السلام وكان في زمانه ملك جبار يزني بنساء بني إسرائيل! وكان يمر يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له يحيى: اتق الله أيها الملك لا يحل لك هذا، فقالت له المرأة من اللواتي كان يزني بهن حين سكر: أيها الملك أقتل يحيى، فأمر أن يؤتى برأسه، فأتي برأس يحيى عليه السلام في الطشت وكان الرأس يكلمه ويقول: يا هذا إتق الله لا يحل لك هذا، ثم غلى الدم في الطشت حتى فاض إلى الأرض فخرج يغلي ولا يسكن. وكان بين قتل يحيى وبخت نصر مائة سنة.

---

(١) الزمن: ذو العاهة.

(٢) الزبية: حفيرة يشتوى فيها ويخبز، يقال: زبى اللحم أي نثره في الزبية.

ولم يزل بخت نصر يقتلهم، كان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكل حيوان، والدم يغلي حتى أفنى من ثم، فقال: هل بقي أحد في هذه البلاد؟ قالوا: عجوز في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على الدم، فسكن، وكانت آخر من بقي. ثم أتى إلى بابل فبنى فيها مدينة وأقام، وحفر بئراً فألقى فيها دانيال، وألقى معه اللبوة، فجعلت اللبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، فلبث بذلك زماناً.

فأوحى الله إلى النبي الذي كان في بيت المقدس: أن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال وأقرئه السلام، قال: وأين هو يا رب؟ فقال: في بئر بابل في موضع كذا وكذا. قال: فأتاه فاطلع في البئر، فقال: يا دانيال قال: لبيك صوت غريب، قال: إن ربك يقرئك السلام قد بعث إليك بالطعام والشراب، فدلاه إليه، فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحمد لله الذي لا يخيب من دعاه الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه الحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة والحمد لله الذي يكشف ضرنا عند كربتنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع الحيل منا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين ساء ظننا بأعمالنا.

قال: فرأى بخت نصر في نومه كأن رأسه من حديد ورجلاه من نحاس وصدره من ذهب. قال: فدعا المنجمين فقال لهم: ما رأيت؟ قالوا: ما ندري ولكن قص علينا ما رأيت في المنام؟ فقال: وأنا أُجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا وما تدرون ما رأيت في المنام؟ فأمر بهم فقتلوا.

فقال له بعض من كان عنده: إن كان عند أحد شيء، فعند صاحب الجب، فإن اللبوة لم تعرض له وهي تأكل الطين وترضعه، فبعث إلى دانيال، فقال: ما رأيت في المنام؟ فقال: رأيت كأن رأسك من كذا وصدرك من كذا، وقال: هكذا رأيت فما ذاك؟ فقال: ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيام يقتلك رجل من ولد فارس.

قال: فقال له: إن عليّ لسبع مدائن على باب كل مدينة حرس وما رضيت بذلك حتى وضعت بطة من نحاس على باب كل مدينة، لا يدخل غريب إلا صاحت فيؤخذ. قال: فقال له: إن الأمر كما قلت لك. قال: فبعث الخيل وقال: لا تلقون أحداً من الخلق إلا قتلتموه! وكان دانيال جالساً عنده، قال: لا تفارقني هذه الثلاثة أيام، فإن مضت قتلتك.

فلما كان اليوم الثالث ممسياً أخذه الغم، فتلقاه غلام كان اتخذه ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنه من أهل فارس، فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلقى أحداً إلا وقتلته ولو لقيتني أنا فاقتلني، فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصر ضربة فقتله.

فخرج أرميا على حمار ومعه تين قد تزوده وشيء من عصير، فنظر إلى سباع البر وسباع البحر وسباع الجو تأكل تلك الجيف، ففكر في نفسه ساعة ثم قال: أنى يحيي الله هؤلاء - وقد

أكلتهم السباع - فأماته الله مكانه. وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي أحياه.

فلما رحم الله بني إسرائيل وأهلك بخت نصر، رد بني إسرائيل إلى الدنيا، وكان عزير لما سلط الله بخت نصر على بني إسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها، وبقي أرميا مائة سنة، ثم أحياه الله، فأول ما أحيى منه عينيه في مثل غرقىء[1] البيض فنظر فأوحى الله تعالى إليه: ﴿كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ فنظر إلى الشمس قد ارتفعت، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ﴾ أي لم يتغير - ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾ فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفرطة تجمع إليه، وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألف إلى العظام من هاهنا ومن هاهنا ويلتزق بها، حتى قام وقام حماره. فقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

أقول: قال أمين الإسلام رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هو عزير، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام. وقيل: هو أرميا، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام. وقيل: هو الخضر عليه السلام.

(قصص الراوندي) عن الرضا عليه السلام قال: إن الملك قال لدانيال: أشتهي أن يكون لي ولد مثلك، فقال: ما محلي من قلبك؟ قال: أجل محلّ وأعظمه قال دانيال عليه السلام: فإذا جامعت فاجعل همتك في قلبك[3]، ففعل الملك ذلك، فولد له ابن أشبه خلق الله بدانيال عليه السلام[4].

(وفيه) عن ابن عباس قال: قال عزير يا رب إني نظرت في جميع أمورك وأحكامها فعرفت عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه، إنك تسخط على أهل البلية فتعمهم بعذابك وفيهم الأطفال؟ فأمره الله تعالى أن يخرج إلى البرية، وكان الحر شديداً فرأى شجرة فاستظل بها ونام، فجاءت نملة فقرصته، فدلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً. فعرف أنه مثل ضرب له، فقيل له: يا عزير إن القوم إذا استحقوا عذابي قدرت نزوله عند انقضاء آجال الأطفال، فمات أولئك بآجالهم وهلك هؤلاء بعذابي[5].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: سمي بخت نصر لأنه رضع بلبن كلبة وكان اسم الكلبة بخت

---

(١) أي بياض البيض.

(٢) تفسير القمي ج١، ص ٨٦ . ٩١ في تفسيره لسورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) في المصدر: فاجعل همتك فيّ.

(٤) قصص الراوندي ص ٢٣٠، برقم ٢٧٤.

(٥) قصص الراوندي ص ٢٤٠، برقم ٢٨١.

واسم صاحبه نصر، وكان مجوسياً أغلف أغار على بيت المقدس ودخله في ستمائة ألف عام... الحديث[(١)].

(العياشي) قال: ذكر جماعة من أهل العلم أن ابن الكوا قال لعلي عليه السلام: ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال: نعم أولئك ولد عزير، حيث مرّ على قرية خربة، تحته حمار ومعه شنة فيها لبن وكوز فيه عصير، فمرّ على قرية فقال ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ فتوالد ولده وتناسلوا، ثم بعث الله إليه فأحياه في المولد الذي أماته، فأولئك ولده أكبر من أبيهم[(٢)].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: إن عزيراً خرج من أهله وامرأته في شهرها وله يومئذ خمسون سنة، فلما ابتلاه الله عز وجل بذنبه أماته الله مائة سنة ثم بعثه فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة، فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة، ورد الله عزيراً في السن الذي كان به[(٣)].

(الكافي) مسنداً إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنه كان نبي يقال له دانيال وإنه أعطى صاحب معبر[(٤)] رغيفاً لكي يعبر به، فرمى صاحب المعبر بالرغيف وقال: ما أصنع بالخبز، هذا الخبز عندنا قد يداس بالأرجل.

فلما رأى دانيال ذلك منه، رفع يده إلى السماء وقال: اللهم أكرم الخبز فقد رأيت يا رب ما صنع هذا العبد! ولما قال أوحى الله عز وجل إلى السماء أن تحبس الغيث، وأوحى إلى الأرض: أن كوني طبقاً كالفخار. قال: فلم يمطر شيء، حتى أنه بلغ من أمرهم أن بعضهم أكل بعضاً.

فلما بلغ منهم ما أراد الله من ذلك، قالت امرأة لأخرى ولهما ولدان: يا فلانة تعالي حتى آكل أنا وأنت اليوم ولدي، فإذا جعنا غداً أكلنا ولدك، قالت: نعم فأكلتاه. فلما جاعتا من غد راودت الأخرى على أكل ولدها، فامتنعت عليها، فقالت لها: بيني وبينك نبي الله، فاختصما إلى دانيال عليه السلام، فقال لهما: وقد بلغ الأمر إلى ما أرى؟ قالتا له: نعم يا نبي الله، وأشر. فرفع يده إلى السماء فقال: اللهم عد علينا بفضلك ورحمتك ولا تعاقب الأطفال، ومن فيه خير بذنب صاحب المعبر وأضرابه لنعمتك. قال: فأمر الله تعالى السماء أن أمطري على الأرض، وأمر الأرض أن أنبتي لخلقي ما قد فاتهم من خيرك، فإني قد رحمتهم بالطفل الصغير[(٥)].

(تفسير علي بن إبراهيم) قال: لما أخرج هشام بن عبد الملك أبا جعفر عليه السلام، إلى

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٢٢ برقم ٢٩٤ وللحديث صدر في نبوة أرميا.

(٢) تفسير العياشي ج١، ص ١٤١ في تفسيره لسورة البقرة برقم ٤٦٨.

(٣) بحار الأنوار ج١٤، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٤) معبر بمعنى سفينة.

(٥) بحار الأنوار ج١٤، ص ٣٧٧.

الشام سأله عالم النصارى عن مسائل فكان فيما سأله: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت بابنين جميعاً حملتهما في ساعة واحدة وماتا في ساعة واحدة ودفنا في قبر واحد، فعاش أحدهما خمسين ومائة سنة، وعاش الآخر خمسين سنة من هما؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هما عزير وعزرة، كان حمل أمهما على ما وصفت ووضعهما على ما وصفت، وعاش عزرة مع عزير ثلاثين سنة، ثم أمات الله عزيراً مائة سنة وبقي عزرة حياً، ثم بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة(١).

يقول مؤلف الكتاب أيده الله تعالى: وقع الخلاف في أن الذي أماته الله مائة عام، هل هو أرميا أو عزير، وقد دلت الروايات على كل منهما. وقيل: ولعل الأخبار الدالة على كونه عزيراً، محمولة على التقية، أو على ما يوافق أهل الكتاب، بأن يكون أجابوهم على معتقدهم.

(دعوات الراوندي) قال: أوحى الله إلى عزير: إذا وقعت في معصية فلا تنظر إلى صغرها ولكن انظر إلى من عصيت، وإذا أوتيت رزقاً مني فلا تنظر إلى قلته ولكن انظر إلى من أهداه، وإذا نزلت بك بلية فلا تشك إلى خلقي، كما لا أشكوك إلى ملائكتي عند صعود مساوئك وفضائحك(٢).

---

(١) تفسير القمي ج١، ص ٩٩ في تفسيره لسورة آل عمران الآية: ١٧ والحديث طويل في سؤالات عالم النصارى مولانا أبا جعفر عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ٣٧٩.

الباب العشرون

في قصص يونس عليه السلام وفيه أحوال أبيه متى

(تفسير علي بن إبراهيم) أبي عن ابن أبي عمير عن جميل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما رد الله العذاب إلا عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فيأبون ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم، وكان فيهم رجلان عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا والآخر روبيل، فكان العابد يشير على يونس عليه السلام بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه ويقول: لا تدع عليهم فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم. فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا.

فلما قرب الوقت خرج يونس عليه السلام مع العابد وبقي العالم فيها. فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب، فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم فيرد العذاب عنكم، فقالوا: كيف نفعل؟ قال: اخرجوا إلى المفازة وفرقوا بين النساء والأولاد وبين الإبل وأولادها وبين البقر وأولادها وبين الغنم وأولادها ثم ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا، فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال.

وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس عليه السلام لينظر كيف أهلكهم الله فرأى الراعين يزرعون في أرضهم، فقال لهم: ما فعل قوم يونس؟ فقالوا له ولم يعرفوه: إن يونس دعا عليهم، فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم، فاجتمعوا وبكوا، فدعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال، فهم ذا يطلبون يونس عليه السلام ليؤمنوا به، فغضب يونس ومرّ على وجهه مغاضباً به، كما حكى الله، حتى انتهى إلى ساحل البحر، فإذا سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها، فسألهم يونس عليه السلام أن يحملوه، فحملوه. فلما توسط البحر، بعث الله حوتاً عظيماً، فحبس عليهم السفينة، فنظر إليه يونس عليه السلام ففزع، فصار في مؤخرة السفينة، فدار إليه الحوت وفتح فاه، فخرج أهل السفينة فقالوا: فينا عاص، فتساهموا فخرج سهم يونس عليه السلام. وهو قول الله عز وجل ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[1] فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر في الماء.

---

(١) سورة الصافات ؛ الآية: ١٤١.

وقد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين عليه السلام عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه فقال: يا يهودي أما السجن الذي طاف أقطار الأرض بصاحبه فإنه الحوت الذي حبس فيه يونس عليه السلام في بطنه، فدخل في بحر القلزم، ثم خرج إلى بحر مصر ثم دخل بحر طبرستان ثم دخل في دجلة العوراء(١) ثم مرّ به تحت الأرض حتى لحق بقارون. وكان قارون هلك في أيام موسى عليه السلام ووكل الله به ملكاً يدخله في الأرض كل يوم قامة رجل، وكان يونس عليه السلام في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره فسمع قارون صوته فقال للملك الموكل به أنظرني أسمع كلام آدمي، فأوحى الله إلى الملك: أنظره، فأنظره.

ثم قال قارون: من أنت؟ قال يونس عليه السلام: أنا المذنب الخاطىء يونس بن متى، قال: فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران؟ قال: هيهات هلك، قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟ قال: هلك، قال: فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سميت لي؟ قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد، قال قارون: واأسفا على آل عمران فشكر الله له ذلك فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا، فرفع عنه.

فلما رأى يونس عليه السلام ذلك نادى ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢) فاستجاب له وأمر الحوت فلفظته على ساحل البحر وقد ذهب جلده ولحمه، وأنبت الله شجرة من يقطين فأظلته من الشمس فسكن، ثم أمر الله الشجرة فتنحت عنه ووقع الشمس عليه فجزع.

فأوحى الله إليه: يا يونس لِمَ لم ترحم مائة ألف أو يزيدون، وأنت تجزع من ألم ساعة؟ فقال: يا رب عفوك عفوك، فرد الله عليه بدنه، ورجع إلى قومه وآمنوا به. قال: فمكث يونس عليه السلام في بطن الحوت تسع ساعات(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام: ثلاث ساعات(٤).

وقال علي بن إبراهيم في قوله ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾(٥) قال هو يونس عليه السلام.

قوله ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾(٦) قال: أنزله على أشد الأمرين، فظن به أشد الظن.

وقال: إن جبرائيل عليه السلام استثنى في هلاك قوم يونس عليه السلام ولم يسمعه يونس عليه السلام قلت: ما كان حال يونس عليه السلام لما ظن أن الله لم يقدر عليه؟ قال: كان من أمر شديد، قلت: وما كان

(١) دجلة العوراء: اسم لدجلة البصرة علم لها.

(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: ٨٧.

(٣) تفسير القمي ج١، ص ٣١٧ - ٣١٩ في تفسيره لسورة يونس، الآية: ٩٨.

(٤) وقد ذكر في تفسير القمي عن رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام.

(٥) و(٦) سورة الأنبياء؛ الآية: ٨٧.

سببه حتى ظن أن الله لم يقدر عليه؟ قال: وكله الله إلى نفسه طرفة عين. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أم سلمة النبي صلى الله عليه وآله يقول في دعائه: اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، فسألته في ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة وما يؤمنني، وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين، وكان منه ما كان(١).

(عيون الأخبار) في خبر ابن الجهم أنه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾، فقال الرضا عليه السلام: ذلك يونس بن متى ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استيقن ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نضيق عليه رزقه، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾(٢) أي ضيق عليه وقتر ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت، ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت.

يقول مؤلف الكتاب أيده الله تعالى: هذا التأويل الوارد في أن سند هذا الحديث هو الموافق لمذهب الإمامية رضوان الله عليهم. وأما ما وقع في الخبر الأول، فهو موافق لمذاهب العامة.

(العياشي) عن الباقر عليه السلام في حديث طويل، قال فيه: إنه بعد ما سأل يونس ربه نزول العذاب على قومه، أوحى الله إليه: إن فيهم الحمل والجنين والطفل والشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والمستضعف، وأنا الحكم العدل، سبقت رحمتي غضبي لا أعذب الصغار بذنوب الكبار من قومك، وهم يا يونس عبادي أحب أن أتأناهم(٣) وأرفق بهم وأنتظر توبتهم، وإنما بعثتك إلى قومك لتعطف إليهم وتكون لهم كهيئة الطبيب المداوي والعالم بمداواة الداء، فخرقت بهم ولم تستعمل قلوبهم بالرفق، ثم سألتني من سوء نظرك العذاب عند قلة الصبر منك، وعبدي نوح كان أصبر منك على قومه وأحسن صحبة وأشد تأنياً، فغضبت له حين غضب لي وأجبته حين دعاني.

فقال يونس عليه السلام: يا رب إنما غضبت عليهم فيك وإنما دعوت عليهم حين عصوك فوعزتك لا أتعطف عليهم برأفة أبداً، فأنزل عليهم عذابك فإنهم لا يؤمنون أبداً فقال الله: يا يونس إنهم مائة ألف أو يزيدون من خلقي يعمرون بلادي ويلدون عبادي، ومحبتي أن أتأناهم للذي سبق من علمي فيهم وفيك، وتقديري غير علمك وتقديرك وأنت المرسل وأنا الرب الحكيم، يا يونس وقد أجبتك إلى مسألتك من العذاب عليهم وما ذلك يا يونس بأوفر لحظك عندي، وسيأتيهم عذابي في شوال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فأعلمهم ذلك.

---

(١) أخرجه المصنف مختصراً للتفصيل راجع تفسير القمي ج٢، ص ٧٤ في تفسيره للآية المذكورة.
(٢) سورة الفجر؛ الآية: ١٦.
(٣) من التأني بمعنى الرفق والمداراة.

قال: فسرّ بذلك يونس عليه السلام ولم يدر ما عاقبته، فانطلق يونس عليه السلام إلى تنوخا العابد فأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم وقال له: انطلق إليهم وأعلمهم بما أوحى الله إليّ من نزول العذاب عليهم، فقال تنوخا: فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم، حتى يعذبهم الله تعالى، فقال له يونس عليه السلام: بل نلقى روبيل فنشاوره فإنه رجل عالم حكيم من أهل بيت النبوة. فانطلقا إلى روبيل، فأخبره يونس عليه السلام بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في شوال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فقال له: ما ترى؟ انطلق بنا حتى أعلمهم ذلك، فقال له روبيل: ارجع إلى ربك رجعة نبي حكيم وسله أن يصرف عنهم العذاب فإنه غني عن عذابهم، وهو يحب الرفق بعباده، ولعل قومك بعد ما سمعت ورأيت من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأنهم. فقال تنوخا: ويحك يا روبيل ما أشرت إلى يونس عليه السلام وأمرت، بعد كفرهم بالله وجحودهم لنبيه وتكذيبهم إياه وإخراجهم إياه من مساكنه وما هموا به من رجمه، فقال روبيل لتنوخا: اسكت فإنك رجل عابد لا علم لك.

ثم أقبل على يونس عليه السلام فقال: يا يونس إذا أنزل الله العذاب على قومك يهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويبقي بعضاً؟ فقال يونس عليه السلام: بل يهلكهم جميعاً وكذلك سألته ما دخلتني لهم رحمة تعطف، فأراجع الله فيهم وأسأله أن يصرف عنهم، فقال له روبيل: أتدري يا يونس لعل الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسوا به أن يتوبوا إليه، فيرحمهم فإنه أرحم الراحمين ويكشف عنهم العذاب من بعد ما أخبرتهم عن الله أنه ينزل عليهم العذاب يوم الأربعاء فتكون بذلك عندهم كذاباً، فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل لقد قلت عظيماً، يخبرك النبي المرسل أن الله أوحى إليه أن ينزل العذاب عليهم، فترد قول الله وتشك فيه وفي قول رسول الله، اذهب فقد حبط الله عملك، فقال روبيل لتنوخا: لقد فشل رأيك، ثم أقبل على يونس عليه السلام فقال: إذا نزل الوحي والأمر من الله على ما أنزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم وقوله الحق أرأيت إذا كان ذلك فهلك قومك كلهم وخربت قريتهم أليس يمحو الله اسمك من النبوة وتبطل رسالتك وتكون كبعض ضعفاء الناس ويهلك على يديك مائة ألف من الناس؟ فأبى يونس عليه السلام أن يقبل وصيته.

فانطلق ومعه تنوخا من القرية وتنحيا عنهم غير بعيد، ورجع يونس عليه السلام إلى قومه وأخبرهم أن الله أوحى إليه أنه منزل العذاب عليكم في شوال في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فردوا عليه قوله وكذبوه وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً. فخرج يونس عليه السلام ومعه تنوخا من القرية وتنحيا عنهم غير بعيد وأقاما ينتظران العذاب. وأقام روبيل مع قومه في قريتهم، حتى إذا دخل عليهم شوال، صرخ روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبيل شفيق عليكم رحيم بكم وهذا شوال قد دخل عليكم وقد أخبركم يونس نبيكم ورسولكم أن الله أوحى إليه أن العذاب ينزل عليكم في شوال في وسط الشهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس،

ولن يخلف الله وعده ورسوله فانظروا ما أنتم صانعون؟ فأفزعهم كلامه ووقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب، فأتوا نحو روبيل وقالوا له: ما تشير علينا يا روبيل فإنك رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرأفة علينا والرحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرت به على يونس فينا، فمرنا بأمرك وأشر علينا برأيك، فقال لهم روبيل: فإني أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا إذا طلع فجر يوم الأربعاء في وسط الشهر أن تعزلوا الأطفال عن الأمهات في أسفل الجبل في طريق الأودية وتقفوا النساء في سفح الجبل ويكون هذا كله قبل طلوع الشمس فإذا رأيتم ريحاً صفراء أقبلت من المشرق فعجوا عجيج الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله والتوبة إليه وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ وكذبنا نبينا وتبنا إليك من ذنوبنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثم لا تملوا من البكاء والصراخ والتضرع إلى الله حتى تتوارى الشمس بالحجاب ويكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك. فأجمع رأي القوم جميعاً على هذا.

فلما كان يوم الأربعاء الذي توقعوا فيه العذاب، تنحى روبيل من القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا نزل. فلما طلع الفجر يوم الأربعاء، فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل. فلما بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة لها صرير وحفيف وهدير. فلما رأوها عجوا جميعاً بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله وتابوا إليه وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أمهاتها وعجت سخال[1] البهائم تطلب اللبن وعجت الأنعام تطلب المرعى. فلم يزالوا بذلك ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم وصراخهم، ويدعوان الله عليهم بتغليظ العذاب، وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم.

فلما أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الرب تعالى، فاستجاب دعاءهم وقبل توبتهم، وأوحى إلى إسرافيل أن اهبط إلى قوم يونس عليه السلام فإنهم قد عجوا إليّ بالبكاء والتضرع وتابوا فرحمتهم وأنا التواب الرحيم، وقد كان عبدي يونس سألني نزول العذاب على قومه وقد أنزلته عليهم، وأنا أحق من وفى بعهدي، ولم يكن اشترط يونس حين سألني أن أنزل عليهم العذاب، أن أهلكهم فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي، فقال إسرافيل: يا رب إن عذابك قد بلغ أكتافهم وكاد أن يهلكهم وما أراه إلا وقد نزل بساحتهم فكيف أنزل أصرفه؟ فقال الله: كلا إني قد أمرت ملائكتي أن يوقفوه ولا ينزلوه عليهم حتى يأتي أمري فيهم وعزيمتي، فاهبط يا إسرافيل عليهم واصرفه عنهم واصرفه على الجبال بناحية مفاوض العيون ومجاري السيول في الجبال العادية المستطيلة على الجبال، فأذلها به ولينها حتى تصير ملينة حديداً جامداً. فهبط إسرافيل عليهم، فنشر أجنحته، فاستاق[2] بها ذلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال.

---

(١) السخال جمع السخلة: ولد الشاة.

(٢) استاق الماشية: أي حثها على السير من خلف، عكس قادها.

قال أبو جعفر عليه السلام: وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم، فصارت حديداً إلى يوم القيامة. فلما رأى قوم يونس أن العذاب قد صرف عنهم، هبطوا من رؤوس الجبال إلى منازلهم وضموا إليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وحمدوا الله على ما صرف عنهم. وأصبح يونس عليه السلام وتنوخا يوم الخميس في موضعهما لا يشكان أن العذاب قد نزل بهم وأهلكهم جميعاً، لما خفيت أصواتهم عندهما، فأقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشمس ينظران إلى ما صار إليه القوم. فلما دنوا من القوم واستقبلهم الحطابون والحماة والرعاة بأغنامهم ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين، قال يونس لتنوخا: يا تنوخا كذبني الوحي وكذبت وعدي لقومي ولا عزة لي ولا يرون لي وجهاً أبداً بعد ما كذبني الوحي[1]. فانطلق يونس هارباً على وجهه مغاضباً لربه[2] ناحية البحر مستنكراً فراراً من أن يراه أحد من قومه فيقول له كذاب!. فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ الآية.

ورجع تنوخا إلى القرية فلقي روبيل فقال له: يا تنوخا أي الرأيين كان أصوب وأحق أن يتبع، رأيي أو رأيك؟ فقال له تنوخا: بل رأيك كان أصوب ولقد كنت أشرت برأي الحكماء العلماء. فقال تنوخا: أما إني لم أزل أرى أني أفضل منك لزهدي وفضل عبادتي حتى استبان فضلك لفضل علمك، وما أعطاك ربك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم، فاصطحبا، فلم يزالا مقيمين مع قومهما.

ومضى يونس عليه السلام على وجهه مغاضباً لربه، فكان من قصته ما أخبر الله في كتابه إلى قوله: ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾. قال أبو عبيدة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كم كان غاب يوسف عليه السلام عن قومه حتى رجع إليهم بالنبوة والرسالة فآمنوا به وصدقوه؟ قال: أربعة أسابيع سبعاً منها في ذهابه إلى البحر، وسبعاً منها في رجوعه إلى قومه. فقلت له: وما هذه الأسابيع شهور أو أيام أو ساعات؟ فقال: يا أبا عبيدة إن العذاب أتاهم يوم الأربعاء في النصف من شوال وصرف عنهم من يومهم ذلك، فانطلق يونس عليه السلام مغاضباً، فمضى يوم الخميس سبعة أيام في مسيره إلى البحر وسبعة أيام في بطن الحوت، وسبعة أيام تحت الشجرة بالعراء، وسبعة أيام في رجوعه إلى قومه، فكان ذهابه ورجوعه مسيرة عشرين يوماً، ثم أتاهم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه. فلذلك قال الله: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾[3].

(العياشي) عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال فيه: إن العذاب نزل على قوم يونس حتى

---

(١) أي باعتقاد القوم.

(٢) يقول العلامة المجلسي (ره) أي على قومه لربه أي كان غضبه لله تعالى لا للهوى، أو خائفاً من تكذيب قومه لما تخلف عنه من وعد ربه.

(٣) تفسير العياشي ج٢، ص ١٢٩ - ١٣٥ في تفسيره لسورة يونس برقم ٤٤.

نالوه برماحهم، فلبسوا المسوح والصوف ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد على رؤوسهم وضجوا ضجة واحدة إلى ربهم وقالو: آمنا بإله يونس، فصرف الله عنهم العذاب إلى جبال آمد(١).

وأصبح يونس وهو يظن أنهم هلكوا، فوجدهم في عافية فغضب وخرج، حتى ركب سفينة فيها رجلان فاضطربت السفينة فقال الملاح: يا قوم في سفينتي مطلوب، فقال يونس عليه السلام: أنا هو وقام ليلقي نفسه، فأبصر السمكة وقد فتحت فاها، فهابها وتعلق به الرجلان وقالا له: أنت واحد ونحن رجلان، فساهمهم، فوقعت السهام عليه. فجرت السنة بأن السهام إذا كانت ثلاث مرات أنها لا تخطىء.

فألقى نفسه، فالتقمه الحوت، فطاف به البحار تسعة، حتى صار إلى البحر المسجور، وبه يعذب قارون، ثم ذكر كلامه معه كما تقدم(٢).

المناقب عن الثمالي قال: دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال له: يا ابن الحسين أنت الذي تقول إن يونس بن متى، إنما لقي من الحوت ما لقي لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها! قال: ثكلتك أمك، قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين، فأمر بشدّ عينيه بعصابة وعينيّ بعصابة، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطىء البحر تضرب أمواجه. فقال ابن عمر: يا سيدي دمي في رقبتك، الله الله في نفسي، فقال: هيه وأريه إن كنت من الصادقين.

ثم قال: يا أيها الحوت، قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله، فقال: من أنت؟ قال: أنا حوت يونس يا سيدي، قال: أنبئنا بالخبر، قال: يا سيدي إن الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدك محمد صلى الله عليه وآله إلا وقد عرض عليه ولايتكم، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص، ومن توقف عنها وتتعتع(٣) في حملها لقي ما لقي آدم من الخطيئة، وما لقي نوح عليه السلام من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجب، وما لقي أيوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة إلى أن بعث الله يونس عليه السلام فأوحى الله إليه: أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين علياً والأئمة الراشدين من صلبه.

قال في كلام له: فكيف أتولى من لم أره ولم أعرفه، وذهب مغتاظاً! فأوحى الله تعالى إليّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً، فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث، ينادي: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قد قبلت ولاية

---

(١) قال الحموي في معجمه: آمد بكسر الميم: أعظم ديار بكر.

(٢) تفسير العياشي ج٢، ص ١٣٦ في تفسيره لسورة يونس برقم ٤٦.

(٣) أي تردد.

علي والأئمة الراشدين من ولده. فلما آمن بولايتكم، أمرني ربي فقذفته على ساحل البحر. فقال زين العابدين عليه السلام: ارجع أيها الحوت إلى وكرك، واستوى الماء[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن داود النبي عليه السلام قال: يا رب أخبرني بقريني في الجنة ونظيري في منازلي، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إن ذلك متى أبا يونس. قال: فاستأذن الله في زيارته فأذن له، فخرج هو وسليمان ابنه، حتى أتيا موضعه، فإذا هما ببيت من سعف، فقيل لهما: هو في السوق، فسألا عنه فقيل لهما: أطلباه في الحطابين، فسألا عنه، فقال لهما جماعة من الناس: نحن ننتظره الآن يجيء فجلسا ينتظرانه، إذ أقبل وعلى رأسه وقر من حطب، فقام إليه الناس، فألقى عنه الحطب فحمد الله وقال: من يشتري طيباً بطيب؟ فساومه واحد وزاده آخر، حتى باعه من بعضهم.

قال: فسلما عليه، فقال: انطلقا بنا إلى المنزل، واشترى طعاماً بما كان معه ثم طحنه وعجنه، ثم أجج ناراً وأوقدها، ثم جعل العجين في تلك النار، وجلس معهما يتحدث، ثم قام وقد نضجت خبيزته فوضعها في الإجانة[٢] وفلقها وذرّ عليها ملحاً ووضع إلى جنبه مطهرة ماء وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله، فلما ازدردها قال: الحمد لله، ثم فعل ذلك بأخرى، ثم أخذ الماء فشرب منه فذكر اسم الله، فلما وضعه قال: الحمد لله، يا رب من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني، قد صححت بصري وسمعي وبدني وقويتني حتى ذهبت إلى شجر لم أغرسه ولم أهتم لحفظه جعلته لي رزقاً وسقت إليّ من اشتراه مني، فاشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخرت لي النار فأنضجته، وجعلتني آكله بشهوة أقوى به على طاعتك فلك الحمد. قال: ثم بكى، قال داود عليه السلام: يا بني قم فانصرف بنا، فإني لم أر عبداً قط أشكر من هذا. صلى الله عليه وعليهما[٣].

أقول: نقل المفسرون[٤] أن السفينة التي ركب فيها يونس عليه السلام احتبست فقال الملاحون: إن هاهنا عبداً آبقاً، فإن من عادة السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فلذلك اقترعوا، فوقعت القرعة على يونس عليه السلام ثلاث مرات، فعلموا أنه المطلوب، فألقى نفسه في البحر. فأوحى الله إلى الحوت: إني لم أجعل عبدي رزقاً لك، ولكني جعلت بطنك له مسجداً، فلا تكسرن له عظماً ولا تخدشن له جلداً.

وقوله: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ أي مستحق اللوم، لوم العتاب لا لوم العقاب على

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٤٠١ – ٤٠٢.

(٢) في المصدر: في النقير: وفي اللسان عن الجزري النقير: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً.

(٣) تنبيه الخواطر ج١، ص ١٨ – ١٩.

(٤) عن الشيخ الطبرسي في تفسيره مجمع البيان.

خروجه من بين قومه من غير أمر ربه. وعندنا أن ذلك إنما وقع منه تركاً للمندوب وقد يلام الرجل على ترك المندوب.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله يقول: ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى.

أقول: لعل المعنى على تقدير صحة الخبر: أنه لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس، من حيث المعراج، بأن يظن أني صرت من حيث العروج إلى السماء أقرب إلى الله تعالى منه، فإن نسبته تعالى إلى السماء والأرض والبحار نسبة واحدة، وإنما أراني الله تعالى عجائب صنعه في السماوات، وأرى يونس عجائب خلقه في البحار، وإني عبدت الله في السماء ويونس عبده في بطن الحوت، ولكن التفضيل من جهات أُخر لا تحصى.

الباب الواحد والعشرون
في قصة أصحاب الكهف والرقيم

قال الله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا...﴾(١) الآيات.

(قصص الراوندي) بإسناده إلى ابن عباس قال: لما كان في عهد خلافة عمر أتاه قوم من أحبار اليهود فسألوه عن أقفال السموات ما هي؟ وعمن أنذر قومه وليس من الجن ولا من الإنس؟ وعن خمسة أشياء مشت على وجه الأرض لم يخلقوا في الأرحام؟ وما يقول الدراج في صياحه؟ وما يقول الديك والفرس والحمار والضفدع والقنبرة؟ فنكس عن رأسه(٢)! فقال: يا أبا الحسن ما أرى جوابهم إلا عندك.

فقال لهم علي عليه السلام: إن لي عليكم شريطة إذا أنا أخبرتكم بما في التوراة دخلتم في ديننا؟ فقالوا: نعم، فقال علي عليه السلام:

أما أقفال السموات فهو الشرك بالله، فإن العبد والأمة إذا كانا مشركين ما يرفع لهما إلى الله سبحانه عمل، فقالوا: وما مفاتيحها؟ فقال علي عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

فقالوا: أخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟ قال: ذلك الحوت، حين ابتلع يونس عليه السلام فدار به في البحار السبعة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

(٢) وقال الثعلبي في العرائس ص ٣٧١: فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال: لا عيب بعمر إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمداً لم يكن نبياً وأن الإسلام باطل، فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلاً. ثم توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه. فقال: يا أبا الحسن أغث الإسلام فقال: وما ذاك؟ فأخبره الخبر، فأقبل يرفل في بردة رسول الله فلما نظر إليه عمر وثب قائماً فاعتنقه وقال: يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا علي كرم الله وجهه اليهود، فقال: سلوا عما بدا لكم فإن النبي علمني ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه: إن لي عليكم شريطة.

فقالوا: أخبرنا عمن أنذر قومه لا من الجن ولا من الإنس؟ قال: تلك نملة سليمان عليه السلام: إذ قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

قالوا: أخبرنا عن خمسة أشياء مشت على الأرض ما خلقوا في الأرحام؟ قال: ذلك آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى صلوات الله عليهم.

قالوا: فأخبرنا ما تقول هذه الحيوانات؟ قال: الدراج يقول: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾. والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين والفرس يقول: اللهم انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين. والحمار يلعن العشارين وينهق في عين الشيطان. والضفدع يقول: سبحان ربي المعبود في لجج البحار. والقنبرة تقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد.

قال: وكان الأحبار ثلاثة، فوثب اثنان وقالا: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فوقف الحبر الآخر وقال: يا علي لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي، ولكن بقيت خصلة أسألك عنها، فقال عليه السلام: سل، قال: أخبرني عن قوم كانوا في أول الزمان فماتوا ثلاثمائة وتسع سنين، ثم أحياهم الله، وما كانت قصتهم؟

فابتدأ علي عليه السلام وأراد أن يقرأ سورة الكهف، فقال الحبر: ما أكثر ما سمعنا قرآنكم، فإن كنت عالماً فأخبرنا بقصة هؤلاء وبأسمائهم وعددهم واسم كلبهم واسم كهفهم واسم ملكهم واسم مدينتهم.

فقال علي عليه السلام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا أخا اليهود حدثني محمد صلى الله عليه وآله أنه كان بأرض الروم مدينة يقال لها أقسوس[1] وكان ملك صالح فمات ملكهم، فاختلفت كلمتهم. فسمع ملك من ملوك فارس يقال له دقيوس، فأقبل في مائة ألف حتى فتح مدينة أُقسوس، فاتخذها دار مملكته واتخذ فيها قصراً طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألف ذراع في عرض مثل ذلك، من الزجاج الممرد واتخذوا في ذلك المجلس أربعة آلاف أسطوانة من ذهب واتخذوا ألف قنديل من ذهب لها سلاسل من اللجين، تسرج بأطيب الأدهان، واتخذ في شرقي المجلس ثمانين كوة، وكانت الشمس إذا طلعت طلعت في المجلس كيفما دارت، واتخذت فيه سريراً من ذهب له قوائم من فضة مرصعة بالجواهر، وعلاه من النمارق[2]، واتخذ من يمين السرير ثمانين كرسياً من الذهب مرصعة بالزبرجد الأخضر، فأجلس بطارقته - يعني قواده - وأعاظم أهل دولته من العلماء، واتخذ من يسار السرير ثمانين كرسياً من الفضة مرصعة بالياقوت الأحمر، فأجلس عليها هراقلته. يعني حكامه وعماله - ثم علا على السرير فوضع التاج على رأسه.

---

(١) قال الثعلبي: يقال هي طرسوس كان اسمها في الجاهلية أقسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس، وقال الحموي أفسوس بالفاء: بلد بثغور طرسوس يقال إنه بلد أصحاب الكهف.

(٢) النمرقة: الوسادة.

فوثب اليهودي فقال: مم كان تاجه؟ قال: من الذهب المشبك له سبعة أركان على كل ركن لؤلؤة بيضاء كضوء الصبح في الليلة الظلماء، واتخذ خمسين غلاماً من أولاد الهراقلة، فقرطقهم بقراريط الديباج الأحمر وسرولهم بسراويلات الحرير وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم أعمدة من الذهب وأوقفهم على رأسه، واتخذ ستة غلمة وزراء، فأقام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره.

فقال اليهودي: ما كان اسم الثلاثة والثلاثة؟ فقال علي صلوات الله عليه: الثلاثة عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومنشيلينا، وأما الذين عن يساره فأسماؤهم مرنوس وديرنوس وشاذريوس، وكان يستشيرهم في جميع أموره، كان يجلس في كل يوم في صحن داره والبطارقة عن يمينة والهراقلة عن يساره، ويدخل ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من ذهب مملوء من المسك المسحوق وفي يد الآخر جام من فضة مملوء من ماء الورد وفي يد الآخر طائر أبيض منقاره أحمر، فإذا نظر الملك الطائر صفر به، فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه ثم يقع على جام المسك، فيحمل ما في الجام بريشه وجناحه، ثم يصفر به الثانية فيطير الطائر على الملك فينفض ما في ريشه وجناحه على رأس الملك. فلما نظر الملك إلى ذلك عتى وتجبر! فادعى الربوبية من دون الله! ودعى إلى ذلك وجوه قومه! فكل من أطاعه إلى ذلك أعطاه وكساه، وكل من لم يبايعه قتله فاستجابوا له رأساً، واتخذ لهم عيداً في كل سنة مرة.

فبينا هم ذات يوم في عيد لهم والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره، إذ أتاه بطريق فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته، فاغتم لذلك حتى سقط التاج عن ناصيته، فنظر إليه أحد الثلاثة الذين كانوا عن يمينه يقال له تمليخا وكان له غلاماً فقال في نفسه: لو كان دقيوس إلهاً كما يزعم إذن ما كان يغتمّ ولا يفزع ولا يبول ولا يتغوط وما كان ينام وليس هذا من فعل الإله.

قال: وكان الفتية كل يوم عند أحدهم، وكانوا ذلك اليوم عند تمليخا، فاتخذ لهم من طيب الطعام ثم قال لهم: يا إخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعني الطعام والشراب والمنام، قالوا: وما ذاك يا تمليخا؟ قال: أطلت فكري في هذه السماء فقلت: من رفع سقفها محفوظة بلا عمد ولا علاقة من فوقها ومن أجرى فيها شمساً وقمراً آيتان مبصرتان ومن زيّنها بالنجوم؟ ثم أطلت الفكر في الأرض فقلت: من سطحها على صميم الماء الزخار؟ ومن حبسها بالجبال أن تميد على كل شيء؟ وأطلت فكري في نفسي من أخرجني جنيناً من بطن أمي ومن غذاني ومن رباني؟ إن لها صانعاً ومدبراً، غير دقيوس الملك، وما هو إلا ملك الملوك وجبار السموات، فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا: بك هدانا الله من الضلالة إلى الهدى، فأشر علينا. قال: فوثب تمليخا فباع تمراً من حائط له بثلاثة آلاف درهم وصرّها في ردنه[1] وركبوا خيولهم وخرجوا من المدينة.

---

(١) الردن: أصل الكم طرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير.

فلما صاروا ثلاثة أميال قال لهم تمليخا: يا إخوتاه جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً، فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم، فجعلت أرجلهم تقطر دماً. قال: فاستقبلهم راع فقالوا: يا أيها الراعي هل من شربة لبن أو ماء؟ فقال الراعي: عندي ما تحبون، ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم إلا هراباً من دقيوس الملك، قالوا: يا أيها الراعي لا يحل لنا الكذب أفينجينا منك الصدق؟ فأخبروه بقصتهم، فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول: يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم ولكن أمهلوني حتى أرد الأغنام على أربابها وألحق بكم، فتوقفوا له، فرد الأغنام وأقبل يسعى يتبعه الكلب.

فوثب اليهودي فقال: يا علي ما اسم الكلب وما لونه؟ فقال له علي عليه السلام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أما لون الكلب فكان أبلق بسواد، وأما اسم الكلب فقطمير.

فلما نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم: إنا نخاف أن يفضحنا الكلب بنباحه، فألحوا عليه بالحجارة، فأنطق الله الكلب وقال: ذروني حتى أحرسكم من عدوكم. فلم يزل الراعي يسير بهم، حتى علاهم جبلًا فانحط به على كهف يقال له الوصيد فإذا بفناء الكهف عيون وأشجار مثمرة، فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنهم الليل. فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض أرواحهم، ووكل الله بكل رجل ملكين يقلبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال، وأوحى الله إلى خزان الشمس فكانت تزاور كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات الشمال.

فلما رجع دقيوس من عيده، سأل عن الفتية، فأُخبر أنهم خرجوا هرباً، فركب في ثمانين ألف حصان، فلم يزل يقفو أثرهم حتى علا، فانحط إلى كهفهم. فلما نظر إليهم فإذا هم نيام، فقال الملك: لو أردت أن أعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا أنفسهم، ولكن ائتوني بالبنّائين، فسد باب الكهف بالكلس والحجارة وقال لأصحابه: قولوا لهم يقولوا لإلّههم في السماء لينجيهم وأن يخرجهم من هذا الموضع.

قال علي عليه السلام: يا أخا اليهود، فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين. فلما أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل أن ينفخ فيهم الروح، فنفخ، فقاموا من رقدتهم. فلما بزغت الشمس قال بعضهم: قد غفلنا في هذه الليلة عن عبادة إله السماء فقاموا، فإذا العين قد غارت وإذا الأشجار قد يبست، فقال بعضهم لبعض: إن أمرنا لعجيب، مثل تلك العين الغزيرة قد غارت والأشجار قد يبست في ليلة واحدة، ومسهم الجوع فقالوا ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[1] قال تمليخا: لا يذهب في حوائجكم غيري ولكن ادفع أيها الراعي ثيابك إليّ فدفع الراعي ثيابه: ومضى نحو المدينة فجعل

---

(١) سورة الكهف؛ الآية: ١٩.

يرى مواضع لا يعرفها وطريقاً هو ينكرها، حتى أتى المدينة، وإذا علم أخضر مكتوب عليه: لا إله إلا الله عيسى رسول الله، فجعل ينظر إلى العلم وجعل يمسح به عينيه ويقول: أراني نائماً.

ثم دخل السوق فأتى رجلاً خبازاً فقال: أيها الخباز ما اسم مدينتكم هذه؟ قال: اقسوس، قال: وما اسم ملككم؟ قال: عبد الرحمن، قال: ادفع لي بهذه الورق طعاماً، فجعل الخباز يتعجب من ثقل الدراهم ومن كبرها.

فقال اليهودي: يا علي ما كان وزن كل درهم منها؟ قال: وزن عشرة دراهم وثلثي درهم.

فقال الخباز: يا هذا أنت أصبت كنزاً؟ فقال تمليخا: ما هذا إلا ثمن تمر بعتها منذ ثلاث وخرجت من هذه المدينة وتركت الناس يعبدون دقيوس الملك. قال: فأخذ الخباز بيد تمليخا وأدخله على الملك، فقال: ما شأن هذا الفتى؟ قال الخباز: هذا رجل أصاب كنزاً، فقال الملك: يا فتى لا تخف فإن نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنز إلا خُمسها، فأعط خمسها وامض سالماً، فقال تمليخا: انظر أيها الملك في أمري ما أصبت كنزاً، أنا رجل من أهل هذه المدينة، فقال الملك: أنت من أهلها؟ قال: نعم، قال: فهل تعرف بها أحداً؟ قال: نعم، قال: ما اسمك؟ قال: اسمي تمليخا، قال: وما هذه الأسماء أسماء أهل زماننا.

فقال الملك: هل لك في هذه المدينة دار؟ قال: نعم، اركب أيها الملك معي فركب والناس معه، فأتى بهم أرفع دار في المدينة، قال تمليخا: هذه الدار لي، فقرع الباب فخرج إليهم شيخ وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، فقال: ما شأنكم؟ قال الملك: أتانا هذا الغلام بالعجائب، يزعم أن هذه الدار داره، فقال الشيخ: من أنت؟ قال: أنا تمليخا بن قسطيكين.

قال: فانكب الشيخ على رجليه يقبلهما وهو يقول: جدي ورب الكعبة فقال: أيها الملك هؤلاء الفتية الستة الذين خرجوا هرباً من دقيوس الملك. قال: فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه وجعل الناس يقبلون يديه ورجليه فقال: يا تمليخا ما فعل أصحابك؟ فأخبر أنهم بالكهف. وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم[1] وملك يهودي، فركبوا في أصحابهم.

فلما صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا: إني أخاف أن يسمع أصحابي أصوات حوافر الخيول يظنون أن دقيوس الملك قد جاء في طلبهم، ولكن أمهلوني حتى أتقدم فأخبرهم، فوقف الناس. فأقبل تمليخا حتى دخل الكهف، فلما نظروا إليه اعتنقوه وقالوا: الحمد لله الذي نجانا من دقيوس، قال تمليخا: دعوني عنكم وعن دقيوسكم، كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، قال تمليخا: بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين وقد مات دقيوس وقرن بعد قرن، وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى ابن مريم ورفعه الله إليه، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه. قالوا: يا تمليخا أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين؟ قال تمليخا: فما تريدون؟ قالوا: ادع الله

---

(١) أي مسلم بعيسى عليه السلام.

جل ذكره وندعو معك حتى يقبض أرواحنا، فرفعوا أيديهم، فأمر الله تعالى بقبض أرواحهم، وطمس الله باب الكهف على الناس.

فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة أيام، لا يجدان للكهف باباً، فقال الملك المسلم: ماتوا على ديننا نبني على باب الكهف مسجداً، وقال اليهودي: لا بل ماتوا على ديني، نبني على باب الكهف كنيسة، فاقتتلا، فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه.

يا يهودي أيوافق هذا توراتكم؟ قال: ما زدت حرفاً ولا نقصت وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1].

وفيه مسنداً إلى أبي جعفر عليه السلام قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله ذات ليلة، ثم توجه إلى البقيع فدعا أبا بكر وعثمان وعمر وعلياً، فقال: امضوا حتى تأتوا أصحاب الكهف وتقرئوهم مني السلام، وتقدم أنت يا أبا بكر فإنك أسنّ القوم، ثم أنت يا عمر ثم أنت يا عثمان، فإن أجابوا أحداً منكم وإلا تقدم أنت يا علي كن آخرهم، ثم أمر الريح فحملتهم ووضعتهم على باب الكهف. فتقدم أبو بكر فسلم فلم يردوا عليه فتنحى، فتقدم عمر فسلم فلم يردوا عليه وتقدم عثمان وسلم فلم يردوا عليه.

فتقدم علي عليه السلام وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل الكهف الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى وربط على قلوبهم، أنا رسول رسول الله إليكم، فقالوا: مرحباً برسول الله وبرسوله وعليك السلام يا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته، قال: كيف علمتم أني وصي النبي؟ قالوا: إنه ضرب على آذاننا أن لا نكلم إلا نبياً أو وصي نبي، فقالوا: كيف تركت رسول الله وكيف حشمه وكيف حاله؟ وبالغوا في السؤال، وقالوا: أخبر أصحابك هؤلاء أنا لا نكلم إلا نبياً أو وصي نبي. فقال لهم: أسمعتم ما يقولون؟ قالوا: نعم، قال: فاشهدوا، ثم حول وجوههم نحو المدينة، فحملتهم الريح حتى وضعتهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبروه بالذي كان، فقال لهم صلى الله عليه وآله: قد رأيتم وسمعتم فاشهدوا، قالوا: نعم. فانصرف النبي صلى الله عليه وآله إلى منزله وقال لهم: احفظوا شهادتكم[2].

ورواه الثعلبي في تفسيره بأسانيد، في معجزات النبي ومعجزات أمير المؤمنين صلوات الله عليهما.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: أن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فكانوا على إظهارهم الكفر أعظم أجراً منهم على إسرارهم الإيمان[3].

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٥٥ برقم ٣٠٠ وهو مختصر مما رواه الثعلبي في العرائس والمجالس ص ٣٧١ - ٣٧٧.

(٢) قصص الراوندي ص ٢٥٤ برقم ٢٩٩.

(٣) قصص الراوندي ص ٢٥٤ برقم ٢٩٦.

وفيه عنه عليه السلام أنه قال: خرج ثلاثة نفر يسيحون في الأرض فبينا هم يعبدون الله في كهف في قلة جبل حين بدت صخرة من أعلى الجبل حتى التقمت باب الكهف، فقال بعضهم: يا عباد الله والله لا ينجيكم منها إلا أن تصدقوا عن الله، فهلموا ما عملتم لله خالصاً.

فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أني طلبت امرأة جيدة لحسنها وجمالها وأعطيت فيها مالاً ضخماً، فلما قدرت عليها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة ذكرت النار فقمت عنها خوفاً منك، فارفع عنا هذه الصخرة. قال: فانصدعت حتى نظروا إلى الضوء. ثم قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني أستأجرت قوماً كل رجل بنصف درهم، فلما فرغوا أعطيتهم أجورهم، فقال رجل: لقد عملت عمل رجلين والله لا آخذ إلا درهماً ثم ذهب وترك ماله عندي، فبذرت بذلك النصف درهم في الأرض، فأخرج الله به رزقاً، وجاء صاحب النصف الدرهم فأراده فدفعت إليه عشرة آلاف دراهم عن درهم حقه فإن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك مخافة منك فارفع عنا هذه الصخرة، قال: فانفرجت حتى نظر بعضهم إلى بعض. ثم قال آخر: اللهم إن كنت تعلم أن أبي وأمي كانا نائمين فأتيتهما بقصعة من لبن فخفت أن أضعه فتقع فيه هامة، وكرهت أن أنبههما من نومهما فيشق ذلك عليهما، فلم أزل بذلك حتى استيقظا فشربا، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء لوجهك فارفع عنا هذه الصخرة، فانفرجت حتى سهل الله لهم المخرج. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صدق الله نجا[1].

أقول: إنما أوردنا هذا الخبر هنا: لأنه ذهب كثير من المفسرين إلى أن أهل الرقيم هم هؤلاء الثلاثة.

وقال الثقة علي بن إبراهيم: وأما الرقيم، فهما لوحان من نحاس مرقوم مكتوب فيهما أمر الفتية وأمر إسلامهم وما أراد منهم دقيانوس الملك وكيف كان أمرهم وحالهم[2].

وقيل: الرقيم اسم الوادي الذي كان فيه الكهف. وقيل: هي القرية التي خرجوا منها[3].

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٦٢ برقم ٣٠١.

(٢) تفسير القمي ج٢، ص ٣١ في تفسيره لسورة الكهف، الآية: ٩.

(٣) مجمع البيان المجلد الثالث ص ٦٩٧.

الباب الثاني والعشرون
في قصة أصحاب الأخدود
وقصة جرجيس وقصة خالد بن سنان العبسي

(تفسير) علي بن إبراهيم في قوله تعالى ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[١] قال: كان سببهم أن الذي هيج الحبشة على غزوة اليمن ذا نواس وهو آخر ملك من ملوك حمير تهود واجتمعت معه حمير على اليهودية، وسمى نفسه يوسف، ثم أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية وكانوا على دين عيسى عليه السلام وعلى حكم الإنجيل، ورأس ذلك الدين عبد الله بن يامن[٢] وحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية ويدخلهم فيها.

فسار حتى قدم نجران، فجمع ما كان بها على دين النصرانية، ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها، فأبوا عليه، فجادلهم وعرض عليهم وعلى الحرس كله فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها واختاروا القتل، فخدّ لهم أُخدوداً وجمع فيه الحطب وأشعل فيه النار، فمنهم من أحرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف ومثل بهم كل مثلة، فبلغ عدد من قتل وأحرق بالنار عشرين ألف رجل[٣].

(قصص الأنبياء) للراوندي طاب ثراه بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: إن أُسقف نجران دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فجرى ذكر أصحاب الأخدود، فقال عليه السلام: بعث الله نبياً حبشياً إلى قومه في الحبشة فدعاهم إلى الله تعالى فكذبوه وحاربوه وظفروا به وخدوا أخدوداً وجعلوا فيها الحطب والنار. فلما كان حراً، قالوا لمن كان على دين ذلك النبي: اعتزلوا وإلا طرحناكم فيها فاعتزل قوم كثير وقذف فيها خلق كثير، حتى وقعت امرأة ومعها ابن لها من شهرين فقيل لها: إما أن ترجعي وأما أن تقذفيه في النار، فهمت تطرح نفسها. فلما رأت ابنها رحمته، فأنطق الله الصبي وقال: يا أماه ألقِ نفسك وإياي في النار، فإن هذا في الله قليل[٤].

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن المجوس أي أحكام تجري فيهم؟ قال: هم أهل الكتاب

(١) سورة البروج؛ الآية: ٤.
(٢) في الكامل: عبد الله بن التامر.
(٣) تفسير القمي ج٢، ص ٤١٣ في تفسيره للآية المذكورة.
(٤) قصص الراوندي ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ برقم ٢٩٠ و ٢٩١.

كان لهم كتاب وكان لهم ملك سكر يوماً فوقع على أخته وأمه! فلما أفاق ندم وشق ذلك عليه، فقال للناس: هذا حلال. فامتنعوا عليه، فجعل يقتلهم ويحفر لهم الأخدود ويلقيهم فيها(١).

وفيه عنه عليه السلام قال: ولى عمر رجلاً كورة من الشام فافتتحها، فإذا أهلها أسلموا، فبنى لهم مسجداً فسقط، ثم بنى فسقط، ثم بنى فسقط، فكتب إلى عمر بذلك.

فلما قرأ الكتاب سأل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله هل عندكم في ذلك علم؟ قالوا: لا، فبعث إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأقرأه الكتاب، فقال: هذا نبي كذّبه قومه فقتلوه ودفنوه في هذا المسجد وهو متشحط في دمه، فاكتب إلى صاحبك فلينبشه فإنه سيجده طرياً، ليصل عليه وليدفنه في موضع كذا، ثم ليبنِ عليه مسجداً فإنه سيقوم. ففعل ذلك، ثم بنى المسجد فثبت.

وفي رواية: أكتب إلى صاحبك أن يحفر ميمنة أساس المسجد، فإنه سيصيب فيها رجلاً قاعداً يداه على أنفه ووجهه، فقال عمر: من هو؟ قال علي عليه السلام: اكتب إلى صاحبك فليعمل ما أمرته، فإن وجده كما وصفت أعلمتك إن شاء الله.

فلم يلبث أن كتب العامل: أصبت الرجل على ما وصفت، فصنعت الذي أمرت به، فثبت البناء. فقال عمر لعلي عليه السلام: ما حال هذا الرجل؟ فقال: هذ نبي من أصحاب الأخدود، قصتهم معروفة في القرآن(٢).

وفيه بإسناده إلى ابن عباس قال: بعث الله جرجيس عليه السلام إلى ملك بالشام، يقال له دازانه يعبد صنماً، فقال له: أيها الملك اقبل نصيحتي لا ينبغي للخلق أن يعبدوا غير الله تعالى ولا يرغبوا إلا إليه، فقال له الملك: من أي أرض أنت؟ قال: من الروم قاطنين بفلسطين، ثم أمر بحبسه ثم مشط جسده بأمشاط من حديد حتى تساقط لحمه ونضح جسده بالخل(٣) ودلكه بالمسوح الخشنة ثم أمر بمكاوٍ من حديد تحمى فيكوى بها جسده، ولما لم يقتل أمر بأوتاد من حديد فضربوها في فخذيه وركبتيه وتحت قدميه، فلما رأى أن ذلك لم يقتله أمر بأوتاد طوال من حديد فوتدت في رأسه فسال منها دماغه وأمر بالرصاص فأذيب وصب على أثر ذلك ثم أمر بسارية من حجارة كانت في السجن لم ينقلها إلا ثمانية عشر رجلاً فوضعت على بطنه.

فلما أظلم الليل وتفرق عنه الناس رآه أهل السجن وقد جاءه ملك فقال له: يا جرجيس إن الله جلّت عظمته يقول: اصبر وأبشر ولا تخف إن الله معك يخلصك وإنهم يقتلونك أربع مرات، في كل ذلك أرفع عنك الألم والأذى.

فلما أصبح الملك دعاه فجلده بالسياط على الظهر والبطن ثم رده إلى السجن ثم كتب إلى أهل مملكته أن يبعثوا إليه بكل ساحر، فبعثوا بساحر استعمل كل ما قدر عليه من السحر، فلم يعمل فيه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قصص الراوندي ص ٢٤٧ برقم ٢٩٢.

(٣) أي بلّ جسده بالخل.

ثم عمد إلى سم فسقاه، فقال جرجيس: بسم الله الذي يضل عند صدقه كذب الفجرة وسحر السحرة، فلم يضره، فقال الساحر: لو أني سقيت بهذا أهل الأرض لنزفت قواهم وعميت أبصارهم، فأنت يا جرجيس النور المضيء والسراج المنير والحق المبين، أشهد أن إلهك حق وما دونه باطل، آمنت به وصدقت رسله وإليه أتوب مما فعلت. فقتله الملك. ثم أعاد جرجيس صلوات الله عليه إلى السجن وعذبه ألوان العذاب، ثم قطعه أقطاعاً وألقاه في جب.

ثم خلا الملك الملعون وأصحابه على طعام له وشراب، فأمر الله تعالى إعصاراً أنشأت سحابة سوداء وجاءت بالصواعق ورجفت الأرض وتزلزلت الجبال حتى أشفقوا أن يكون هلاكهم، وأمر الله ميكائيل فقام على رأس الجب وقال: قم يا جرجيس بقوة الله الذي خلقك فسواك، فقام جرجيس حياً سوياً وأخرجه من الجب وقال: اصبر وأبشر.

فانطلق جرجيس حتى قام بين يدي الملك وقال: بعثني الله ليحتج بي عليكم فقام صاحب الشرطة وقال: آمنت بإلهك الذي بعثك بعد موتك وشهدت أنه الحق وجميع الآلهة دونه باطل، واتبعه أربعة آلاف آمنوا وصدقوا جرجيس، فقتلهم الملك جميعاً بالسيف، ثم أمر بلوح من نحاس أوقد عليه النار حتى احمر فبسط عليه جرجيس وأمر بالرصاص فأذيب وصب في فيه، ثم ضرب الأوتاد في عينيه ورأسه ثم ينزع ويفرغ الرصاص مكانه.

فلما رأى أن ذلك لم يقتله، فأوقد عليه النار حتى مات وأمر برماده فذرّ في الرياح! فأمر الله تعالى رياح الأرضين في ليلة فجمعت رماده في مكان، فأمر ميكائيل عليه السلام فنادى يا جرجيس، فقام حياً سوياً بإذن الله.

فانطلق جرجيس صلوات الله عليه إلى الملك وهو في أصحابه، فقام رجل فقال: إن تحتنا أربعة عشر منبراً ومائدة بين أيدينا وهي من عيدان شتى منها ما يثمر ومنها ما لا يثمر، فسل ربك أن يلبس كل شجرة منها لحاها وينبت فيها ورقها وثمرها، فإن فعل ذلك فإني أصدقك، فوضع جرجيس ركبتيه على الأرض ودعا ربه تعالى عظم شأنه، فما برح مكانه حتى أثمر كل عود فيها ثمره.

فأمر الملك فمد بين الخشبتين ووضع المنشار على رأسه فنشر حتى سقط المنشار من تحت رجليه، ثم أمر بقدر عظيمة فألقي فيها زفت وكبريت ورصاص وألقي فيها جسد جرجيس عليه السلام فطبخ حتى اختلط ذلك كله جميعاً!، فأظلمت الأرض لذلك وبعث الله إسرافيل فصاح صيحة خرّ منها الناس لوجوههم، ثم قلب إسرافيل عليه السلام القدر، فقال: قم يا جرجيس بإذن الله تعالى، فقام حياً سوياً بقدرة الله.

وانطلق جرجيس إلى الملك، ولما رآه الناس عجبوا منه، فجاءت امرأة وقالت: أيها العبد الصالح كان لنا ثور نعيش به فمات، فقال لها جرجيس: خذي عصاي فضعيها على ثورك وقولي

إن جرجيس يقول: قم بإذن الله تعالى. ففعلت، فقام حياً، فآمنت به. فقال الملك: إن تركت هذا الساحر أهلك قومي، فاجتمعوا كلهم أن يقتلوه، فأمر به أن يخرج ويقتل بالسيف، فقال جرجيس عليه السلام لما خرج: لا تعجلوا عليّ، فقال: اللهم إن أهلكت أنت عبدة الأوثان أسألك أن تجعل اسمي وذكري صبراً لمن يتقرب إليك عند كل هول وبلاء، ثم ضربوا عنقه فمات، ثم أسرعوا إلى القرية فهلكوا كلهم(١).

(الكافي) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ جاءته امرأة، فرحب بها وأخذ بيدها وأقعدها، ثم قال: ابنة نبي ضيّعه قومه خالد بن سنان، دعاهم فأبوا أن يؤمنوا به، وكانت نارٌ يقال لها نار الجدثان تأتيهم كل سنة فتأكل بعضهم، وكانت تخرج في وقت معلوم، فقال لهم إن رددتها عنكم تؤمنون؟ قالوا: نعم.

قال: فجاءت فاستقبلها بثوبه فردها ثم تبعها حتى دخلت كهفها ودخل معها وجلسوا على باب الكهف وهم يرون ألا يخرج أبداً، فخرج وهو يقول: زعمت بنو عبس أني لا أخرج أبداً، ثم قال: تؤمنون بي؟ قالوا: لا، قال: فإني ميت يوم كذا وكذا فإذا أنا مت فادفنوني، فإنه سيجيء قطيع من حمر فلما مات دفنوه، وكان ذلك اليوم إذ جاءت الحمر الوحشية وجاؤوا يريدون نبشه، فقالوا: ما آمنتم به في حياته فكيف تؤمنون به بعد وفاته، ولئن نبشتموه ليكون عليكم فاتركوه، فتركوه(٢).

أقول: قال السيوطي نقلاً عن العسكري في ذكر أقسام النار: نار الحرتين كانت في بلاد عبس تخرج من الأرض فتؤذي من مرّ بها، وهي التي دفنها خالد بن سنان النبي عليه السلام.

قال خليد شعراً:

كنار الحرتين لها زفير تصم مسامع الرجل السميع

وحينئذ فالأظهر ـ كما قيل ـ: أنه كان نار الحرتين فصحف.

وفيه مسنداً إلى الصادق عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ أقبلت امرأة تمشي حتى انتهت إليه، فقال لها: مرحباً يا بنت أخي فصافحها، وكان اسمها محياة بنت خالد بن سنان، ثم قال: إن خالد دعا قومه فأبوا أن يجيبوه، وكانت نار تخرج في كل يوم فتأكل ما تليهم من مواشيهم وما أدركته، فقال لقومه: أرأيتم إن رددتها عنكم أتؤمنون بي وتصدقونني؟ قالوا: نعم فاستقبلها فردها بقوة حتى أدخلها غاراً، وهم ينظرون، فدخل معها فمكث حتى طال ذلك

---

(١) قصص الراوندي ص ٢٣٩ برقم ٢٨٠ والقصة المذكورة في الكتب التاريخية أطول من ذلك وتركها المصنف طاب ثراه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل بها والله أعلم.

(٢) روضة الكافي ص ٣٤٢ برقم ٥٤٠.

عليهم فقالوا: إنا لنراه قد أكلته، فخرج منها فقال: أتؤمنون بي؟ قالوا: نار خرجت ودخلت لوقت، فأبوا أن يجيبوه. . . الحديث(١).

(الاحتجاج) قال الصادق عليه السلام في أسئلة الزنديق وكان فيما سأله: أخبرني عن المجوس هل بعث إليهم خالد بن سنان؟ قال عليه السلام: إن خالداً كان عربياً بدوياً، وما كان نبياً، وإنما ذلك شيء يقوله الناس(٢).

أقول: الأخبار الدالة على نبوته كثيرة، ويمكن حمله على ما هو معتقد الزنديق لأن مثله يرد في الأجوبة كثيراً.

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٤٦ والحديث طويل راجع الإحتجاج ص ٣٣٧ وسيأتي قطعة منه في الباب الآتي في نبي المجوس.

الباب الثالث والعشرون
ما ورد بلفظ نبي من الأنبياء
وفيه ذكر نبي المجوس

(علل الشرائع) بإسناد العلوي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن نبياً من الأنبياء بعثه الله عز وجل إلى قومه فبقي فيهم أربعين سنة فلم يؤمنوا، فكان لهم عيد في كنيسة فاتبعهم ذلك النبي قال لهم: آمنوا بالله، قالوا: إن كنت نبياً فادع الله أن يجيئنا بطعام على لون ثيابنا، وكانت ثيابهم صفراء، فجاء بخشبة يابسة فدعا الله عز وجل عليها، فاخضرت وأينعت وجاءت بالمشمش حملاً، فأكلوا، فكل من أكل ونوى أن يسلم على يد ذلك النبي خرج ما في جوف النوى من فيه حلواً، ومن نوى أن لا يسلم، خرج ما في جوف النوى من فيه مراً[1].

(عيون الأخبار) مسنداً إلى الهروي قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه: إذا أصبحت فأول كل شيء يستقبلك فكله والثاني فاكتمه والثالث فاقبله والرابع فلا تؤيسه والخامس فاهرب منه.

قال: فلما أصبح مضى، فاستقبله جبل عظيم أسود فوقف وقال: أمرني ربي عز وجل أن آكل هذا، وبقي متحيراً، ثم رجع إلى نفسه فقال: إني ربي جل جلاله لا يأمرني إلا بما أطيق فمشى إليه ليأكله، فكلما دنا منه صغر حتى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله. ثم مضى فوجد طشتاً من ذهب، فقال: أمرني ربي أن أكتم هذا، فحفر له وجعله فيه وألقى عليه التراب.

ثم مضى فالتفت فإذا الطشت قد ظهر فقال: قد فعلت ما أمرني ربي عز وجل. فمضى فإذا بطير وخلفه بازي، فطاف الطير حوله، فقال: أمرني ربي أن أقبل هذا، ففتح كمه فدخل الطير فيه، فقال له البازي: أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيام فقال: إن ربي عز وجل أمرني أن لا أؤيس هذا، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه ثم مضى. فلما مضى فإذا هو بلحم ميتة منتن مدود، فقال: أمرني ربي عز وجل أن أهرب من هذا، فهرب ورجع.

(١) علل الشرائع ج ٢، ص ٢٩٧ باب ٣٧٥.

ورأى في المنام كأنه قد قيل له: إنك قد فعلت ما أمرت به، فهل تدري ماذا كان؟ قال: لا، قال له:

أما الجبل: فهو الغضب، إن العبد إذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا عرف نفسه وعرف قدره وسكن غضبه كانت عاقبته كاللقمة الطيبة التي أكلتها.

وأما الطشت: فهو العمل الصالح، إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عز وجل إلا أن يظهره، ليزينه به مع ما يدخر له من ثواب الآخرة.

وأما الطير: فهو الرجل الذي يأتيك بنصيحة، فاقبله واقبل نصيحته.

وأما البازي: فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة، فلا تؤيسه.

وأما اللحم المنتن: فهو الغيبة، فاهرب منها[١].

(قصص الراوندي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: إن أحببت أن تلقاني غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا غريباً مهموماً محزوناً مستوحشاً من الناس بمنزلة الطير الواحد، فإذا كان الليل آوى وحده استوحش من الطيور واستأنس بربه[٢].

(الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ نبي من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج قد نقبته الطير ومزقته الكلاب. ثم مضى فرفعت له مدينة فدخلها، فإذا هو بعظيم من عظمائها ميت على سرير مسجى بالديباج حوله المجامر، فقال: يا رب أشهد أنك حكم عدل لا تجور، وعبدك لم يشرك بك طرفة عين أمته بتلك الميتة، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمتّه بهذه الميتة؟ قال الله عز وجل: أنا كما قلت حكم عدل لا أجور، ذلك عبدي كانت له عندي سيئة وذنب، أمته بتلك، لكي يلقاني ولم يبق عليه شيء، وهذا عبدي كانت له عندي حسنة فأمته بهذه الميتة، لكي يلقاني وليس له عندي شيء[٣].

(الكافي) عن الرضا عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الورى[٤] - أي ولد الولد ..

(وفيه) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شكى نبي من الأنبياء عليهم السلام إلى الله عز وجل الضعف، فقيل له: اطبخ اللحم باللبن فإنهما يشدان الجسم[٥].

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١، ص ٢٤٩ باب ٢٨ برقم ١٢.
(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ٤٥٧ - ٤٥٨.
(٣) بحار الأنوار ج١٤، ص ٤٥٩.
(٤) أصول الكافي ج٢، ص ٢٧٥ باب الذنوب برقم ٢٦.
(٥) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٤٥٩.

وقال عليه السلام: إن نبياً من الأنبياء شكى إلى الله عز وجل من الضعف وقلة الجماع، فأمره بأكل الهريسة[١].

وشكى نبي من الأنبياء إلى الله عز وجل قلة النسل، فقال: كل اللحم بالبيض[٢].

وفيه أن بعض أنبياء بني إسرائيل شكى إلى الله عز وجل قسوة القلب وقلة الدمعة، فأوحى الله إليه أن كل العدس، فأكل العدس فرقَّ قلبه وكثرت دمعته[٣].

وشكى نبي من الأنبياء إلى الله عز وجل الغمّ، فأمره بأكل العنب[٤].

وما بعث الله عز وجل نبياً إلا ومعه رائحة السفرجل[٥].

وقال عليه السلام: العطر من سنن المرسلين[٦].

(الأمالي) عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه الأشعث بن قيس فقال له: يا أمير المؤمنين كيف تؤخذ من المجوس الجزية، ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي؟ فقال: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم نبياً، وكان لهم ملك سكر ذات ليلة، فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها! فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا: أيها الملك دنست علينا ديننا فأهلكته فاخرج بظهر بلدك نقم عليك الحد، فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشأنكم.

فاجتمعوا فقال لهم هل علمتم أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حوا؟ قالوا صدقت أيها الملك، قال أفليس زوج بنيه بناته وبناته من بنيه؟ قالوا صدقت أيها الملك هذا هو الدين! فتعاقدوا على ذلك. فمحى الله ما في صدورهم من العلم ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النار بغير حساب والمنافقون أشد حالاً. فقال الأشعث والله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبداً[٧].

(الاحتجاج) في خبر الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن المجوس: أبعث الله إليهم نبياً؟ فقال ما من أمة إلا خلا فيها نذير، قال الزنديق افزرادشت؟ قال عليه السلام إن زرادشت أتاهم

---

(١) فروع الكافي ج٦ كتاب الأطعمة باب الهريسة ص ٣١٩.
(٢) فروع الكافي ج٦ كتاب الأطعمة باب بيض الدجاج ص ٣٢٥.
(٣) فروع الكافي ج٦، ص ٣٤٣ باب العدس.
(٤) فروع الكافي ج٦، ص ٣٥١ باب العنب.
(٥) فروع الكافي ج٦، ص ٣٥٨ باب السفرجل.
(٦) فروع الكافي ج٦، ص ٥١٠ باب الطيب.
(٧) أمالي الصدوق ص ٢٨١ المجلس ٥٥ وللحديث صدر اختصره المصنف (ره).

بزمزمة وادعى النبوة! فآمن منهم قوم وجحد قوم فأخرجوه فأكلته السباع في برية من الأرض. قال: فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم أم العرب؟ قال العرب في الجاهلية كانت أقرب إلى الدين الحنيفي من المجوس.

وذلك أن المجوس كفرت بكل الأنبياء وجحدت كتبها وأنكرت براهينها ولم تأخذ بشيء من سننها، وأن كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأول قتل ثلاثمائة نبي! وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل، والاغتسال من خالص شرائع الحنيفية، وكانت المجوس لا تختتن، وهو من سنن الأنبياء، وأول من فعل ذلك إبراهيم خليل الله عليه السلام، وكانت المجوس لا تغسل موتاها ولا تكفنهم، وكانت العرب تفعل ذلك، وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحارى والنواويس والعرب تواريها في قبورها وتلحدها، وكانت المجوس تأتي الأمهات وتنكح البنات والأخوات وحرمت ذلك العرب، وأنكرت المجوس بيت الله الحرام وسمته بيت الشيطان، والعرب كانت تحجه وتعظمه وتقول بيت ربنا وتقر بالتوراة والإنجيل وتسأل أهل الكتاب وتأخذ، وكانت العرب في كل الأسباب أقرب إلى الدين الحنيف من المجوس. قال: فاحتجوا بإتيان الأخوات أنها سنة آدم! قال فما حجتهم في إتيان البنات والأمهات! وقد حرم ذلك آدم وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام[١].

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: إن المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور، وكتابهم يقال له جاماسب[٢].

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قوماً فيما مضى قالوا لنبي لهم: ادع لنا ربك يرفع عنا الموت، فرفع الله عنهم الموت، فكثروا حتى ضاقت عليهم المنازل وكثر النسل، ويصبح الرجل يطعم أباه وجده وأمه وجد جده ويوصيهم ويتعاهدهم فشغلوا عن طلب المعاش، فقالوا سل لنا ربك أن يردنا إلى حالنا التي كنا عليها، فسأل نبيهم ربه فردهم إلى حالهم[٣].

وفيه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني لأكره الصلاة في مساجدهم فقال: لا تكره فما من مسجد بني إلا على قبر نبي أو وصي نبي قتل، فأصاب تلك البقعة رشة من دمه، فأحب الله أن يذكر فيها، فأد فيها الفريضة والنوافل، واقض فيها ما فاتك[٤].

وعنه عليه السلام: إن الله لم يعذب أمة فيما مضى إلا يوم الأربعاء وسط الشهر[٥].

وقال عليه السلام: دفن ما بين الركن اليماني والحجر الأسود سبعون نبياً، أماتهم الله جوعاً وضراً[٦].

---

(١) الاحتجاج ص ٣٤٦ والحديث طويل في احتجاجات الامام الصادق عليه السلام.

(٢-٦) بحار الأنوار ج١٤، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

وعنه عليه السلام: إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين: أن ائت هذا الجبار فقل له: إنما استعملتك لتكفّ عني أصوات المظلومين فإني لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً[١].

وفيه عن أبي الحسن عليه السلام قال: إن الأحلام لم تكن فيما مضى من أول الخلق، وإنما حدثت. فقلت: وما العلة في ذلك؟ فقال: إن الله عز ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا: إن فعلنا ذلك، فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرة، فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار، فقالوا: وما الجنة وما النار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ قال: إذا متم، قالوا رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فازدادوا له تكذيباً فأحدث الله عز وجل فيهم الأحلام، فأتوه وأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك فقال: إن الله عز ذكره أراد أن يحتج عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متم، وإن بليت أبدانكم، تصير الأرواح إلى عقاب، حتى تبعث الأبدان[٢].

(دعوات الراوندي) روي أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء في الزمن الأول إن لرجل في أُمته دعوات مستجابة، فأخبر ذلك به الرجل، فانصرف من عنده إلى بيته وأخبر زوجته بذلك، فألحت عليه أن يجعل دعوة لها فرضي، فقالت: سل الله أن يجعلني أجمل نساء الزمان فدعا الرجل فصارت كذلك.

ثم إنها لما رأت رغبة الملوك والشبان المتنعمين فيها متوفرة، زهدت في زوجها الشيخ الفقير وجعلت تغالظه وتخاشنه، وهو يداريها، ولا يكاد يطيقها. فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كذلك. ثم أجمع أولادها يقولون: يا أبة إن الناس يعيروننا أن أمنا كلبة نابحة وجعلوا يبكون ويسألونه أن يدعو الله أن يجعلها كما كانت فدعا الله تعالى أن يصيرها مثل الذي كانت في الحالة الأولى فذهبت الدعوات الثلاث ضياعاً[٣].

---

(١) أصول الكافي ج٢، ص ٣٣٣ باب الظلم برقم ١٤.

(٢) روضة الكافي ص ٩٠ برقم ٥٧.

(٣) بحار الأنوار ج١٤، ص ٤٨٥. نقلاً عن دعوات الراوندي.

خاتمة الكتاب
في نوادر أخبار بني إسرائيل وأحوال بعض الملوك

(مجمع البيان) عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زماناً من الدهر، حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم، فيبرؤون على يده.

وإنه أتي بامرأة في شرف قد جنّت، وكان لها إخوة فأتوه بها، وكانت عنده فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت. فلما استبان حملها قتلها ودفنها.

فلما فعل ذلك، ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا، ثم أتى بقية إخوتها رجلًا رجلًا فذكر له.

فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول: والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ملكهم. فسار الملك والناس، فاستزلوه، فأقر لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب.

فلما رفع على خشبة، تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا؟ فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال: نعم، قال: اسجد لي سجدة واحدة فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ قال: أكتفي منك بالإيماء، فأومى له بالسجود فكفر بالله، وقتل الرجل فأشار الله تعالى إلى قصته في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١).

(قصص الراوندي) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد يقال له جريح وكان يتعبد في صومعته، فجاءته أمه وهو يصلي فدعته فلم يجبها فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يجبها ولم يكلمها، فانصرفت وهي تقول: أسأل إله بني إسرائيل أن يخذلك. فلما كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته فأخذها الطلق، فادّعت أن الولد من جريح.

ففشا في بني إسرائيل أن من كان يلوم الناس على الزنا، فقد زنا وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أمه إليه تلطم وجهها، فقال لها: اسكني، إنما هذا لدعوتك، فقال الناس لما سمعوا

(١) مجمع البيان المجلد الخامس ص ٣٩٧ في تفسيره لسورة الحشر الآية: ١٦.

بذلك منه: وكيف لنا بذلك؟ قال: هاتوا الصبي فجاؤوا به فأخذه، فقال: من أبوك؟ فقال: فلان الراعي لبني فلان. فأكذب الله الذين قالوا ما قالوا في جريح، فحلف أن لا يخالف أمه بل يخدمها(١).

وفيه عنه عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل وكان له بنتان فزوجهما من رجلين، واحد زارع وآخر يعمل الفخار، ثم إنه زارهما، فبدأ بامرأة الزارع فقال لها: كيف حالك؟ فقالت قد زرع زوجي زرعاً كثيراً، إن جاء الله بالسماء فنحن في أحسن بني إسرائيل حالاً. وذهب إلى الأخرى، فسألها عن حالها فقالت قد عمل زوجي فخاراً كثيراً، فإن أمسك الله السماء عنا فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً. فانصرف وهو يقول: اللهم أنت لهما(٢).

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل يكثر أن يقول: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، فغاظ إبليس ذلك. فبعث إليه شيطاناً فقال: قل العاقبة للأغنياء، فجاءه، فقال ذلك فتحاكما إلى أول من يطلع عليهما، على قطع يد الذي يحكم عليه. فلقيا شخصاً، فأخبراه بحالهما، فقال العاقبة للأغنياء فقطع يده. فرجع وهو يحمد الله ويقول: العاقبة للمتقين، فقال له: تعود أيضاً، فقال: نعم على اليد الأُخرى فخرجا.

فطلع الآخر فحكم عليه أيضاً فقطعت يده الأُخرى، وعاد أيضاً يحمد الله ويقول: العاقبة للمتقين، فقال: تحاكمني على ضرب العنق؟ فقال: نعم فخرجا. فرأيا مثالاً فوقفا عليه، فقال: إني كنت حاكمت هذا وقصا عليه قصتهما. قال: فمسح يديه فعادتا، ثم ضرب عنق ذلك الخبيث وقال: هكذا العاقبة للمتقين(٣).

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قاض في بني إسرائيل وكان يقضي بالحق فيهم. فلما حضرته الوفاة قال لامرأته: إذا مت فاغسليني وكفنيني وغطي وجهي على سريري فإنك لا ترين سوءاً إن شاء الله تعالى.

فلما مات فعلت ما أمرها به، ثم مكثت بعد ذلك حيناً، ثم إنها كشفت عن وجهه فإذا دودة تقرض من منخره ففزعت من ذلك. فلما كان الليل أتاها في منامها، فقال لها فزعت مما رأيت؟ قالت: أجل، قال: والله ما هو إلا في أخيك. وذلك أنه أتاني ومعه خصم له فلما جلسا قلت: اللهم اجعل الحق له. فلما اختصما كان الحق له، ففرحت، فأصابني ما رأيت لموضع هواي مع موافقة الحق له(٤).

وعنه عليه السلام أن قوماً من بني إسرائيل قالوا لنبي لهم: ادع لنا ربك يمطر علينا السماء إذا

---

(١) قصص الراوندي ص ١٧٧ برقم ٢٠٧.

(٢) قصص الراوندي ص ١٧٨ برقم ٢١٠.

(٣) و(٤) قصص الراوندي ص ١٧٩ - ١٨٠ برقم ٢١٣ - ٢١٤.

أردنا فسأل ربه ذلك فوعده أن يفعل، فأمطر السماء عليهم كلما أرادوا، فزرعوا فنمت زروعهم وحسنت. فلما حصدوا لم يجدوا شيئاً، فقالوا إنما سألنا المطر للمنفعة، فأوحى الله تعالى إليه: إنهم لم يرضوا بتدبيري لهم(١).

وقال عليه السلام: إنه كان ورشان يفرخ في شجرة، وكان رجل يأتيه إذا أدرك الفرخان فيأخذ الفرخين. فشكى ذلك الورشان إلى الله تعالى فقال: إني سأكفيك.

قال: فأفرخ الورشان وجاء الرجل ومعه رغيفان فصعد الشجرة وعرض له سائل فأعطاه أحد الرغيفين، ثم صعد فأخذ الفرخين ونزل بهما فسلمه الله لما تصدق به(٢).

وعنه عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل عاقل كثير المال وكان له ابن يشبهه في الشمائل من زوجة عفيفة، وكان له ابنان من زوجة غير عفيفة. فلما حضرته الوفاة قال لهم: هذا مالي لواحد منكم. فلما توفي قال الكبير: أنا ذلك الواحد وقال الأوسط: أنا ذلك وقال الأصغر: أنا ذلك.

فاختصموا إلى قاضيهم، قال: ليس عندي في أمركم شيء، انطلقوا إلى بني غنام الإخوة الثلاث فانتهوا إلى واحد منهم، فرأوا شيخاً كبيراً، فقال: ادخلوا إلى أخي فلان فهو أكبر مني سناً فاسألوه، فدخلوا عليه فخرج شيخ كهل، فقال سلوا أخي أكبر مني، فدخلوا على الثالث، فإذا هو في المنظر أصغر، فسألوه أولاً عن حالهم فقال: أما أخي الذي رأيتموه أولاً، فهو الأصغر وإن له امرأة سوء تسوؤه وقد صبر عليها، مخافة أن يبتلى ببلاء لا صبر عليه فهرمته.

وأما أخي الثاني، فإن عنده زوجة تسوؤه وتسره، فهو متماسك الشباب: وأما أنا، فزوجتي تسرني ولا تسوؤني لم يلزمني منها مكروه قط منذ صحبتني فشبابي معها متماسك.

وأما حديثكم الذي هو حديث أبيكم فانطلقوا أولاً وانبشوا قبره واستخرجوا عظامه وأحرقوها، ثم عودوا لأقضي بينكم. فانصرفوا، فأخذ الصبي سيف أبيه وأخذ الأخوان المعاول. فلما أن همّا بذلك! قال لهم الصغير: لا تنبشوا قبر أبي وأنا أدع لكما حصتي. فانصرفوا إلى القاضي فقال: يقنعكما هذا، ائتوني بالمال! فقال للصغير: خذ المال فلو كانا ابنيه لدخلهما من الرقة، كما دخل على الصغير(٣).

وعن أبي الحسن موسى صلوات الله عليه قال: كان في بني إسرائيل رجل صالح وكانت له امرأة صالحة، فرأى في النوم: إن الله قد وقّت لك من العمر كذا وكذا سنة وجعل نصف عمرك في سعة، وجعل النصف الآخر في ضيق، فاختر لنفسك إما النصف الأول أو النصف الأخير؟

---

(١) قصص الراوندي ص ١٨٠ برقم ٢١٦.
(٢) قصص الراوندي ص ١٨١ برقم ٢١٧.
(٣) نفس المصدر السابق ص ١٨٢ برقم ٢٢٠.

فقال الرجل: إن لي زوجة صالحة وهي شريكتي في المعاش، فأشاورها في ذلك وتعود إليّ فأخبرك.

فلما أصبح الرجل قال لزوجته: رأيت في النوم كذا وكذا، فقالت: يا فلان خذ النصف الأول وتعجل العافية لعل الله سيرحمنا ويتم لنا النعمة. فلما كان في الليلة الثانية أتى الآتي، فقال: ما اخترت؟ فقال: اخترت النصف الأول، فقال: ذلك لك، فأقبلت الدنيا عليه من كل وجه. ولما ظهرت نعمته قالت له زوجته: قرابتك والمحتاجون فصلهم وبرّهم وجارك وأخوك فلان فهبهم. فلما مضى العمر وجاز حد الوقت، رأى الرجل الذي رآه في النوم فقال إن الله تعالى قد شكر لك ذلك، ولك تمام عمرك سعة ما مضى(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرجت امرأة بغي على شباب من بني إسرائيل، فافتتنتهم! فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً رآها فتنته وسمعت مقالتهم فقالت: والله لا أنصرف إلى منزلي حتى أفتننه.

فمضت نحوه في الليل فدقت عليه، فقالت: آوي عندك فأبى عليها فقالت: إن بعض شباب بني إسرائيل راودني عن نفسي، فإن أدخلتني وإلا لحقوني وفضحوني فلما سمع مقالتها فتح لها.

فلما دخلت عليه رمت بثيابها، فلما رأى جمالها وهيأتها وقعت في نفسه فضرب يده عليها، ثم رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فأقبل حتى وضع يده على النار، فقالت: أي شيء تصنع؟ فقال: أحرقها لأنها عملت العمل. فخرجت حتى أتت جماعة من بني إسرائيل فقالت: إلحقوا فلاناً فقد وضع يده في النار فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: أن عابداً كان في بني إسرائيل فأضاف امرأة من بني إسرائيل فهمّ بها، فأقبل كلما همّ بها، قرب إصبعاً من أصابعه إلى النار، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح، قال لها: اخرجي لبئس الضيف كنت لي(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل جبار، وإنه أقعد في قبره ورد إليه روحه، فقيل له: إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله قال: لا أطيقها، فلم يزالوا ينقصونه من الجلد وهو يقول: لا أطيق، حتى صاروا إلى واحدة قال: لا أطيقها قالوا: لن نصرفها عنك، قال: فلماذا تجلدونني؟ قالوا: مررت يوماً بعبد من عباد الله ضعيف مسكين مقهور، فاستغاث بك فلم تغثه ولم تدفع عنه. قال: فجلدوه جلدة واحدة، فامتلأ قبره ناراً(٤).

---

(١) قصص الراوندي ص ١٨٢ برقم ٢٢١.
(٢) قصص الراوندي ص ١٨٣ برقم ٢٢٢.
(٣) و(٤) قصص الراوندي ص ١٨٤ - ١٨٥ برقم ٢٢٣ و ٢٢٥.

وعن وهب بن منبه قال: رووا أن رجلًا من بني إسرائيل بنى قصراً فجوّده وشيده ثم صنع طعاماً، فدعا الأغنياء وترك الفقراء. فكان إذا جاء الفقير قيل لكل واحد منهم إن هذا طعام لم يصنع لك ولا لأشباهك.

قال: فبعث الله ملكين في زي الفقراء، فقيل لهما مثل ذلك، ثم أمرهما الله تعالى بأن يأتيا في زي الأغنياء فأدخلا وأكرما وأجلسا، فأمرهما الله تعالى أن يخسفا المدينة ومن فيها. وبإسناده: إن بني إسرائيل الصغير منهم والكبير كانوا يمشون بالعصا مخافة أن يختال أحد في مشيته[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو جعفر صلوات الله عليه يقول: نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها، وبئس البلاد مصر، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلا من سخطة ومعصية منهم لله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فأبوا أن يدخلوها وعصوا، فتاهوا في الأرض أربعين سنة، وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام، إلا من بعد توبتهم ورضاء الله عنهم.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام إنني أكره أن آكل شيئاً طبخ في فخار مصر وما أحب أن أغسل رأسي من طينها، مخافة أن تورثني تربتها الذل وتذهب بغيرتي[٢].

(قصص الراوندي) بإسناده إلى عبد الأعلى بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام حديث ترويه الناس من أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حدث عن بني إسرائيل ولا حرج؟ قال: نعم.

قلت: أفنحدث عن بني إسرائيل ولا حرج علينا؟ قال: أما سمعت ما قال: كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع[٣]. قلت كيف هذا؟ قال ما كان في الكتاب أنه كان في بني إسرائيل، فحدث أنه كان في هذه الأمة ولا حرج[٤].

أقول: في (النهاية) في الحديث حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرح - أي لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدثوا عنهم ما سمعتم، وإن استحال أن يكون في هذه الأمة مثل ما روي أن ثيابهم كانت تطول وأن النار تنزل من السماء، فتأكل القربان وغير ذلك، لا أن تحدث عنهم بالكذب. ويشهد لهذا التأويل ما جاء في بعض رواياته فإن فيهم العجائب.

وقيل: معناه أن الحديث عنهم إذا أديته كما سمعته حقاً كان أو باطلًا لم يكن عليك إثم، لطول العهد ووقوع الفترة، بخلاف الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله لأنه إنما يكون بصحة روايته وعدالة راويه.

---

(١) قصص الراوندي ص ١٨٥ برقم ٢٢٦.
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٨٦ برقم ٢٣٣.
(٣) وهج الفصاحة في أدب النبي ص ٥١٦ باب الحكم برقم ٢١٥٥.
(٤) قصص الراوندي ص ١٨٧ برقم ٢٣٤.

وقيل: معناه إن الحديث عنهم ليس على الوجوب، لأن قوله ﷺ في أول الحديث: بلغوا عني على الوجوب، ثم أتبعه بقوله: وحدثوا عن نبي إسرائيل ولا حرج عليكم إن لم تحدثوا عنهم[١].

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف[٢] من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمع إليه جنوده، فقال من لي بفلان؟ فقال بعضهم: أنا، فقال: من أين تأتيه؟ فقال: من ناحية النساء، قال: لست له لم يجرب النساء قال له آخر: فأنا له قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية الشراب واللذات، قال: لست له ليس هذا بهذا، قال آخر: فأنا له قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية البر، قال: انطلق فأنت صاحبه. فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلي.

قال: وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح. فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال: يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه الصلاة؟ فلم يجبه، ثم أعاد عليه فقال: يا عبد الله إني أذنبت ذنباً وأنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة! قال: فأخبرني بذنبك حتى أعمله وأتوب فإذا فعلته قويت على الصلاة، قال: أدخل المدينة فسل عن فلانة البغية فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لي الدرهمان وما أدري ما الدرهمين، فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله إياهما.

فقام ودخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية فأرشده الناس، وظنوا أنه جاء يعظها. فجاء إليها بالدرهمين وقال: قومي فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: إنك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك فأخبرها، فقالت له: يا عبد الله إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثل لك فانصرف فإنك لا ترى شيئاً.

فانصرف، وماتت من ليلتها، فأصبحت وإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة (البغية) فإنها من أهل الجنة، فارتاب الناس، فمكثوا ثلاثاً لم يدفنوها، ارتياباً في أمرها. فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء لا أعلمه[٣] إلا موسى بن عمران صلوات الله عليه أن ائت فلانة، فصل عليها، ومر الناس أن يصلوا عليها، فإني قد غفرت لها ووجبت لها الجنة، بتثبيطها[٤] عبدي فلاناً عن خطيئته[٥].

---

(١) وكذا قال العلامة المجلسي قدس سره في البحار ج١٤، ص ٤٩٥.

(٢) أي لم يكتسب.

(٣) قال العلامة المجلسي: لا أعلمه هنا الشك فيه من الراوي.

(٤) ثبطه عن الأمر: عوقه وشغله عنه.

(٥) روضة الكافي ص ٣٨٤ برقم ٥٨٤.

(الكافي) بإسناده إلى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله حمران قال: جعلني الله فداك، لو حدثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به قال: يا حمران إن لك أصدقاء وإخواناً ومعارف، إن رجلًا كان فيما مضى من العلماء، وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه ولا يسأله عن شيء، وكان له جار يأتيه ويسأله ويأخذ عنه.

فحضر الرجل الموت، فدعا ابنه فقال: يا بني إنك كنت تزهد فيما عندي وتقل رغبتك فيه ولم تكن تسألني عن شيء، ولي جار قد كان يأتيني ويسألني ويأخذ مني ويحفظ عني، فإن احتجت إلى شيء فأته، وعرفه جاره، فهلك الرجل وبقي ابنه فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا فسأل عن الرجل فقيل له: قد هلك، فقال الملك: هل ترك ولداً فقيل له: نعم ترك ابناً، فقال: ائتوني به فبعث إليه، فقال الغلام: والله ما أدري لما يدعوني الملك وما عندي علم ولئن سألني عن شيء لأفتضحن، فذكر ما كان أوصاه أبوه، فأتى الرجل الذي كان يأخذ العلم عن أبيه، فقال له: إن الملك قد بعث إليّ يسألني ولست أدري فيما بعث إليّ، وقد كان أبي أمرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء، فقال الرجل: ولكني أدري فيما بعث إليك، فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك، فقال: نعم، فاستحلفه واستوثق منه أن يفي، فأوثق له الغلام، فقال: إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا، فقل له: هذا زمان الذئب.

فأتاه الغلام، فقال له الملك: لمَ أرسلت إليك، قال: أرسلت إليّ تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أي زمان هذا، فقال له الملك: صدقت، فأخبرني أي زمان هذا؟ فقال له: زمان الذئب. فأمر له بجائزة فقبضها الغلام وانصرف إلى منزله وأبى أن يفي لصاحبه وقال لعلي لا أُنفذ هذا المال ولا آكله حتى أهلك، ولعلي لا أحتاج ولا أُسأل عن مثل هذا الذي سئلت عنه.

فمكث ما شاء الله، ثم إن الملك رأى رؤيا، فبعث إليه يدعوه، فندم على ما صنع وقال: والله ما عندي علم آتيه به وما أدري كيف أصنع بصاحبي وقد غدرت به ولم أفِ له. ثم قال: لآتيه على كل حال ولأعتذرن إليه ولأحلفن له فلعله يخبرني، فأتاه فقال إني صنعت الذي صنعت ولم أفِ لك بما كان بيني وبينك وتفرق ما كان في يدي وقد احتجت إليك، فأنشدك الله أن لا تخذلني وأنا أوثق لك أن لا يخرج لي شيء إلا كان بيني وبينك وقد بعث إليّ الملك ولست أدري عما يسألني، فقال: إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا، فقل له: زمان الكبش.

فأتى الملك فدخل عليه، فقال الملك لمَ بعثت إليك؟ قال إنك رأيت رؤيا تريد أن تسألني أي زمان هذا، فقال له صدقت، فقال: هذا زمان الكبش.

فأمر له بصلة، فقبضها وانصرف إلى منزله، وتدبر رأيه في أن يفي لصاحبه أو لا يفي فهم مرة أن يفعل ومرة أن لا يفعل، ثم قال: لعلي لا أحتاج بعد هذه المرة أبداً، وأجمع رأيه على الغدر.

فمكث ما شاء الله، ثم إن الملك رأى رؤيا، فبعث إليه، فندم على ما صنع فيما بينه وبين

صاحبه وقال بعد غدرتين كيف أصنع وليس عندي علم، ثم أجمعَ رأيه على إتيان الرجل. فأتاه فناشده الله تبارك وتعالى وسأله أن يعلمه وأخبره أن هذه المرة يفي له وأوثق له وقال: لا تدعني على هذه الحال، فإني لا أعود إلى الغدر، فاستوثق منه، فقال: إنه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا، فإذا سألك فأخبره أنه زمان الميزان.

قال: فأتى الملك فدخل عليه فقال له: لم بعثت إليك؟ فقال: رأيت رؤيا وتريد أن تسألني أي زمان هذا، فقال صدقت فأخبرني أي زمان هذا؟ قال: هذا زمان الميزان.

فأمر له بصلة فقبضها وانطلق بها إلى الرجل فوضعها بين يديه وقال: قد جئتك بما خرج لي فقاسمنيه، فقال له العالم: إن الزمان الأول كان زمان الذئب وإنك كنت من الذئاب، وإن الزمان الثاني كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل، وكذلك كنت تهم ولا تفي، وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه على الوفاء، فاقبض مالك لا حاجة لي فيه، ورده عليه(١).

أقول: قوله عليه السلام: إن لك أصدقاء وإخواناً، قيل: لعل المقصود من إيراد الحكاية بيان أن هذا الزمان ليس زمان الوفاء بالعهود، فإن عرفتك زمان ظهور الأمر، فلك أصدقاء ومعارف فتحدثهم، فيشيع الخبر بين الناس وينتهي إلى الفساد، والعهد بالكتمان لا ينفع لأنك لا تفي به وإذ لم يأت بعد زمان الميزان.

وفيه عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن رجلًا في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: وما أُوتيت إلا منك، وما الذنب إلا لك. قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام: إن رجلًا من بني إسرائيل كان له ابن وكان له محباً، فأتي في منامه فقيل له: إن ابنك ليلة يدخل بأهله يموت. قال: فلما كانت تلك الليلة وبنى(٣) عليه أبوه توقع أبوه ذلك، فأصبح ابنه سليماً فأتاه أبوه فقال: يا بني ما عملت البارحة شيئاً من الخير؟ قال: لا، إلا أن سائلًا أتى الباب وقد كانوا ادخروا لي طعاماً فأعطيته للسائل، فقال: هذا دفع عنك(٤).

(الأمالي) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل شيخ ناسك يعبد الله في بني إسرائيل، فبينا هو يصلي وهو في عبادته إذ بصر بغلامين صبيين قد أخذا ديكاً وهما ينتفان ريشه،

---

(١) روضة الكافي ص ٣٦٢ برقم ٥٥٢.
(٢) أصول الكافي ج٢، ص ٧٣ باب الاعتراف والتقصير.
(٣) أي أدخله على أهله.
(٤) بحار الأنوار ج ١٤، ص ٥٠٢ - ٥٠٣.

فأقبل على ما هو فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك، فأوحى الله إلى الأرض: أن سيخي بعبدي، فساخت به الأرض، فهو يهوي أبد الآبدين ودهر الداهرين[1].

(الكافي) مسنداً إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: كان ملك في بني إسرائيل وكان له قاض وللقاضي أخ وكان رجل صدق وله امرأة قد ولدتها الأنبياء.

فأراد الملك أن يبعث رجلاً في حاجة، فقال للقاضي: ابغني رجلاً ثقة فقال: ما أعلم أحداً أوثق من أخي، فدعاه ليبعثه فكره ذلك الرجل وقال لأخيه: إني أكره أن أضيع امرأتي، فعزم عليه فلم يجد بداً من الخروج فقال لأخيه: يا أخي لست أخلف شيئاً أهم عليّ من امرأتي، فاخلفني فيها وتول قضاء حاجتها. قال: نعم.

فخرج الرجل وكانت المرأة كارهة لخروجه، فكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم لها، فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت عليه، فحلف عليها لئن لم تفعل ليخبرن الملك أنها قد فجرت! فقالت: اصنع ما بدا لك لست أجيبك إلى شيء مما طلبت.

فأتى الملك فقال: إن امرأة أخي فجرت وقد حق ذلك عندي! فقال له الملك: طهرها فجاء إليها فقال: إن الملك قد أمرني برجمك فما تقولين تجيبيني وإلا رجمتك فقالت: لست أُجيبك فاصنع ما بدا لك، فأخرجها فحفر لها فرجمها ومعه الناس.

فلما ظن أنها قد ماتت تركها فانصرف، وجن بها الليل وكان بها رمق فتحركت فخرجت من الحفيرة، ثم مشت على وجهها حتى خرجت من المدينة، فانتهت إلى دير فيه ديراني، فنامت على باب الدير.

فلما أصبح الديراني فتح الباب فرآها فسألها عن قصتها فخبرته، فرحمها وأدخلها الدير. وكان له ابن صغير لم يكن له غيره، وكان حسن الحال، فداواها حتى برئت من علتها واندملت، ثم دفع إليها ابنه، فكانت تربيه، وكان للديراني قهرمان يقوم بأمره فأعجبته فدعاها إلى نفسه! فأبت، فجهد بها فأبت، فقال: لئن لم تفعلي لأجهدن في قتلك، فقالت: اصنع ما بدا لك.

فعمد إلى الصبي ودق عنقه وأتى الديراني! فلما رآها قال لها: ما هذا؟ فقد تعلمين صنيعي بك، فأخبرته بالقصة، فقال لها: ليس تطيب نفسي أن تكوني عندي فاخرجي فأخرجها ليلاً ودفع إليها عشرين درهماً وقال لها: تزودي هذه، الله حسبك. فخرجت ليلاً، فأصبحت في قرية فإذا فيها مصلوب على خشبة وهو حي فسألت عن قصته فقالوا عليه دين عشرون درهماً، ومن كان عليه دين عندنا لصاحبه صلب حتى يؤدي إلى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها إلى غريمه وقالت: لا تقتلوه فأنزلوه عن الخشبة، فقال: ما أحد أعظم عليّ منة منك نجيتني من الصلب ومن الموت فأنا معك حيث ما ذهبت.

---

(١) المصدر السابق.

فمضى معها ومضت، حتى أتيا إلى ساحل البحر، فرأى جماعة وسفناً، فقال لها: اجلسي حتى أذهب أنا وأعمل لهم وأستطعم وآتيك به، فأتاهم فقال: ما في سفينتكم هذه؟ قالوا: كثرة لا نحصيها، قال: فإن معي شيئاً هو خير مما في سفينتكم! قالوا: ما معك؟ قال: جارية لم تروا مثلها قط! قالوا: فبعناها قال: على شرط أن يذهب بعضكم فينظر إليها ثم يجيئني فيشتريها ولا يعلمها ويدفع إليّ الثمن ولا يعلمها حتى أمضي أنا، فقالوا: ذلك لك. فبعثوا من نظر إليها، فقال: ما رأيت مثلها قط، فاشتروها منه بعشرة آلاف درهم ودفعوا إليه الدراهم فمضى بها.

فلما أمعن(1) أتوها فقالوا لها: قومي وادخلي السفينة، قالت: ولم؟ قالوا: قد اشتريناك من مولاك، قالت: ما هو مولاي، قالوا: لتقومين أو لنحملنك، فقامت ومضت معهم. فلما انتهوا إلى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها، فجعلوها في السفينة التي فيها الجواهر والتجارة وركبوا هم في السفينة الأخرى، فبعث الله عز وجل عليهم ريحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة التي كانت فيها، حتى انتهت إلى جزيرة من جزائر البحر وربطت السفينة، ثم دارت في الجزيرة، فإذا فيها ماء وشجر فيه ثمر، فقالت: هذا ماء أشرب منه، وثمر آكل منه، أعبد الله في هذا الموضع.

فأوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن يأتي ذلك الملك فيقول: إن في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي فاخرج أنت ومن في مملكتك حتى تأتوا خلقي هذا، فتقروا له بذنوبكم ثم تسألوا ذلك الخلق أن يغفر لكم، فإن غفر لكم غفرت لكم. فخرج الملك بأهل مملكته إلى تلك الجزيرة، فرأوا امرأة، فتقدم إليها الملك فقال لها: إن قاضيَّ هذا أتاني فخبرني أن امرأة أخيه فجرت فأمرته برجمها ولم تقم عندي البينة فأخاف أن أكون قد تقدمت على ما لا يحل لي، فأحب أن تستغفري لي، فقالت غفر الله لك، اجلس.

ثم أتى زوجها ولا يعرفها فقال لها: إنه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها، وإني خرجت وهي كارهة لذلك، فاستخلفت أخي عليها، فلما رجعت سألت عنها فأخبرني أخي أنها فجرت، فرجمها، وأنا أخاف أن أكون قد ضيعتها فاستغفري لي، فقالت غفر الله لك اجلس، فأجلسته إلى جنب الملك.

ثم أتى القاضي فقال: إنه كان لأخي امرأة وإنها أعجبتني فدعوتها إلى الفجور فأبت، فأعلمت الملك أنها قد فجرت! وأمرني برجمها وأنا كاذب عليها، فاستغفري لي، قالت: غفر الله لك، ثم أقبلت على زوجها فقالت: اسمع اجلس.

ثم أقبل الديراني فقص قصته وقال: أخرجتها بالليل وأنا أخاف أن يكون قد لقيها سبع

---

(1) أي بعد وغاب.

فقتلها، فقالت: غفر الله لك اجلس، ثم تقدم القهرمان فقص قصته، فقالت للديراني: اسمع غفر الله لك. ثم تقدم المصلوب فقص قصته فقالت: لا غفر الله لك.

ثم أقبلت على زوجها فقالت: أنا امرأتك وكل ما سمعت فإنما هو من قصتي وليس لي حاجة في الرجال، فأنا أحب أن تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلي سبيلي، فأعبد الله عز وجل في هذه الجزيرة فقد ترى ما قد رأيت من الرجال، ففعل وأخذ السفينة وما فيها وخلى سبيلها، وانصرف الملك وأهل مملكته[1].

وفيه عن الديلمي عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فلان من عبادته وفضله ودينه كذا وكذا، فقال: كيف عقله؟ قلت: لا أدري، فقال: إن الثواب على قدر العقل، إن رجلًا من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر ظاهرة الماء وإن ملكاً من الملائكة مرّ به فقال: يا رب أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله ذلك فاستقله الملك، فأوحى الله إليه أن اصحبه.

فأتاه الملك في صورة إنسي فقال له: من أنت؟ فقال: أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك. فكان معه يومه ذلك. فلما أصبح قال له الملك: إن مكانك لنزه ولا يصلح إلا للعبادة، فقال العابد: إن لمكاننا هذا عيباً، قال: وما هو؟ قال: ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فإن هذا الحشيش يضيع! فقال له الملك: وما لربك حمار فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش. فأوحى الله إلى ذلك الملك: إنما أثيته على قدر عقله[2].

وفيه مسنداً إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: إن رجلًا ركب البحر بأهله فكسرت السفينة بهم، فلم ينج ممن كان في السفينة إلا امرأة الرجل فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى التجأت إلى جزيرة من جزائر البحر، فكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها، فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه فرفع رأسه إليها فقال: إنسية أم جنية؟ فقالت: إنسية، فلم يكلمها بكلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما أن همّ بها اضطربت، فقال لها: ما لك تضطربين؟ فقالت: أخاف من هذا وأومأت بيدها إلى السماء؟ قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزته، قال: فأنت تخافين منه هذا الخوف ولم تصنعي شيئاً واستكرهتك استكراهاً فأنا والله أولى بهذا الخوف وأحق منك، فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليس له همة إلا التوبة والمراجعة. فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب: ادع الله يظلنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعو أنا وتؤمّن

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٥٠٣ - ٥٠٦.

(٢) أصول الكافي ج١، ص ١١ كتاب العقل والجهل برقم ٨.

أنت؟ قال: نعم. فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة فمشيا تحتها ملياً من النهار، ثم انفرقت الجادة جادتين فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحاب مع الشاب، فقال الراهب: أنت خير مني لك استجيب ولم يستجب لي فخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة فقال: غفر الله لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل(١).

وعن الرضا عليه السلام: إن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعدّ عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين(٢).

وفي (الكافي) عن ابن عمارة قال: روينا أن عابد بني إسرائيل كان إذا بلغ الغاية في العبادة صار مشاءً في حوائج الناس عانياً بما يصلحهم(٣).

(إكمال الدين) بإسناده إلى ابن أبي رافع عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن جبرائيل عليه السلام نزل عليّ بكتاب فيه خبر الملوك ملوك الأرض قبلي، وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل. وهو حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، قال: لما ملك الأشيخ بن اشكان(٤) وكان يسمى الكيس وملك مائتين وستاً وستين سنة. ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى الإيمان بالله، فأبى أكثرهم إلا طغياناً وكفراً، فلما لم يؤمنوا به دعا ربه وعزم عليه، فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم إلا طغياناً وكفراً.

فأتى بيت المقدس يدعوهم إلى الله ثلاثاً وثلاثين سنة، حتى طلبته اليهود وادعت أنها عذبته ودفنته في الأرض حياً، وادعى بعضهم أنهم قتلوه وصلبوه، وكذبوا وإنما شُبه لهم. ولما أراد أن يرفعه إليه أوحى إليه أن يستودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا، خليفته على المؤمنين. فلم يزل شمعون يقوم بأمر الله عز وجل بجميع مقال عيسى عليه السلام ويجاهد الكفار، حتى بعث الله يحيى بن زكريا فمضى شمعون.

وملك عند ذلك أردشير بن أشكان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وفي ثمانية سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريا عليه السلام فلما أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصية في ولد شمعون ويأمر الحواريين وأصحاب عيسى بالقيام معه، ففعل. وعندها ملك سابور بن أردشير ثلاثين سنة حتى قتله الله، وعلم الله وحكمته في ذرية يعقوب بن شمعون عليه السلام.

وعند ذلك ملك بخت نصر مائة سنة وسبعاً وثمانين، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل

---

(١) أصول الكافي ج٢، ص ٦٩ باب الخوف والرجاء برقم ٨.

(٢) أصول الكافي ج٢، ص ١١١ الحلم برقم ١.

(٣) أصول الكافي ج٢، ص ١٩٩ باب السعي في حاجة المؤمن برقم ١١.

(٤) في البحار أشيخ بن أشبحان.

على دم يحيى بن زكريا، وخرب بيت المقدس، وتفرقت اليهود في البلدان. وفي سنة سبع وأربعين من ملكه بعث الله «العزير» نبياً على أهل القرى التي أمات الله أهلها، ثم بعثهم له وكانوا من قرى شتى، فهربوا خوفاً من الموت، فنزلوا في جوار عزير، وكانوا مؤمنين، وكان عزير يختلف إليهم ويسمع كلامهم وأحبهم على ذلك، فغاب عنهم يوماً واحداً، ثم أتاهم فوجدهم موتى صرعى فحزن عليهم وقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها تعجباً منه حيث أصابهم وقد ماتوا في يوم واحد فأماته الله عند ذلك مائة سنة ثم بعثه الله وإياهم وكانوا مائة مقاتل، ثم قتلهم الله أجمعين على يد بخت نصر.

ثم ملك مهرويه بن بخت نصر عند ذلك ست عشرة سنة وعشرين يوماً، فأخذ عند ذلك دانيال وخد له خداً في الأرض وطرح فيه دانيال عليه السلام وأصحابه من المؤمنين وألقى عليهم النيران، فلما رأى أن النار لا تعذبهم ولا تحرقهم استودعهم الجب والسباع وعذبهم بكل نوع من العذاب، حتى خلصهم الله منه وهم الذين ذكرهم الله في كتابه فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾. فلما أراد الله أن يقبض دانيال أمره أن يستودع علمه وحكمه مكيخا بن دانيال ففعل. وعند ذلك ملك هرمز ثلاثاً وستين سنة وثلاثة أشهر وأربعة أيام(١). وملك بعده بهرام ستاً وعشرين سنة(٢)، وولي أمر الله مكيخا بن دانيال وأصحابه المؤمنون، غير أنهم لا يستطيعون أن يظهروا الإيمان في ذلك الزمان. وعند ذلك ملك بهرام بن بهرام سبع سنين، وفي زمانه انقطعت الرسل وكانت الفترة، وولي أمر الله يومئذ مكيخا بن دانيال وأصحابه المؤمنون. فلما أراد الله أن يقبضه أوحى إليه في منامه أن يستودع نور الله وحكمته أنشوا بن مكيخا وملك بعده.

وكانت الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعمائة سنة وثمانين سنة، وأولياء الله في الأرض يومئذ ذرية انشوا يرث منهم واحد بعد واحد ممن يختاره الجبار عز وجل. فعند ذلك ملك سابور بن هرمز اثنتين وسبعين سنة، وهو أول من عقد التاج ولبسه، وولي أمر الله يومئذ انشوا بن مكيخا.

وملك بعده أردشير أخو سابور سنتين، وفي زمانه بعث الله عز وجل الفتية أهل الكهف والرقيم، وولي أمر الله يومئذ دسيخا بن انشوا بن مكيخا. وعند ذلك ملك سابور بن أردشير خمسين سنة، وولي يومئذ دسيخا بن اشنوا وملك بعده يزدجرد بن سابور إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وتسعة أيام، وولي أمر الله يومئذ في الأرض دسيخا بن انشوا عليه السلام. فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يقبض دسيخا أوحى الله إليه في منامه أن يستودع علم الله ونوره نسطورس بن دسيخا، وفعل. وعند ذلك ملك بهرام جور ستاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً، وولي أمر الله في الأرض نسطورس بن دسيخا. وعند ذلك ملك فيروز بن

(١) في مروج الذهب: ملك سنة وقيل: اثنين وعشرين شهراً.

(٢) في مروج الذهب: ملك ثلاث سنين.

يزدجرد بن بهرام سبعاً وعشرين سنة، وولي أمر نسطورس بن دسيخا وأصحابه المؤمنون. فلما أراد الله عز وجل أن يقبضه أوحى إليه في منامه أن يستودع علم الله ونوره وحكمته وكتبه مرعيدا. وعند ذلك ملك فلاس بن فيروز أربع سنين. وولي أمر الله مرعيدا. وملك بعده قباذ بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة. وملك بعده جاماسب أخو قباذ ستاً وستين سنة، وولي أمر الله يومئذ في الأرض مرعيدا وعند ذلك ملك كسرى بن قباذ ستاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، وولي أمر الله مرعيدا وشيعته المؤمنون.

فلما أراد الله عز وجل أن يقبض مرعيدا أوحى إليه في منامه أن يستودع نور الله وحكمته بحيرا الراهب، ففعل. وملك عند ذلك هرمز بن كسرى ثمانياً وثلاثين سنة، وولي أمر الله يومئذ بحيرا وأصحابه المؤمنون وشيعته الصديقون.

وعند ذلك ملك كسرى بن هرمز بن ابرويز، وولي أمر الله يومئذ في الأرض بحيرا، حتى إذا طالت المدة وانقطع الوحي واستخف بالنعم واستوجب الغير، ودُرس الدين وتركت الصلاة واقتربت الساعة وكثرت الفرق وصار الناس في حيرة وظلمة وأديان مختلفة. وعند ذلك استخلص الله تعالى لنبوته ورسالته من الشجرة المشرفة الطيبة والجرثومة المتخيرة التي اصطفاها الله عز وجل في سابق علمه ونافذ قوله قبل ابتداء خلقها وجعلها منتهى خيرته، وغاية صفوته ومعدن خاصته محمداً ﷺ (١).

(إكمال الدين) عن مكي بن أحمد قال: سمعت إسحاق الطوسي يقول وقد مضى عليه سبعة وتسعون سنة على باب يحيى بن منصور قال: رأيت سربابك ملك الهند في بلد تسمى صوح، فسألناه كم أتى عليك من السنين؟ قال: تسعمائة وخمسة وعشرين سنة، وهو مسلم، فزعم أن النبي ﷺ أنفذ إليه عشرة من أصحابه منهم حذيفة بن اليمان وعمرو بن العاص وأسامة بن زيد وأبو موسى الأشعري وغيرهم يدعونه إلى الإسلام، فأسلم وقبل كتاب النبي ﷺ. فقلت له: كيف تصلي مع هذا الضعف؟ فقال: قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾.

فقلت له: ما طعامك؟ قال: أكل ماء اللحم والكراث، وسألته هل يخرج منك شيء؟ قال: في كل أسبوع مرة شيء يسير، وسألته عن أسنانه، فقال: أبدلتها عشرين مرة، ورأيت في إصطبله شيئاً من الدواب أكبر من الفيل يقال له زنده قيل، فقلت له: ما تصنع بهذا؟ قال: يحمل ثياب الخدم إلى القصور، ومملكته مسيرة أربع سنين في مثلها، ومدينته خمسون فرسخاً في مثلها. وعلى كل باب منها عسكر مائة ألف، إذا وقع في أحد الأبواب حدث خرجت تلك الفرقة إلى الحرب لا تستعين بغيرها وهو في وسط المدينة. وسمعته يقول: دخلت المغرب فبلغت إلى

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٥١٥ - ٥٢٠.

رمل عالج، وصرت إلى قوم موسى فرأيت سطوح بيوتهم مستوية، وبيدر الطعام خارج القرية يأخذون منه القوت والباقي يتركونه هناك وقبورهم في دورهم ليس فيهم شيخ ولا شيخة ولا يعتلون إلى أن يموتوا، ولهم أسواق إذا أراد الإنسان شراء شيء منهم صار إلى السوق فوزن لنفسه وأخذ ما يصيبه وصاحبه غير حاضر، وإذا أرادوا الصلاة حضروا فصلوا وانصرفوا لا يكون بينهم خصومة ولا كلام يكره، إلا بذكر الله عز وجل والصلاة وذكر الموت(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: أن تبع الملك أتى بيت الله وكساه وأطعم الطعام ثلاثين يوماً كل يوم مائة جزور، حتى حملت الجفان إلى السباع في رؤوس الجبال ونثرت الأعلاف في الأودية للوحوش، ثم انصرف من مكة إلى المدينة، فأنزل بها قوماً من أهل اليمن من غسان، وهم الأنصار(٢).

اللهم انصرنا بنصرك، وتفضل علينا بكرمك، وارحمنا برحمتك.

وقع الفراغ مما أردنا تحريره من (قصص الأنبياء عليهم السلام) ما في الأخبار عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم آناء الليل وأطراف النهار، كتب الكتاب ببنانه مؤلفه المذنب الجاني نعمة الله الحسيني عفى الله سبحانه عن سيئاته وكان الفراغ من تأليفه صبح يوم الثلاثاء في أوائل شهر شعبان المكرم عام العاشر بعد المائة والألف الهجرية وكان الفراغ منه في بلدة شوشتر صانها الله سبحانه من طوارق الحدثان في دارنا القريبة من مسجدها الجامع.

حامداً لله مصلياً على رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين.

---

(١) بحار الأنوار ج١٤، ص ٥٢٠ والحديث كما ترى غير وارد من طرقنا وهو من مرويات العامة.

(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص ٥٢١ وللحديث صدر.

مصادر التحقيق

١ - القرآن الكريم.

(أ)

٢ - الإحتجاج لأبي منصور الطبرسي الطبعة الثانية ١٩٨٣، منشورات مؤسسة الأعلمي.
٣ - الإختصاص للشيخ المفيد الطبعة الثانية ١٩٨٢ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٤ - إرشاد القلوب للشيخ الديلمي الطبعة الرابعة ١٩٧٨ منشورات مؤسسة الأعلمي.
٥ - الإرشاد للشيخ المفيد، الطبعة الثانية ١٩٨٩ منشورات مؤسسة الأعلمي.
٦ - أصفى المقال لأقابزرك الطهراني ـ الطبعة الثانية ١٩٨٨ منشورات دار العلوم ـ بيروت.
٧ - اعتقادات الصدوق الموجود في كتاب نصوص الدراسة في الحوزة العلمية من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
٨ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي الطبعة الأولى ١٩٨٦ منشورات دار التعارف.
٩ - الأعلام لخير الدين الزركلي الطبعة السابعة ١٩٨٦ منشورات دار العلم للملايين.
١٠ - إقبال الأعمال لابن طاوس الطبعة الأولى المصححة ١٩٩٦ منشورات مؤسسة الأعلمي.
١١ - الأمالي أو المجالس للشيخ الصدوق الطبعة الخامسة ١٩٨٠ منشورات مؤسسة الأعلمي.
١٢ - أمل الآمل للشيخ الحر العاملي الطبعة الثانية ١٩٨٣ منشورات مؤسسة الوفاء، بيروت.
١٣ - الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري الطبعة الرابعة ١٩٨٤ منشورات مؤسسة الأعلمي.

(ب)

١٤ - بحار الأنوار للعلامة المجلسي الطبعة الثانية ١٩٨٣ منشورات مؤسسة الوفاء، بيروت.
١٥ - بصائر الدرجات لابن فروخ الصفار طبع سنة ١٤٠٤ هـ منشورات مؤسسة الأعلمي.

(ت)

١٦ - تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني الطبعة الخامسة ١٩٧٤ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
١٧ - تاريخ الأمم والملوك للطبري الطبعة الرابعة ١٩٨٣ منشورات مؤسسة الأعلمي.
١٨ - تاريخ اليعقوبي طبع سنة ١٩٨٠ م من منشورات مؤسسة الأعلمي.
١٩ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام المنسوب للإمام العسكري عليه السلام طبع الحجر طهران ـ إيران ١٣٧٣ هـ.

٢٠ - تفسير القمي لعلي بن إبراهيم طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت.
٢١ - تفسير العياشي لأبي النصر محمد بن مسعود بن عياش طبع الأعلمي، بيروت.
٢٢ - تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي الطبعة الثانية ١٩٧٣ منشورات مؤسسة الأعلمي.
٢٣ - التفسير الكبير للفخر الرازي الطبعة الثالثة من منشورات دار إحياء التراث العربي.
٢٤ - تفسير البيضاوي الطبعة الأولى ١٩٩٠م. من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٥ - تفسير الكشاف للزمخشري لم يذكر سنة الطبع منشورات دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
٢٦ - ترتيب نوادر الراوندي، فضل الله الراوندي الطبعة الأولى ١٩٨٨.
٢٧ - تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى الطبعة الأولى ١٩٨٨ منشورات مؤسسة الأعلمي.
٢٨ - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر للأمير ورام بن أبي فراس منشورات مؤسسة الأعلمي.
٢٩ - تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي طبع سنة ١٩٨١ م منشورات دار صعب، بيروت.
٣٠ - التوحيد للشيخ الصدوق تحقيق السيد هاشم الطهراني منشورات مؤسسة الأعلمي.

(ث)

٣١ - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق الطبعة الرابعة ١٩٨٣ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

(ح)

٣٢ - حياة الحيوان للدميري الطبعة الأولى منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(خ)

٣٣ - الخصال للشيخ الصدوق الطبعة الثانية ١٩٩٠ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(د)

٣٤ - دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين من منشورات دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
٣٥ - دائرة المعارف أو مقتبس الأثر للشيخ محمد حسين الأعلمي الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.
٣٦ - الدعوات لأبي حسين سعيد الراوندي الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ منشورات مدرسة الإمام المهدي (عج) قم ـ إيران.

(ذ)

٣٧ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآقا بزرك الطهراني الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م منشورات دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

(ر)

٣٨ - رياض العلماء وحياض الفضلاء للميرزا الأصفهاني طبع سنة ١٤٠١ هـ منشورات مطبعة الخيام، قم - إيران.

٣٩ - روضات الجنات محمد باقر الخوانساري منشوَرات مكتبة إسماعيليان، قم - إيران.

(س)

٤٠ - سعد السعود لابن طاووس ١٣٨٧ هـ، منشورات المطبعة الحيدرية النجف الأشرف.

٤١ - سفينة البحار للمحدث القمي لم يذكر سنة الطبع منشورات مؤسسة الوفاء، بيروت.

(ع)

٤٢ - عرائس المجالس للثعلبي من منشورات المكتبة الثقافية بيروت - لبنان.

٤٣ - علل الشرائع للشيخ الصدوق الطبعة الأولى ١٩٨٨ منشورات مؤسسة الأعلمي.

٤٤ - عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق الطبعة الأولى ١٩٨٤ منشورات مؤسسة الأعلمي.

(ق)

٤٥ - قرب الإسناد عبد الله بن جعفر الحميري القمي منشورات مكتبة نينوى، طهران - إيران.

٤٦ - قصص الأنبياء للراوندي الطبعة الأولى ١٩٨٩ منشورات مؤسسة المفيد، بيروت.

٤٧ - القاموس المحيط للفيروزآبادي منشورات دار الجيل، بيروت - لبنان.

(ك)

٤٨ - الكنى والألقاب للقمي طبع سنة ١٩٨٣ م منشورات مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

٤٩ - كمال الدين، وإتمام النعمة للشيخ الصدوق الطبعة الأولى مؤسسة الأعلمي.

٥٠ - الكافي للكليني الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ منشورات دار صعب، بيروت - لبنان.

٥١ - الكامل في التاريخ لابن الأثير طبع سنة ١٩٨٢ منشورات دار صادر، بيروت - لبنان.

٥٢ - كتاب الغيبة للنعماني الطبعة الأولى ١٩٨٣ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥٣ - كنز الفوائد للكراجكي الطبعة الثانية ١٩٨٣ م منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.

٥٤ - كامل الزيارات طبع الحجر ١٣٨٦ هـ - طهران.

(ل)

٥٥ - لؤلؤة البحرين للبحراني الطبعة الثانية ١٩٨٦ م منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.

٥٦ - لسان الميزان ابن حجر العسقلاني الطبعة الثالثة ١٩٨٦ منشورات مؤسسة الأعلمي.

٥٧ - لسان العرب لابن منظور، بدون تاريخ الطبعة منشورات دار صادر، بيروت ـ لبنان.

(م)

٥٨ - مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي الطبعة العاشرة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٥٩ - مجمع البيان للطبرسي الطبعة الأولى مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٦٠ - معجم البلدان لياقوت الحموي لم يذكر سنة الطبع منشورات دار صادر، بيروت ـ لبنان.
٦١ - معاني الأخبار للشيخ الصدوق الطبعة الثانية ١٩٩٠ منشورات مؤسسة الأعلمي.
٦٢ - من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق الطبعة الأولى ١٩٨٦ منشورات مؤسسة الأعلمي.
٦٣ - مهج الدعوات لابن طاووس الطبعة الثانية ١٩٨٠ منشورات مؤسسة الأعلمي.
٦٤ - مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب طبع سنة ١٣٩٢ هـ المكتبة الإسلامية، طهران.
٦٥ - مروج الذهب للمسعودي الطبعة الثانية مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٦٦ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة من منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٧ - معجم رجال الحديث للسيد الخوئي الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م من منشورات دار الزهراء.
٦٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفؤاد عبد الباقي طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(و)

٦٩ - وهج الفصاحة في أدب النبي ﷺ علاء الدين الأعلمي الطبعة الأولى ١٩٨٨ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

فهرس الكتاب

حياة المؤلف ٥
ديباجة الكتاب ١٠
مقدمة الكتاب ١١
في بيان عصمة الأنبياء وتأويل ما يوهم خلافة ٢٠

الباب الأول

في قصص آدم وحواء وأولادهما ٣١
في سجود الملائكة لآدم (ع) ٤١
في أن ذنبه (ع) كان ترك الأولى ٤٧
في كيفية نزول آدم من الجنة وحزنه عليها ٤٧
في تزويج آدم وحواء وكيفية بدء نسلهما ٦١
في بقية أحوال آدم (ع) وأولاده ٦١

الباب الثاني

في قصص النبي إدريس (ع) ٦٩
في قصص النبي إدريس وصعوده للسماء ٧٥

الباب الثالث

في قصص نوح (ع) ٧٩
في بعثة نوح إلى قومه وقصة الطوفان ٧٩

الباب الرابع

في قصص هود النبي (ع) وقومه عاد ٩٠
قصة شداد وإرم ذات العماد ٩٠

الباب الخامس

في قصص نبي الله صالح (ع) وقومه ٩٦

الباب السادس

في قصص إبراهيم وعلل تسميته وسننه ١٠١
في بيان ولادته (ع) وكسر الأصنام ١٠٥
في بيان ما جرى بينه (ع) وبين فرعون ١٠٥
في قصص إبراهيم وبعض أحواله ١٠٥
في إراءته ملكوت السماوات والأرض ١١٧
في جمل من أحواله (ع) ووفاته ١١٧
في أحوال أولاده وأزواجه وبناء البيت ١٢٤
في قصة الذبح وتعيين المذبوح ١٣١

الباب السابع

في قصص لوط (ع) وقومه ١٣٦

الباب الثامن

في قصص ذي القرنين وعمل السد ١٤٣

الباب التاسع

في قصص يعقوب ويوسف (ع) ١٥٩

الباب العاشر

في قصص أيوب النبي (ع) ١٩٣

الباب الحادي عشر

في قصص شعيب (ع) ٢٠٥

الباب الثاني عشر

في قصص موسى وهارون (ع) ٢٠٩
في أحوال موسى من حين ولادته لنبوته ٢١٢
في بعثة موسى وهارون إلى فرعون ٢٢٥

في أحوال مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون ٢٤٥
في خروجهم من الماء وأحوال التيه ٢٤٥
في نزول التوراة وسؤال الرؤية وعبادة العجل ٢٥٣
في قصة قارون وذبح البقرة وما يتعلق بها ٢٦٣
في لقاء موسى للخضر وأحوال الخضر ٢٧٢
في مناجاة موسى (ع) ربه ٢٨١
في قصة بلعم بن باعوراء وأحوال إسماعيل ٢٩٠
في قصص إسماعيل صادق الوعد ٢٩٠
في قصص اليا وإليا واليسع (ع) ٢٩٥
قصص ذي الكفل (ع) ٢٩٩

الباب الثالث عشر

قصص لقمان واشموئيل وطالوت وجالوت ٣٠٢

الباب الرابع عشر

قصص داود النبي (ع) ٣١١
في عمره ووفاته وفضائله (ع) ٣١١
في قصة داود ومعجزة أمير المؤمنين (ع) ٣١٤
في قصته مع أوريا ٣١٧
فيما أوحى إليه وما صدر عنه من الحكم ٣٢٢
في قصة أصحاب السبت ٣٢٩

الباب الخامس عشر

في قصص سليمان (ع) ٣٣٢
في قوله (هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد..) ٣٩٩
مروره بوادي النمل ٣٤٠
في حكاية الخيل ٣٤٤
في قصته مع بلقيس ونفش الغنم ووفاته ٣٤٧

الباب السادس عشر

قصة سبأ وأهل الثرثار والرس وحنظلة وشعيا ٣٥٧

أصحاب الرس الذين ذكرهم الله في القرآن ٣٥٩
في قصة حبقوق النبي (ع) ٣٦٣

الباب السابع عشر

قصص زكريا ويحيى (ع) ٣٦٤

الباب الثامن عشر

قصص عيسى وأمه عليهما السلام ٣٧١
في ولادته ومعجزاته ونقش خاتمه ٣٧٣
فيما جرى بينه وبين إبليس ٣٨٠
في فضله ورفعة شأنه ومعجزاته ٣٨١
تفسير ما يقوله الناقوس. ورفعه إلى السماء ٣٨٧

الباب التاسع عشر

قصص أرميا ودانيال وعزير وبخت نصر ٣٩١

الباب العشرون

قصص يونس وأحوال أبيه متى (ع) ٣٩٨

الباب الواحد والعشرون

قصة أصحاب الكهف والرقيم ٤٠٧

الباب الثاني والعشرون

قصة أصحاب الأخدود وجرجيس ٤١٤

الباب الثالث والعشرون

ما ورد بلفظ نبي من الأنبياء والمجوس ٤١٩

الباب الرابع والعشرون

نوادر أخبار بني إسرائيل وأحوال بعض الملوك ٤٢٤
مصادر التحقيق ٤٣٩
الفهرس ٤٤٣

قصص الأنبياء

السيد نعمة الله الجزائري

مؤسسة الأعلمي

PUPLISHED BY **AALAMI** Est.
Beirut - Air Port St.
Telfax:450426 / 7 - P.O.Box: 7120
e-mail:alaalami@yahoo.com

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - شارع المطار - مفرق سنتر زعرور - ملك الأعلمي
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٤٥٠٤٢٧ - ص.ب. ٧١٢٠

H.Moussa 03/335797